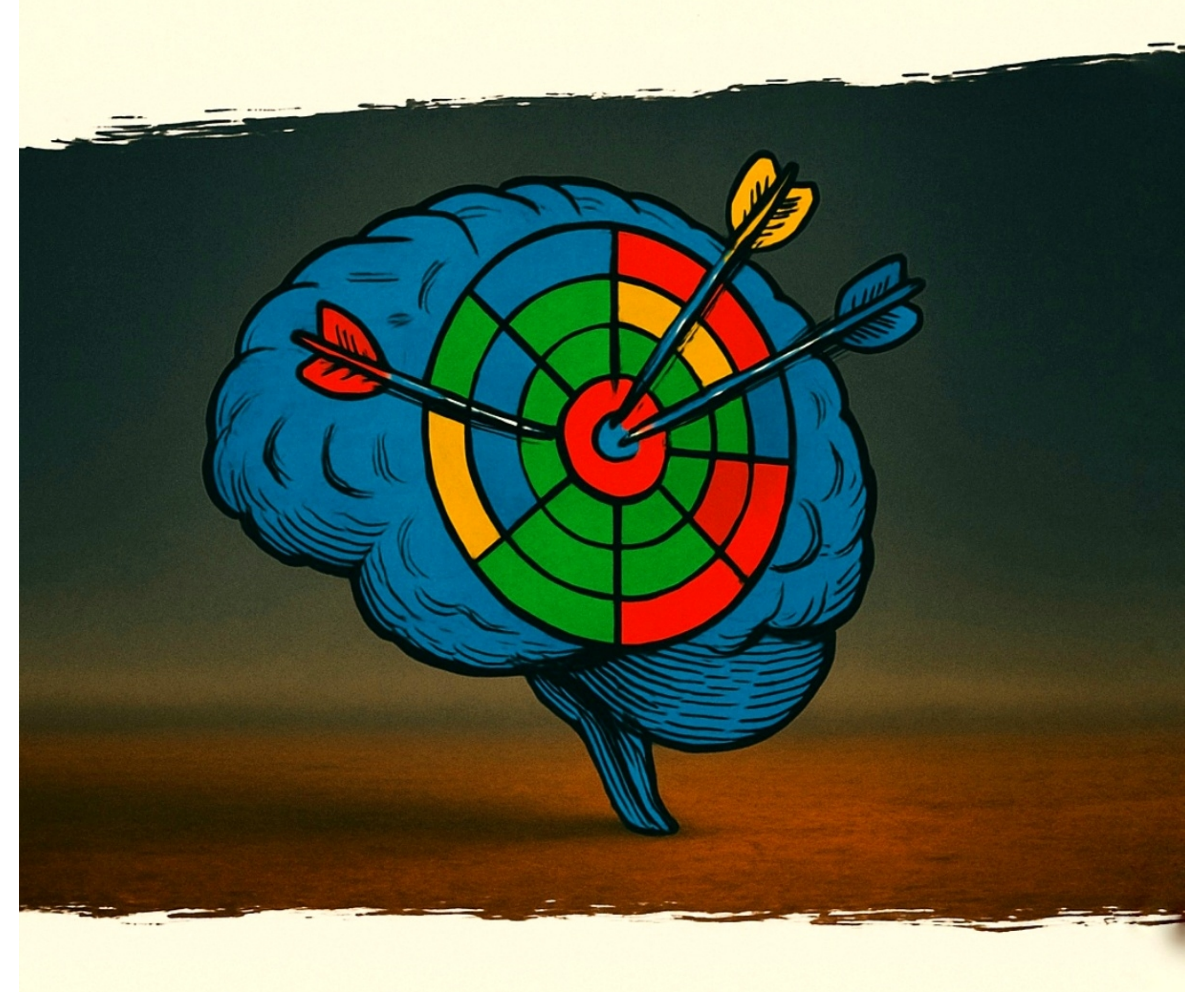
حين صار الدين على المزاج

لا على الوحي!



دريد إبراهيم الموصلي

حين صار الدين على المزاج لا على الوحي!

" كشف المغالطات الكبرى في واقعنا... وبيان الإسلام كما هو لا كما يُشوّه "

تأليف: دريد إبراهيم الموصلي (أبو مريم)

الطبعة الاولى ١٤٤٦هـ- ٢٠٢٥

الفهرسة أثناء النشر

حين صار الدين على المزاج لا على الوحي!

الموصلي، دريد إبراهيم (المؤلف)

٧٦٢ ص.

١٧* ٢٤ سم

إصلاح فكري ووجداني في ضوء القرآن والسنة

ISBN:

رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة –

(   ) لسنة

حين صار الدين على المزاج
لا على الوحي!

" كشف المغالطات الكبرى
في واقعنا... وبيان الإسلام
كما هو لا كما يُشوّه "

– دريد الموصلي –


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من ظنّ أنَّ الدين قد تغيّر...

لكن الحقيقة أن الناس هم من بدّلوا وتلوّنوا.

إلى من تألّم حين رأى الباطل يُلبَس لبوس الحق،

والهوى يُنسب إلى الفتوى...

والقساوة تُبرَّر باسم الغيرة،

والنفاق يُروَّج بآياتٍ يُراد بها غير ما أُنزلت.

إلى كل من صُدم من واقعٍ يُشوّه الإسلام باسم الإسلام،

حتى كاد أن يشك في دينه... لا لخللٍ فيه،

بل لتصرّفات أهله!

إلى الذين ابتعدوا عن الله... لا لأنهم رفضوه،

بل لأن صورة الله قد شُوّهت في أذهانهم على يد من لم يعرفوه حقًا.

إلى كل مسلم صادق... لا يزال قلبه حيًّا،

ويبحث عن الإسلام كما أنزله الله...

لا كما صنعه الناس على أهوائهم.

أُهدي هذا الكتاب...

صرخة صدقٍ في وجه التزوير،

ويدًا ممدودة إلى كل قلبٍ تائه،

يشتاق أن يعود إلى الله... لا إلى "نموذج المسلم" المغشوش.

دريد إبراهيم الموصلي

المقتبس الافتتاحي:

"لم يكن الخطر يومًا في أن يُهاجَم الإسلام من أعدائه...

بل كان الخطر دائمًا حين يُشوَّهه أدعياؤه.

فالإسلام لا يُهزَم من الخارِج... بل يُخنق من الداخل،

حين يُصبح مطيّة للأهواء، ومسرحًا للادّعاء،

وتُقطع آياته على مقاس النفوس لا ميزان الوحي".

التمهيد

"حين صار الدِّين قناعًا... وذو القناع محبوب"

في زمنٍ تتلاشى فيه المعاني... ويُصفّق الناس للمشهد لا للحقيقة،

ويُرفع المتدين الظاهري... وتُقصى الأرواح النقيّة،

صرنا نعيش دينًا مُمَسرحًا... لا موصولًا بالله تعالى.

دينٌ يُفسَّر حسب المصلحة، يُروَّج بحسب الجمهور،

ويُحاكَم فيه الناس على هيئة اللِّحية... لا طهارة القلب.

على نوع النقاب... لا نقاء السَّريرة.

على عدد المتابعين... لا عدد الساجدين بالأسحار.

صرنا في زمنٍ:

يُؤذَن للصلاة... ويُنهَب الضعفاء في السوق المجاور.

يُرتّل القرآن بصوتٍ باكٍ... والقلب يفيض كِبرًا واحتقارًا للناس.

تُغطّى المرأة بحجاب... لكن يُغطّى قلبها عن الرحمة بزوجها وأهلها.

وما عاد غير المسلم يحتاج أن يُهاجم الإسلام...

فكثير من المسلمين – للأسف – صاروا يشوّهونه نيابةً عنه.

لكن مهلاً...

لا أكتب هذا الكتاب لأُدين الناس،

ولا لأشمت في المتناقضين... بل لأضع إصبعي على الجرح، وأقول بصدق:

هذا ليس هو الإسلام... وهذا ليس هو التدين الحقيقي... وهذا ليس هو الطريق إلى الله.

أكتب...

- لمن لا يزال في قلبه بقية من حياء أمام الله،
- لمن تاه بين الناس... ويشتاق أن يعود إلى الحق.
- لمن كاد أن يكره الدين... بسبب من لبسوه زورًا.
- ولمن يريد أن يدخل الإسلام... لكن لا يفرق بين دين الله ودين الناس.

هذا الكتاب محاولة صادقة...

لا لفضح الناس، بل لفضح الزَّيف.

لا لأتكلم عن المتناقضين فقط... بل لنراجع أنفسنا أولًا.

فوالله... ما أعظم الخطر حين نظن أننا على الحق،

ونكون أول من سيُختصم بين يدي الله!

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ليس هذا الكتاب صرخة غضب... ولا مقالة عابرة تسكب حبرها ثم تجف...

بل هو مرآة صادمة، نرفعها في وجه أنفسنا قبل غيرنا،

لنرى كيف أصبح الدين في واقعنا... شيئًا غير الذي أنزله الله تعالى.

لقد اجتمع على الإسلام اليوم خصمان:

- عدوّ خارجي يُحاربه عَلنًا.
- وَمُنتسبٌ إليه يُشوّهه من الداخل.

ووالله... إنَّ الثاني أدهى وأمرّ.

فقد أصبح بعض من يرفع شعار "الإسلام"،

هو ذاته من يطعن في قلبه بسكين "الهوى".

يتحدّث باسم الدين... لكنه لا يعرف ربّ الدين.

يحفظ النصوص... لكنه يجهل الرَّحمة التي نزلت من أجلها.

نحن في زمن غريب...

صار فيه الميزان معكوسًا:

- الناس يُصفّقون للمُتدين الظاهري...
- ويُهاجمون الصادق العميق لأنه لا يُشبِه "الصورة النمطية!"..
- يرفعون من يُتقن العبارات... ولو خان المعاني...
- ويُقصون من يُصيب الجوهر... لأنه لا يصرخ مثلهم!.

- يحتفون بمن يبكي في الدعاء... لكن لا يسألون: هل يخشع في الخلوة؟
  وهل يرحم في بيته؟ وهل يزن نفسه قبل أن يزن الناس؟.

هذا الكتاب ليس دعوة لتكفير أحد، ولا لتصنيف أحد،

بل هو دعوة لمحاسبة النفس...

دعوة لخلع الأقنعة، والعودة إلى الله تعالى كما هو، لا كما نتخيّله.

أكتب هذا الكتاب...

للمسلمين الذين خجلوا من واقعهم، ولم يعودوا يفهمون دينهم الحقيقي.

ولغير المسلمين الذين انبهروا بعظمة الإسلام... لكن صُدموا بتصرفات أهله.

ولمن أراد أن يعود إلى الله... لكنه لا يرى طريقًا إلَّا مليئًا بالزيف، والمظاهر، والضَّجيج.

هنا...سأتحدث بصراحة، لا مجاملة.

بصدق، لا قسوة.

بوحي الله، لا هوى الناس.

لأكشف المغالطات الكبرى التي صارت تُمارس باسم "الدين"،

ولنفرّق بين الإسلام النقيّ ...والإسلام المُفصّل على المقاس.

لأننا نؤمن أن الإسلام... لا يُقاس بالبشر.

بل يُقاس بالله... وبكلامه... وسنة نبيّه ﷺ.

دريد إبراهيم الموصلي

عبدٌ يحاول أن لا يغرق في الزَّيف... وهو يكتب عن الحقيقة.

لمن هو موجّه هذا الكتاب؟

١- للمسلم الصادق... الذي ما زال يبحث عن الحق: الذي خاف على قلبه من الغرق في الزيف، الذي تعب من مظاهر الدين الجوفاء، ويريد أن يعود إلى الله... لا إلى نسخة مزيفة من الدين.

٢- لغير المسلم... الذي أراد أن يفهم الإسلام بصدق: لكل من نظر إلى الإسلام فأعجبه، ثم رأى واقع المسلمين فنفَر! لهذا أقول: لا تخلط بين الإسلام... وبين تصرفات بعض أتباعه... فالإسلام نقيّ، وأخطاؤنا لا تُعبّر عنه.

٣- لمن ظنّ أنه يدافع عن الدين... وهو يطعن فيه دون أن يدري:

- لمن يغار على الشرع... لكنه لا يزن نفسه بالشرع.
- لمن يهاجم الناس... وينسى أن "الله يُحاسب بالعدل لا بالغضب".
- لمن اعتبر نفسه وكيلًا عن الله في الأرض، ونسي أنه عبدٌ... عليه أن يُصلح نفسه أولًا.

٤- ولمن كاد أن يكره الدين... بسبب أهله: لهؤلاء أقول: لا تحكم على الله من تصرفات من لا يعرفه، ولا ترفض النور لأن المصباح في يد من أطفأ قلبه.

هذا الكتاب ليس وعظًا تقليديًا،

ولا جَلدًا للذات، بل هو مشروع وعي، وتنقية، وتحرّر من الزَّيف.

هو رحلة نحو الإسلام الحقيقي... كما أنزله الله تعالى، لا كما زوّرته الأهواء.

لماذا اخترت هذا العنوان تحديدًا؟

١- لأنه يُشخّص أعظم مرض أصاب التدين في هذا الزمان: أنَّ الدين لم يُرفض... بل تم تحريفه ليناسب المزاج.

في القديم... كان الناس يخالفون الدين وهم يعلمون أنهم مخطئون.

أما اليوم ...فيُعاد تعريف الدين نفسه ليتوافق مع أهوائهم:

- يُسكتون صوت الوحي... ويرفعون صوت "الرأي".
- يُنزلون النصوص على الواقع بالمزاج... لا بالمقاصد.
- يُبرّر الظلم، والكبر، والرياء، والغش، والقسوة... بمبررات "دينية" ملفّقة.

فكان هذا العنوان كالصاعقة التي تُجبر القارئ على الوقوف لحظة صدق: "هل أعيش الدين كما هو؟ أم كما يُناسب هواي؟"..

٢- لأنه يُفرّق بوضوح بين دين الله ودين الناس:

- دين الله: وحيٌّ محفوظ، نورٌ نازل، طريق واضح.
- دين الناس: خليط من التقاليد، العادات، التفسيرات الشخصية، والخوف من المجتمع.

فالعنوان يُعلنها بجرأة: لسنا نحاكم الدين... بل نحاكم ما فُعِل باسمه.

٣- لأنه يُخاطب العقل والقلب في آنٍ واحد:

- "الدين على المزاج":عبارة صادمة، واقعية، ومألوفة بين الناس، تُثير الرفض والغضب... لكنها صادقة.
- "لا على الوحي":عبارة تُعيدك إلى الأصل، إلى النور، إلى ما نزل به جبريل لا ما صاغه الهوى.

فهو عنوان جدلي، صريح، قوي، يُحرّك المياه الراكدة، ويُهيئ النفس للغوص في الأعماق.

٤- لأنه يُعالج ظاهرة واقعية تهزّ الناس جميعًا: كثير من الناس اليوم يتألمون من التناقض بين الإسلام الجميل... وما يرونه من المسلمين.

وبعضهم يبتعد عن الدين لأنه لا يرى فيه الرحمة، بل الغلظة.

وغير المسلمين يتحيّرون: أين الإسلام الذي نقرأ عنه... من تصرفات المسلمين في الواقع؟ فجاء هذا العنوان ليصرخ: الإسلام بريء من التناقض... الذي تغيّر ليس الدين... بل نحن!..

٥- لأنه عنوان عالمي يفهمه كل قارئ... مسلمًا أو غير مسلم: غير المسلم سيتوقف عنده ليفهم الحقيقة: أن ما يراه من سلوكيات بعض المسلمين ليس هو الدين.

والمسلم الذي ضاق صدره بالتدين المزيف... سيجد في العنوان صدًى لألمه، ودعوة لمراجعته.

٦- لأنه خلاصة تجربتي: هذا العنوان ليس مجرد جملة أدبية... بل هو ثمرة التأمل الطويل، والرؤية الواقعية، والخبرة في ميدان الدعوة والتعليم، حين رأيت كيف يُختزل الدين في صورة... أو يُفصّل بحسب رغبات الناس.

خلاصة الأسباب:

اخترت هذا العنوان، لأننا في زمنٍ صار فيه الدين مرآة للنفوس... لا مرآة للوحي، فجاء هذا الكتاب ليُعيد الوحي إلى مكانه، والدين إلى طهره، والمزاج إلى حجمه الطبيعي: تابعٌ لا مُتحكّم.

الفكرة المركزية للكتاب:

ليس كل من نطق بالشهادتين... يمثّل الإسلام.

وليس كل من صام وصلّى... عرف الله حقًا.

الإسلام دين الله... لا دين "الناس".

وهنا سنُعرّي الواقع، ونُميّز بين الحق والوهم.

الشرح التفصيلي:

١- ليس كل من نطق بالشهادتين... يمثّل "الإسلام": نعم، النطق بالشهادتين هو مدخل الإسلام... لكنه ليس ضمانًا بأن صاحبها يُجسّد الدين بأخلاقه وسلوكه.

كم من إنسان قال: "لا إله إلا الله"، لكنه يعامل الناس بكبر، ويظلم أهل بيته، ويكذب ويغتاب، ويُشوّه الدين بأفعاله... ثم يدّعي أنه "يمثل الإسلام!"...

إن شهادة التوحيد لا تعني فقط أن تنطق بها... بل أن تُطابقها: روحك، وعقلك، وتعاملاتك، ومواقفك.

فالمشكلة ليست في الشهادة... بل في من يزعم تمثيلها، وهو لم يعشها حقًا.

٢- "وليس كل من صام وصلّى... عرف الله حقًا":

- كم من مُصلٍ... لا يُحسِن الخشوع ولا يُحسِن المعاملة.
- وكم من صائم... فاجرٌ بلسانه، قاسٍ بقلبه، مؤذٍ للناس.

قال رسول الله ﷺ: " رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلَّا الجوع، ورُبَّ قائمٍ ليس له من قيامه إلَّا السَّهر " رواه ابن ماجه...

فالصلاة والصيام مظاهرُ عظيمة... لكنها إن لم تثمر معرفةً بالله، وخوفًا منه، وخُلُقًا راقيًا، وصدقًا في المعاملة... فقد تكون مجرد "طقوس" فارغة من المعنى.

والله لا يريد منا أن "نُؤدّي" العبادات فقط، بل أن "نحيا بها" ونُغيّر بها أنفسنا.

٣- "الإسلام دين الله... لا دين الناس": هذا من أعظم ما في الفكرة:

- الإسلام ليس ملكًا لأحد..
- ولا مرهونًا بثقافة بلد..
- ولا مرآةً لتصرفات شيخ، أو داعية، أو جماعة، أو حزب.

الإسلام دين نزل من السماء، لا يصعد من الأرض على ألسنة الناس بحسب أهوائهم! الإسلام كما أنزله الله في القرآن، وكما طبّقه نبيّنا ﷺ، لا كما فهمه الناس، ولا كما صاغه العُرف، ولا كما سَوَّقه الإعلام.

٤- "وهنا سنُعرّي الواقع، ونُميّز بين الحق والوهم": مهمة هذا الكتاب ليست فقط في التحليل، بل في الفضح الصادق للزيف:

- سأكشف المغالطات التي يمارسها الناس باسم الدين..
- سأكشف كيف أصبح الهوى يُلبَّس لباس الشريعة..
- سأُعيد ربط الناس بالوحي، لا بالقدوات المنهارة..
- سأُعيد تعريف الإسلام من جديد... كما هو، لا كما يُمثّله البعض..

المقصد العميق من هذه الفكرة:

١- أن هذا الكتاب ليس ضد المسلمين، بل ضد التشويه الذي وقع عليهم... ثم خرج منهم.

٢- هو دعوة إلى فك الارتباط بين صورة الإسلام كما يُمارَس، وصورته كما أنزله الله، حتى لا يُفتن الناس... لا بكفر أعدائه، بل بتصرفات بعض أتباعه.

رسالة إلى القارئ

إذا أردت أن تعرف الإسلام... فلا تنظر فقط إلى المسلم الذي أمامك،
بل انظر إلى النَّبي الذي بُعث به، والكتاب الذي أُنزل عليه.
الفرق بين "الإسلام" و"ما يُمارَس باسمه..."
حين يضيع النور بين شريعة الله... وتصرفات عباده
في كل دين، قد يُساء الفهم.
لكن في الإسلام... المأساة أعمق: لأن الدين محفوظ، والنصوص واضحة،
لكن الناس هم الذين شوّهوا الصورة، ثم نسبوها إلى الله تعالى!..

الإسلام... هو ما أنزله الله

- هو القرآن الكريم بآياته العادلة، الهادية، المشرّفة للإنسان.
- هو سنة مُحَّد ﷺ: نبي الرحمة، والخلق، والنبل، والتوازن.
- هو عبادة خاشعة، ومعاملة راقية، وعدالة مطلقة، ورحمة واسعة.
- الإسلام دين لا يناقض العقل، ولا يُذلّ القلب، ولا يظلم الإنسان... دينٌ جاء ليُخرج الناس من الظلمات... لا ليُغرقهم في ظلمة أشد.

أما ما يُمارَس باسمه اليوم... فهو خليطٌ عجيب من:

- الجهل المركب..
- والتعصّب المقيت..
- والتقاليد الجافة..
- والأهواء المبطّنة بشعارات شرعية..

الإسلام لم يأمر بهذا!

- حين ترى من يُكفّر الناس لأنه اختلف معهم في فرعٍ فقهي... فهذا ليس الإسلام... بل فتوى على مقاس الكبر.
- حين ترى من يقسو على زوجته وبناته باسم "الرجولة الشرعية..." فهذا ليس الإسلام... بل مرض رجوليّ مقنّع.
- حين ترى من يغتاب، ويهتك الأعراض، ويشوّه الدُّعاة المخالفين له بحجة "التحذير..." فهذا ليس الإسلام... بل رياء يُغلفه "المنهج".
- حين ترى من يبكي في الصلاة... لكنه لا يرحم فقيرًا ولا يتواضع لأهله... فهذا ليس الإسلام... بل طقس أجوف بلا أثر.
- حين ترى من يتحايل على الدين في البيع، والرِّبا، والميراث... ثم يتحدث عن "الحلال والحرام..." فهذا ليس الإسلام... بل نفاق مقنّع بالورع الظاهري.

الإسلام شيء... وممارسات بعض المنتسبين إليه شيء آخر

- ◄ الإسلام يقول: لا إكراه في الدين... وهم يُرغمون الناس بالقوة والتخويف.
- ◄ الإسلام يقول: وجادلهم بالتي هي أحسن.. وهم يشتمون، ويطعنون، ويقسون، ثم يقولون: "غيرة على الدين"!..
- ◄ الإسلام يقول: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين... وهم لا يعرفون من الرَّحمة إلَّا اسمها.

والمصيبة الكبرى:

أن غير المسلمين لا يعرفون الإسلام من القرآن...

بل من "المسلم الذي أمامهم".

فإذا أساء السلوك... أساء للدين كله.

والمسلم الجديد الذي أراد الاقتراب من الله... حين رأى تناقضات من سبقوه، قال: "إن كان هذا هو الدين... فسلامٌ على الدين"!

الإسلام الحقيقي... أعظم بكثير من صورته المشوّهة

- ◄ الإسلام الذي احترم المرأة يوم داسها العالم.
- ◄ الإسلام الذي حرّر العبد يوم كان الرِقّ هو النظام العالمي.
- ◄ الإسلام الذي ساوى بين الأسود والأبيض قبل أن تُولد قوانين حقوق الإنسان.
- ◄ الإسلام الذي ربّى القلوب لا فقط الأجساد... فجعل من قطاع الطرق أئمة، ومن عبدة الأصنام أولياء، ومن جهلاء البادية صُنّاع حضارة.

إذًا... ما الحل؟

١- أن نعود إلى "الإسلام كما هو" لا كما يُمارس باسمه.

٢- نُعيد قراءة القرآن بقلوب خاشعة، لا بعقول حزبية.

٣- نقرأ سيرة النبي ﷺ لا بمنظار السياسة... بل بمنظار الرحمة.

٤- نعيش الدين في حياتنا كما أراده الله... لا كما سَهَّلته أهواؤنا.

خلاصة مزلزلة: الإسلام لم يتغيّر...

لكن من يدّعي تمثيله تغيّر كثيرًا.

فاحذر أن ترفض الحق... لأنك كرهت مَن تكلّم به.

وفتّش عن الإسلام في النور الأصلي... لا في ظلال الناس.

من نحن؟ ولماذا يجب أن نحاسب أنفسنا قبل أن يحاسبنا الناس؟

- نحن أمةٌ نُسبِّح الله خمس مرات في اليوم... لكن بعضنا لا يزال يلعن الناس عشرات المرات في اليوم.
- نحن أمةٌ كُلِّفت بحمل نور السماء... لكن بعضنا لا يزال يُطفئ النور بأفعاله، وهو لا يشعر.
- نحن أمةٌ أكرمها الله بأن تكون شهادةً على الناس... لكن بعضنا صار شبهةً عند الناس!.
- نحن أمةٌ كانت خير أمة أُخرجت للناس... فأصبح بعضنا اليوم أسوأ دعاية ضد الإسلام عند غير المسلمين.

من نحن؟

- نحن الذين سمعوا القرآن قبل أن يُترجم إلى لغات العالم... ومع ذلك... يُبكي ترجمته الغربيين، ولا يُحرّك نصّه قلوب بعض المسلمين!
- نحن ورثة مُحَّمد ﷺ، لكن بعضنا يرتّل سنته بألسنة لا تُشبه قلبه... ولا خُلقه... ولا رحمته.
- نحن من كان يُنتظر منا أن نكون النور... فصرنا ظلالًا معتمة، تُضلّ الناس عن النبع الصافي.

لماذا يجب أن نحاسب أنفسنا قبل أن يُحاسبنا الناس؟

لأن الخلل في داخلنا... لا في أعدائنا.

الكفار لم يمنعونا من تطبيق الدين...

نحن مَن طبقناه بالهوى، وشوّهناه بالأداء، وعلّقناه على الرفوف.

لأننا اليوم نعيش حالة إنكار جماعي: نشتكي من الإعلام... ونحن نصنع فُجّاره بأيدينا، نلعن الغرب... ونتابعهم أكثر مما نتعلم من ديننا.

نصرخ أن الإسلام مظلوم... لكننا نُضعف حجته بأفعالنا نحن!..

قبل أن نقول: "هؤلاء يكرهون الإسلام..."

فلنَسأل: هل رأوا فينا إسلامًا يحبونه؟

هل رأوا منا صدقًا، أمانة، تواضعًا، عدلًا، احترامًا، حُسن خُلق؟..

قبل أن نُطالب الناس بأن يُنصفوا ديننا... يجب أن نُنصفه نحن بسلوكنا.

الإسلام ليس نصًا فقط...

الإسلام: أنا وأنت حين نمشي في السوق، ونتحدث مع أبنائنا، ونتعامل مع النساء، وننفق المال، ونصمت حين يُستفزّ غضبنا.

كفى تبريرًا!

لسنا في حالة هجوم خارجي فقط... بل في نزيف داخلي.

عدونا الأكبر: هو التشويه الذي خرج من بيننا.

نحن نصرخ أن "الناس كرهوا الدين..."

لكن الحقيقة: الناس كرهوا الصورة التي صنعناها عنه.

نحن الجدار الأول... لا الحجّة الأولى!

إذا كنّا نمثّل الإسلام في أذهان الناس،

فنحن – شئنا أم أبينا – إما باب للهداية... أو جدارٌ يمنعها.

لذلك، لا بد أن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب أعداءنا.

ولا بد أن نُبصر صدوعنا الداخلية... قبل أن نلعن الطعنات الخارجية.

لذلك هذا الكتاب...

جاء لا ليحاكم غيرنا... بل ليحاكمنا نحن أولًا.

جاء لا ليكشف وجوه الأعداء...

بل ليكشف الوجوه الزائفة التي لبست الدين، وابتعدت عن الله.

الختام:

إنني أكتب هذا الكتاب لا بمداد الغضب... بل بدم القلب.

لأنني أُحبُّ هذا الدين، وأخاف أن يُقتل بأيدينا.

وأُحبُّ هذه الأمة، وأخشى أن تُفتن بما خرجِ من بين صفوفها.

وأحب ربنا... وأخجل أن نُنسب إليه صورة مشوّهة لا تليق بعظمته.

والله ولي التوفيق.

✍المؤلف: دريد إبراهيم الموصلي

التاريخ: ٢٠٢٥/٦/٢٧

المحور الأول: مغالطات في فهم الله تعالى والدِّين

حين نعبد تصوّرنا عن الله... لا الله تعالى كما أخبر عن نفسه...

المقدمة:

ما أعظم أن تعرف "الله..."

وما أخطر أن تظن أنك تعرفه... وأنت لا تعرفه حقًّا!

لأنّ أشدّ أنواع الجهل... هو الجهل بالله.

ولأنّ أخطر أنواع الشرك الخفيّ... أن تعبد تصورك عن الله، لا الله كما وصف نفسه.

إن معظم المغالطات الدينية الكبرى اليوم، لا تنبع من إنكار وجود الله، بل من فهم مُشوّه لطبيعته، ولرسالته، ولأحكامه، ولدينه.

الله تعالى في أذهان الناس... ليس دومًا هو الله تعالى في القرآن!

هناك من يخاف الله... لكنه لا يحبه.

وهناك من يتكل على رحمته... لكنه لا يهابه.

وهناك من يظنه متربصًا بالعقوبة... لا فاتحًا لباب التوبة.

وهناك من يعبده وكأنه خصم، لا وليٌّ رحيم.

وهكذا... يتحوّل الدين من نعمة... إلى عُقدة.

ومن طمأنينة... إلى رُعب.

ومن حُب... إلى قانون صارم جاف.

لا مشكلة في الله تعالى... بل في صورته المشوّهة في عقول الناس..

الله تعالى كما وصف نفسه:

غفور ودود... لطيف بعباده

يعفو مع كل ذنب، ويجبر كل قلب

لكننا حين نُربّي أولادنا على أنه:

"سوف يحرقك"!

"سوف ينتقم منك"!

"الله سيُعاقبك على كل خطأ صغير"!

نحن في الحقيقة نُرعبهم من الله... لا نعرّفهم عليه.

بعض المغالطات الشهيرة في فهم الله:

١- الله يُعذّب أكثر مما يرحم: مغالطة شائعة، والحقيقة أن الله كتب على نفسه الرحمة ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فما بالنا نخوّف الناس من النار أكثر من دعوتهم إلى الجنة؟ ولماذا يُشاع أنَّ الله "يتربّص بالعباد"، مع أنه سمى نفسه: التواب – الحليم – الغفور – الشكور؟.

٢- الدين يعني الحزن والتعاسة والانغلاق: مغالطة قاتلة... بينما النبي ﷺ كان أبشّ الناس وجهًا، وكان الدين مصدر سكينة لا اختناق.
أصبح كثير من الشباب يهرب من التدين، لأنهم لا يرونه إلّا في صورة "الصارخين" و"المحرّضين" و"المكفّرين".
وهكذا... لا يفرّ الناس من الله... بل من أداء مَن يدّعي تمثيله.

٣- الالتزام الديني يعني قطع العلاقات والاعتزال والانغلاق: بينما الصحابة كانوا دعاة حياة، ويأكلون، يضحكون، يتزوجون، يتاجرون، ويبكون من خشية الله.

ديننا لا يصنع ناسًا "غريبين عن الحياة"، بل يُربّي " عُمّارًا للأرض بقلوب معلقة بالله ".

٤- كل المصائب دليل على غضب الله: وهذا ظنٌّ بالرَّحيم ما لا يليق به، فكم من بلاءٍ هو رفعة، وكم من مصيبة فيها عودة، وكم من وجعٍ يُنقذ القلب من الغرق.

٥- الدين للآخرة فقط... لا علاقة له بالحياة: بينما الإسلام هو الدين الوحيد الذي نزل ليُصلح الدنيا والآخرة معًا.

هو دين المزرعة والمصنع، كما هو دين المسجد... دين الأسرة والرَّحم والعدل في البيع... لا فقط دعاء وصيام.

المغالطة الكبرى:

أن بعض الناس صاروا يُعلّمون الدين... لا على لسان الله، بل على لسان أنفسهم!..

يُقسّون باسم "الغيرة"

ويُضيّقون باسم "السنة"

ويكفّرون باسم "المنهج"

ولو عاد النبي ﷺ اليوم، ربما طردوه من بعض منابرهم لأنه "رحيم أكثر مما يحتملون!"..

ما الذي أريده من هذا المحور؟

أن نُعيد رسم صورة "الله" و"الدين" كما أنزلهما الله، لا كما صاغته الألسنة والطباع.

أن نفرّق بين:

الدين الذي يفتح أبواب السماء، والدين الذي أغلقه المتدينون بجهلهم..

بين الله الذي قال:" أنا عند ظن عبدي بي "، وبين الله تعالى الذي صوّروه وكأنه يتصيّد الزلات وينتشي بالعقاب!..

خلاصة هذا المحور:

الله تعالى جميل... لكن من مَثَّله قَبَّحَهُ.

والدين رحمة... لكن من حمله جفَّفه.

والوحي نور... لكن من فسَّره على هواه أطفأه.

وهنا نبدأ رحلتنا معًا، لنكشف أول طبقة من الزَّيف،

ولنعيد أول ما يجب أن يُعاد في حياة أي إنسان:

الصورة الحقيقية لله تعالى... كما عرّف نفسه، لا كما شوّهه الناس...

الفصل الأول: " الله تعالى في قلوبنا فقط "... وهمُ الإيمان بلا طاعة

المقدمة:

"أنا مؤمن... والله في قلبي"!

عبارة تتكرر كثيرًا، وتبدو في ظاهرها روحانيةً دافئة...

لكنها في حقيقتها قد تكون أخطر الأوهام العقدية في زماننا.

إنها العبارة التي تُبرّر بها المعصية، وتُستخف بها الطاعة، ويُلغى بها الشرع، ثم تُرفع كأنها كافية للدخول إلى الجنة... حتى لو لم يسجد صاحبها لله يومًا في حياته!.

الحقيقة الصادمة:

نعم... الله تعالى يجب أن يكون في قلبك،

لكن إن لم يظهر على جوارحك، فأنت لا تعبده... بل تعبد نفسك.

الإيمان الذي لا يُترجم إلى طاعة... هو حبّ فارغ، لا يقيم وزنًا لله.

أصل الخلل: فصل الإيمان عن العمل

صار بعض الناس اليوم يُريد "إسلامًا داخليًا فقط"

يُحب الله... لكن لا يعبده

يثق بالله... لكنه لا يتبع أمره

يذكر الله... لكنه يعصيه ليلًا ونهارًا

يتأثر بالقرآن... لكن لا يُقيم للصلاة وزنًا
وهكذا صار الدين إحساسًا داخليًا مبهمًا
لا التزامًا، ولا اتباعًا، ولا تسليمًا للوحي!.

من أين جاءت هذه المغالطة؟

من فهم سطحي لرحمة الله
حيث ظنّ الناس أن الله "يعرف نيتهم"، حتى لو لم يصلّوا أو يتوبوا أو يستقيموا.
من ترويج بعض الخطابات العاطفية فقط، دون ميزان شرعي.
من الخوف من الأحكام والتكاليف، فاخترع الناس دينًا "خفيفًا ولطيفًا" بلا جهد، بلا التزام، بلا جهاد نفس.
من الاختزال الخطير للإيمان إلى مجرد مشاعر، لا أفعال.

ماذا قال الوحي عن هذه الفكرة؟

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾
فسّر العلماء "إيمانكم" هنا بصلاتكم إلى بيت المقدس
← أي أن الإيمان ليس ما في القلب فقط... بل ما يُترجم على الأرض.
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾
← أي أن الحب الصادق لله... لا يُثبت إلَّا بالاتباع.
قال رسول الله ﷺ: "من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى".
← فليس الحب العاطفي... بل الطاعة هي المعيار.

الخطر الأكبر في هذه المغالطة:

أنها تحوّل الدين من "أمر إلهي"... إلى "إحساس مزاجي".
فإن صلّى يومًا، قال: "الحمد لله، قلبي مرتاح"
وإن ترك الصلاة أسبوعًا، قال: "الله يعرف ما في قلبي"
وإن عصى، قال: "أنا لست ملاكاً... والله غفور"
وإن نُصح، قال: "خلّك مع نفسك... علاقتي مع الله بيني وبينه"
فصار "الله" هو الاسم الذي يُستعمل لتبرير كل شيء ...حتى التمرد على أمره!

النتيجة:

ملايين الناس يظنون أنفسهم مؤمنين... وهم لا يطيعون الله في شيء.
وتُزرع في قلوب الأبناء عقيدة مشوّهة: أن الحب يكفي، حتى لو لم يكن هناك خضوع.
وهنا تتفكك العبودية... وتتحوّل العلاقة مع الله إلى مجرد "عاطفة عائمة" لا تبني دينًا، ولا تصلح قلبًا، ولا تمنع معصية.

الرد على الشبهة:

نعم... الله تعالى يعلم ما في قلوبنا،
لكنه أمرنا أن نُظهر هذا الإيمان بالصلاة، والطاعة، والترك، والخوف، والتوبة.
فهل تتخيل عبدًا يقول لسيّده: "أنا أحبك في قلبي، لكن لا تأمرني بشيء"؟
هل هذا عبد... أم متكبّر في ثوب محبة كاذبة؟.

الإسلام الحقيقي:

الإسلام ليس فكرة لطيفة... بل استسلام.

الإسلام ليس مشاعر... بل اتباع.

الإسلام ليس أحاديث عاطفية... بل انقياد.

الإيمان بلا طاعة = تمنّي

والإيمان بالطاعة = صدق.

دعوة للمراجعة:

يا من تقول: "الله في قلبي"... هل تشهد بذلك بأفعالك؟

هل تسجد له؟ هل تترك لأجله؟ هل تراقبه في خلواتك؟

هل تمتنع عن معصيته حين لا يراك أحد إلَّا هو؟

إن لم تفعل... فراجع إيمانك.

فحُبّك لله قد يكون كذبة لطيفة... نُخدّر بها ضمائرنا.

دعاء الفصل:

اللهم لا تجعلنا من الذين قالوا ما لم يفعلوا،

ولا من الذين أحبّوك بالكلام... وعَصَوك بالأفعال،

اجعلنا من الذين إذا أحبّوا... أطاعوا، وإذا خشوا... امتنعوا،

وإذا ذُكروا بك... سجدوا لك.

الفصل الثاني: دين الرَّحمة أم دين التشدد؟

خلط المفاهيم بين الرأفة والحزم... وبين اللِّين والتمييع

المقدمة:

هل الإسلام دين الرحمة؟

نعم، والله... بل هو رحمة نازلة من السَّماء،

وما بُعث نبيّه ﷺ إلَّا رحمة للعالمين،

وما نزلت شريعته إلَّا لتُصلح الإنسان، لا لتسحقه.

لكن السؤال الأعظم اليوم:

لماذا أصبح دين الرحمة... يُقدّم للناس أحيانًا كدين الغِلظة والتشدّد؟

ولماذا أصبح بعض المسلمين إما مفرطين في التيسير... أو غارقين في القسوة؟

وأين الخط الفاصل بين "الرأفة النبوية" و"التفريط المعاصر"؟

وبين "الحزم المشروع" و"الفظاظة التي تنفّر عن الدين"؟

أصل المغالطة:

أن بعض الناس خلطوا بين "اللِّين" و"التمييع"، وبين "الحزم" و"التشدد"،

فصاروا يظنون أن:

من يبتسم... فهو مائع في دينه ومن يغلظ... فهو غيور على الشريعة

من يتسامح مع المخطئ... فهو مُميع للدين

ومن يقسو عليه... فهو "نذير الغضب الإلهي"

وهكذا... أصبح الدين يُقدَّم بصورة مشوّهة لا تليق بعظمة الله تعالى، ولا بجمال رسوله ﷺ.

النبي ﷺ كان رحيمًا... لكنه حازم

حين جاء الأعرابي وبال في المسجد... لم يصرخ عليه، بل قال:

"دعوه، لا تزرموه"، ثم علّمه برفق، فخرج الأعرابي يقول:

"اللهم ارحمني وارحم محمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا"!

لكنّه أيضًا حين شُقّ على الناس في أحكام الدين، غضب وقال:

"أيّها الناس! إن منكم منفرين"!

كان حازمًا مع الغشاشين في السوق، ورحيمًا مع الزانية التائبة،

غليظًا مع أهل الكبر،

لكنه يحتضن الطفل، ويُلاعب الصبيان، ويمسح على رؤوس اليتامى.

ماذا حدث في زماننا؟

بعض الناس اختزلوا الدين في قائمة ممنوعات صارمة:

لا تلبس! لا تضحك! لا تختلط! لا تبتسم! لا تتسامح!

وكأنَّ الدين جاء ليصنع مجتمع روبوتات، لا بشرًا.

وآخرون تمادوا في "الرأفة العاطفية" حتى صار الدين بلا حُرمة، ولا أمر ولا نهي:

"الله غفور... حبّوا بعض، كل واحد على راحته"!

وكأنَّ الإسلام "جلسة طاقة إيجابية"... لا شريعة من السَّماء.

النتيجة:

نفر الناس من المتدينين الغلاظ...

وسخروا من المتدينين المائعين...

وضاع الدين بين مطرقة الفظاظة وسندان التسيّب...

ما هو التوازن القرآني؟

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾

أشداء: في الحق، في الموقف، في الثبات

رُحماء: في التعامل، في الخطاب، في حمل النفوس

الإسلام لا يُجامل في الحق... لكنه يرحم من ضَعُف عن تطبيقه.

كيف نعرف الفارق بين الرأفة والتمييع؟

المفهوم	الرأفة النبوية	التمييع المعاصر
الموقف من الخطأ	لا يُقرّه، لكنه يرحم صاحبه	يُبرّره أو يتجاهله
طريقة الدعوة	حكمة وموعظة حسنة	استعراض عاطفي
نظرة للدين	تكليف برحمة	مزاج فردي
مكان النص	فوق النفس	تحت الرغبة

وكيف نفرّق بين الحزم والفظاظة؟

المفهوم	الحزم النبوي	التشدد المنفّر
المنطلق	غيرة مشروعة	غضب غير منضبط
الوسيلة	قول الحق بخُلق	صراخ، شتم، تكفير
الأثر	هداية وتثبيت	نفور وانشقاق
النتيجة	قوة مع محبة	كراهية باسم الدين

الإسلام... دين يرقى بالنفس دون أن يكسرها

يأمرك... لكنه لا يُثقلك

يُحاسبك... لكنه لا يُقصيك

يأخذ بيدك إن أخطأت،

لا يرميك من الجبل بحجة "أنك لا تستحق الهداية"

رسالة هذا الفصل:

الرأفة ليست ضعفًا، والحزم ليس غلظة.

الدين رحمة لا تنفلت... وحزم لا يُتوحّش.

الداعية الحقيقي هو من يمزج النور بالشجاعة، والحبّ بالهيبة.

فلا تخلطوا بين اللين والذوبان، ولا بين الغيرة والتوحّش.

فإنّ الدين أعظم من أن يُختصر في نبرة صوت... أو مزاج داعية.

دعاء الفصل:

اللهم ارزقنا الرحمة كما علّمتنا، والحزم كما شرعت لنا، ولا تجعلنا فتنة لمن أحبّك، ولا سببًا في صدّ أحد عنك.

الفصل الثالث: بين الخوف من النار.. وتغييب حُبِّ الله تعالى

حين خُوّف الناس من الدين أكثر مما أحبّوه

المقدمة:

في طفولتنا... قالوا لنا كثيرًا:

"إذا لم تُصلِّ... ستدخل النار"!

"إذا لم تتحجبي... سيحرقك الله"!

"إذا لم تحفظ القرآن... سيأكلك عذاب القبر"!

لكنهم نادرًا ما قالوا:

"إن صليت... اقتربت من الله الذي يحبك".

"إن تحجبتِ... ستشعرين بالنور والستر والعزة".

"إن حفظت القرآن... سيتكلم معك الله كل يوم".

وهكذا... كبرنا نخاف الله أكثر مما نحبّه،

ونهرب منه حين نخطئ... بدل أن نرجع إليه.

من الإيمان إلى الرُّعب... من العبادة إلى التوجس

كثير من الناس اليوم يعبدون الله كمن يسير فوق ألغام:

يخاف أن يُخطئ، لا لأنه يحب الله، بل لأنه خائف أن يُعذّب.

يعبد الله كأنه يُعامل إلهًا غاضبًا، متربّصًا، لا يُسامح.

وهنا يكمن الخلل الجوهري:

الخوف من النار محرّك عظيم،

لكنّه إذا غاب عنه حب الله ... صار قيدًا لا عبادة، ورُعبًا لا قُربًا،

وخوفًا من السوط... لا شوقًا إلى الرَّحمة.

بين الخوف والرجاء... أين توازن الإسلام؟

ديننا علّمنا أن نعيش بين جناحين:

◄ **الخوف:**

١- يدفعك للفرار من المعصية

٢- يطهّرك من الغرور

٣- يمنعك من التمادي

◄ **الرجاء:**

١- يمنحك الأمل

٢- يفتح لك أبواب العودة

٣- يُشعرك أنَّ الله يمهلك لا يطردك

فإذا طغى الخوف... صار الإنسان مريضًا روحيًا،

وإذا طغى الرجاء... تجرّأ على الله وتمادى.

المشكلة اليوم:

أن بعض الخطابات الدينية ضخّمت صورة النار، وجفّفت نبع الحب:

أكثر الحديث عن العذاب، والتشنيع، والتوعد

أقلّ الحديث عن الرحمة، والشوق، ولذّة القرب

فتربّى الناس على عبادة مشحونة بالتوتر، وخوف مشلول لا ينهض إلى العمل، ودموع من رُعب... لا من شوق.

آثار تغييب حب الله:

العبادة تتحوّل إلى عادة ميكانيكية... يصلي خوفًا... لا حبًا

يقرأ القرآن كواجب... لا كلقاء

حين يخطئ الإنسان... يهرب من الله بدل أن يرجع إليه

يظن أنه غير مقبول، غير مرغوب، غير محبوب.. فينقطع... لا يتوب!

يُربي أبناءه على الرُّعب... فيكرهون الدين دون أن يجرؤوا على التصريح

يضيع الإحسان... فالإحسان لا يأتي إلّا من قلب يحبّ، ويستحيي، لا من قلب مرعوب.

ماذا قال الله عن نفسه؟

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾

لو كان الله يريدنا أن نعبده فقط بالخوف... ما قال:

" وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ "

" يُحِبُّ التَّوَّابِينَ "

" اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ "

اللهُ تعالى... ليس سجانًا ينتظر الزلة، بل ربًا يُمسك بيدك إن وقعت

- الله لا يتربّص بك
- بل يتربّص بك أن ترجع إليه
- الله لا يريد أن يُعذّبك
- بل يريد أن يتوب عليك

الحل: أن نُعيد تشكيل صورة الله في قلوبنا

أن نُربّي أبناءنا على حُب الله أولًا، ثم على خشيته

أن نقول: صلِّ... لأنَّ الله يشتاق لسماع صوتك

أن نربط العبادة بالحب، لا بالخوف وحده

تربية الأنبياء: مزجوا الخوف بالحب

إبراهيم عليه السلام: ﴿**ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ**﴾ ← محبة

موسى عليه السلام: ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ**﴾ ← شوق

مُحَمَّد ﷺ: كان يقول في دعائه:

"**أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقرّبني إلى حبك**".

خلاصة الفصل:

الخوف من الله... يُقوّمك

لكن حب الله... هو الذي يُقيمك.

ومن عاش خائفًا فقط... عبد سوطًا.

ومن أحبّ الله بحق... أطاعه حياءً لا قهرًا.

دعاء الفصل:

اللهم ارزقنا خوفًا لا يشلّنا، بل يدفعنا إليك، ورجاءً لا يغرّنا، بل يُحفّزنا، وحبًا لك... يُطفئ فينا كل حُبٍّ لغيرك.

الفصل الرابع: الدين تراث الأهل... لا اختيار القلب

حين نرث الإسلام كما نرث اللقب... لا كما نختار الطريق

المقدمة:

في مجتمعات كثيرة، يُولد الإنسان مسلمًا...

لكن ليس لأنه عرف الله، أو قرأ القرآن، أو سجد حبًّا، أو نطق الشهادتين بإدراك... بل لأنه: وُلد في بيت مسلم

كُتب "مسلم" في بطاقة هويته

ورث الدين كما ورث لون العينين واسم العائلة!

وهكذا ... صار الإسلام عند كثير من الناس هوية اجتماعية... لا إيمانًا شخصيًا.

وصار الدين "عادة"، لا "قناعة"، ولا "عهدًا مع الله".

الخطر الصامت: الإسلام الوراثي

الإسلام الوراثي هو:

- أن تحمل الدين في اسمك... لا في قلبك..
- أن تفتخر بالإسلام... دون أن تفهمه أو تحيا به..
- أن تغضب إذا انتقد أحد دينك... لكنك لا تراجع نفسك حين تُسيء إليه بأفعالك..

من نتائج هذا الخلل:

جيلٌ يعرف شعائر الإسلام... لكنه لا يعرف الله

يصوم لأنه "عادة رمضانية"

يصلي في العيد فقط "مع العائلة"

يقرأ الفاتحة... ولا يعرف معناها

تديّن سطحي هشّ... ينهار عند أول فتنة أو شبهة

لأنه لم يُبنَ على وعيٍ، ولا علاقةٍ شخصية بالله

بل على "ما تربّينا عليه... هكذا وجدنا آباءنا"

نقل مشوّه للدين إلى الأبناء

نُعلّم أولادنا "ما وجدنا عليه أهلنا"، دون تدبّر أو بصيرة

فنصنع نُسخًا مكررة... من جهلٍ موروث، لا إيمانٍ عميق

القرآن كشف هذا الخلل قديمًا:

﴿إِنَّا وَجَدْنَآ آبَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ الزخرف: ٢٣.

كم من الناس يقولون هذا المعنى اليوم... دون أن يلفظوه لفظًا!

- يصلي كما صلّى أبوه... لا كما صلّى النبي ﷺ.
- يتحمّس لتقاليد العائلة... أكثر من تحمّسه لفهم القرآن.
- يُدافع عن "مذهب آبائه" حتى لو خالف صريح السُّنّة.

هل نرفض التراث إذًا؟

أبدًا... بل نحترمه، ونفتخر بأهالينا، ونشكر الله أن وُلدنا في بيوت مسلمة...

لكن المشكلة:

حين نكتفي بالإرث، ونغفل عن الرحلة الشخصية نحو الله.

حين نظنّ أننا بخير... فقط لأننا "من عائلة متدينة"، وننسى أن الله لن يحاسبنا مع آبائنا... بل وحدنا.

المطلوب: أن ننتقل من الإسلام الموروث إلى الإسلام المختار

أن تختار أن تكون مُسلمًا... لا لأنك وُلدت كذلك، بل لأنك آمنت بالله عن وعي، وسجدت له عن حُب، وسرت إليه عن قناعة.

أن تسأل: "هل أعرف ربي حقًّا؟ هل أنا مسلم بالهوية... أم بالإيمان؟ هل علاقتي مع الله حقيقية... أم تقليد اجتماعي؟"..

لماذا هذا الخلل خطير؟

لأنه يُنتج:

١- عبادة آلية بلا روح

٢- دينًا شكليًا بلا عمق

٣- أجيالًا ضعيفة الإيمان، تنهار أمام أي شبهة أو موضة أو تيار جديد

مقياس صدق الإيمان:

ليس أن تقول: "أنا مسلم"

بل أن تسأل نفسك: لو وُلدت في بيئة غير مسلمة... هل كنت ستبحث عن الإسلام؟... هل الإسلام عندك قرار... أم مجرد ميراث؟..

خلاصة الفصل:

الإسلام لا يُورَث كالعقارات... بل يُؤخذ عهدًا بين القلب وبين الله تعالى.

ومن بقي في الدين لأنه وُلد فيه فقط... فهو على خطرٍ عظيم أن يخرج منه في أول فتنة.

دعاء الفصل:

اللهم اجعل إسلامنا عن وعي، لا عن وراثة فقط.

واجعلنا عبادًا نختارك كل يوم، لا نكتفي أننا وُلدنا على دينك... دون أن نُجدد العهد معك.

الفصل الخامس: كيف صوّرنا الدين بأنَّه اختناق؟

حين تحوّل طريق الجنة في أذهان الناس إلى ممر ضيق لا يتّسع للفرح والأنفاس

المقدمة:

الدين... وحيٌ من السَّماء، أنزله الله لتستقيم به الأرواح،

وتطمئن به القلوب، وتُنار به الحياة.

لكن، في زماننا... هناك من صوّره كأنّه نظام عقوبات، ومنظومة تضييق، ونفق مظلم لا يُرى فيه النور!

فصار كثير من الناس يعتقدون أن الدين:

"حرام في كل شيء"!

"ضد الفرح، وضد الحب، وضد الضحك"

"مجموعة من القواعد الخانقة، والأوامر التي تُجفّف الروح"

وهكذا ...تحوّلت صورة الدين – في أذهان الناس – من نعمةٍ تُحيي... إلى قيدٍ يُميت.

من الذي شوّه صورة الدين؟

- ليس الكفار وحدهم
- ولا أعداء الإسلام فقط

بل أحيانًا ...نحن أنفسنا: حين نُبشّر الناس بالعقوبة قبل الرَّحمة

حين نتحدث عن الجنة وكأنها "لنا فقط"

حين نُعقّد الحلال، ونُهوّن الحرام إن كان يناسب مزاجنا

حين نُحاصر الناس بالحرام، ونغفل عن "الجميل المباح" الذي أباحه الله

حين نربط التديّن بوجه عابس، ونبرة صارخة، وسلوك ناشف

الدين الحقيقي لا يُخنق... بل يُحرّر

الدين ليس ضيقًا... بل هو الطريق إلى أوسع رحمة، وأجمل حياة.

الإسلام لا يُحرّم الفرح... بل يهذّبه

لا يمنع الحب... بل يُنظّمه

لا يرفض الضَّحك... بل يضع له أدبًا

لا يُجرّم الزينة... بل يُرشدها إلى العفاف

الإسلام لا يُضيّق الحياة... بل يُضيّق الحرام فقط.

أسباب شيوع صورة "الدين الخانق":

- الخطاب الديني المتجهّم..
- صوت مرتفع..
- غلظة في التوجيه..
- طغيان التخويف على التزكية..
- الداعية الذي لا يعرف التوازن.. إما شديد التشديد، أو متفلّت التسيب

يُشعرك أن الجنة ثكنة عسكرية، لا دار كرامة

- الأسرة التي تربّي أبناءها على "العقوبة الدينية" فقط "لا تفعل، الله سيعاقبك"! بدل: "افعل، الله يحبك وسيرضى عنك".

المجتمع الذي يربط الدين بالحزن

فإذا ضحكت فتاة محجبة... قالوا: "تتناقض"!

وإذا ابتسم شاب متدين... قالوا: "أين الهيبة؟"

وهكذا تُزرع في الأذهان: أن التديّن = حياة قاتمة، ومزاج مكتئب.

آثار هذه الصورة الخاطئة:

١- يبتعد الشباب عن الدين، لا كُرهًا لله، بل هربًا من الانطباع السَّيئ عنه.

٢- تُصبح الدعوة إلى الله "مهمة ثقيلة" بدل أن تكون بشارة.

٣- يتردد الناس في العودة إلى الله... خوفًا من أن يُطلب منهم أن يدفنوا فرحتهم للأبد.

ماذا يقول القرآن الكريم؟

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾

﴿طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾

الإسلام جاء لتوسيع صدرك... لا لضيقه.

جاء ليُنير لك الحياة... لا ليُعقّدها.

النبي ﷺ... كان يحبّ التيسير

"بشّروا ولا تُنفّروا، ويسّروا ولا تعسّروا".

دخل عليه رجل يرتعد، فقال:

"**هوّن عليك، فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد**".

لما اشتكى أحد الصحابة من شدّة الأحكام، قال ﷺ:

"**إن الدين يُسر، ولن يُشادّ الدين أحدٌ إلّا غلبه**".

الخلاصة:

الدين ليس اختناقًا... بل تنفّس من هواء الجنة وأنت على الأرض.

الدين هو أن تعيش بعين تبكي من خشية الله... وقلب يضحك ويفرح برحمته.

فويلٌ لمن جعل طريق الجنة ضيقًا... وأبواب الرَّحمة موصدة.

وويلٌ لمن زهَّد الناس في الدين، ثم قال: "الناس لا يحبون الله"!..

والله ...لو عرفوا الله كما هو، لأحبوه حبًا يُذيب العاصفة في قلوبهم.

دعاء الفصل:

اللهم لا تجعلنا حُجّابًا على بابك،

ولا سببًا في صدِّ أحد عنك،

اجعلنا من الذين يفتحون للناس نوافذ النور... لا أبواب العتمة،

ويسّر لنا فهم دينك كما أردت... لا كما شوّهته النفوس.

الفصل السادس: حين صار الحلال مُعقّدًا... والحرام مُبررًا

ازدواجية التطبيق وانتقائية الفتوى... من نور الشريعة إلى ضباب الأهواء

المقدمة:

الشريعة نزلت نورًا.. لتُضيء الطريق، وتُيسّر السُّبل، وتُربّي النفوس على التوازن.

لكننا اليوم نعيش مشهدًا عبثيًا لا يُصدّق:

◄ **الحلال**: يُقدّم معقّدًا، محاطًا بسياج من الشروط، والتشكيك، والتعسير...

◄ **والحرام**: يُقدَّم مبرّرًا، مُسوّغًا، مُخفّفًا، يُلتف عليه بالفتاوى أو يُبرّر بسوء الواقع!

وهكذا... صار كثير من الناس يبتعدون عن الشَّرع ليس رفضًا لله...

بل هروبًا من منطق المتدينين!..

المشكلة ليست في الحلال ولا في الحرام...

بل في مَن جعل الحلال "ثقيلًا" والحرام "قابلًا للظروف!"..

ملامح هذه الازدواجية المؤلمة:

١- الزواج الحلال... أصبح مشروعًا شبه مستحيل:

- مهور خيالية
- شروط طبقية
- تعقيدات لا تنتهي

لكن العلاقات المحرمة؟ بكلمة على الهاتف، ونظرة في الخفاء، وربما باسم "حرية شخصية!" ← صار الحرام أسهل، وأقرب، وأقل كُلفة من الحلال!.

٢- الرِّبا حرام؟ نعم: لكن عند "الحاجة"، صار له ألف فتوى، وألف مخرج، وألف عبارة "أخف الضررين" ← بينما التجارة الحلال تحتاج "فقه خبير" و"قلب مُطمئن" و"بيئة مثالية!"..

٣- الغناء؟ حرام: لكن إن جاء بصوت جميل، ولحن هادئ، وكلمات "لا بأس بها"؟ ربما صار "جائزًا" إن كان فيه "معنى راقٍ!"... أما أناشيد الحلال؟ يُطعن فيها لأنها "لا تُثير المشاعر بما فيه الكفاية!"..

٤- الصراحة في النصيحة؟ يُقال لك: "لا تُحرج الناس"!.. ← لكن الغيبة؟ تُمارَس على العلن... وتُبرر بأنها "نصيحة بين الناس!"..

هكذا... تحوّل الدين من ميزان ثابت... إلى ساحة مزاجية!..

صار الحلال مرهَقًا بالحواجز.. وصار الحرام مرقّعًا بالفتاوى الناعمة..

الله جعل الحلال طيبًا... وسهلًا

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَا﴾

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾

← فالله يُسهّل لك الحلال... لكن بعض من يُمثّلون الدين يعقّدونه، ثم يتساهلون مع الحرام لأنّه "صار واقعًا!"..

الأسباب العميقة لهذا الخلل:

الخطاب الديني الذي يُغلق الأبواب بدل فتحها..

فيُضخّم الشُّبهات، ويُحاصر الناس بالشروط، ويخوّفهم من كل شيء!

مزاج الفتوى المعاصرة

حلال حسب الضغط الاجتماعي

أو حرام إن خرج عن المألوف

لا تُبنى على فقه ناضج... بل على "ردّ فعل"

الهوى المُغلّف بالشرع

من يُريد شيئًا... يبحث عن فتوى تناسبه

ومن لا يُحب شيئًا... يُحرّمه على الجميع

غياب التربية على "محبة الحلال" و"خوف الحرام"

فالحلال يُعامل كواجب ثقيل

والحرام يُبرّر بالمشاعر أو العادة أو الواقع

النتيجة:

- يتشوّه وجه الدين..
- تضيع الثقة في العلماء..
- ينفر الناس من الفقه... ويظنّون أنه لعبة متناقضة..

- ويُختزل الإسلام في مزاج ديني متقلّب..

الحل؟

- تبسيط الحلال... وتزكية النفوس لحبّه.
- إغلاق أبواب التبرير... وفتح أبواب العودة.
- نزع الفتوى من الأهواء... وإرجاعها للوَحي.
- التوازن في الطرح.. فلا تشديد يُعقّد، ولا ترخيص يُدمّر.

خلاصة الفصل:

الشرع ليس حائطًا يُصطدم به، بل جسرٌ إلى الله تعالى.

والحلال ليس "مشروعًا مستحيلًا"، بل طريق مبارك بيُسر الرَّحمن.

والحرام لا يصبح حلالًا لأنه منتشر... ولا يُسوّغ لأنه "مُريح".

فالدين لا يُقاس براحة النفس... بل بميزان الحق.

دعاء الفصل:

اللهم اجعلنا من الذين يُحبون ما أحللت، ويخافون مما حرّمت، ولا يلتفّون حول دينك بمزاجهم... بل يسيرون إليك بنور هداك، واهدنا إلى الحلال الطيّب... وسُدَّ عنا منافذ التبرير والهوى.

الفصل السابع: الله تعالى كما قال عن نفسه... لا كما قلنا نحن عنه

حين نُعيد اكتشاف الله في كلامه، لا في أفواه الناس

المقدمة:

ليس هناك فتنة أخطر من أن تعبد تصورك عن الله...

لا الله تعالى كما أخبر عن نفسه.

أن تبني علاقتك مع الله على ما قيل لك عنه... لا على ما قال هو عن نفسه.

وهذه، والله، هي المصيبة الكبرى في زماننا:

أن صورة الله في قلوب الناس ليست دائمًا صورة "الحق..."

بل صورة ملوّنة بخوف مشوَّه، أو تربية قاسية، أو خطاب ديني متجهّم، أو وعظٍ بلا وحي.

فتِّش عن "الله" في قلبك... هل هو حقًا كما وصف نفسه؟

- هل تراه الرَّحمن الرَّحيم ...أم فقط "المنتقم الجبار"؟.
- هل تشعر أنه الودود اللَّطيف ...أم أنك تراه دائمًا غاضبًا متربصًا؟.
- هل تؤمن أنَّه الغفّار التواب ...أم أن الشيطان أقنعك أن الله لن يغفر لك؟

لقد آن الأوان أن نُطهّر علاقتنا بالله من "الكلام المنقول"،

ونعود إلى كلامه هو، فهو أولى من يعرّفنا بنفسه.

الله عرّف نفسه في كتابه:

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ • وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾

← لاحظ: قدّم المغفرة والرَّحمة على العذاب!

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾

← كل شيء... بما فيه أنت، وذنبك، وسقوطك، وضعفك.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾

← لا فقط قويًا وقاهرًا... بل لطيفًا، رفيقًا، رؤوفًا.

لكن ماذا فعلنا نحن؟

١- شوّهنا صورة الله تعالى في العقول... باسم الغيرة على الدين!

٢- قالوا للطفل: "لا تفعل... الله سيحرقك"!

٣- قالوا للفتاة: "إن لم تتحجّبي... الله سيعجّل لك بالعذاب"!

٤- قالوا للشاب: "الله غاضب منك، ولن يُقبل لك عمل"!

٥- قالوا للتائب: "قد تُقبل... لكنك لا تستحق الجنة"!

← فنشأ جيل يرتجف من الله... ولا يشتاق إليه

← يخاف يوم القيامة... ولا يشتاق للقاء ربه

← يظن أن الله "يُراقب ليعاقب"... لا "ينتظر ليتوب"

الله تعالى كما نراه نحن... ليس بالضرورة هو كما عرّف نفسه

نحن نُسقِط على الله تعالى "قساوة أهلنا"،

أو "قسوة المعلمين"، أو "قسوة الدعاة"

نحمّله فشلنا العاطفي، وحرماننا، وظروفنا النفسية

لكن الله تعالى... ليس صورة والدٍ قاسٍ

ولا شيخٍ غليظ ، ولا واعظٍ مُتجهم ، ولا مجتمعٍ بلا رحمة

الله هو:

"ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ"

"ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ"

"وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ"

"إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ"

أخطر ما يحدث اليوم:

أن الإنسان يرفض الله... لا لأنه كرهه

بل لأنه كره الصورة المشوّهة التي نُقِلت له عنه

فمن الناس من خرج من الدين...

لا لأن "الله لا يستحق الإيمان"

بل لأنهم ما رأوا الله إلا في كلام مُرعب، وسلوك طارد، ومنهج مُفزِع.

الحل:

١- أن نبدأ من جديد.

٢- أن نقرأ القُرآن لا لنحفظه... بل لنعرف الله من خلاله

٣- أن نقرأ الأسماء الحسنى... لا كمعلومات، بل كجسر لعلاقة قلبية

٤- أن نسأل أنفسنا بصدق:

"هل أعبد الله الذي وصف نفسه في الوحي...

أم الله الذي صاغه خوفي وتربيتي وتجارب الماضي؟"

الله ليس كما قال الناس... بل كما قال عن نفسه

وهو قال: "أنا عند ظن عبدي بي"

فاحذر أن تظن به ظنًّا يُبعدك عنه!

خلاصة الفصل:

الله لا يُكتشف من أفواه الناس... بل من كتابه هو.

فإن أردت أن تعرفه بحق، فاسمعه وهو يصف نفسه،

لا مَن يتحدثون عنه كما يظنّون، أو كما تربّوا، أو كما غضبوا.

دعاء الفصل:

اللهم لا تجعل بيننا وبينك صورة مشوّهة... ولا حاجزًا من رواسب النفس.

قرّبنا إليك كما وعدت المحبين... واكشف عن قلوبنا غشاوة البُعد،

وأنزل علينا من أنوار القرب ما تطمئن به الأرواح،

فنراك بعين الإيمان، ونعلم أنك أقرب إلينا من حبل الوريد.

ولا تحرمنا من حلاوة معرفتك... بسبب من أساؤوا الحديث عنك.

الفصل الثامن: عبادة الهوى باسم الشرعِ... حين يتسلّل الهوى إلى الدين بصوت واعظ

المقدمة:

من أشد أنواع الفتن التي تُضلّ الناس عن الله...

ليست فتنة المال ولا الشهوة،

بل حين يتلبّس الهوى ثوب الشرع، ويتكلّم بلسان الوعظ، ويقف على منبر الحق... وهو يقود إلى الباطل.

نعم... قد يعبد الإنسان هواه،

لكنه لا يقول: "أنا أعبد هواي"،

بل يقول: "أنا فقط أغار على الشريعة"!

وهنا الخطر الأعظم:

أن يتخفى الهوى في لباس الفقه،

ويختبئ الكبر تحت شعار المنهج،

ويُستعمل الشرع لإشباع الذات، لا لعبادة الله.

القرآن كشف هذه الفتنة:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾

← لم يقل: أضله على جهل... بل على علم!.

← أي أنه قد يكون عالمًا، واعظًا، خطيبًا... لكنه مطيّة لهواه

صور خفية لعبادة الهوى باسم الدين:

١- حين يُفتي الإنسان بما يُرضي جمهوره... لا بما يُرضي الله:

- يختار الآراء التي تُعجِب الناس.
- يتجنب المسائل الشائكة، خشية خسارة المتابعين.
- يغيّر لهجته حسب "الترند".

← وهذا ليس تبليغًا عن الله... بل تسويقًا للهوى.

٢- حين يُهاجم المخالف لأنه "لا يُشبهه" لا لأنه أخطأ شرعًا:

- فإن وافقه في المزاج... عذره..
- وإن خالفه في الهيئة أو الاسم... شنّ عليه الحرب..

← وهكذا ...تصبح "الغيرة على الدين" أداة انتقام مغلّفة باسم الغيرة.

٣- حين تُستعمل النصوص لتبرير المواقف الشخصية:

- إن أراد الهجوم... استشهد بآية
- وإن أراد السكوت... قال: "سترًا على المسلم"
- إن أحب شخصًا... "بحث له عن فتوى تناسبه"
- وإن كرهه... "جرّده من كل فضل، وكفّره بلا حياء"

← فالنص الشرعي ليس مرجعه... بل "مطواع بيده" حسب مزاجه.

٤- حين تتحوّل الدعوة إلى منصة للتصدر... لا وسيلة للتذلل:

- فتراه لا يُخطئ أبدًا

- ولا يعترف بجهل أو تقصير
- لا يُبدي لينًا، ولا يراجع فهمًا

← لأنه لا يعبد الله... بل يعبد صورته في عيون الناس..

النتيجة:

١- دينٌ يُبنى على الأهواء الـمُقنّعة

٢- خطابٌ يُفرّق الناس باسم التوحيد

٣- طعنٌ، وتشويه، وازدراء... تحت لافتة "الحزم على المنهج"

٤- ونفورٌ من الدين... لأن أصوات أهله لا تُمثّله، بل تُشوهه

علامات من يعبد هواه باسم الدين:

مظهر	العبادة لله	العبادة للهوى
يفرح بالحق؟	نعم، ولو جاء من خصمه	لا، إلَّا إن وافق رأيه
ينصح؟	برحمة وتواضع	باحتقار وهجوم
يخطئ؟	يعترف ويتراجع	يُبرر ويُكابر
يتكلم؟	طلبًا للحق	طلبًا للتأثير والسيطرة

من نتائج هذه الفتنة:

١- أن الناس لم يعودوا يثقون بكلام من يقول "قال الله"... لأنهم سمعوا كثيرًا من الكلام... لكن رأوا القليل من الخضوع لله.

٢- أن الدين صار يُستعمل لخدمة الغرور الشخصي، لا لتزكية النفوس.

٣- أن الهوى لبس ثوب الوعظ... فصار "الواعظ" سببًا في ضياع الطريق.

الحل:

١- أن نرجع إلى القرآن والسُّنّة بعقل خاشع... لا عقل مُتحيّز.

٢- أن نُراجع نوايانا... هل نعبد الله أم نُرضي أنفسنا؟.

٣- أن نطلب العلم لنُصلح قلوبنا... لا لنقنع غيرنا بخطئه.

٤- أن لا نرفع أحدًا فوق النقد... ولو كان عالمًا، ما لم يُوافق الوحي.

الله لا يُعبد بالهوى... بل بالخضوع

من عبد الله وهو متواضع... قبله الله..

ومن عبد هواه وسمّى ذلك "دينًا"... ردّه الله ولو بكثرة صلاته وخُطبه ومتابعيه.

خلاصة الفصل:

- الهوى لا يظهر دائمًا عاريًا... بل يلبس العمامة أحيانًا.
- الدين لا يُقاس بشدّة الصوت... بل بلين القلب وخضوع الفهم.
- والحق لا يُحمل بالصراخ... بل بالحكمة.

فإياك أن تكون خصيمًا لله... وأنت تظن أنك ناصره

دعاء الفصل:

اللهم طهّر نيتنا من حبّ الظهور، وخُذ بأيدينا إلى دينك كما أنزلته... لا كما شوّهناه، واجعلنا عبادًا لك... لا عبيدًا لأهوائنا المقنّعة باسمك.

الفصل التاسع: حين صار الدين وظيفة لا رسالة... وأصبح بعض الدعاة "مشروع شهرة" لا "سفراء نور"؟

من منابر التزكية إلى مسارح التصدر... كيف ضاعت الهيبة وانطفأ النور؟

المقدمة:

لم يكن الداعية يومًا مجرد "موظف ديني..."

بل كان سفيرًا عن الله، يوقّع على كلامه، ويُبشّر بكتابه، ويدعو إليه بالحال قبل المقال، لكن في هذا الزمن المتقلب... حدثت كارثة خفية:

تحوّلت الدعوة إلى وظيفة، والخطاب إلى محتوى، والمنبر إلى منصة شهرة!

وصار بعض من يُفترض أنهم دعاة إلى الله...

هم من صدّوا الناس عن الله دون أن يشعروا.

حين يفقد الداعية رساليّته... يصبح أي شيء إلّا داعية

- قد يكون خطيبًا
- قد يكون إعلاميًا
- قد يكون مؤثرًا

لكنه فقد جوهر الدعوة: الانطلاق من الله... لا من حبّ الذات.

ملامح "الدعوة الوظيفية" لا "الدعوة الرسالية":

١– المقاييس تحوّلت:

الداعية الرسالي	الداعية الوظيفي
هل أبلغت ما يرضي الله؟	كم مشاهدة حصلت؟
هل خشعت وأنا أتكلم؟	هل ظهرت بثقة على الكاميرا؟
هل بكيت من قلبي؟	هل أضفت مؤثرات صوتية؟

٢– الدعوة صارت تُبنى على "الترند":

- موضوع الأسبوع؟ نُجاريه.
- الناس تحب القصص؟ نبالغ فيها.
- الحديث عن الموت لا يُناسب خوارزميات المنصة؟ إذًا نتجنّبه..

← وهكذا ...صار الناس يُمْلون على الداعية ماذا يقول... لا الله!.

٣– تغيّر لباس الدَّاعية... من لباس الوقار إلى لباس التسويق

- أصبح يختار كلماته لإرضاء الجمهور، لا لإيقاظه
- يروّج لنفسه، لا لربه
- يطلب التفاعل، لا التوبة
- يُضحك المتابعين... أكثر مما يُبكيهم من خشية الله

٤- ضعف الإخلاص... ففقدت الكلمات روحها:

- يتكلم عن الزهد... وهو متخم بالمال والدعاية.
- يتحدث عن الحياء... ويستعرض حياته الشخصية.
- ينصح الشباب بالاستقامة... لكنه يُساير الفتيات لكسب الشهرة.

← صار كثير من الدعاة اليوم ينصحون بأعين على الكاميرا... لا بعيون على الآخرة.

كيف كانت الدعوة في عهد النبوة؟

كان النبي ﷺ يتكلّم خائفًا، يرجو الله، لا يُهمّه عدد من آمن، بل صدق من بلّغ... لم يقل يومًا: "كم شخص أعجب بخطبتي؟"
بل قال: "اللهم اشهد أني قد بلّغت".
كان الصحابة إذا وعظوا، وعظوا من قلوب خاشعة، لا من بطون ثقافية مشبعة.

ما المشكلة حين تصير الدعوة وظيفة لا رسالة؟

١- يُصبح هدف الداعية هو التثبيت الوظيفي لا إحياء القلوب.

٢- يُقاس النجاح بعدد المشاهدات... لا بعدد التائبين.

٣- ويخاف من فقدان الجمهور... أكثر من خشيته أن يُسقط هيبة الدين من عيونهم.

والنتيجة:

١- نزلت هيبة الدين في القلوب... لأن حَمَلته لم يعودوا يحملونه بوجل.

٢- وفَقَدَ الناس الثقة في الخطاب الديني... لأنه صار مشهدًا، لا شُعورًا.

٣- وازداد الانفصال بين المتابع والداعية... لأن المتابع يريد قلبًا، لا أداءً.

الحل:

- العودة إلى الإخلاص: لا شيء يعوّض عن فقدانه... لا فصاحة، ولا صوت، ولا إخراج.
- إحياء شعور الأمانة لا النجومية: من يتصدر للدعوة كأنه يُوقّع على كلام الله!..
- الصدق في كل كلمة تُقال: لا تنظر كم تُعجب الناس... بل اسأل نفسك:

  ١- هل قلت ما يُرضي الله؟.

  ٢- هل كنت صادقًا؟

  ٣- هل لو متُّ بعد هذه الكلمة... أرضى عنها ربّي؟

خلاصة الفصل:

الناس لا يحتاجون داعية مشهورًا... بل داعيةً إذا تكلّم... أحسّوا بأن كلامه يوقظهم لله..

لا تسأل: كم أعجبوا بك؟ بل اسأل: كم رجعوا إلى الله بعدك؟.

دعاء الفصل:

اللهم لا تجعلنا نُحدّث عنك... ونحن نطلب لأنفسنا،

ولا تجعلنا من الذين حملوا النور... وأطفأوه بأهوائهم،

اللهم إن تصدّرنا... فاجعلنا أهلًا له،

وإن أُعجب الناس بكلامنا... فلا تجعلنا نُفتن به،

واجعلنا دعاة إليك... لا إلى أنفسنا.

الفصل العاشر: حين أصبح "المنهج" سلاحًا... لا وسيلة.

وصار الولاء والانتماء لمجموعة... لا لله ورسوله؟

المقدمة:

- "أخي... أنت خارج المنهج"!.
- "أنت لا تنتمي إلينا"!.
- "أنت تُوالي من لا نرضى عنهم"!.
- "فلان منحرف، لأنه خالف المدرسة الفلانية... أو لم يتبنَّ الفكرة الفلانية".

هذه العبارات... صارت تسبق عند بعض المتدينين الحديث عن الإيمان، والقرآن، والإحسان، والأدب.

صار بعضهم يُقسّم الناس لا على ضوء القرآن... بل على ضوء خريطة الجماعات.

نعم، أصبح "المنهج" عند البعض غرفة ضيقة لا يدخلها إلَّا من يُشبههم، لا "طريقًا إلى الله" يسير عليه كل من صدق واتقى وأخلص.

المشكلة ليست في المنهج... بل في تحويله إلى راية حزبية ضيقة

المنهج – في أصله – يعني: الطريق المرسوم، النور الواضح، الفهم الصحيح للدين لكنه تحوّل في واقع كثير من المتدينين إلى:

- مرجعية حزبية.
- منظومة تصنيف.
- أداة طعن وتشويه.
- وسيلة للاعتلاء واحتكار الفهم.

علامات انحراف مفهوم "المنهج":

١- حين يكون الولاء والانتماء للأشخاص... لا لله ورسوله: إن وافقهم في الطرح... فهو على "المنهج"، وإن خالفهم، ولو بدليل... أصبح "منحرفًا، مميعًا، خارجيًا"، وكأن الله قال: "كونوا مع فلان وفلان"، ولم يقل: ﴿**فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾.

٢- حين يكون المنهج أداة "تصنيف" لا وسيلة "تزكية": يُسأل عنك: "ما منهجك؟" قبل أن يُسأل: "ما صدقك؟" أو "ما صلاتك؟" أو "ما أمانتك؟"، فإن لم تتبنَّ "الكلمات المفتاحية" الخاصة بالجماعة، فأنت

"ضال"، ولو صليت، وذكرت، وبكيت، ونصحت.. صار الانتماء "لفئة" أهمّ من الانتماء لله سبحانه وتعالى.

٣- حين يُصبح نقد المخالف "واجبًا يوميًا":

- وتُفتَح الجبهات باسم "النصح".
- وتُراقَب الأخطاء باسم "حماية الدين".
- وتُشنّ الغارات باسم "الرد على أهل الانحراف".

وكل ذلك ... يُقدَّم على إصلاح القلب، وطلب العلم، ومجاهدة النفس.

٤- حين تُصبح "البيعة الفكرية" أهم من التوحيد: فأنت مسلم؟ لا يكفي. سنّي؟ جيد، لكن... "من جماعتك؟ ما مرجعك؟ أين ولاؤك؟".
وكأنَّ الجنة حكر على من "حملوا بطاقة العضوية"،
والنار مأوى من لم ينتمِ إلى الصيغة المعتمدة!.

والنتيجة؟

- فرّ الناس من الدين... لأنهم وجدوه مليئًا بالصراعات والتصنيفات.
- تشوّهت صورة "المنهج الحق".
- اختلطت الغيرة على الدين بـ حب السيطرة الفكرية.
- وبدل أن تكون الدعوة بابًا لله... أصبحت غرفة مغلقة لا يدخلها إلَّا "نحن".

كيف علّمنا الله الانتماء؟

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ ← ما قال: حزبه أو جماعته

﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ ← ما قال: فاستبقوا "الانتماءات".

ما هو المنهج الحق؟

هو ما وافق:

١– القرآن الكريم فهمًا وتطبيقًا.

٢– سُنَّة النَّبي ﷺ قولًا وخلقًا.

٣– هدي الصحابة في الشمول، والرحمة، والتوازن، والزهد في التصدّر.

لا ما اختزل الإسلام في شعار..

ولا ما حوّله إلى راية للتنازع..

ولا ما بنى الولاء على العرق، أو اللغة، أو الفئة..

خلاصة الفصل:

المنهج وسيلة إلى الله... لا هو الله.

والانتماء الحقيقي... أن تنتمي للحق، ولو كنت وحدك.

ومن جعل الولاء لغير الله... ضيّع الطريق، ولو حفظ المتون، وحضر المجالس.

ومن حصر الدعوة في جماعة... خان الأمانة التي بُعث بها مُحَمَّد ﷺ للعالمين.

دعاء الفصل:

اللهم لا تجعل انتماءنا لغيرك، ولا ولاءنا لغير دينك، ولا تحزّبنا إلا للحق، ولا تجعلنا ممن يستبدلون سبيلك براياتهم، ويفتنون عبادك عنك... وهم يظنون أنهم يحسنون صنعًا.

الفصل الحادي عشر: حين صارت الغيرة على الدين غلافًا لغِلظة القلب... والصَّدّ عن سبيل الله باسم الحزم؟

المقدمة:

الغيرة على الدين... مقام عظيم.

لكن إذا لم تُضبط بنور الله، تحوّلت إلى نار تحرق لا تهدي...

وغلظة تنفّر لا تُرشد... وحدّة تصدّ عن سبيل الله... باسم الله!

لقد رأينا في زماننا من يتكلم عن الله بحدّة الطعن، لا بحرارة الشوق،

ومن يدعو إلى الله بسياط التأنيب، لا بحنان ورحمة الأنبياء.

وهكذا... صارت الغيرة على الدين – عند بعضهم – لا تعني إلا الصُّراخ، والتجريح، والتكفير، والمحاسبة العلنية.

المشكلة ليست في "الغيرة"... بل في "الغلاف الذي لبسته":

- صارت الغيرة غلافًا للكبر.
- وساترًا لقسوة القلب.

 ومبررًا للاحتقار.

 وقناعًا لطلب السيطرة.

يقول أحدهم: "أنا أغار على ديني"، لكنك إن فتّشت في كلامه... وجدت قسوة لا رحمة، غطرسة لا خشوع، حربًا على البشر... لا حبًا لله.

ما قاله الله تعالى:

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾

← هذا في حقّ النبي ﷺ... فكيف بمن هو دونه بدرجات لا تُحصى؟

﴿قُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾

← الغيرة لا تعني أن تمزّق الناس باسم الحزم، ولا أن ترعب التائبين باسم "البيان"، ولا أن تُطلق لسانك باسم "الحاكمية".

حين تكون الغيرة غير نقيّة، تولّد:

دعوة مشحونة بالعنف اللفظي والنفسي.. فيها تعالٍ لا شفقة

لوم لا احتواء.. "محاكمات إيمانية" بدل التربية والتدرّج

تنفير الناس من الدين..

شاب مقصّر... يسمع شتائم لا نصائح..

فتاة تائبة... تُنحر على منصة "من هي؟ ولماذا تأخرت؟".

تشويه صورة الله نفسه.. يُقدَّم للناس كالإله الغاضب، لا الجبّار الرَّحيم

فتُبنى علاقة قائمة على الرهبة الجافة، لا الحب والخضوع

كيف نفرّق بين الغيرة الصادقة والغيرة الزائفة؟

الغيرة الصادقة	الغيرة الزائفة
تقودك إلى البكاء من أجل الناس	تقودك إلى الصراخ عليهم
توقظ فيك الحنان والرَّحمة	توقظ فيك الغضب
تبدأ بإصلاح النفس	تبدأ بمحاسبة الغير
تغار لله سبحانه وتعالى	تغار لصورتك ومنهجك

من كان أشد الناس غيرة؟

النبي ﷺ... لكنه لما جاءه شاب يستأذنه بالزنا، لم يصرخ... بل أقنعه..

ولما جاءه أعرابي يتبول في المسجد، لم يُهنه... بل رقّاه..

كان يراه الناس في وجه المعركة أسدًا.. ويرونه في البيت رحمة تمشي على الأرض.

خطورة "الغيرة القاتلة":

١- أنها تُغلق أبواب العودة في وجه التائبين.

٢- تُحاصر العاصين بدلاً من احتضانهم.

٣- تجعل من الداعية "قاضيًا" لا "مرشدًا".

٤- تُقدّم الإسلام كدين قسوة... لا كرسالة محبة تنقذ، وتغفر، وتُعيد.

إذًا... ما السبيل؟

١- اضبط غيرتك بالوحي لا بالمزاج.

٢- ابدأ بخوفك من الله تعالى لا بغضبك من الخلق.

٣- اجعل دعوتك مغموسة بالدمعة... لا بالصراخ.

← تذكّر دائمًا: أنَّ الهداية ليست بلسانك، بل بقلوبٍ يفتحها الله، لا أنت.

خلاصة الفصل:

- الغيرة الصادقة لا تجرح... بل تداوي.
- لا تهدم العاصي... بل تأخذ بيده.
- لا تُطفئ نور التائبين... بل تزيده.
- لا تدفع الناس خارج الدين... بل تُعيدهم إليه كما فعل رسول الرَّحمة ﷺ.

دعاء الفصل:

اللهم اجعل غيرتنا لك... لا لأنفسنا، واجعل دعوتنا باب رحمة لا بوابة هلاك، ولا تجعلنا ممن يطردون عبادك عنك... وهم يظنون أنهم يحسنون صنعًا.

الخلاصة الجامعة للمحور الأول: "مغالطات في فهم الله والدين"

الفكرة الجوهرية:

- ليس الخوف من "الإلحاد" فقط... بل من التديّن المغلوط.
- من صورة مشوّهة لله... تُنفر لا تُحبّب.
- من دينٍ يُمارَس على المزاج... لا على الوحي.

- من غيرة تقتل... لا تهدي.
- من مناهج تُصنّف... لا تُزكّي.
- من غلاف "الدين" الذي يخفي وراءه أحيانًا قسوة، أو شهرة، أو أهواء.

ماذا كشف هذا المحور؟

١- أن الإيمان ليس مجرّد شعور في القلب: بل التزام ظاهر، وطاعة، وخضوع أن تقول "الله في قلبي" وأنت تُصرّ على المعصية... فتنة لا حقيقة..

٢- أنَّ الدين رحمة من السَّماء... لا اختناق على الأرض: وأن فهمنا المشوّه له، لا الدين نفسه، هو من جعل الشباب يهربون منه.

٣- أنَّ الخوف من الله لا يُلغي الحب له: وأن التركيز على النار دون الرحمة... يصنع قلوبًا ميتة، لا تائبة

٤- أن الدين ليس تراثًا موروثًا... بل قرار قلب وبصيرة: وأن التقليد الأعمى قتل الهداية، رغم كثرة الطقوس.

٥- أن المنهج يجب أن يُقرّبك من الله... لا من الجماعة فقط: وأن الولاء للحق، لا للراية، هو معيار النجاة.

٦- أن الغيرة الحقيقية تُصلح وتُحبّ وتحتوي... لا تُقصي وتكفّر وتجلد.

لماذا هذه المغالطات خطيرة؟

- لأنها تُشوّه صورة الله سبحانه وتعالى في قلوب الناس.
- وتُحوّل الدين إلى وحش فكري بدل أن يكون واحة أمان.
- وتطرد من أراد أن يعود، وتُغلق أبواب الرحمة أمام من يطرقها.

والنتيجة؟

١- كثير من الناس هربوا من "التدين" لا من "الدين".

٢- كفروا بصور الله سبحانه وتعالى التي رُسمت لهم لا بالله الحق.

٣- ووقفوا على بوابة الجنة... فرجعوا، لأن من بالداخل كان يُخيف لا يُحبّب.

إذًا... ماذا نريد؟

◄ نريد أن نعيد لله تعالى وجهه الحقيقي في قلوب الناس...كما قال عن نفسه... لا كما صوّرناه نحن.

◄ نريد دينًا فيه هيبة الخضوع، لا رعب الهروب.. وفيه صدق الانتماء، لا استعراض التدين.. وفيه دعوة الأنبياء، لا صراخ الغاضبين

الدعاء الختامي للمحور:

اللهم لا تجعلنا فتنة للذين يريدونك، ولا حجابًا لمن أراد أن يعرفك، واجعل دينك فينا حقًّا... لا عادة، وارزقنا أن نُمثّلك كما أنزلت، لا كما أهوينا.

المحور الثاني:"مغالطات السُّلوك الفردي باسم الدين"

المقدمة:

في هذه الأُمَّة... لم يكن الخطر يومًا في "قلة الدين"،

بل فيمن تديّنوا بالهوى... لا بالهدى.

فيمن علَّقوا على صدورهم شارة "الملتزمين"،

لكن سلوكهم خان الرسالة... ونفَّر من الدِّين.

لسنا هنا نتحدث عن العُصاة الجُهّال،

بل عن الذين لبسوا ثياب الدين... وارتكبوا باسمها المغالطات:

غشّوا باسم الذكاء، تكبّروا باسم الورع،

تدينوا في المسجد... وأهملوا البيت،

نصحوا بلسانٍ يجرح، وصنّفوا الناس بأحكامٍ ما أنزل الله بها من سلطان.

إن السلوك الفردي... هو الصورة الأولى التي يراها الناس من الدين،

وكم من أناسٍ ضلُّوا... لا لقصور في نصوص الدين،

بل لأنهم صُدموا بسلوك من يُفترض أنهم يحملون القرآن في قلوبهم.

المصيبة الكبرى

حين يُلبَس السوء لباس الدين،

وتُرتكب الأخطاء وهي تتلو آيات الله،

ويُقدَّم الدين للعالم... من خلال سلوك لا يُمثّله!

في هذا المحور سنكشف...

١. كيف تحوّل الذكاء في التجارة إلى غشٍ مقنّن.
٢. وكيف غطّى ثوب الورع غرورًا داخليًا يتعالى على الناس.
٣. وكيف صار الحكم على الناس من ملابسهم ...أشد من حكم الله على قلوبهم.
٤. وكيف أصبح التدين للمظاهر ...لا للسرائر.
٥. وكيف صارت المجالس ساحات غيبة ...باسم النصيحة.
٦. وكيف نُقيم الليل... ثم نأكل المال بالباطل في النهار.
٧. وكيف دخل الدين في دوامة "الرياء المعاصر" تحت عدسة الشهرة.

هذا المحور لا يتهم... بل يُنقّي

لا أكتب هذه الكلمات لأُدين أحدًا، بل لنُدين أنفسنا قبل أن يُديننا الله.
أكتبها كي لا يُسأل أحدنا يوم القيامة: "أهكذا كنتَ تمثّل ديني؟"
أكتبها... كي نُعيد تربية أنفسنا من الداخل،
فـ الدين الذي لا يغيّر سُلوكك... هو طقوسٌ لا روح فيها.
والتدين الذي لا يُشبه محمدًا ﷺ في أخلاقه ...تدليسٌ على الله.

الفصل الأول: "التدين الظاهري... والتوحّش السلوكي"!

المقدمة:

حين يُصبح المظهر الديني قناعًا... لقلوبٍ لم تُطهَّر

قد ترى لحيةً طويلة، وثوبًا قصيرًا، وسُبحةً لا تفارق اليد...

ولكنك في لحظةِ احتكاكٍ حقيقي معه، تصطدم بعنفٍ،

أو كِبر، أو شتيمة، أو غشّ، أو غلظةٍ لا تُطاق!

فتتساءل بينك وبين نفسك: "هل هذا هو التدين؟"

وهنا تبدأ الفتنة ...لا لمن ارتكب الخطأ،

بل لمن شاهده يحدث وهو مغلّف بلغة الدين.

التدين الحقيقي ليس قناعًا... بل هو خلقٌ يتجلّى

قال النبي ﷺ:

"إنَّ مِن أحبّكم إليَّ وأقربِكم مني مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسِنَكم أخلاقًا".

ولم يقل: أطولُكم صلاةً، أو أشدُّكم زهدًا في المظهر...

فما نفعُ عبادةٍ لا تُهذّب اللسان؟

وما جدوى مظهرٍ يوحي بالصَّلاح... وداخلٌ يفوح بالأذى؟

مظاهر "التدين المتوحّش":

أحيانًا، يصبح البعض في دائرة الشعائر الدينية، ولكنهم يفقدون جوهرها، ويغفلون عن معانيها العميقة، إليكم بعض المشاهد المؤلمة التي قد نراها حولنا:

١. يصلي الفجر جماعةً... ويشتم عمّاله في المكتب.
٢. يقرأ القرآن بصوتٍ جميل... ويقطع رحمه دون ندم.
٣. يُحدّث الناس عن النار... وهو يغتاب عباد الله في مجالسه.
٤. يُنكر على النساء كشف الوجه... ثم ينظر إلى المحرّمات في الخفاء.
٥. يتصدر المجالس باسم الدين... ولا يعرف معنى الرحمة أو التواضع.

حين نُسيء إلى الله بسلوكنا

لا يشترط أن يكون الإنكار بالكلام فحسب...
أحيانًا قد يكون الإنكار في سلوكنا، ونحن نعتقد أننا ندافع عن الدين.
قد يكون هناك من يهرب من الصلاة...
لا لأنهم يكرهونها، ولكن لأن من يصلي لا يعكس قيمتها في حياته.
وقد يضعف إيمان شابٍ... ليس بسبب شك في القرآن،
بل لأنَّ من يُحفِّظ القرآن يعامله باحتقار أو تجريح.
نحن لا نُحسن تصوير الدين عندما نعيش تناقضًا بين ما نُظهره وما نُخفيه،
فتُصبح شعائرنا مجرد أفعال فارغة من الروح.
لنتذكر دائمًا أنَّ سلوكنا هو مرآة إيماننا،
وأن الدين لا يُقاس بما نعتقد أننا نعلنه،
بل بما نعيشه ونعكسه في تعاملاتنا مع الآخرين.

النتيجة الكارثية:

- تدينٌ بلا رحمة ← ينفّر الناس من الله..
- عبادة بلا تهذيب ← تُنتج قسوة وغرورًا باسم الدين..
- طقوس ظاهرية دون إصلاح داخلي ← تُخرّب لا تُصلح

✍المعادلة الصحيحة:

التدين = طاعة + تواضع + تهذيب + صدق داخلي + أثر خارجي مبارك

فإن غاب أحد هذه الأعمدة... اختلّ البناء!..

الدعاء الختامي:

اللهم لا تجعلنا ممن يُنفر الناس منك باسمك، ولا ممن يُصلّون لك... ويُسيئون لخلقك، ولا ممن يتزيّنون بلباس الدين... ويُخفون قلوبًا متوحشة، بل اجعلنا ممن إذا رآه الناس... تذكّروا الله.

الفصل الثاني: حين صارت المجالس مجالس غيبة... باسم "النصح"!

المقدمة:

كم من كلمةٍ قيلت لله... وكانت في حقيقتها للهَوَى؟.

ما أكثر ما نسمع اليوم: "أنا فقط أنصح" – "أنا أحذّر لله" – "أنا أقول الحق"
لكن لو نظرت في نبرة الصوت، وطريقة العرض، وتوقيت الحديث، ومجلس النميمة المغلف بالنصيحة...

لرأيت أنك أمام فضيحة مُنمّقة لا "نصيحة مخلصة".

- كم من غيبةٍ نُشرت باسم الغيرة.
- وكم من أعراضٍ هُتكت باسم الحزم.
- وكم من قلوبٍ جُرحت... والفاعل يقول:"أنصح لله".

ولو سأله الله تعالى عنه يوم القيامة... ما استطاع أن يثبت "إخلاصه".

الخط الفاصل بين النصيحة والفضيحة:

المعيار	النصيحة	الفضيحة المغلّفة
النية	حب الإصلاح	شماتة أو انتقام
الأسلوب	لين وستر	قسوة وكشف
الزمان والمكان	في خفاء ولُطف	في العلن أو المجالس
الأثر	يُصلح القلوب	يُشوّه السُّمعة
اللغة	تذكير بالله	تهكّم وسُخرية

متى يكون التحذير من فلان "واجبًا"؟

الإسلام يجيز التحذير من صاحب بدعة أو ظلم أو غش في حالات واضحة، بشرط أن تكون:

١. بنية خالصة لله، دون هوى أو منافسة أو تصفية حساب.

٢. بدافع حماية الآخرين من شر محقق.

٣. بالقدر اللازم فقط دون زيادة، دون تشهير.

٤. بأسلوب شرعي رحيم لا يؤذي أكثر مما يُصلح.

وحتى هذه... لا يحق لأي أحد أن يقررها من تلقاء نفسه.

بل هي مسؤولية العلماء وأهل الفقه والحكمة، لا عامة الناس في المجالس.

المجالس اليوم... مصانع الغيبة المغلّفة

قيل عن فلان: "انتبهوا منه، عنده خلل في المنهج".

لكن القائل لم يجلس معه يومًا، ولم يُواجهه بنصح قط.

نُقل كلامٌ عن داعية: "صار شهرة لا علم، انحرف"

لكن الناقل ليس من أهل العلم، ولا من أهل الحكمة، ولا من أهل القلوب.

جُلست مجالس كاملة... يُشرّح فيها العلماء والدعاة والداعيات والمنتقبات وحتى الجيران، ويُختَتم المجلس بكلمة: "الله يهديهم"... كخاتمة دينية تُبيّض الغيبة!..

توقف... قبل أن "تنصح" أحدًا:

اسأل نفسك بصدق:

- هل أحب لهذا الشخص الخير فعلًا؟.
- هل أنا أهل لأن أتكلم عنه؟.
- هل هذا المكان وهذا الأسلوب هو الأفضل؟.
- هل هذا الكلام سيُغيّر الواقع للأفضل؟ أم يُشعل الفتنة؟.

لأنك إن لم تُجِب بنعم صادقة... فأنت تغتاب لا تنصح.

وتُسيء باسم الدين... لا تُدافع عنه.

ضحايا "النصح الزائف":

١. شابٌ ترك طريق الهداية... لأنه سُمّي باسم "المنحرف" في أحد المجالس.
٢. فتاة صالحة أُسقِطت من أعين الناس... بسبب كلام مغلّف بـ"الحرص عليها".
٣. داعية كفَّ عن الدعوة... لأن "نصائح الإخوة" كانت طعنات ظهر.

دعاء الفصل:

اللهم اجعلنا أهلًا للنصح الصادق، لا الجرح الغادر،

واجعل كلماتنا أسبابًا للهداية، لا سهامًا للفتنة،

واجعلنا ممّن يحمون أعراض إخوانهم... كما يحبون أن تُحمى أعراضهم.

الفصل الثالث: الرياء في العبادات... واستعراض الدين!

حين أصبح القرب من الله "عرضًا" أمام الناس، لا "خلوةً" مع الله...

المقدمة:

ما أقسى أن ترفع يديك في الدعاء... ليُقال عنك "خاشع"..

وأن تقرأ القرآن... ليُقال عنك "صوته مؤثر"..

وأن تصوم... ليقال: "ما شاء الله عليه ملتزم"!..

وأن تحج... ليُنشر صورتك على إنستغرام!..

كل شيء يبدو "دينيًا" من الخارج..

لكن من الداخل... الله تعالى لا وجود له في النية.

الرياء: الشرك الخفي الذي يُفسد العبادة

قال ﷺ:

" إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر: الرياء ..

يقول الله عز وجل يوم القيامة: إذا جازى الناس بأعمالهم:

اذهبوا إلى الذين كنتم تُراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً؟"

رواه أحمدبسند صحيح..

الرياء... لا يُفسد صورتك عند الناس، بل يُحبط عملك عند الله.

والأدهى من ذلك... أنه شرك خفي، لا يشعر به صاحبه، إلَّا من رحم الله.

- مَن تراه يُصوّر ركعته... لمن يُصلي؟
- مَن ينشر صوته وهو يبكي من القرآن... لمن يبكي؟
- مَن يُعلن صدقته على العلن... لمن يُرضي؟

ألهذا الشيء وُجد الدين؟ ليكون عرضًا في "الستوري"؟ ومشهدًا للناس؟

وسجادة على منصة؟!..

علامات استعراض الدين:

١. العبادة حين تكون أمام الناس أطول... وفي السر أقصر.
٢. الاهتمام بالثناء أكثر من الاهتمام بالقبول.
٣. مشاركة كل فعل ديني على "السوشيال ميديا".
٤. قراءة القرآن بصوت جهوري في غير موضعه، للفت الأنظار.
٥. الغضب الشديد إذا لم يُمتدح تدينه.
٦. السعي إلى المناصب والمجالس الدينية... طلبًا للظهور لا للخير.

لماذا تفشى الرِّياء في هذا العصر؟

١. لأنَّ المنصات باتت تقيس الدين بالمتابعين، لا بالخشوع.
٢. ولأنَّ المجتمع أصبح يُكافئ الظاهر وينسى السرائر.
٣. ولأنَّ بعض الدعاة قدموا "الدين المشهدي"، فقلّدهم الناس.
٤. ولأنَّ الناس يظنون أن نشر الدين هو بإظهار أنفسهم، لا بالتعريف عن الله سبحانه وتعالى!.

الدين... بينك وبين الله

- العبادة سر... لا عرض
- العلاقة مع الله خلوة... لا منصة
- ما بينك وبين الله... لا يحتاج جمهورًا كي يُصدّقك
- فالله تعالى يرى ما في القلوب... ويعلم ما وراء الصور

الدين لا يُعرض... بل يُعاش

قد تُبهر الناس بمظهرك...

لكنك لا تُرضي الله إلَّا بإخلاصك.. الذي لا تراه العين...

قد تَكسب القلوب بـ"خشوعك المصوَّر"،

ذلك الذي يبدو في ملامحك وحركاتك،

ولكن هذا لا يكفي لبلوغ رضا الله.

فالله لا يرضى عنك إلَّا بـ"خشيتك الصادقة"،

تلك التي تنبع من أعماق قلبك وتغذي كل فعل تقوم به.

إن الله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى صوركم وأشكالكم،

بل ينظر إلى ما في قلوبكم، إلى صدق نواياكم،

وإلى أعمالكم التي تنبع من إيمان حقيقي.

فكل ما يظهر للناس قد يكون خداعًا،

لكن ما يعلمه الله هو ما في القلب من إيمان،

وما يظهره في العمل من إخلاص.

فاجعل قلبك نقيًا، وعملك صادقًا،

لأنَّ الله لا يقيس الأمور بالأشكال، بل بما تحمله من تقوى وصدق.

دعاء الفصل:

اللهم اجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم، وارزقنا سرًا معك لا يعلمه أحد، واجعلنا ممن إذا خَلوا بك... بكوا، وإذا وقفوا بين يديك... نسوا كل أحد سواك.

الفصل الرابع: دعاءٌ كثير... وقلوبٌ مِلؤها الحقد

حين نرفع الأكف إلى السَّماء.. ونطعن القلوب في الأرض

إلى الله نشكو القلوب التي تدعو له... وتُؤذي خلقه باسمه

كم من دمعةٍ سالت في جوف الليل،

لكنها لم تُطهّر القلب من غلّه وحقده..

وكم من صوتٍ بكى في الدعاء،

لكنه لم يمنع اللسان من السَّبّ، والقلب من الكراهية..

إنها مفارقة قاسية...

أن تملأ لسانك بـ"يا رب"... وتملأ قلبك بـ"لعن الله فلانًا!".

الدِّين الذي لا يُطهِّر القلب... دينٌ ناقص

قال الله تعالى:

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ الشعراء

ليس المقصود بالسَّلامة هنا فقط من الشِّرك...

بل من الغلّ، والحقد، والكراهية، والعداوة، والرغبة في إيذاء الناس حتى وهم في بعدٍ عنك.

أنت لا تخدع الله سبحانه وتعالى بالدعاء

يمكن أن تبكي أمام الناس... والله يعلم أنك تكيد لهم.

يمكن أن تقول: "اللهم ارحمني"... وأنت لا ترحم أحدًا.

يمكن أن تُردّد: "اللهم طهّر قلبي"...

وأنت متمسك بكل حقدك على أختك أو صديقك أو جارك.

الله تعالى لا يُخدع بالدموع... ولا يُفتن بكثرة الدعاء

إنما يُريد " قلبًا " يُناجيه كما يُناجيه اللسان..

نماذج واقعية:

١. امرأة تدعو لأختها في الصلاة... لكنها تتمنى في قلبها أن تُبتلى لتذوق الألم مثلها.

٢. شاب يدعو لأصحابه في الظاهر... ويغار منهم في الباطن حتى الغِلّ.

٣. داعية ينصح الناس بالمحبة... ولا يذكر خصومه إلَّا بغلظة وتشفٍ وانتقام.

الدين ليس دعاءً فقط... الدين تزكية

الدين في جوهره لا يتوقف عند حدود العبادة الظاهرة؛ بل يمتد ليشمل تطهير القلب وتنقيته، ليصبح الإنسان مرآة صافية تعكس النية الطيبة والأخلاق السامية، الكثيرون يظنون أن الدين يكمن فقط في العبادة الخارجية، كالصلاة والصيام، وأن الإيمان يتجسد في الدعاء وحسب، ولكن الدين أعمق من ذلك بكثير، إنه التزكية، وهي تطهير النفس من كل ما يعكر صفوها، والارتقاء بها لتكون في أعلى درجات الطهارة الروحية.

التزكية: أكثر من مجرد حفظ النفس من المعاصي

التزكية في الإسلام ليست مجرد حجز للنفس عن المعاصي، بل هي عملية شاملة تطهر القلب من الشوائب الداخلية التي تضعف إيمانه وتبعده عن الله.

إن النفس البشرية بطبيعتها عرضة لمشاعر سلبية كالحسد، والغل، والكراهية،

والانتقام، والكبر... وكل هذه المشاعر تلوث قلب المؤمن، وتجعله في حالة من التباعد عن الله، لأنها تتناقض مع القيم التي يحثنا عليها الدين من حب للآخرين، ورحمة، وتواضع، وعفو.

إذا كنت تتجنب المعاصي الجسدية ولكنك تظل محملاً بهذه المشاعر السلبية، فإن ذلك لا يعكس التطهير الحقيقي للنفس الذي يطلبه الدين، على الرغم من أن المعاصي الجسدية مثل شرب الخمر أو ارتكاب الزنا تحتاج إلى تركها، إلا أن الإسلام يركز أيضًا على تهذيب القلب من المشاعر السِّلبية التي قد تكون أخطر من الأفعال الظاهرة..

التزكية هي تحرير القلب من الغل والانتقام

إن الغل والحقد على الآخرين لا يؤدي فقط إلى العداء الاجتماعي، بل يضر أولاً وأخيراً بصاحب هذه المشاعر.

عندما تحقد على أحد، تعيش في سجن داخلي،

ولا تستطيع أن تشعر بالسلام الداخلي.

التزكية الحقيقية هي أن تطهر قلبك من هذه المشاعر،

وتغسل قلبك بنية العفو والصفح.

الانتقام هو شعور يؤدي إلى حجز الروح في ماضٍ مليء بالألم والمرارة، بينما يغفل الإنسان عن قوة العفو التي يفتح بها الله الأبواب المغلقة.

التزكية هي أن تتخلص من رغبة الانتقام وتحتسب الأمور على الله، لتترك ما فعله الآخرون في يد الله سبحانه وتعالى.

التزكية: الزهد والورع

كثيراً ما يظن البعض أن الزهد هو مجرد الابتعاد عن متاع الدنيا،

وأن الشخص الزاهد هو من يتجنب المظاهر والملذات الدنيوية.
لكن الزهد ليس في ترك الدنيا،
بل في ترك الغل والقلب الذي يتعلق بتلك الدنيا.
الزهد الحقيقي هو أن تترك الغل في قلبك تجاه أولئك الذين يملكون الدنيا،
وتتعامل مع الناس بدون أن تتأثر بحالة من الحسد أو الازدراء.
الزهد يعني أن تظل بعيداً عن القلق المادي المفرط،
وأن تركز قلبك على القيم الروحية العميقة التي تأتي من علاقتك بالله.
أما الورع، فليس فقط الابتعاد عن المال الحرام.
الورع هو أيضاً أن تبتعد عن كراهية من أنعم الله عليهم.
أن تبتعد عن الرغبة في المحاكمة أو الحكم على الآخرين بناءً على ما لديهم من مال أو منصب، وتعلم أن الله سبحانه وتعالى هو من يوزع الأرزاق بحكمته.
الورع الحقيقي هو أن تبقي قلبك بعيداً عن العيوب والكره الذي قد يصيبك بسبب ما تراه من نعم عند الآخرين.

التزكية كطريق للسلام الداخلي

التزكية لا تعني فقط التحرر من المشاعر السلبية مثل الغل والانتقام،
بل تشمل أيضًا النمو الروحي والبحث المستمر عن القرب من الله.
عندما يكون القلب نقياً، تصبح الصلاة أكثر خشوعاً،
وتصبح الأعمال الصالحة أكثر صدقاً.
التزكية تعني أن يعيش المسلم في حالة من التوازن الداخلي،
حيث تتناغم أعماله مع قلبه، وتظل نواياه خالصة لوجه الله تعالى.

خلاصة

الدين في جوهره هو تزكية للنفس، ليس فقط من المعاصي، بل من كل ما يشوه

قلب الإنسان من الحسد، والغل، والكراهية، والتكبر.

هو سعي مستمر لتحسين النفس وتقويم سلوكها، لينسجم مع ما يرضي الله.

التزكية هي الزهد في تعلق القلب بالدنيا،

وهي الورع عن كراهية من أنعم الله عليهم.

إذاً، لن يكون الدين مجرد شعائر وأفعال،

بل هو عملية مستمرة لتطهير القلب وتهذيبه،

لتكون أعمالنا جميعها خالصة لله، فيظهر أثر ذلك في علاقتنا مع الله ومع الآخرين.

الدعاء الذي يُرضي الله

هو ذاك الذي يُخرِجك من نفسك...

فتدعو للناس كما تدعو لنفسك،

وتبكي لأن قلبك يريد الخير لا لنفسه فقط، بل لكل من حوله

وتدعو في السجود:

"اللهم طهّر قلبي من الغلّ والحسد والعداوة... حتى ألقاك وأنا نقيٌّ كما خلقتني"..

دعاء الفصل:

اللهم لا تجعلنا من الذين يدعونك بألسنتهم... ويُخاصمونك بقلوبهم،

ولا ممن يبكون في السجود... ويُبكون عبادك في الواقع،

ولا ممن يقولون: اغفر لنا... وهم لا يغفرون لغيرهم،

بل ارزقنا قلبًا نقيًا، ولسانًا صادقًا، ونفسًا متطهّرة تحب الخير لعبادك كما تحبه لنفسها.

الفصل الخامس: حين صار الغش "حلالًا" في التجارة... بحجة الذكاء!

الدِّين لا يُحرّم الربح... لكنه لا يُبارك الكذب والخداع

الذكاء في التجارة... لا يعني خداع الناس

كم من تاجرٍ صار يُصفق له الناس "ماهرٌ، يعرف السوق"..

وهو في الميزان عند الله: غشّاشٌ كذّاب!..

وكم من صفقةٍ باركها السوق... ولعنها الميزان!

المشكلة ليست في التجارة... بل في "شرعنة" الخيانة على أنها ذكاء.

وفي تحويل الخداع إلى حيلةٍ مشروعة، والغش إلى مهارةٍ مقبولة!.

الغش في التجارة... جريمة أخلاقية تُخرجك من زمرة الأمة!

قال النبي ﷺ: **"مَن غشَّ فليس منّي"** رواه مسلم..

أي أنَّ الغشاش ...ليس من سلوك النبي ﷺ، ولا من أخلاق الأمة، ولا من صفّ أهل الصدق.

تأمل هذا اللفظ: "**ليس منّي**"... كأنَّ الغش يُنزعك من الانتماء لرسول الله، مهما ادعيت حبّه، وصلّيت عليه!..

الدين لا يُحرّم الرِّبح... بل يُحرّم أن تُربح على حساب ضميرك

- أن تبيع شيئًا وتُخفي عيبه... هذا ليس ذكاء
- أن تزيد في السعر وتكذب في الوصف... هذا ليس فطنة
- أن تضع إعلانًا جذّابًا لشيء مزيّف... هذا ليس تسويقًا ناجحًا، بل "غشّ أنيق"

الذكاء التجاري... لا يكون على حساب الأخلاق.

والربح الحقيقي... ما ربَحت به عند الله، لا في جيبك فقط.

الفرق بين الحيلة الشَّرعية والتحايل على الشرع:

المفهوم	الحيلة الشرعية	التحايل على الشرع
النية	طلب رضا الله والتزام حدوده	التلاعب بالأحكام للهروب من أوامره
الأثر	يؤدي إلى مقاصد الشريعة	يُهدم مقاصد الشريعة من الداخل
المثال	كالتخلّص من الربا بطريقة بيع شرعية	كمن يُموّه الربا في صورة بيع وهمي
الحكم	مقبول إذا لم يخالف الروح الشرعية	مرفوض حتى وإن بدا قانونيًا

التحايل على الشرع ليس اجتهادًا... بل تزييف لنية الطاعة...

والشريعة لا تُخدع بالأوراق... بل تُقوَّم بالقلوب والنيات والمقاصد

إليك أمثلة لكل صنف:

١- الحيلة الشرعية:

بيع بالتقسيط بدون فوائد ربوية

المثال: شخص يريد شراء جهاز كهربائي (مثل ثلاجة) من محل، ولا يستطيع دفع المبلغ كاملًا، يوافق المحل على بيع الجهاز بالتقسيط، لكن بشرط ألَّا يتم إضافة أي فوائد أو زيادة على السعر الأصلي للجهاز، وبالتالي يدفع العميل نفس المبلغ الأصلي في أقساط.

لماذا هي حيلة شرعية؟ لأن المعاملة تتم دون أي زيادة في السعر مقابل التقسيط، مما يعني أن المعاملة لا تشمل أي نوع من الرِّبا وتتم وفقًا للأحكام الشرعية.

٢– الحيلة الشرعية:

التصدق على الفقراء

المثال: شخص يتملك مالًا ويريد إخراج الزكاة، لكن بدلًا من إعطائها بشكل مباشر للفقراء، يقرر شراء ملابس أو طعام للفقراء ثم يُعطيهم ذلك بشكل طوعي وبدون أن يشعرهم بالإحراج.

لماذا هي حيلة شرعية؟ لأن الشخص يعامل الفقراء بطريقة شريفة ويحقق المقصد الشرعي من الزكاة وهو مساعدة المحتاجين، وفي نفس الوقت يتجنب المحاباة أو الإحراج.

٣– التحايل على الشرع:

التلاعب بالربا عبر بيع وهمي

المثال: شخص يريد أن يقترض مالًا بفائدة ولكن لا يريد أن يظهر ذلك صراحة، فيذهب إلى شخص آخر ويقول له: "أنا أريد شراء منتج منك، لكن لا أستطيع دفع المبلغ كاملًا الآن، فهل يمكنني دفعه على أقساط مع زيادة؟"، ثم يبيع له المنتج بثمن أعلى على أساس التقسيط لكن في الحقيقة هو مجرد قرض

بفائدة.

لماذا هو تحايل على الشرع؟ لأن المعاملة تشمل فائدة غير مشروعة حتى وإن تم إخفاؤها تحت مسمى "بيع"، وهو بذلك يخالف أحكام الشريعة التي تحرم الربا.

٤– التحايل على الشرع:

التلاعب في الزكاة

المثال: شخص يملك مالًا يجب عليه دفع الزكاة عليه، ولكنه يتلاعب بالأمر فيقوم بتخزين المال في مكان بعيد عن عينه أو يشتري ممتلكات جديدة ليقلل من المبلغ الذي يخرج عليه الزكاة، ظنًا منه أنه يستطيع تهرب من الواجب.

لماذا هو تحايل على الشرع؟ لأنه يهرب من حق الله في ماله، ويخفي مالًا كان يجب إخراج الزكاة عنه.

٥– التحايل على الشرع:

التصوير في الحرام

المثال: شخص يقرر تصوير فيديوهات أو صور له وهو في أماكن غير لائقة، مثل الحفلات التي تشمل اختلاطًا غير شرعي أو شيء من المحرمات، ثم يُحاول تبرير ذلك بأنه يريد "نشر الفائدة" أو "الضحك" أو "المحتوى الجيد".

لماذا هو تحايل على الشرع؟ لأنه يحاول أن يُلبس تصرفات غير شرعية في صورة مباحة، ويستمر في مخالفة قيم الشريعة بإخفاء نواياه الحقيقية تحت مسميات "التسلية" أو "الفائدة".

الخلاصة:

الحيلة الشرعية: هي وسيلة مشروعة وموافقة للشرع لتحقيق مصلحة دون

التلاعب أو خداع الأحكام.

التحايل على الشرع: هو التلاعب بالأحكام الشرعية، سواء كان ذلك لتجنب الواجبات أو لإخفاء ما هو محرم تحت مسميات قانونية أو غير واضحة.

مشاهد من الواقع:

١- متجر يكتب: "عرض خاص!"... والسلعة قديمة أو أغلى من السوق.

٢- موظف يُظهر للعمل نشاطًا أمام الكاميرا... ويغشّ في الغياب.

٣- تاجر يستغل جهل الزبون ليرفع السعر عليه ويبرره: "هو قبل السعر، وما سأل".

٤- شركة تُعلن أنها "صديقة للبيئة"... وهي ملوثة في الخفاء.

٥- بائع يقول: "والله ما عندي ربح فيه"... وهو يعلم أنه كاذب.

المغالطة الكبرى:

"طالما الزبون رضي... فلا شيء عليّ"!

كلا! الزبون رضي بناءً على كذبة منك...

رضي بناءً على معلومة ناقصة أو ثقة مخدوعة

فأنت لم تبع منتجًا فقط... بل بعت كرامتك، ومصداقيتك، وربما آخرتك!.

القاعدة النبوية:

"**التاجر الصَّدوق الأمين مع النبيّين والصديقين والشُّهداء**" رواه الترمذي

صِدقُك... هو الذي يرفعك...

أما الغش... فقد يُغنيك قليلًا، لكنه يهوي بك كثيرًا..

دعاء الفصل:

اللهم ارزقنا تجارةً لا نخسر فيها عندك، وربحًا لا يُفسد علينا ديننا،

واجعلنا من الذين يربحون في السُّوق... دون أن يخسروا قلوب الناس،

وارزقنا صدقًا يجعلنا في زمرة نبيك، لا في قائمة من "ليس منّي".

الفصل السادس: حين صار الكِبر تحت عباءة الورّع

التواضع الحقيقي... لا يُعلن عن نفسه!

ما أقبح أن يرتدي الكِبر لباس المتقين...

ليس كل من خفَتَ صوته... خفَتت نفسه..

وليس كل من طأطأ رأسه... طهّر قلبه من العُجب.

وليس كل من قال: "أنا العبد الفقير"... نزع الله من قلبه حبّ التعالي!.

الكِبر ليس في اللباس الفاخر فقط...

أحيانًا يسكن في ثنايا عباءةٍ طويلة، ولحيةٍ كثّة، وعبارات تواضع مُنمّقة.

لكنه يتكلّم حين يشعر أحدهم أنه "أفضل من غيره لأنه أكثر التزامًا".

الورع لا يعني أن "تُشعِر غيرك" أنه ناقص

أن تقول: "اللهم لا تجعلنا مثل هؤلاء العصاة"، وتُشير لمن لا يصلي

أن تُحني رأسك بتواضع... ثم تقول: "نحن بشر، لكن هناك أناسٌ لا يعرفون الله أصلًا"!..

أن ترفض الثناء أمام الناس، وتقول: "أنا أقل من أن أُذكر"...

لكنك تنتشي بداخلك لأنك الأعلم والأتقى فيهم.

هذه ليست تواضعًا... بل تمثيلٌ للورع!..

النبي ﷺ... كان أعبد الناس، وأشدهم تواضعًا

لم يقل لأحد: "أنت بعيد عن الله"..

لم يُشعر أحدًا بالدُّونية، حتى المنافقين كانوا يأمنون أذاه..

كان يجلس حيث ينتهي به المجلس،

ويأكل كما يأكل البسيط من الناس، ويمشي كما يمشي المحتاج..

كان إذا ناداه أحدهم، أجابه بلين: "لبّيك"..

فهل نجرؤ بعد ذلك أن نُشعر الناس بأننا "أطهر" لأننا حفظنا،

أو صمنا، أو تحجبنا، أو التزمنا؟..

بعضهم لا يُباهي بالعلم... لكنه يُدمن إشعارك أنك الجاهل

- بصمته المتكلّف..
- بنظرته المُشفقة..
- بأسلوب حديثه الذي يجعلك دومًا في موضع "المقصر"

- أو بمقاطعته لك بعبارات من نوع: "أستغفر الله... لا حول ولا قوة إلَّا بالله!" كأنك قلت كفرًا!...

الفارق العميق:

المتواضع الحقيقي	المُتكبّر المتخفي
يُنصت للناس	يُقاطع ليُعلِّم
يفرح بتوبة العاصي	يحتقره قبل أن يتوب
يفرُّ من الشُّهرة	يزهد فيها بلسانه... ويطلبها بقلبه
يُخفي عبادته	يُشير إليها بلغة غير مباشرة
يدعو لنفسه بالهداية	يدعو على الناس بأن يُفضحوا

التواضع... لا يحتاج إعلانًا

التواضع هو ذلك النور الهادئ الذي ينبعث من القلب،
فلا حاجة له لِدعاية أو إشارة، بل يظهر في الفعل والكلمة والنظرة.
تمامًا كما أنَّ العطر لا يصرخ ليُخبرك بوجوده،
لكنك تشعر به من خلال اللمسة الخفيفة التي تلامس حواسك،
يتسلل إلى كل زاوية في المكان،
يملأ الأجواء بهدوء ويسكن بين الحضور بسلاسة،
التواضع يفعل الشيء ذاته.
التواضع ليس في تصرفات مبتذلة أو كلمات فارغة،
بل هو حالة من الارتياح الداخلي،

تتجسد في احترام الآخرين وتقديرهم دون أن يُطلب منك.
لا يبحث عن أضواء، ولا يتطلع إلى شهرة، بل يكون في الرفق بالكلمات،
وفي التقدير الصادق للمشاعر.
التواضع الحقيقي هو الذي لا يُسمع صوته،
لكنه يُشعر به في كل لمسة، في كل حركة، في كل ابتسامة.
حين يكون التواضع في القلب، يظهر في اليدين وفي المشي،
في حديثك وفي سكونك.
هو عندما تضع نفسك في مكان الآخر دون تفاخر أو تظاهر،
وتقبل أن تكون جزءًا من الجميع، لا ترفع نفسك فوقهم بل تساويهم في أحترام.
التواضع لا يحتاج إلى كلمات لتُعلن عن نفسه،
لأنه ببساطة يُقال من خلال الفعل.
إنه الراحة التي تملأ الغرف دون ضجيج،
والأثر الطيب الذي يظل عميقًا في القلوب بعد أن تختفي الأجساد.
يتأصل التواضع في الروح، ولا يمكن أن يكون محض تصنع،
بل هو صفة يعيشها الإنسان، ويشعر بها الآخرون في حضوره،
حتى وإن لم يتحدث عن نفسه.
التواضع هو أن تشعر بالآخرين وتُقدّرهم دون انتظار مقابِل،
أن تضع نفسك في المكان الذي يليق بك في كل زمان ومكان،
وأن تتذكر دائمًا أنك لا شيء إلَّا بفضل الله تعالى ورحمته.

الغطرسة المقنّعة... تضر الناس وتُنفِّرهم من الدين

أحيانًا، قد نعتقد أن التميز في الدين يكون في التصرفات الظاهرة التي قد تُخفي وراءها قلوبًا قاسية لا تعرف الرحمة.

الغطرسة المقنَّعة، تلك التي تُقدَّم في قالب من الصرامة والتمسك بالشكل، تضر أكثر مما تنفع، هي خُدع تصنع قوالب صلبة من الدين وتُجبر الآخرين على أن يكونوا في صورة نمطية لا تعكس جوهر الدين العظيم.

كم من شابٍ عاد إلى الله بعد ضياع طويل، ثم شعر بالخذلان حين وجد نفسه بعيدًا عن تلك الصورة المثالية التي زرعناها في أذهانه، شعر وكأنَّ الله لا يقبله إلا إذا كان كما رسمنا له الدين، وركض بعيدًا، لأن صوته لم يكن يُسمع، وحلم قلبه لم يكن موجودًا في تلك الصورة.

كم من فتاةٍ تحجبت بصدق قلبٍ يبتغي القرب من الله، ولكن قوبل حجابها بجملٍ شديدة على شكلها، وُصِفت بالناقصة، وكأنَّ الحجاب مجرد قطعة قماش، وليس روحًا مُتجددة تهتم بالنية الطاهرة، فتسقط عزيمتها وتنطفئ شعلتها في لحظة، وتعود تائهة في بحر من الشكوك.

كم من تائبٍ صادق ارتفعت همته بعد ندمه، وملأ قلبه بالندم الصادق، لكن سرعان ما شعر بهدم روحٍ نقية حين نظر له الناس كأنه مبتدئ في طريق طويل، لم يعطوه سوى نظرة الاستخفاف على ماضيه، كأن توبته لم تكن كافية، وكأن روح التوبة لا تُقاس إلَّا بالأفعال الخالية من الأخطاء.

كل هذا يحدث عندما نبالغ في لبس عباءة الورع المُفرط ونفرط في رسم صورة طاهرة للآخرين بأنهم يجب أن يكونوا صورةً نمطية لما نظنه المثالية في الدين.

هذه الغطرسة المقنَّعة التي تضر الإنسان، تقمعه، وتجعله يشعر أن الدين مكان لا يتسع إلا للأشخاص "الكاملين"، بينما الحقيقة أن الدين هو الخلاص للقلوب التائبة، للنفوس الباحثة عن الراحة، للذين يبتغون القرب من الله بكل صدق وحب، بغض النظر عن الشكل.

التواضع الحقيقي هو أن نُظهر الرحمة، أن نُدرك أن الطريق إلى الله ليس ممهَّدًا لمن

يحمل صورة مغلقة عن الدين، بل لكل قلب ينبض بالحقيقة، للذين يتعثرون ويقومون، للذين يسيرون في الظلام ولكن أملهم بالله يضيء دروبهم.

التواضع هو أن نُقبل الناس كما هم، نُحبهم كما هم، دون أن نجعل الدين سجنًا نُقيدهم به، بل نبذل يد العون لهم ليعيشوا فيه بحرية، فيرتقي بهم الله.

كل هذا... لأننا لم نحسن التواضع، بل بالغنا في لبس عباءة الورع حتى خنقنا الناس بها..

دعاء الفصل:

اللهم إن كان في قلبي كِبرٌ لا أراه... فاكسره، وإن كنت أُظهر التواضع وأُخفي العُجب... فطهّرني... اللهم اجعلني ممن إذا رآه الناس تذكّروا الرحمة، لا ممن إذا رآه الناس شعروا بالدُّونية.

الفصل السابع: حين صرنا نحكم على الناس من لباسهم... لا من أخلاقهم

المظهر لا يُغني عن الجوهر...

والتقوى ليست في القماش، بل في القلب والسلوك

حين صار الحجاب عنوان الجنة... والثوب القصير علامة الضياع

- كم من فتاةٍ مُحتشمة الملبس... لكنها كسرت قلب أمها..
- وكم من شابٍ يلبس ثوب السُّنة... لكنه يجرّ الناس إلى الحزن والقطيعة.

- وكم من فتاةٍ لا تعرف الحجاب... لكن قلبها معلّق بالله، ترعى يتيمًا، وتواسي مكسورًا..
- وكم من شابٍ لا يبدو ملتزمًا... لكنه يغض بصره أكثر من شيخٍ يملأ المنابر!..

الخطر ليس في دعوة الناس إلى الحجاب والستر...

١- الحجاب ليس المقياس الوحيد للدين: الدين لا يُقاس بما نلبس فقط، الحجاب جزء من حياة المؤمن، ولكنه ليس هو الدين كله، التركيز على مظهر الفرد قد يبتعد بنا عن جوهر الدين.

٢- الخطر في حصر الدين في الشكل: عندما نحصر الدين في لباس معين، نخلق فجوة بين الناس ودينهم، هذا قد يجعل الكثيرين يشعرون بأنهم بعيدون عن الله لمجرد أنهم لا يرتدون الملابس التي يعتقد البعض أنها مقياس للإيمان.

٣- الملابس لا تعكس القلوب: الإيمان يبدأ من القلب، ولا يُقاس بالحجاب أو بالملابس التي نرتديها، القلوب هي التي تهتدي أولاً، ثم تتبعها الأفعال والمواقف التي تظهر النية الصافية.

٤- المواقف هي الأهم: الدين يتجلى في تصرفاتنا مع الناس، كيف نعامل الآخرين؟ هل نحن صادقين؟ هل نحن طيبين؟ هذه هي الأساسيات التي تُظهر قوة الإيمان، لا الملابس التي نرتديها.

٥- الأفعال هي التي تُثبت الإيمان: ما نفع الحجاب إن كان القلب بعيدًا عن الله؟ وما نفع التصرفات الجيدة إذا كانت مجرد نفاق؟ الإيمان الحقيقي هو الذي ينعكس في أفعالنا الصادقة وفي علاقتنا بالله.

٦- الرحمة والتواضع هما الأساس: لا يجب أن نقيم دين الآخرين بناءً على مظهرهم، بل على نواياهم وتصرفاتهم، يجب أن نتحلى بالرَّحمة ونتجنب الحكم على الناس بسبب اختياراتهم أو ملبسهم.

٧- دعونا نُعزز الإيمان في القلوب: أولويتنا يجب أن تكون دعوة الناس للاقتراب من الله، لا أن نزيد الفجوة بينهم وبين الدين بسبب الأحكام السطحية على المظاهر.

٨- الدين بحر واسع: الدين ليس مجرد لباس أو تصرفات ظاهرة، هو علاقة حقيقية مع الله، قلب نابض بالإيمان، ومواقف تنبع من الصدق والتقوى.

الخلاصة: التركيز على المظهر فقط قد يضل الناس عن الطريق الصحيح. لنفكر في الدين كرحلة تبدأ من القلب وتكتمل بالأفعال الطيبة، وعلينا أن نكون صادقين مع أنفسنا وألَّا نحكم على الآخرين بناءً على مظهرهم بل على نواياهم وأفعالهم.

المظهر مهم... لكن لا يكفي

نعم، الإسلام يُقدّر الستر، ويُحب الحياء، ويُعلّم الذوق في الهيئة.

لكن ما الفائدة من غطاء الرأس... إن لم يُغطِّ اللسان؟.

وما الفائدة من قصر الثوب... إن طال اللسان في أعراض الناس؟.

وما الفائدة من لحية كثيفة... إن كان الصدر مليئًا بالكِبر والحقد والعداوة؟.

المغالطة الكبرى:

"انظر كيف تلبس... ستعرف إيمانها"!

"ما دام بلا لحية، فإيمانه ضعيف"!

كأننا جعلنا الملابس مِيزان الجنة، وثياب الناس أدلّةَ الهداية

ونسينا أن الله قال: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾

لا أكثركم سَترًا ...ولا أشدكم مظهرًا!.

المقاييس الظالمة... تذبح القلوب وتُطفئ الرجاء

- فتاة بدأت تفكّر بالحجاب... لكن نظرات الاحتقار سبقتها.
- شاب تاب من ذنوبه... لكن أحدهم قال له: "تُكثِر من الصلاة؟ لكن شعرك طويل"!.
- أمٌّ تلبس ملابس عادية... تُحرم من مجلس الذكر لأن مظهرها لا يليق بالمكان!

يا عباد الله... لا تضعوا الناس في كفّة الميزان قبل أن تضعوا قلوبكم في كفّة الرَّحمة..

رسول الله ﷺ... لم يحكم بالمظاهر

رأى رجلاً أنيقًا، فوجد في قلبه نفاقًا

ورأى أعرابيًا أشعث الرأس، لو أقسم على الله لأبرّه

ومرّت جنازة، فقال الصحابة: "هذا رجل عظيم"، فقال ﷺ: "نارٌ والله"!

كان المعيار عنده ﷺ:"القلب، والنية، والسلوك"

الفارق بين النصيحة... والحكم على الناس:

الفعل	النصيحة الشرعية	الحكم الظالم بالمظهر
الدافع	الرحمة والإصلاح	الغرور والتفوق الزائف
الأسلوب	سرًّا، بلين، وبنية خالصة	علنًا، بجفاء أو سُخرية
الأثر	يُقرّب إلى الله تعالى	يُنفّر من الدين
النتيجة	ينبت في القلب حب الالتزام	يغرس في القلب الكره والنفور

الله تعالى لا ينظر إلى ثيابنا... بل إلى قلوبنا

قال ﷺ: " **إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** " رواه مسلم..

ماذا خسرنا حين حاكمنا الناس من مظهرهم فقط؟

- خسرنا دعوةً كان يمكن أن تُنقذ قلبًا من الغرق... لكننا أهدرناها لأن "الحجاب ليس كاملًا" أو "اللحية ليست بالشكل المطلوب".
- خسرنا شابًا كان يصلي خاشعًا في الظل... لأنه حين اقترب من أهل الدين، سمع: "هذه قصة شعرك لا تليق بمسلم".
- خسرنا فتاةً كانت تكتب في دفترها: "يا رب، خذ بيدي"... لكنها مزّقت الصفحة، لأن مَن ظنّتهم أهل الله... نظروا لها من رأسها إلى قدمها، لا إلى قلبها.
- خسرنا جيلاً بأكمله... ظنّ أن الدين "زيّ خارجي"، لا قلبٌ يُطهَّر، ولا نفسٌ تُزكّى.

▯ خسرنا الثقة بين الناس والدين... حين صار بعض المتدينين يتعاملون كأنهم قضاة الله على الأرض، لا عباده الراجين رحمته.

▯ خسرنا صورة الإسلام الحقيقية... حين لبسنا الورعَ في مظهرنا... وخلعناه في تعاملنا، وتواضعنا، ورفقنا بالناس.

▯ خسرنا لحظةً كان فيها الله يفتح قلب عبدٍ نحوه... لكننا أغلقنا الباب عليه بكلمة، أو نظرة، أو احتقار صامت.

▯ خسرنا حقّ الله في أن يَهدي من يشاء، متى يشاء، كيفما يشاء... وجعلنا أنفسنا حُرّاس بوابة الجنة، نقبل من نراه "لائقًا".

النتيجة:

- الناس هربوا من الله ...لأننا وقفنا في الطريق.
- الدين صار يُخيفهم ...لأننا نسينا أن نُحبهم أولًا.
- وربّما... يعودون إلى الله يومًا... لكنهم لن يعودوا إلينا أبدًا.

دعاء الفصل:

اللهم لا تجعلنا من الذين يُنفرون الناس عنك، ولا من الذين يُطفئون نورك بثيابٍ لا تغطي قسوة قلوبهم، اللهم اجعل لباسنا سترًا لا غرورًا، واجعلنا نرى الناس ببصيرةٍ... لا بعين حُكمٍ زائف.

الفصل الثامن: تدين المساجد فقط.. وإهمال البيت والعمل

لماذا نصبح ملائكة في المساجد... وشياطين في بيوتنا؟

هذا ليس تدينًا... هذا تمثيل!

- تراه في المسجد خاشعًا باكيًا... لكنه في البيت غاضبٌ قاسٍ
- تراه يصلي الصف الأول... لكنه يظلم زوجته، ويقسو على أطفاله
- تراه يُكثر من "جزاك الله خيرًا"... لكنه يصرخ على والدته إن أزعجته لحظة!.
- تراه يخطب عن الأمانة... لكنه يغش في تجارته أو يتقاعس عن عمله

ما هذا التناقض؟ هل الدين هو عبادة في المساجد...

أم حياة كاملة تمشي بها القلوب في كل مكان؟..

ما قيمة الصلاة... إن لم تُصلح خُلقك؟

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ** ﴾

ما نفع ركوعك... إذا بقي كبرياؤك مرفوعًا؟

وما نفع سجودك... إن لم يضعف فيه كِبر قلبك؟

ما قيمة أن تضع جبهتك على الأرض... ثم ترفع لسانك على الناس؟

ما فائدة قولك "الله أكبر" في كل ركعة...

إن كان الهوى والغرور في قلبك أكبر من أمر الله؟

ما جدوى أن تبكي في الصلاة...

ثم تؤذي زوجتك، أو تظلم زميلك، أو تغتاب الناس بعد التسليم؟

ما معنى أنك تقول: ﴿ **ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ** ﴾

وأنت ترفض أن ترى اعوجاجك، أو تعترف بخطئك؟

ما قيمة أن تصلي خمس مرات يوميًا...

دون أن تصل مرةً واحدة إلى خُلق من أخلاق رسول الله ﷺ؟

إن لم تنهَك الصلاة عن الفحشاء والمنكر...

فليس العيب في الآية... بل في صلاتك! هناك خللٌ ما...

- إما في فهمك للصلاة.
- أو في حضور قلبك فيها.
- أو في صدق علاقتك بمن تقف أمامه.

تذكَّر:

الصلاة ليست مجرّد أداء... بل إعادة بناء... ومن لا يرى أثر الصلاة في خُلقه... فقد صلّى جسده، ولم يُصلِّ قلبه!..

التدين الحقيقي لا يظهر في السَّجادة... بل في:

١- ردّك على من أغضبك..

٢- حديثك مع زوجتك حين تخالفك..

٣- نزاهتك حين لا أحد يراقبك..

٤- شفقتك على والديك وقت الضيق..

٥- نُبلك مع من لا مصلحة لك معه..

هذا هو الإيمان... لا أن تبكي في المسجد، وتُجفف دمعك بالعصبية في بيتك.

المغالطة الكبرى:

"أنا ما عليّ من الناس... بيني وبين ربي"!

لا يا صاحبي... بينك وبين الله يبدأ من بينك وبين عباده.

فإن كنت قاسيًا في بيتك... فأنت لست قريبًا من الله.

وإن كنت تهين زوجتك... فأنت بعيد عن سنة نبيك.

وإن كنت تستغل عباداتك لتُشعر الناس أنك خيرٌ منهم... فالله لا يقبل ذلك.

الفارق بين المتدين الحقيقي... والمُزيّف:

الموقف	المتدين الحقيقي	المتدين الظاهري
في المسجد	خاشع، متواضع	خاشع، متظاهر
في البيت	رحيمٌ، صبور	قاسٍ، كثير الصراخ
مع الوالدين	بارّ، مُنصت	مزعج، كثير الجدل
في العمل	أمين، منضبط	متكاسل، متحايل
في الغضب	يضبط لسانه	ينهال بالسباب أو الصمت القاتل

الدين لا يُختبر في المساجد... بل في الخفاء

- الدين لا يُقاس بطول الدعاء... بل بثباتك حين لا يُستجاب.
- لا يُقاس بحلاوة صوتك في القرآن... بل بحلاوة أخلاقك حين تختلف مع الناس.
- لا يُختبر حين تُبكي الناس بكلماتك... بل حين تُرضي الله بأفعالك في وحدتك.

- لا يُختبر في المسجد حين تُحسن الركوع والسجود... بل في بيتك، حين تُحسن المعاملة وتكفّ الأذى.
- الدين لا يُختبر حين تكون محاطًا بالناس... بل حين تكون وحدك... والجوال مفتوح... والنية على المحك.
- الإيمان الحقيقي يظهر في الخفاء:
  - في نظافة قلبك... لا نظافة ثوبك.
  - في صدقك مع الله... لا صورتك أمام الناس.
  - في سلوكك مع من لا يملك أن يردّ عليك.
- ليس الخشوع أن تُخفض صوتك أمام الناس... بل أن تُخفض قلبك أمام الله... دون جمهور، دون تصوير، دون رياء.

والنتيجة:

إن أردت أن تعرف مقامك عند الله... فانظر إلى نفسك حين تختفي عن أعين الناس... فهناك فقط... يتجلّى الدين، وتُكشف القلوب.

حيث يظهر "الخلق"... لا "الخشوع المصطنع"

رسول الله ﷺ في بيته.. كما لم نرهُ من قبل:

لم يكن نبيًّا فقط أمام الجموع... بل كان نبيًّا في أدق تفاصيل البيت: في المطبخ، في الغرفة، في ملاعبة أهله، وفي السكينة.

- كان يخيط ثوبه بيده... لأنه لم يرَ في الرجولة استعلاءً على خدمة النفس.
- كان يخدم أهله... لا لأنهم عاجزون، بل لأنه عظيم.
- كان يلاعب زوجاته... لأن الحب في بيته كان عبادة... لا عادة.
- كان بيته يشهد لعظمته... قبل أن يشهد له المنبر، والسيف، والمحراب.
- كان يضحك معهن، ويُصغي لهن، ويواسيهن... لأنه يعلم أن "خيركم...

خيركم لأهله".

- كان الليل عنده سَكينةً في البيت، لا صراخًا، ولا تجاهلًا... بل سُجودًا، ومناجاةً، وقلوبًا مطمئنة.

" لم يكن في بيته "زعيمًا" يُعطي الأوامر... بل عبدًا لله، يُحبّ ويَرحم ويُحاور"

الرسالة:

إن أردت أن تقتدي بالنبي ﷺ... فلا تنظر فقط إلى مواقفه في المعارك أو الخطب، بل انظر كيف عاش في البيت... فهناك كانت نبوّته أرقى، وأقرب، وأصدق.

لماذا أبناؤنا لا يحبون الدين؟

١- لأنهم سمعوا الإمام يقول: "إن الله رحيم" ثم سمعوا في البيت: "أنتَ عارٌ عليَّ"!..

٢- لأنهم رأوا في المسجد ابتسامة الخطيب... ثم رأوا في البيت وجهًا غاضبًا لا يبتسم أبدًا.

٣- لأنهم تعلموا في المدرسة أن الله غفور... ثم عوقبوا في البيت كأنَّ الرحمة خيانة.

٤- لأنهم قرأوا عن النبي ﷺ أنه كان يلاطف الأطفال... ثم لم يجدوا من يُربّتُ على رؤوسهم حين أخطأوا.

٥- لأنهم حفظوا حديث: "بشّروا ولا تُنفروا".. ثم نُفّروا من الصلاة بالصراخ، ومن الحجاب بالإهانة، ومن الطاعة بالتهديد.

٦- لأنهم رأوا الدين جميلًا في دروس القرآن... ثم رأوه سجنًا في بيوتهم، يُستخدم للعقاب والتسلّط.

فخلطوا بين الدين... وبين مَن يلبسه.

وكرهوا الطريق... لأنَّ الدليل كان قاسيًا.

النتيجة:

أبناؤنا لا يهربون من الله... بل من نموذج مُشوَّه لبس عباءة الدين، ولم يعرف الله أصلًا.

الحلّ:

كن في بيتك رحمة تمشي على الأرض.. ليعرفوا أن الدين هو أجمل ما يُمكن أن يُحب.

دعاء الفصل:

اللهم لا تجعلنا من الذين يعبدونك في المساجد... ويعصونك في البيوت، ولا من الذين يُكثرون من ذكرك في العلن... وينتهكون حقوق الناس في الخفاء، اللهم اجعلنا عبادك في كل مكان، وشهودًا لك على الأرض... لا شهودًا على أنفسنا في يوم الدين.

الفصل التاسع: التدين الانتقائي... نُقيم الليل ونأكل أموال الناس

هل صار الدين "اختيارات مزاجية"؟

نُحب آيات الجنة، وننسى آيات الأمانة؟

نُباهي بقيام الليل، ونتهرّب من ردّ الحقوق؟

هذه هي المغالطة العظمى:

أن نُفصّل الدين على مقاسنا... لا على مراد الله!

١- نصلي ونصوم...لكن لا نُعيد الحق لأصحابه، وكأنَّ الصلاة تُسقط المظالم!
٢- نتصدّق أمام الكاميرات... ثم نأكل حقوق الناس خِفية، وكأن الصدقة تمحو الخيانة!..
٣- نُطيل السجود في المحراب... ثم نكذب في المعاملة، ونغدر في البيع، وكأنَّ العبادة تعوّض انعدام الأمانة!
٤- نحفظ القرآن غيبًا... لكننا نُهين الورثة، ونحرم الضعفاء من حقهم، وكأن الحفظ شهادة صلاح!..
٥- نغضب للدين في المظاهر والشعائر... لكننا لا نغضب لله حين يُظلم عبدٌ أو تُهان أرملة.
٦- نلبس زيّ "الملتزمين..." لكن نغتاب ونحتقر ونُقصي الناس كأننا وُكّلنا بالجنة والنار!..

والسؤال المزلزل:

أيّ دين هذا؟ أهو ديننا نحن؟ أم دين الله الذي أنزله ليُصلح الأرض والقلوب؟..

الرسالة:

ليس الدين ما نُجيده... بل ما نخشاه، ونُحاسب به أنفسنا، ونُطهّر به قلوبنا من الغرور... فدين الله تعالى... لا يُنتقى، بل يُتّبع كله.

آية المنافق الكبرى:

قال الله تعالى:﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ** ﴾

هو لا يعبد الله تعالى... بل يعبد هواه باسم الله!

- يُصلّي ويصوم... لكن لا يلتزم إلا بما يُوافق رغباته ومزاجه.
- يُحدّثك عن الحلال والحرام... فإذا وصل الدين إلى ماله، أو حبيبته، أو

مكانته... بدأ يُحرّف ويُؤوّل ويعتذر لنفسه بلا نهاية.

- يحب الفتاوى التي تُعجبه... ويحتقر النصوص التي تُلزمه.
- إذا جاءه أمر الله...
  - فإن وافق هواه: قال سمعنا وأطعنا..
  - وإن خالف هواه: قال "لا يُناسبني، ليس وقتُه، هذه مسألة خلافية"
- هواه هو المفتي الأكبر في حياته... يحلّل، ويحرّم، ويختار، ويرفض... ثم ينسب كل ذلك إلى الله زورًا!؟؟
- قد يُظهر الدين في هيئته... لكنه في الحقيقة يسجد لهواه خمس مرات في اليوم!.

الخطر الحقيقي:

ليس أن تعصي الله... بل أن تُلبس المعصية لباس الطاعة.. وأن تُدين بهواك... وتُسمي ذلك "إسلامًا!"..

الرسالة:

هذا ليس توحيدًا... هذا عبودية مُقنّعة للهوى! وذاك هو أعظم أصنام العصر... أن يُصبح الهوى "إلهًا" يُطاع أكثر من ربّ العالمين.

أمثلة من الواقع: حين يصبح الدين على المزاج... لا على الوحي:

أمثلة من الواقع... تفضحنا قبل أن تُعلّمنا

١- تجده يُنكر على ابنته الحجاب، ويقول: "حرية شخصية... المهم القلب"! ثم لا يتردد في اغتيال الناس بالغيبة... وكأن الألسنة لا تُحاسَب!

٢- يحتج على الربا بأنه "ضرورة العصر" ويُبرّره بأنه نظام عالمي... لكنه إن تأخر عليه أحد بدينٍ صغير... أقام الدنيا ولم يُقعدها!.

٣- يشتم الفاسقين، ويشمت في أهل المعاصي... ثم يعود لمكتبه، ويُمرّر أوراق الرشوة، أو يسرق الوقت، أو يزوّر التقارير.

٤- يغضب إن لم يقف الناس له احترامًا، أو لم يُسلّموا عليه بأدب... لكنه لا يُسلّم على عمّاله في الورشة، ولا ينظر في وجوههم!

٥- ينادي بالشريعة في الشعارات... لكنه يختفي حين يُطلب منه ردّ مظلمة، أو إنصاف خصم، أو الاعتراف بخطأ.

الخلاصة:

الدين ليس حبلًا تشدّه حيث تشاء.. وليس عُلبة انتقائية تأخذ منها ما يعجبك... الدين وحيٌ... لا مزاج.

والدرس:

من أراد أن يعيش بدين الله... فليُسلّم له في كل شيء، لا فيما يوافق هواه فقط.

هذا ليس إيمانًا... هذا تحكّم في الوحي:

الدين الحقيقي: أن تقول لله "سمعتُ وأطعت"

لا "سمعتُ ما يروق لي... ورفضتُ ما يزعج راحتي!"

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾

التدين الانتقائي يُدمّر الروح:

لا يُقرّبك إلى الله... بل يُبعدك وأنت تظن أنك تقترب!

١- يُدخل صاحبه في الرِّياء الخفي... لأنك تُظهر جانبًا واحدًا من الدين،

وتخفي الجوانب التي تُزعج هواك.

٢- يجعلك تعيش في راحة كاذبة... تُصلي وتصوم... ثم تظلم، وتغتاب، وتكذب، وتقول: "أنا من أهل الطاعة".

٣- يُبرر لك أخطاءك بـ "نصوص شرعية" ملوّنة... تأخذ منها ما يُريحك، وتُقصي ما يُقلقك... فتعبد نفسك باسم الله!..

٤- يُميت قلبك ببطء... لأنك لا تتوب... بل تُبرر، لا تبكي على خطيئتك... بل تُنكرها بلغة الدين.

٥- يصبح التدين عندك قناعًا جميلًا... يخدع الناس، ويُخدع به قلبك، حتى لا تعود تميز بين الحق والهوى!.

والنتيجة:

قلب لا يتأثر... لأنه أقنع نفسه بأنه "على صواب دائمًا".

وتلك هي الطامة الكبرى ...أن تضلّ وأنت تظن أنك مُهتدٍ..!

الرسالة:

ليس التدين أن تختار من الدين ما يُعجبك، بل أن تُسلِّم لله تسليمًا، وتخاف من كل خلل يوافق هواك.

واحذر: أن تكون ممن قال الله عنهم: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ** ﴾ فأصبح يعبد نفسه... وهو يحسب أنه يعبد الله.

رسول الله ﷺ لم يكن "منتقيًا":

بل كان عبدًا وافيًا... يُسلِّم لكل أمر جاء من الله تعالى..

- ﷺ كان رفيقًا في الرَّحمة... لكنه لم يكن ضعيفًا في الحق.
- ﷺ كان ليّنًا مع الضعفاء والمساكين...

لكنه شديدٌ قاطعٌ في وجه الظالمين والمعتدين.

ﷺ لم يُساوِ بين المواقف... فكل سلوكٍ عنده كان موزونًا بميزان الوحي، لا بميزان المزاج والناس.

- ﷺ لم يتنازل عن واجب شرعي... حتى حين عارضه الأحبّة، أو استثقلته النفوس.
- ﷺ لم يكن يُعامل الناس بردود فعل شخصية... بل بمراد الله، سواء أرضَته المواقف أو أغضبته.
- ﷺ كان يكره الانتقاء في الدين... فقد قال الله له: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ** ﴾ والنبي ﷺ كان أول من يُجسّد الإيمان بكل الكتاب.
- ﷺ كان نبيًّا في البيت، والسوق، والمسجد، والمعركة، والمجلس، والطعام، واللباس... لأنه لم يكن يُمارس الدين كموسم... بل يعيشه عبوديةً كاملة.

الرسالة:

التدين الحق... أن تسير على خُطى نبيّ لم ينتقِ من الوحي، بل انقاد له كلما نزل، وخضع له كلما أُمِر، ووقف عنده كلما نُهي.

مقارنة بين المتدين الحق... والمتدين الانتقائي:

السلوك	المتدين الحقيقي	المتدين الانتقائي
الصلاة	يصلي بخشوع ويُصلح سلوكه	يصلي ويظلم أهله وموظفيه
الصدق	صادق في كل موقف	صادق حين يناسبه فقط
الإنصاف	يُنصف حتى مع عدوه	ينحاز دائمًا لحزبه أو مصلحته

الأمانة	يؤديها في العلن والخفاء	يُضيّعها حين لا يُراقبه أحد
قبول الحق	يقبله وإن كان عليه	يرفضه إن لم يناسب مزاجه

التدين الانتقائي... أشد خطرًا من المعصية الظاهرة:

لأنه ليس فقط معصية... بل خداعٌ باسم الطاعة!..

١- صاحب المعصية الظاهرة قد يعترف بخطئه... فيتوب، أما المنتقي من الدين... فيحسب نفسه على صواب دائمًا!..

٢- يظن نفسه وليًّا لله... وهو يظلم أهله، ويأكل الحقوق، ويتكبّر على الناس.

٣- يُنكر على الناس أخطاءهم... وهو غارق في مثلها أو أسوأ، لكنه لا يرى نفسه أبدًا في مرآة النصح.

٤- يدعو للدين أمام الناس... لكنه لا يلتزم إلَّا بما يخدم مصلحته، أو يرفع من صورته، أو يُرضي غروره.

٥- يُحبّ آيات الرحمة حين يحتاجها، ويُغفل آيات العدل حين يُحاسَب، ويُهمّش آيات الحلال والحرام حين تُقيّده.

٦- يُردّد دائمًا: "الدين يُسر..." لكنه يقصد: "الدين حسب مزاجي، لا حسب الوحي"!.

٧- والله تعالى فضح هذا الصنف فقال: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ** ﴾ فهذا ليس إيمانًا... بل انتقاء يفضح خلل القلب.

الخلاصة: المعصية الظاهرة تحتاج توبة أما التدين الانتقائي... فيحتاج هزة قلبية توقظه من الغرور المُقنَّع!.

دعاء الفصل:

اللهم لا تجعلنا ممن يعبدونك بأهوائهم، ولا ممن يختارون من دينك ما يُناسب رغباتهم، اللهم اجعلنا ممن يقولون: سمعنا وأطعنا، وأحينا على دينك الكامل... لا على تدين ناقص كاذب.

الفصل العاشر: حين أصبح الدين "واجهة للشهرة"... لا "سرًّا بينك وبين الله"

هل نُصلّي لله... أم نُصلّي أمام الكاميرا؟

هل نحفظ القرآن... أم نحفظ عدد الإعجابات؟

هل نكتب عن الله... أم عن أنفسنا؟

حين صار الإخلاص يُقاس بالمشاهدات

انقلبت الموازين... وسقط كثيرون وهم يبتسمون أمام الكاميرا!..

١- في زمن انكشفت فيه الوجوه... اختبأت القلوب.

٢- لم نعد نسمع صوت القلب في العتمة... بل صدى الكلمات في العلن، والمقاطع التي تُمنتَج أكثر مما تُخلص.

٣- كثُر الدعاة... لكن قلّت الدعوة التي تبكي الليل، وتتخفى عن الأضواء.

٤- كثُرت المقاطع المؤثرة... وقلّ البكاء في الأسحار، والركعات التي لا يراها أحد.

٥- كثُرت الصور الملتزمة... وقلّ العمل الخفي الذي لا تعلمه كاميرا، ولا جمهور، ولا حتى النفس!..

٦- أصبح الميزان: "كم لايك؟ كم مشاهدة؟ كم مشاركة؟" وليس: "كم خضوعًا؟ كم صدقًا؟ كم همسًا لله في جوف الليل؟"..

٧- والخطر الأكبر: أن نعتقد أننا ندعو إلى الله... بينما نحن ندعو إلى أنفسنا، ثم نضع اسم الله تعالى فوق المقطع!.

الرسالة:

الإخلاص لا يُرى في العدسات... بل في سجدة لا يراها إلَّا الله سبحانه وتعالى... الدعوة الحقيقية تبدأ من دمعة خفية... لا من إعلان ممول.

الفرق بين الدين لله... والدين للعرض:

السلوك	المتدين المخلِص	المتدين الاستعراضي
الصلاة	يُطيلها في خفاء، ويبكي بينه وبين الله تعالى	يصلي أمام الناس بخشوع ظاهري فقط
الصدقة	يُخفيها عن أعين الناس	يُعلنها في البث أو التصوير
العلم والدعوة	يقصد بها وجه الله فقط	يقصد بها الشهرة، أو الإعجاب
ردة الفعل عند التجاهل	لا يهمه من رأى أو لم يرَ	يغضب إذا لم يتفاعل الناس
التقييم الحقيقي	يسأل: هل قبِلها الله تعالى؟	يسأل: كم نال من مشاهدات؟

السؤال الجوهري:

- لماذا أفعل هذا؟
- من هو جمهوري الحقيقي؟
- الله تعالى... أم الناس؟

قال رسول الله ﷺ: " أوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى يَومَ القِيَامَةِ عليه... رَجُلٌ تعلَّمَ العِلْمَ، وعلَّمَه، وقَرَأَ القُرْآنَ... فيُؤتَى به، فيُعَرِّفُه نِعَمَه، فَيُقِرُّ بها، فيَقولُ: ما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ، وعَلَّمْتُه، وقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، فيَقولُ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقالَ: عَالِمٌ، وقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقالَ: هو قَارِئٌ... فَقَدْ قِيلَ "رواه مسلم..

الدِّين ليس مشروعًا إعلاميًّا... بل عهدًا خفيًّا مع الله تعالى:

١- ليست كل لحظةٍ روحانية قابلة للنشر: بعض اللحظات... خُلقت لتكون بينك وبين الله فقط.

٢- ليست كل دمعة تُوثَّق.. لأن أنقى الدموع... لا تحتاج جمهورًا، بل سجدة فقط.

٣- ليست كل صدقة تُعلَن: فالصدقة التي تهمس بها يدُك اليمنى... أعظم من آلاف الفيديوهات.

٤- ليست كل ركعةٍ تُصور، ولا كل دعاءٍ يُسجَّل، ولا كل خلوةٍ تُعلَن: بعض القربات تذبل إن أُخرجت من الخفاء إلى العلن.

٥- بعض الأعمال لا تكتمل إلَّا إذا كانت:
خاصة... صامتة... مقدّسة... لا يعرفها إلَّا الله.

٦- الدين ليس حملة دعائية... بل عهد وفاءٍ في الخفاء، بين عبدٍ فقير وربٍّ

غني.

٧- ومن ذاق لذّة الطاعة في السر... لن يستبدلها بالتصفيق في العلن أبدًا.

الرسالة:

حافظ على لحظاتك الخفية... فهي رأس مالك الحقيقي، يوم ينكشف كل مستور.

مخاطر "العبادة أمام الناس"... حين يغيب السر:

وتتحول الطاعة إلى عرض... لا قرب

١- تتحوّل العبادة إلى استعراض... بدل أن تكون خضوعًا لله، تصبح مشهدًا للناس!..

٢- يتحوّل الدعاء إلى أداء صوتي... تُحسن النبرة... وتنسى أن القلب هو الذي يُستجاب له، لا الحنجرة.

٣- يتحوّل القرآن إلى خلفية في مقطع جميل... لكنه لا يُحرّك الروح، ولا يُخيف القلب، ولا يُصلح النفس.

٤- تتحوّل الدموع إلى زينة الشاشة... بدل أن تكون زينة المحراب الخفي، الذي لا يراه أحد إلا الله.

٥- ثم لا يبقى من الدين إلا: صوت، وفلتر، وتعليق، بينما الجوهر... قد تسرّب، وضاع في الزحام.

انتبه:

- الإخلاص لا يُرى بالكاميرا...
- والخشوع لا يُقاس بعدد المشاركات...
- والله تعالى لا ينظر إلى جودة التصوير...

- بل إلى صدق الوجع في قلبك وأنت تطيعه.

الرسالة:

أحيِ لحظاتك التي لا يراها أحد...
فإن لم يكن لك سرٌّ بينك وبين الله
فخَف أن لا يبقى لك شيءٌ عنده.

هل السوشيال ميديا حرام؟...

لا... لكنها قد تسرق إخلاصك وأنت تظن أنك تدعو إلى الله!.

- تصبح خطرًا... إذا صارت الدافع للدين هو الترند، لا الإيمان.
- تصبح خطرًا... إذا صار المقياس للتقوى هو عدد المتابعين ...لا صدق القلب مع الله.
- تصبح خطرًا... إذا صارت منصة للذات ...بدل أن تكون منبرًا لله وحده.
- تتحوّل المنشورات إلى مرايا نرجسية... نقيس فيها تأثيرنا، لا أثر القرآن فينا.
- تتحوّل المواعظ إلى عروض مرئية... يُتقن فيها الأداء... ويُنسى الخشوع!
- ثم لا يبقى من الدين إلَّا: هاشتاغ، ومشاهدات، وتعليقات... بينما النية تآكلت، والصدق خفت، والسرّ انطفأ.

انتبه:

الإخلاص لا يُقاس بالانتشار... والقبول لا يُقاس بالشُّهرة... والله تعالى لا يُخدع بالمؤثرات... بل ينظر إلى من بقي صادقًا... حين لم يكن أحد يشاهده.

الرسالة:

اجعل "سرك مع الله" أعظم من كل مقطع نشرته، فإن لم يكن لك رصيدٌ في الخفاء... فخَف أن تكون مفلسًا يوم اللقاء.

من سُنّة النبي ﷺ أن تُخفي عبادتك:

فالعبادة الصادقة لا تبحث عن جمهور، بل عن القَبول.

١- كان ﷺ يقوم الليل طويلًا... لا يراه أحد، لا يُسجِّل نفسه، لا يُخبر الناس بعدد ركعاته.

٢- كان يُبشّر من يبكي من خشية الله في الخفاء.. لأنه يعلم أنَّ الدمعة في الخلوة ...أصدق من ألف مشهد في العلن.

٣- قال ﷺ: "**سبعةٌ يُظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه**... وذكر منهم: "**رجلٌ ذكر الله خاليًا... ففاضت عيناه**".

٤- لم يكن ﷺ يُحب أن يُظهر عبادته، بل كان يُخفي صدقَه، وذكره، وخشوعه... لأنها لحظات لا تكتمل إلَّا إذا كانت بين العبد وربه.

تذكير نبوي:

ليس كل عبادة تُقال... وليس كل دمعة تُنشَر... فبعض القربات تُزهِر فقط ...حين تُخبّأ في خلوةٍ لا يعلم بها إلَّا الله.

الرسالة:

اقتدِ بسُنّته ﷺ... فما خفي من عبادتك... هو أعظم ما يُوزن لك يوم تلقى الله.

دعاء الفصل:

اللهم اجعل أعمالنا خالصةً لوجهك، واجعلنا نخشاك في السِّر كما في العلن، ولا تجعل نصيبنا من أعمالنا... إلَّا مرآة الناس... اللهم اجعل لنا عبادات لا يعرفها أحد، وابنِ لنا بها قصرًا في الجنّة...

الفصل الحادي عشر: حين صار الدين انشغالًا بالشكل... لا صراعًا ضد النفس!

لحيةٌ طويلة... لكن نفسًا متعجرفة..

جلبابٌ قصير... لكن قلبًا مملوءًا حقدًا..

سجادةٌ فاخرة... لكن نيةً فارغة

أهذه هي التقوى؟ أم هذه مجرد واجهة لا تكشف عمق الطريق إلى الله؟

التدين الحقيقي... ليس زيًّا خارجيًا، بل صراع داخلي:

هو معركة القلب... لا عرض الصورة.

- الدين لم يكن يومًا "شكلًا" أو "لباسًا": بل هو صراع بينك وبين نفسك حين يغلي الغضب في صدرك... وتختار الصمت لله.
- هو خضوع القلب... في لحظةٍ لا يراك فيها أحد، ولا يسمعك فيها جمهور، سوى الله سبحانه وتعالى.
- هو دمعة خفية... تكسر كبرياءك، لا تسقط لأجل التصوير أو التأثر العابر.
- هو صدقٌ في النية... لا يعلم به أقرب الناس إليك.

قال ابن القيم رحمه الله: "جهاد النفس أربعة مراتب... لا يتمّ إلَّا بها":

١- أن تجاهدها على تعلم الحق.

٢- وعلى العمل به.

٣- وعلى الدعوة إليه.

٤- وعلى الصبر عليه.

انتبه:

أن تلبس الدين ...أسهل من أن تعيشه، فالتدين الحقّ لا يُرى في الصور، بل يُختبر:

- في الشهوة..
- في الغضب..
- في المظالم..
- في الخلوة..

الرسالة:

لا تنشغل بصورة الصَّلاح... وانشغل بجوهر الصدق، فالله تعالى لا يسألك: "كم أُعجِب بك الناس؟"... بل:"كم خضعت لي حين لم يكن أحدٌ يراك؟".

المغالطة الشائعة:

"أنا متدين... لأني ألبس كذا، وأُطلق لحيتي، وأحفظ جزءًا من القرآن"...

الدين أكبر من ذلك بكثير!.

الدين هو أدبك مع الله حين يُؤخّر استجابة دعائك

الدين هو أدبك مع الناس حين لا يردون إحسانك

الدين هو طهرك الخفي حين تنهزم نفسك، وتقوم باكيًا لتعود

الفرق بين الشكل والجوهر

المظهر الديني	لا بأس به إن صدق الباطن
اللحية – اللباس – السجادة	نعم، لكن لا تكفي!
العلم – الخطابة – الدعوة	نعم، لكن أين العمل؟
كثرة العبادات	عظيمة، لكن ماذا عن التواضع؟
الصمت عن الغيبة	حسن، لكن ماذا عن الكِبر؟

أخطر ما قد يحدث: أن تظنّ أنك قريب من الله... فقط لأنك تبدو كذلك في أعين الناس!.

قال الحسن البصري:

"الإيمان ما وقر في القلب، وصدّقه العمل"

فإن لبستَ لباس التقوى... لكنك لم تُجاهد نفسك، ولم تُهذّب قلبك، ولم تترك المعصية في الخفاء... فما لبستَ إلّا ثوبًا... وخلعت الحقيقة.

- لأنَّ الإيمان ليس مجرد كلمات تُقال، ولا لباس يُرتدى، بل هو جهادٌ داخلي... لا يراه أحد إلّا الله.
- هو دمعةٌ في الخفاء، وإصرارٌ على الصدق، وقوةٌ في مقاومة الهوى، وخشوعٌ في لحظة لا جمهور فيها.

من ظنّ أنَّ الإيمان هو المظهر فقط... فقد جعل الدين قشرة، لا جذعًا، وظلًّا، لا نورًا.

الرسالة:

التقوى لا تُرتدى... بل تُولد من خشية الله.

فإن غلبك الظاهر... فتُبْ، وجاهد، وعُد إلى الجوهر...
فالله لا ينظر إلى ثيابك... بل إلى قلبك الذي يخافه.

أين تكمُن خطورة الانشغال بالمظهر؟

في أنه يُخدّرك... وأنت تظن أنك تقترب من الله!..

١- لأن المظهر يُغشّي بصرك عن عيوب نفسك... فتُكثر من النظر إلى المرآة... وتقلّ من النظر إلى قلبك.

٢- لأنك حين تهتمّ بالمظهر فقط... تشعر أنك "أنجزت"، بينما الحقيقة: أنت ما زلت واقفًا على باب البداية... دون أن تخطو.

٣- لأنَّ المظهر يمنحك ثقةً كاذبة أنك من "أهل الله..." فقط لأنك تبدو كذلك.

وهنا الخطر الأكبر: أن تتجمّل في الدين أمام الناس، بينما داخلك يتآكل... ولا أحد يُصلحه... فتُصبح كما قال ابن الجوزي:

"كالسراج يُضيء للناس، ويحرق نفسه"

الرسالة:

لا تنخدع بالمظهر... فالله تعالى لا يسألك: "كيف تبدو؟"..
بل يسألك:"كم خضعت؟ كم تُبت؟ كم جاهدت نفسك؟"..

من مظاهر الانشغال بالشكل لا بالجوهر:

أن تُمسك ظاهر الدين... وتغفل عن لبّه..

١- تصوير المصحف... دون أن تفتحه بقلبٍ يقرأ، أو عقلٍ يتدبّر.

٢- حفظ الأحاديث... دون أن تتحرّك بها الجوارح، أو تتغيّر بها الأخلاق.

٣- كثرة الكلام عن الدين... مع قلة العمل بالدين!..

٤- الحديث عن سنن الهيئة... مع تجاهل فرائض السلوك:

كالعدل، والتواضع، وردّ المظالم، والتوبة، والإخلاص.

٥- الاهتمام بجمال الصوت في الأذكار... مع نسيان أن الذكر الحقيقي :ما حرّك القلب، لا فقط اللسان.

٦- معرفة تفاصيل "كيف كان ﷺ يلبس نعله..." مع جهل "كيف كان يعفو، ويصبر، ويجبر القلوب".

النتيجة:

- صورة جميلة... لكن الروح فارغة.
- صوت عالٍ... لكن القلب ساكت.
- عباءة تَدَيُّن... لكن تحتها نفسٌ لم تتطهّر بعد.

الرسالة:

الدين ليس زخرفة ظاهر... بل بناء باطن.

وليس الفلاح لمن بدا مُتدينًا... بل لمن خاف الله تعالى حين لم يره أحد.

لماذا صار الشكل هو المعيار؟

لأننا ابتعدنا عن منطق الله تعالى... وركضنا وراء منطق الناس.

١- لأنَّ الشكل يُلاحَظ فورًا... بينما الجوهر يحتاج وقتًا، وصبرًا، وتأمّلًا، وصدقًا لا يُرى بسهولة... لأن الناس يحبون الانطباعات السريعة... ولو كانت كاذبة، خادعة، سطحية!.

٢- لأننا أصبحنا نبحث عمّن "يُشبه الصالحين..." لا عمّن يعيش الصلاح في سره وسريرته.

٣- لأننا نسينا ميزان الشرع الإلهي... الذي لا يُعير الصورة اهتمامًا، بل ينظر إلى ما خفي من العمل والنية.

قال ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" رواه مسلم.

الرسالة:

لا تخدعك المظاهر... فكم من صورةٍ قُدّست... وقلبٍ عند الله ميت.

وكم من هيئةٍ حُكم عليها... وصاحبها في الخفاء من أولياء الله!.

الدين ليس استعراضًا... بل نَفَسٌ طويل

الدين ليس لحظة شكل أمام الناس

بل رحلة طويلة، صامتة، مؤلمة أحيانًا...

تنتصر فيها على: حسدك – كِبرك — غفلتك — ريائك – حبّك لمدح الناس

وهذه المعارك... لا تُنشر على فيسبوك..

ولا يُصفّق لها أحد... لكن الله تعالى يراها، ويحبّها، ويُثيب عليها أعظم الثواب.

دعاء الفصل:

اللهم لا تجعلنا ممن يعبدون مظهر الدين... وينسون جوهره،

ولا تجعلنا ممن أُعجبوا بأنفسهم لأنَّ الناس أعجبوا بهم،

بل اجعل قلوبنا مساجد، وأعمالنا قربات،

واجعل أعظم عباداتنا... ما لا يعلمه أحد سواك.

الفصل الثاني عشر: حين صار الدين "انغلاقًا"... بدل أن يكون انفتاحًا راشدًا...

– من الذي أوهم الناس أنَّ التقوى تعني الانعزال؟

– وهل الانغلاق دليل غيرةٍ على الدين... أم علامة خوفٍ من الحياة؟

التدين الذي يخاف... ليس تدينًا واثقًا بالله

حين يتحوّل التدين إلى "أسوار" تعزل الإنسان عن كل مختلف

حين لا يعود المتدين قادرًا على أن يعيش مع الناس دون أن يُدينهم

حين يرى كل ثقافةٍ فتنة، وكل مخالطةٍ خطرًا، وكل جديدٍ بدعةً...

فهنا... لم نعد أمام دين الله..

بل أمام صورةٍ مشوّهة خائفة، ترتدي لباس الدين... وتُبعد الناس عنه!

مغالطة العصر:

"التمسك بالدين يعني أن تعتزل العالم، وتعيش في صندوقٍ مغلق"

لكن... هذا التصوّر لا يُشبه الإسلام في شيء.

- النبي ﷺ: لم ينعزل عن قريش... بل واجههم، ناقشهم، دعاهم، عاش بينهم، ومع ذلك لم يُساوم يومًا على دينه.
- الصحابة ﭬ: انفتحوا على الأمم، وتعلّموا لغاتها، وتعاملوا مع أهل الذمّة، وخالطوا الأعراق والحضارات... دون أن يفقدوا نقاء قلوبهم، ولا رسوخ إيمانهم.

- القرآن الكريم: لم يُنزل ليُغلق العقول... بل ليُنيرها: خاطب العقل، والسمع، والبصر، والفؤاد، ولم يقل: "اعتزل، واغلق، وتوجّس".
- الانعزال ليس ورعًا دائمًا... بل قد يكون عجزًا مغلّفًا، أو خوفًا مقنّعًا، أو فهماً قاصرًا للإيمان.
- الدين الحق: لا يخشى المواجهة، لا ينفر من الحوار، لا يهرب من المجتمع، بل يعيش فيه... ويُصلحه.

الرسالة:

أن تكون متدينًا... لا يعني أن تغلق أبوابك، بل أن تفتح قلبك للناس... دون أن تفتحه للانحراف.

الدين انفتاح لا انحلال... وانغلاق لا يعني الثبات:

المفهوم الصحيح	المغالطة الشائعة
الدين انفتاحٌ راشد	الانغلاق هو الورع!
الدين يثق بالله في كل مكان	التديّن لا يكون إلا في بيئة مغلقة
الدين يواجه، يحاور، يثبت	الدين يهرب، ويخاف، ويعزل نفسه
الدين يُحاور الآخر بجرأة	الدين يرفض الاستماع لأي رأي مخالف

ومن قال إن حماية الدين تعني عزل الإنسان؟ الدين ليس قوقعة... بل ضياء!

مظاهر الانغلاق باسم الدين:

١- رفض تعلم اللغات والثقافات الأخرى.

٢- تحريم الفنّ والإبداع كليًا دون تمييز.

٣- الخوف من كل جديد بحجة "سدّ الذرائع".

٤- النفور من التعامل مع غير المسلمين ولو بإحسان.

٥- احتقار كل ما ليس "نحن"... حتى وإن كان نافعًا.

فرق هائل بين "التحصين" و"الانغلاق":

التحصين	الانغلاق
فهم عميق للدين	فهم مشوّش يَخشى كل شيء
ثقة بالله في كل السياقات	شكٌّ مَرَضي في كل شيء
قوة داخلية تحاور بثبات	قلق داخلي يدين بلا دليل
يعيش مع الناس بنورٍ هادئ	ينعزل عنهم بخوف متوتر

من نور النبوة:

النبي ﷺ زار الأسواق، استضاف وفود النصارى، كتب للملوك، ناقش اليهود، احتضن من أسلم من الحبشة والروم، ولم يقل يومًا:

"لا نريد أن نرى أحدًا من غير المسلمين"

بل كان دينه رحمةً للعالمين ...لا فكرًا منغلقًا على فئةٍ مخصوصة.

عواقب الانغلاق باسم التدين:

١- تفويت فرص الحوار والدعوة.

٢- خسارة الجيل الجديد الذي يظن أن الدين "لا يفهم الحياة".

٣- شيطنة الآخر... بدل فهمه.

٤- صناعة جيل لا يعرف سوى "التحريم" دون وعي أو حكمة.

٥- ظهور صورة قاسية قاتمة للدين، تنفّر لا تجذب.

- الدين الثابت... هو الذي يعيش في كل زمن، ويضيء كل عصر.
- نحن لا نُساير الزمان... بل نُضيئه.
- لا نذوب في التيارات... بل نُثبت القيم فيها.
- لا نُداري على الحق... بل نُعبّر عنه بلُغة العصر وبصيرة المؤمن.

دعاء الفصل:

اللهم اجعلنا نورًا في كل أرض، لا عبئًا على الدين، ولا قيدًا على الناس، اللهم أعذنا من الانغلاق باسمك، ومن القسوة باسم غيرتك، واجعلنا دعاةً بثقة، لا منغلقين بخوف، واجعلنا ممن يُعبّرون عن رحمتك... في كل زمنٍ ومكان.

الفصل الثالث عشر: حين صارت الغيرة على الدين غلافًا لغلظة القلب... والصدّ عن سبيل الله باسم الحزم؟

- **هل الغيرة على الدين تعني أن نكسر القلوب؟**
- **وهل الحزم يبرر الفظاظة؟**
- **متى ننصر الدين... ومتى نظن أننا ننصره ونحن نهدمه؟**

الغيرة الحقيقية لا تُبغّض الناس في الله تعالى:

الغيرة على الدِّين نعمة... لكنها إن لم تكن مهذّبة بالرَّحمة، ومربوطة بالوحي لا بالهوى، تحوّلت إلى سيفٍ أعمى... يضرب بلا حكمة، ويدمّر بلا بصيرة.

قال تعالى للنبي ﷺ:

﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ آل عمران: ١٥٩... فكيف بمن ليس نبيًّا... ثم يُغلّظ على الخلق بدعوى أنه "غيور"؟..

مغالطة العصر:

"أنا أغار على الدين... ولهذا أصرخ، وأقسُو، وأُهين"!

لكن... هل هذه هي غيرة الأنبياء؟ أم غيرة مُزيفة... تتغطى برداء الدين؟

- هل الغيرة تُبرر كسر النفوس التائبة؟ التي عادت إلى الله بخجل... فصفعتها قسوتك بدل أن تفتح لها الباب؟.
- هل الحزم يعني قتل الأمل في القلوب؟ كم من شابٍ أراد الله... ففرّ من طريقه لأننا استقبلناه بالتوبيخ لا بالرحمة.
- وهل الدفاع عن الله... يحتاج أساليب تُبعد الناس عن الله؟ أيهما أولى: أن تنتصر لله؟ أم أن تُحسن تمثيل رحمته وعدله ولُطفه؟.
- النبي ﷺ غار على الدين... لكنّه قال" :بشّروا ولا تُنفروا"
  غار على التوحيد... لكنّه لم يُهِن مشركًا جاءه يسأل بصدق.
  غار على حدود الله... لكنّه بكى حين جاءه رجلٌ يعترف بذنب، فقال: "لعلّك لم تُصلِّ معنا؟".

تذكير: ليست كل قسوة اسمها "غيرة"، وليست كل شدّة اسمها "صدق"، فقد تكون غلظةً دفعتها النفس... لا الغيرة على الحق.

الرسالة:

الغيرة الحقيقية... أن تُحب ما أحبّ الله، وأن ترحّم من عاد إليه، وأن تكون جسرًا لا حاجزًا... بين القلوب وربِّ السماء.

حين تتحوّل الغيرة إلى "واجهة نفسية":

لم تعد غيرة... بل أزمة مكبوتة ترتدي ثوب الدين.

١- بعضهم يصرخ... ليس لأنه غيور على الدين، بل لأنه لا يعرف كيف يتحاور.

٢- بعضهم يسبُّ ويشتم... ليس لأنه يغضب للحق، بل لأنه لا يملك دليلًا يُقنع به.

٣- بعضهم يقسو... لا لأنه يغار على حدود الله، بل لأنه فقد الرحمة من قلبه... ويُبررها باسم الغيرة.

٤- بعضهم يحتدّ ويتوعّد... لأنه يتلذذ بإسقاط المخطئين، لا لأنَّه يريد أن يُصلحهم.

وهنا الخطر: صار الدين عنده مظهرًا لتفريغ الحنق.. لا وسيلةً لإصلاح الخلق.

صار الشتم عنده "نُصرة".. والفظاظة "صدقًا".. والغضب "ورعًا"

بينما الحقيقة: أنه يُعالج أمراضه النفسية بالدين... دون أن يشعر.

الرسالة:

الغيرة الصادقة تُصلح، أما الغيرة المزيّفة ...فلا تترك خلفها إلا الخراب.

فانظر في قلبك قبل أن ترفع صوتك... هل تُدافع عن الله؟ أم تُفرغ ما فيك... باسم الله؟.

من نور النبوة... تعلمنا كيف نُغيّر القلوب دون أن نكسرها:

١- ما شتم النبي ﷺ أحدًا قط:

- لا في خصومة
- ولا في دعوة

– ولا حتى في جهلٍ صريحٍ أمامه

٢- ما ضرب بيده خادمًا... ولا قال لأحد: "أفٍّ لك"، ولا رفع صوته في وجه من جاءه يطلب الهداية...

٣- دخل عليه أعرابي فبال في المسجد..فتأفف الصحابة... أما النبي ﷺ فقال: "دعوه، لا تُزرِموه"... ثم علّمه برفق... لا صراخ، لا طرد، لا توبيخ.

٤- جاءت امرأة زانية، تُريد التوبة.. فأعرض الصحابة عنها، وهربوا من ذنبها أما النبي ﷺ... فرفعها إلى مقام التائبين، لا مقام المنبوذين!..

والسؤال الصاعق:

هل نحن أشد غيرةً على الدين من رسول الله ﷺ؟! إن كنا صادقين... فلنُشبِهه في الرفق، والحكمة، والصبر، والعدل، والرحمة... لا أن نخالفه، ثم نزعم الدفاع عنه.

الرسالة:

الدين لا يُنصر بالفظاظة... بل يُضيء بنور النبوة.

فإما أن نكون من أهل النور... أو من الذين يزعمون.

الفرق بين الحزم المشروع... وغلظة القلوب:

الحزم في الحق	الغلظة باسم الغيرة
فيه رحمة، وحكمة	فيه عنف، واستعلاء
يراعي حال المخطئ	يُشهر بالمخطئ لتشفي النفس
يبني ويهدي	يهدم ويُبعد
يتبع هدي النبي ﷺ	يتبع الغضب لا السُّنّة

كيف صدّ البعض عن سبيل الله وهم يظنون أنهم ينصرونه؟

- حين استُبدلت النصيحة بالتجريح.
- والإنكار بالصراخ.
- والتوجيه بالسُّخرية.
- والدعوة بالعداوة.

فنفرّ الناس من الدين، لا من الداعين... وساءت صورة الإسلام في عيون الشباب، لا بسبب الشهوات... بل بسبب "الدعاة الغلاظ!".

أمثلة واقعية:

١- فتاة غير محجبة جاءت تسأل، فواجهها أحدهم بعبارات كأنها في جهنم الآن.

٢- شاب دخل المسجد لأول مرة، فأُهين لأن لباسه غير "شرعي".

٣- شخص سأل عن شبهة... فقيل له: ‘‘كافر، زنديق، ضال’’.

" كم من قلبٍ كان قريبًا... ثم دُفع بعيدًا بسبب قسوة غليظ؟! "

"الحزم" في القرآن... مقرون دائمًا بالعدل والرحمة

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾

﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ ← حتى مع فرعون!

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾

فمن أين جاء من يرى أن "الغلظة" طريقٌ للدعوة؟.

دعاء الفصل:

اللهم اجعل غيرتنا على دينك رُقيًا في السلوك، لا قسوة في القلوب، واجعلنا نُدافع عن دينك بما يُرضيك... لا بما يُرضي أهواءنا، واجعلنا دعاةً برحمة، هداةً بحكمة، ولا تجعلنا من الذين يصدّون عن سبيلك وهم لا يشعرون.

ختام المحور الثاني

"فالدين... ليس قناعًا نرتديه، بل حقيقة نعيشها"

لقد تأمّلنا في هذا المحور وجوهًا كثيرة من الادعاء الخادع...

رأينا من يُصلّي ولكن يظلم، ومن يصوم ولكن يغش،

ومن يتكلّم باسم الله... ولكن قلبه ممتلئ كِبرًا وغرورًا!

إن أخطر ما يُشوّه صورة الإسلام في العيون، ليس أعداءه من الخارج،

بل أبناؤه... حين يُمارسونه بصورة منفّرة، متعالية، مزدوجة المعايير.

الدين الحقيقي لا يُقاس بطول السجود... بل بمدى الصدق واللطف في الخُلق.

ولا يُقاس بعدد الختمات... بل بثمرة الخشوع والإحسان في التعامل.

ولا يُقاس بالمظهر فقط... بل بمدى نقاء السَّريرة، وخشية الله في الغيب.

فلنسأل أنفسنا بصدق:

- هل تديّني يجعل من حولي يُحبّون الله أكثر... أم ينفِرون منه؟.
- هل أنا أعبد الله كما يريد... أم كما يُناسب هواي؟.
- هل أُظهر للناس صورةً جميلة... بينما قلبي غائب عن الله؟.
- هل أخاف من نظرة الناس... أكثر من نظر الله؟.

إننا نحتاج إلى ثورة تصحيح داخلية... ثورة تُسقِط الأقنعة، وتُطهر النوايا، وتردّ الدين إلى منبعه النقي: إخلاص، صدق، عدل، رحمة، وعلاقة حقيقية بالله... لا استعراض أمام الناس.

فالخلاصة:

إن لم يُصلح الدين قلبك... فلا تنتظر أن يُصلح مظهرك.

وإن لم يمنعك الإيمان من ظلم الخلق... فلا تتحدّث باسم الحق.

وإن لم تشعر بالقرب من الله في سرّك... فمظاهر العبودية لا تُغني عنك شيئًا.

دعاء ختامي:

اللهم طهّر قلوبنا من كل رياءٍ وخداع، واجعل تديننا جسرًا بيننا وبينك... لا جدارًا بيننا وبين خلقك، واجعل في وجوهنا نور صدقك، وفي ألسنتنا رحمتك، ولا تجعلنا سببًا في صدّ أحد عنك يا الله... بل اجعلنا من أسباب هدايتهم إليك.

المحور الثالث: مغالطات الواقع الاجتماعي باسم الدين

مقدمة تمهيدية للمحور:

ليس الدين سببًا في تعقيد الحياة... بل سوء فهم الناس له.

وليس الإسلام من جعل المجتمعات مكبلة بالتقاليد والازدواجية... بل هوى النفوس التي توارت خلف اسمه.

في هذا المحور، سنُسلّط الضوء على واحدة من أخطر التزويرات المعاصرة:

- أن يُحمّل الدين ما لم يقله...
- وأن تُعلّق الأخطاء على مشجّرات الفقه...
- وأن تُختلق أعراف اجتماعية باسم "الشرع"، وهي أبعد ما تكون عنه!

سنرى كيف:

- تحوّلت "العادات" إلى "عبادات"،
- وتحوّل الظلم الاجتماعي إلى شيء مقدّس باسم "قوامة الرجل"،
- وصار الكذب مباحًا إذا كان يخصّ السُّمعة،
- وأُغلقت أبواب الرحمة أمام التائبين لأنَّ "المجتمع لا ينسى..."

سنكشف التناقضات، ونُميّز بين الوحي والهوى، بين الإسلام الحق... والإسلام الذي صاغته المجتمعات وفق مقاساتها.

فهل أنتم مستعدّون للنظر في المرآة؟

لنكمل الطريق معًا...

المحور الثالث: مغالطات الواقع الاجتماعي باسم الدين

حين طغى العُرف على الشرع... ولبس الهوى ثوب الورع

الدين لم يكن يومًا حِكرًا على طبقة... ولا أداة قهرٍ باسم "القداسة..."

لكنه صار في بعض مجتمعاتنا سورًا يُقصي، لا جسرًا يُقرّب.

صار يُستخدم لتبرير التخلف، والتمييز، والسكوت عن الظلم...

وصار يُستحضر في الأعراس والمظاهر،

ويُغيب حين يُطلب للعدل، والمساواة، والرحمة، ورفع المظالم!

في هذا المحور... لن نُهاجم المجتمع، لكننا سنواجهه بالحقيقة كما هي،

سنضع المرآة أمامه، ونُفرّق بين ما جاء به الله... وما صنعه الناس وسمّوه "دينًا".

سنتحدث عن:

- العادات التي تقدّست حتى أصبحت أقوى من النصوص،
- والأعراف التي كبّلت المرأة باسم القوامة والحياء،
- والجرائم التي تم التستّر عليها باسم "الستر"،
- و"العيب" الذي صار أقوى من "الحرام"،
- والتقاليد التي سجنت أرواح الشباب باسم "الشرف"،
- والمهور التي جعلت الزواج حكرًا على الأغنياء،
- والتديّن الطبقي الذي يُقيّم الإنسان بثيابه ولقبه لا بتقواه!

لقد آن الأوان لنقولها بوضوح:

ليس كل ما يُقال في المجالس "شرعًا"، هو شرع الله.

وليس كل ما تفرضه الأعراف، يرضاه الرحمن.

وليس كل من قال: "قال الله"، كان صادقًا في النقل ولا في القصد.

فيا من تبحث عن الله... لا تقف عند أبواب الناس،

ويا من طمست المجتمعات قلبك باسم الدين...

تعال نرجع سويًّا إلى النصّ، إلى النور، إلى الوحي.

لنبدأ... فربما نُنقذ دينًا حُبس في سجن العُرف،

ونُحرّر أجيالًا كانت تظن أن الإسلام هو ما عاشته، لا ما أنزله الله.

الفصل الأول: الدين ضد المرأة؟ أم المجتمع هو الجاني؟

" بين النور الإلهي... والظُّلمة التي صنعها الناس "

توطئة:

في كل مرة تُظلم فيها امرأة...

في كل مرة تُحرَم من حقها، وتُقهر باسم "الشرع"،

في كل مرة يُقال لها: "اسكتي، هذا حكم الله..."

يتشوّه الإسلام في عيون النساء، ويتشوه وجه الدين في قلوب البريئات.

والسؤال الموجع:

- هل الله تعالى هو من أمر بهذا الظلم؟

- هل الإسلام هو من اختلق هذا القيد؟
- هل القرآن هو من بارك هذه السيطرة؟

أم أن المتدينين بلا علم... والمتعصبين بلا بصيرة... هم من علّقوا ظُلمهم في رقبة الدين؟..

ما الذي حصل؟

لقد جرت جريمة عظيمة في واقع المسلمين...

حين ألبسوا مظالمهم لباس الشريعة،

وشوّهوا الأحكام الربانية بعادات قبلية أو فهمٍ ناقص أو تسلّط ذكوري موروث.

قالوا: "المرأة لا تصلح للقضاء"!

ولم يقرأوا أن السيدة عائشة كانت تُفتي الصحابة وتُعلّم الأمة.

قالوا: "المرأة ناقصة عقل ودين"!

ولم يشرحوا أنها ناقصة "عبادة" أيام الحيض، لا ناقصة كرامة أو عقل!

قالوا: "قرار المرأة في البيت لا خروج"!

ونسوا أن نساء الصحابة بايعن، وجاهدن، وخرجن، وعَلّمن، وطُلب العلم عليهن!..

قالوا: "الزوج يُؤدّب زوجته"! ونسوا أن النبي ﷺ قال:

"خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي".

الفرق بين الإسلام... وممارسات من تديّنوا باسمه:

الإسلام رفع المرأة من كونها سلعة في الجاهلية، إلى كائن يُكرَّم بذكر اسمه في القرآن: "مريم، آسيا، ملكة سبأ"

الإسلام جعل لها ذمة مالية، وحق اختيار الزوج، والاعتراض، والطلاق، والخُلع، والتعلّم، والقيادة، والمشاركة.

لكن المجتمعات جعلتها "تابعة" لا "شريكة"، و"عورة" لا نورًا، و"متّهمة" لا مُكرّمة.

حين يُستخدم الدين لتكريس الهيمنة الذكورية:

"لا تُكملي دراستك"... باسم الحياء.

"لا تعملي"... باسم القرار في البيت.

"لا تُظهري رأيك"... باسم طاعة الزوج.

"تزوجي من اخترناه لكِ"... باسم البر بالوالدين.

"تحمّلي الضرب، واصبري على الذلّ"... باسم الصبر على الزوج.

وكل ذلك ...ليس من الله تعالى!..

السبب الحقيقي:

١- جهل حقيقي بأحكام الشرع.

٢- هيمنة ثقافة ذكورية ألبست عاداتها لباس الدين.

٣- غياب العلماء الربّانيين الذين يُفرّقون بين النص... والتفسير المزيّف.

٤- قلة جرأة النساء على مطالبة بحقوقهن خوفًا من وصفهن بـ "العاصيات".

رسالتنا في هذا الفصل:

نحن لا ندعو لثورة ضد الرجال، ولا لتمرد ضد الدين.. بل ندعو لثورة وعي... تفصل بين نور الله... وظلّ الناس.

الإسلام أنصف المرأة أكثر من كل مواثيق العالم...

ولكن من لم يقرأ القرآن... ظنّ أنَّ الإسلام هو ما عاشه، لا ما أوحاه الله.

وقفة تأمل:

ليس كل من منعكِ من حقكِ... يحق له أن يقول: "هذا دين".

دِين الله لا يُلغي قلبًا، ولا يُحقّر عقلًا، ولا يَسلب كرامةً.

فالذي ظلمكِ... ليس الإسلام، بل من ادّعوا تمثيله!..

الفصل الثاني: تبرير العقوق تحت ستار "الاختلاف"

حين لبس العاق ثوب المثقف... وتزيّن الجفاء برداء "الحرية الفكرية"!

مفتتح صادم: كانوا يقولون قديمًا:

"إن الجاحد لفضل والديه... لا يُفلح في حياته"

واليوم... صار بعضهم يجاهر بعقوقه أمام الملأ،

ويقول بكل فخر: "أنا مختلف عن أهلي... لا أؤمن بما آمنوا به... أنتمي لعصرٍ جديد"! ويُروّج لفكرة مشوّهة:

أن الاختلاف مع والديك... يعطيك الحق في إهمالهم، إهانتهم، أو التبرّؤ منهم!

لكن دعونا نسأل:

- هل الاختلاف الفكري... يبيح سقوط البر؟..
- هل الحرية الشخصية... تعني قطع الرحم ودفن العرفان؟.
- هل التطوّر... يعني أن ننظر إلى آبائنا كأنهم عار فكري أو ماضٍ بدائي؟.

بين الاختلاف المشروع... والعقوق المقنّع:

نعم، قد تختلف مع أبيك في طريقة التفكير،

قد لا تفهم أمك كيف تعمل التكنولوجيا،

قد يُربّيك والدك بتشدّد لم تعد تراه مقنعًا،

قد تكون ثقافتك أوسع، وتعليمك أعمق...

لكن لا شيء من ذلك يبرّر قسوة اللسان، ولا التجاهل، ولا التخلي، ولا التقليل من شأنهم.

الاختلاف لا يُسقط البر... بل يُظهر أخلاقك فيه!

صور العقوق الحديثة... التي يُبرّرها الجيل بـ"الاختلاف":

- أن تترك والديك في وحدة قاتلة... وتقول: "لا أشعر بانتماء لهم"!
- أن ترفض زيارتهما... لأنك "لا تتفق مع شخصياتهم!"
- أن ترفع صوتك عليهما... باسم "أقول رأيي بصدق"
- أن تبرّر هجرك لهما... لأنك "تشفي جروح الطفولة"
- أن تكتب منشورات تفضحهما... باسم "الشفافية النفسية"

كل ذلك عقوقٌ مغطّى بورق التغليف الحديث!

أخطر ما فعله هذا الجيل:

أنه فصل بين البرّ والعلاقات الصحية،

فظنّ أن والدًا متعبًا أو أمًّا متسلطة... لا يستحقّان الإحسان!

لكن الله لم يقل: "فَإِن كانا صالحين، فبرّهما"

بل قال: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾

ولم يقل: "فلا تسبّهما إلّا إن أزعجاك".

فكرة مدمّرة منتشرة:

"أنا ما طلبت أجي للدنيا، ليش أتحمل مسؤوليتهم؟"

هذه الجملة تبدو "عقلانية" لكنها تقتل الإحسان،

وتحوّل الإنسان إلى آلة حسابية لا تعرف العرفان.

- نحن لم نطلب المجيء... لكننا أيضًا لم نُرمَ في الطرقات.. بل رُبّينا، وأُطعمنا، وحُمِلنا على الأكتاف قبل أن نعرف حتى أسماءنا.
- لم يكونوا مثاليين دائمًا... لكنهم تحمّلوا نُسخنا الأولى:
  - غضبنا الطفولي...
  - أنانيتنا..
  - أخطاءنا المتكررة..
  - فوضى سنواتنا الأولى..
- نحن لا نُحسن إليهم لأنهم لم يُخطئوا... بل لأن الإحسان إليهم باب إلى السماء، وسُنّة نبوية، وعرفان لا يُقابل بالحساب.
- حين تتحول العلاقة إلى.. "هم اختاروا إنجابنا... فليتحمّلوا"! فقد مات فينا شيء من الرحمة، والتواضع، والإنسانية.

الرسالة:

الإحسان لا يحتاج مبررًا... بل يحتاج قلبًا سليمًا يعرف الفضل... ويذكر المعروف.

وإن نسيت كيف كنت صغيرًا... فاعلم أن الله لا ينسى من أحسن إليك في ضعفك.

الدين لا يطلب منك أن تُلغي شخصيتك لأجل والديك... لكنه يطلب منك ألا تُلغي قلبك معهم:

- أنت مختلف؟ نعم، لكن لا تكن جافًا.
- هم لا يفهمونك؟ لا بأس، لكن لا تُهملهم.
- هم أذوك في طفولتك؟ خذ حقك بالرحمة لا بالانتقام.

البر لا يعني الاتفاق... بل الإحسان رغم الخلاف.

البرّ موقف قلبي... لا عقدة ذهنية.

وقفة قلبية:

لا تدع اختلافك الفكري يُخفي إنسانيتك، ولا تسمح لعصر السرعة أن يسرق منك أجمل ما فيك... قلبك البار... وروحك التي تعرف المعروف ولو تأخر!

الفصل الثالث: "برّ الأهل" الظاهري... مع الجفاف الحقيقي

حين تحوّل البر إلى واجب اجتماعي لا دفء إنساني...
وصار العطاء بلا قلب

مفتتح مؤلم:

نسمع كثيرًا:

- "أنا أزور والدي كل أسبوع"!.
- "أرسل لأمي مالًا شهريًا"!.
- "آخذهم إلى المستشفى إن احتاجوا"!

ثم نُقنع أنفسنا: "أنا بارّ"!

لكن الواقع يصرخ:

١. كم أمٍ تتوسل نظرة حنان من ابنها وهو مشغول بجواله؟.
٢. كم أبٍ يتمنى كلمة امتنان، لا تقريرًا إداريًا لما أنجزه ابنه لأجله؟.
٣. كم من الآباء والأمهات يعيشون وحدة باردة داخل بيوت دافئة؟!.

برّ بلا دفء... وعطاء بلا روح:

نُبرمج "البرّ" كما نُبرمج مواعيد البنك،

ونتعامل مع والدينا كأننا نؤدي لهم خدمة...

ونسينا أن البرّ ليس سلوكًا خارجيًا فقط، بل علاقة قلبية خالصة.

البرّ ليس أن "تفعل" ما يجب، بل أن "تكون" كما يجب.

ليس أن تزورهم، بل أن تحضر قلبك في الزيارة.

ليس أن تعطيهم مالًا، بل أن تُشعرهم أنهم كنزك.

أخطر أشكال البرّ الظاهري:

١. نُقبل أيديهم أمام الناس... ونتأفف في دواخلنا.

٢. نبتسم لهم أمام الضيوف... ونتجاهلهم في الوحدة.

٣. نرسل لهم المال شهريًا... لكن لا نسأل: كيف حال قلوبكم؟.

٤. نتحمّلهم "احترامًا لسمعتنا"... لا حبًا بوجودهم.

الفرق بين البرّ الظاهري والبرّ الحقيقي:

البرّ الظاهري	البرّ الحقيقي
التزام اجتماعي	تعظيم شرعي وإنساني
زيارة موسمية	حنين دائم
عطاء مادي	مواساة وجدانية
مجاملة أمام الناس	حبٌ حقيقي في الغيب
يُنتظر فيه الجزاء	لا يُنتظر منه مقابل

البرّ الحقيقي هو:

١. أن تُشعرهم أنهم أهم من كل أعمالك.

٢. أن تصغي إليهم لا لترد... بل لتحتوي.

٣. أن تُقبّل رؤوسهم حين لا يراك أحد.

٤. أن تُبقي أرقامهم في قائمة الأولويات... لا في قائمة الواجبات.

بعض الأبناء يعيشون مع والديهم في بيت واحد...

لكن المسافة بين قلوبهم مئات الكيلومترات.

يأكلون معًا... ولا يتكلمون.

يمرّون بجانبهم... ولا يسألون.

يرونهم يتألمون... ويتظاهرون بالانشغال.

تأمل قول الله تعالى:

﴿**وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا**﴾ لم يقل: قولًا مهذبًا فقط... بل كريمًا!.

أي: مُشبَعًا بالعاطفة، مُحمّلًا بالاعتراف، ممزوجًا بالرحمة والامتنان.

تذكير وجداني:

لا تجعل البرّ مجرد واجب... بل اجعله شرفًا.

ولا تجعل والديك "عنوانًا لقصتك أمام الناس"... بل اجعلهم "دعاء سرّك مع الله".

وقفة ختامية:

في لحظة... سيرحلان... ولن يبقى من البرّ إلا ندمك أو دعاؤهم الأخير.

فاختر أيهما تحبّ أن يُرافقك حتى آخر العمر...

الفصل الرابع: تكفير الناس وخذلانهم بحجّة "الفرقة الناجية"

حين تحوّل "المنهج" إلى فخّ استعلاء... بدل أن يكون جسر نجاة

مفتتح يهزّ القلب:

قال النبي ﷺ:

"افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلَّا واحدة".

قالوا: من هي يا رسول الله؟

قال:"من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي".

لكننا اليوم لا نبحث عن "ما كان عليه النبي وأصحابه..."

بل نبحث: إلى أي جماعة تنتمي؟ من شيوخك؟ ما مصطلحاتك؟

فصارت " الفرقة الناجية " ليست معيارًا للنجاة...

بل سلاحًا يُشهر في وجه المخالف... ومبرّرًا للاستعلاء والنبذ!

من الفرقة الناجية... إلى فرق التناجي بالطعن:

ما أسهل أن يلبس الإنسان "لباس الدين"،

ويدّعي لنفسه أنه يمثل الإسلام الصحيح،

ثم يبدأ بتوزيع صكوك النجاة والهلاك كأنه "بوابة الفردوس!"

من ليس معنا... فليس من "الفرقة الناجية"

من خالفنا... فربما يكون مبتدعًا، وربما كافرًا

من لم يقل بقولنا... فقد ضلّ عن الصراط

هكذا تتحول "الفكرة العظيمة" إلى "مجزرة أخوة" باسم الدين!

مغالطات كبرى تحت ستار "النجاة":

١. تكفير المخالف بمجرد اختلافه في اجتهاد أو تفسير أو منهج دعوي.

٢. التقليل من شأن بقية المسلمين كأنهم عوام لا فهم لهم.

٣. قطع الأُخوّة الإيمانية إذا لم يكن من نفس الجماعة أو الاتجاه.

٤. تحميل النُّصوص أكثر مما تحتمل لتُخدم التوجّه لا الحق.

٥. جعل "السَّلفية" أو "الأشعرية" أو "الحدادية" أو "الإخوانية" أو غيرها... أعظم من "الإسلام" نفسه

فنُقسم الأمة من جديد:

- "سلفي" و"مبتدع".
- "محقق" و"مدخلي".
- إخواني" و"خارجي".
- "علمي" و"حركي".

ثم ننسى: كلنا أمة مُحَمَّد... وكلنا إلى الله راجعون.

الميزان النبوي... لا ميزان الجماعات:

النبي ﷺ ما قال: "من انتمى للفرقة الناجية دخل الجنة"

بل قال:"من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي".

أي:

- التوحيد النقي.
- العبادة الخاشعة.
- الرحمة الشاملة.
- الأخوّة الصادقة.
- الاتباع الصافي.
- القلب السليم.

فهل نحمل هذه المعاني؟ أم نحمل أسماءً كبيرة... وقلوبًا صغيرة؟.

متى صار الدفاع عن الدين... ذريعة للهجوم على أهله؟

يردّد البعض: "نحن نذبّ عن العقيدة"! لكنهم يذبحون أتباع العقيدة، ويشوّهون صورة الدين عند الناس، ويجعلون الإسلام يبدو قاسيًا... منغلقًا... منقسمًا على ذاته!

الدفاع عن الدين لا يعني إهانة المسلمين...

ولا يُصلح الله هذا الدين... بمنهج يغرس الكِبر والجفاء

تحوّل خطير: من "التحذير من البدع" إلى "التحقير من المسلمين"!

١. حتى من تاب... يُنبش ماضيه

٢. ومن خالف... يُشنّع عليه

٣. ومن اجتهد... يُتّهم بالتمييع أو التطرّف

٤. ومن نصحهم بالحكمة... اتهموه بالمداهنة

ما الذي جعل "الفرقة الناجية" لا تُنقذ أحدًا؟

- لأنها تحوّلت من اتباع للحق... إلى تفرّغ للناس.
- من البناء الداخلي... إلى تصيّد الأخطاء.
- من إخلاص لله... إلى انشغال بالتصنيفات.

خاتمة وجدانية:

أيها المسلم... إذا أردت أن تكون من الفرقة الناجية حقًّا:

فلا تبدأ بتكفير الناس... بل بإنقاذهم

ولا تظن النجاة جماعة... بل نهج قلب ومقام صدق.

"ربَّ فرقةٍ ناجية... ضيّعت النجاة حين ظنّت أن الله نجاها لأنها الأفضل، لا لأنها الصادقة".

النجاة لا تُمنَح... بل تُستحق

والبُعد عن النار... يبدأ بالاقتراب من الرحمة، لا بالفرز والإقصاء.

الفصل الخامس: العادات أقوى من الشريعة!

"هكذا وجدنا آباءنا"... فعبدناهم بدلًا من طاعة الله!

مفتتح يهز القلب:

قال الله تعالى على لسان الكفار:

﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾

ثم قال:

﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ؟ ﴾ الزخرف: ٢٣-٢٤.

هكذا تُختزل الحقيقة في جملة صادمة:

- "العرفُ أولًا... ثم انظر إن وافقه الشرع"!.
- "تقليد الآباء مقدم... حتى لو نزل الوحي من السماء"!.

عندما تسقط الشريعة أمام سطوة العرف:

- كم من أمرٍ حرّمه الله... لكنه شائع بحكم "العادة"!.
- وكم من سُنّةٍ عظيمة... اندثرت لأن المجتمع "لا يطبقها"!.
- وكم من حقٍّ سُلب من امرأة أو ضعيف... لأنه "ما جرت به العادة"!.
- وكم من بدعة... انتشرت، فلما أنكرتها، قالوا: "من أنت حتى تغيّر ما اعتاده الناس؟"!.

أمثلة صارخة:

١. الطلاق بلا ضوابط... صار عادة اجتماعية، مع أنه في الشرع آخر الحلول، لا أولها.

٢. حرمان المرأة من الميراث ...تحت ذرائع العيب والعرف.

٣. تقديس المآتم والتبذير في الجنائز ...وكأنها فرائض لا بد منها.

٤. رفض تزويج الكُفء لأسباب قبلية أو طبقية ...باسم "الناس ماذا سيقولون؟".

٥. استحياء من الحجاب أو الالتزام في مجتمعاتٍ "مفتوحة ..."وكأنَّ العُرف أقوى من أمر الله..

مغالطة: "الشريعة جاءت لتوافق الواقع"

وهنا الانحراف الخطير...

فإذا أمر الشرع بشيء... قلنا: "هذا صعب... الناس لا يقبلونه اليوم"!

وإذا نهى عن شيء... قلنا:"لكن الجميع يفعله! نحن في القرن ٢١"!

وكأن الشريعة صارت:

– مكياجًا ثقافيًا

– لا ميزانًا ربّانيًا

وكأنَّ الله أنزلها لتُجمّل الواقع ...لا لتُغيّره!.

بينما الحقيقة: أن الشريعة..

- جاءت مصحِّحة لا مُجامِلة
- مُهيمِنة لا تابعة
- هادية لا تابعة لأذواق الناس

الرسالة:

الشريعة لا تخضع للواقع... بل تُقوِّمه.

ولا تُكمل العرف... بل تُنقّيه، وتُصلحه، وتُعلِّمه كيف يعود إلى الله.

فإن طوّعنا الوحي لأهوائنا... فما عبدنا الله، بل عبدنا أنفسنا باسم الشريعة!.

التدين العرفي... لا الإيماني:

- نُسمي المجاهرة بالمعصية "حرية شخصية".
- ونُسمي البدعة "تراثًا دينيًا".
- ونُسمي التقاليد الظالمة "قِيَم العائلة".

ثم ندّعي أننا نحب الله... لكن لا نطيق أوامره إذا خالفت ما اعتاده الناس!

فيسقط الإيمان... ويُرفع العُرف

ويُمحى الخط الأحمر... لصالح "ما وجدنا عليه آباءنا"..

لكن، لماذا هذا التقديس الأعمى للعادات؟

١. الخوف من الناس أعظم من الخوف من الله.

٢. الكسل عن التعلّم والرجوع للكتاب والسُّنة.

٣. الاستسلام للضغط الاجتماعي.

٤. تصوّر خاطئ: أنَّ احترام العائلة أهم من طاعة الله!.

الإسلام ليس دين المجاملات... بل الحق الواضح:

قال ابن القيم: "من عبد الله بالهوى فقد جعل هواه إلهه"

وكم من شخصٍ يظن نفسه متدينًا...

وهو لا يعبد الله، بل يعبد العرف!

كل ما يفعله نابع من "ماذا سيقول الناس؟"... لا من "ماذا قال الله؟".

وقفة تأمل:

إن الشرع لا يخضع لعدد الأصوات... بل إلى وحي السَّماء.

والعادة لا تُعطي الحرام شرعية، ولا تُسقط عنّا فريضة.

والله لا يسألنا: "هل وافقتم عرفكم؟".

بل يسألنا:"هل اتبعتم أمري؟ وهل رضيتم بحكمي؟".

خاتمة وجدانية:

أيها المؤمن... حين تقف بين يدي الله،

لن ينفعك قولك: "لكن أبي وأمي قالا... لكن القبيلة اعتادت...

لكن الناس كانوا يفعلون"...

بل سيُقال لك:

"أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ؟ أَلَمْ تُتْلَى عَلَيْكُمُ الآيَاتُ؟ أَلَمْ تَعْقِلُوا؟"

فاختر الآن: إما أن تتبع العُرف... أو تتبع الحق

ولا تَجمع بينهما، إن افترقا...

الفصل السادس: حين صارت سمعة العائلة أهم من عدل الله!

" اصمت حتى لا ننفضح "

آهٍ من مظلومٍ صرخ فلم يسمعه أحد،

لأنَّ العائلة قررت أن تخنق صوته حفاظًا على "السمعة!"

وآهٍ من جريمةٍ كُتمت، وزُيّنت، ووُئدت تفاصيلها،

لأنَّ أحد أفرادها من "أصحاب المكانة"،

والعدالة في ميزانهم تُقاس بـ" :ماذا سيقول الناس؟ "لا بما قال الله!.

الشرف... ذلك الإله الجديد!

في مجتمعات كثيرة، لم يعد الله هو من يُعبد، بل "السُّمعة"!.

لم يعد الحق هو المقدَّم، بل "ما يحفظ ماء الوجه".

صار "شرف العائلة" مقدّسًا أكثر من الوحي،

ولو تكسّر في سبيلهُ قلب فتاة، أو سُجن شابٌ بريء، أو سُحقت روحٌ هشة.

ندفن الحقيقة... لئلا تُفضح العائلة..

نُسكت المظلومة... كي لا يُقال: "ابنتهم... صارت حديث الناس"!

نُبرّر التحرّش أو الضرب أو القهر... لأنَّ الجاني "من أهلنا"، و"عيب نشتكي عليه!".

حين يُقدَّم الشرف المزيف على عدل الله:

فتاة تُغتصب... ثم تُلام هي لأنها "خرجت بلا إذن!".

امرأة تُعنّف يوميًّا... ويُقال لها: "اصبري، لا تفضحينا".

شابٌ يُطرد من التعليم أو يُزوّر عليه ظلمًا...

كي لا تُحرج العائلة من سلوك غيره..

طفل يُعتدى عليه... ثم تُجبر الأم على الصمت: "عيب نشوّه اسم العيلة"!.

لكن، ماذا قال الله؟

قال الله تعالى:﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾

وقال:﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾

وقال:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾

فهل قال: "قدّموا سمعتكم على العدالة؟".

هل قال: "اكتموا الظُّلم لأجل العار؟".

هل قال: "اجعلوا صورة الناس فوق حق الله؟".

أضرار هذا الانحراف العرفي:

١. قتل روح المظلوم... وتكريه الناس في الدين.

٢. تطبيع الجريمة... وتحويل الظالم إلى بطل عائلي.

٣. تربية جيلٍ خائف، صامت، مكسور، لا يثق بعدل الله ولا بعدل البشر.

٤. تمزيق مفهوم الحياء الحق... واستبداله بـ"العُرف القاتل".

الشرف الحقيقي... ليس ما يراه الناس، بل ما يراه الله:

- الشرف الحقيقي... أن تقول للظالم: ظالم، ولو كان من أقربائك.
- الشرف الحقيقي... أن تُنصف الضعيف، لا أن تضحّي به لترضية "الكبار".

- الشرف الحقيقي... أن ترى نفسك عبدًا لله، لا عبدًا لصورةٍ اجتماعية مزيفة.
- الشرف الحقيقي... أن تكون مع الحق ولو كنت وحدك.

نهاية تفتح العين:

ليس كل من حافظ على سمعة العائلة... حافظ على دينه.

وليس كل من سكت على ظلمٍ داخلي... كان حكيمًا.

أحيانًا... يكون الصمت خيانة.

وأحيانًا... يكون الستر ستارًا للظُّلم، لا عبادة.

رسالة ختامية:

إلى كل من ظُلِم... وسُكِت عليه باسم "السمعة":

اعلم أنَّ الله لا يرضى ظلمًا، وأنه يسمع، ولو سكت الجميع،

ويرى، ولو غطّوا الحقيقة بستائر المجالس، ويُنصف، ولو بعد حين...

فاصبر... كن مع الله، لأنَّ عدله سيظهر حينما يغيب العدل في الأرض،

وحينما ينسى الناس الوقوف بين يدي الله..

الفصل السابع: "عَيب" أقوى من "حرام!"

حين تسقط حُرُمات الله تحت سطوة الخجل من الناس

في مجتمعات كثيرة...لم تعد المعصية تُرتكب جراءةً على الله..

بل ضعفًا في الحياء من الناس!

لم نترك الخطأ تعظيمًا لله... بل لأنَّ الجيران قد يسمعون.

أو لأن "العائلة ما ترضى".. أو لأن "الناس ماذا ستقول؟"!

لم نعد نستحي من الله... بل نستحي من أعين المارة،

أو فضيحة السوشيال ميديا، أو نظرات العائلة....فانقلبت الموازين...

وصار ميزان " **العيب** " أقوى من ميزان " **الحرام** ".

فإذا خالفت الفتاة الشرع... سكت الناس.

لكن إن خالفت العادات... قامت القيامة!

وإذا عصى الشاب ربّه في السر... لم يُنكر عليه أحد،

لكن إن قصّر في المجاملة العائلية... اتهموه بسوء الخُلق، وقلة الأدب!.

وهكذا... تبدّلت الأولويات، وتشوهت البوصلة،

وتلاشت مهابة الله تعالى في القلوب...

الخلاصة:

"**العيب**" عند الناس... صار دينًا،

و"**الحرام**" عند الله... صار رأيًا قابلًا للتفاوض.

الرسالة:

لا تُقِم حدودك على خوف الناس... بل على تعظيمك لله..

فالناس يُغادرون، لكن الله ... دائم الوجود.

صار ميزان السلوك: "العيب"، لا "الحرام"

حين يُختزل الدين في "العيب"... لا في الحرام...

صار ميزان السلوك: ليس ما أحلّ الله... بل ما تعارف عليه الناس.

وصار الدافع إلى الفعل أو الترك: ليس "هل يُرضي الله؟"

بل:"ماذا يقولون الناس؟" فاستوى عند كثيرٍ من الناس الحلال والحرام...

ما دام لا أحد رآه، ولا أحد علِم به.

السر هو المبرر... لا الشرع.

وهكذا... سقط الدين في فخّ العُرف الاجتماعي،

وغاب صوت الوحي... وسط ضجيج الناس، والعائلة، والعيب، والتقاليد.

الرسالة:

لا تزن دينك بميزان الناس... ولا تُرضي العُرف وتُغضب الله.

فكل من حولك سيصمت يوم الحساب...

أمثلة موجعة من الواقع:

- فتاة تُضرب ظلمًا... فيُقال لها: "اصبري، لا تفضحينا".
- شابٌ يتزوج من فتاةٍ طيبة، لكن "ليست على مزاج العائلة"... فيُقال له: "عيب تخالف أهلك"!.
- فتاة تتقدم بطلب العلم أو وظيفة محترمة... فيُقال لها: "ما يصير! البنت تقعد في بيتها... الناس تحكي"!.
- امرأة تُحرَم من حقها في الميراث... باسم "العيب" أن تطالب به!.
- شاب تائب يُهاجم... لأن الناس تراه "مش قدّ التوبة!"..

المعادلة المنكوسة:

✔ ما دام لا يراه الناس... فهو "مقبول"

 وما دام الناس سينكرونه... فهو "عيب"، حتى لو أمر به الله!.

لكن، ماذا قال الله تعالى؟

﴿ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾

هل ترى؟ كل هذه الآيات تقول لك:

١. الله هو الذي يُخشى... لا الناس.

٢. الحرام ما حرّمه الله، لا ما حرّمه المجتمع.

٣. العيب الحقيقي... هو أن تجعل الناس آلهة من دون الله.

لماذا صرنا نحكم بـ"العيب"؟

- لأننا تَربّينا على مراقبة المجتمع، لا مراقبة الله تعالى..
- لأننا جعلنا رضا الناس معيار القبول، بدلًا من رضا الله تعالى.
- لأن كثيرًا من البيوت ما عرّفت أبناءها بالله... بل بالخوف من الفضيحة.
- لأن الخطاب الديني نفسه انزلق أحيانًا... وأصبح يخوّفك من "العار"، أكثر من تخويفك من النار!

خطورة هذا المفهوم المغلوط:

١. يولّد نفاقًا اجتماعيًا ...لا تديُّنًا حقيقيًا.

٢. يجعل الحرام صامتًا ما دام مستورًا.
٣. يُربي جيلًا يعيش للناس لا لله تعالى.
٤. يُخفي المظلوم، ويبرّر الظالم، ما دام "لا أحد يدري".
٥. يُكبت المصلحين، ويخنق صوت الحق: "لا تفتح سيرة... لا تثير فتنة... لا تعيب أحدًا"!..

حين يكون الحياء من الناس... أكبر من الحياء من الله!

- يا ليتنا استحيينا من الله، كما نستحي من "نظرة الناس!".
- يا ليتنا خفنا من الذنوب، كما نخاف من "الفضيحة!".
- يا ليتنا راقبنا الله في السر، كما نرتّب هيئتنا في العلن...

التحرر من "عبادة العيب":

١. لا تُربِّ أبناءك على "العيب"، بل على "الحرام والحلال".
٢. لا تسكت عن الحق بحجّة أنه "يُخزي".
٣. لا تظلم ولا تسكت عن ظلم، لأن أحدًا قال لك: "لا تبلّش مشاكل".
٤. لا تُغالِ في ستر الظلم... حتى لا تصير شريكًا فيه.

- الشرف الحقيقي... أن تعبد الله ولو عارضك الناس..
- وأن تبتعد عن الحرام، ولو باركه المجتمع..
- وأن تعيش لله... لا للواجهة الاجتماعية.

خاتمة وجدانية:

ليس كل ما خجل منه المجتمع... كان حرامًا.

وليس كل ما سُكت عنه الناس... كان جائزًا.

المرجع ليس "كلام الناس"... بل كلام الله تعالى.

دع الناس يتكلمون، لكن اجعل قلبك حيًّا بما قال ربك،

لأن من عاش لله نجا، ومن عاش للناس تعب، ومات وهو في قيدهم.

الفصل الثامن: التستّر على الظّالِم... باسم الدين والهيبة!

"إخفاء الأخطاء خوفًا من الفضيحة... لا رغبة في التوبة "!

في مجتمعاتٍ أُصيبت بعمى القلوب...

صار السكوت عن الظلم عبادة.

وسُمِّي الخوف "حكمة"، وسُمِّي الجُبن "سترًا"،

وسُمِّي التواطؤ "حفاظًا على الهيبة".

حين يخطئ الضعيف... نرفع صوتنا بـ"الأمر بالمعروف".

وحين يُخطئ ذو النفوذ... نخفض الصوت، ونرفع شعار "الستر على المسلم".

لكن أيّ سترٍ هذا... إذا كان المذنب لم يتُب؟

أيّ سترٍ... إذا كانت الجريمة تتكرّر، ولا أحد يوقفها؟

أيّ سترٍ... إذا صار الدين مطيّة لتبرير الصمت عن المنكر،

ورُفعت لافتة "لا تفضحوا الناس"..

في وجه كل من أراد أن ينقذ الضحايا؟

التستّر على الظالم... هو مشاركة غير مباشرة في ظلمه.

هو خيانة للمظلوم... واعتداءٌ ثانٍ عليه.

التستّر على الخطأ... حين لا يكون نابعًا من حرقة التوبة...

بل من خوف الفضيحة... هو قناعٌ مهترئ...

سرعان ما يسقط عند أول زلّة ثانية.

- هل كان النبي ﷺ يستر عبدًا فاجرًا إذا علم بفجوره؟
- هل سكت عن المنافقين لما أظهروا نفاقهم جهارًا؟
- هل قال: "اتركوه، لا تفضحوه... حتى لا يُفتن الناس"؟

بل قال:

"مَن رأى منكم منكرًا... فليغيّره".

ولم يقل:"فليسكته بحجّة الستر!"

الستر عبادة عظيمة... إذا كان الستر يدفع للتوبة.

أما إذا كان الستر يدفع للتكرار... فذلك خيانة للدين، لا خُلقًا من أخلاقه.

الستر لا يعني تبرئة... ولا يعني إسكات الضحايا...

ولا يعني تحقير الألم بحجّة "خليها مستورة".

الستر لا يكون على حساب أرواح الناس، وحقوقهم، وسلامتهم.

بل يكون بعد التوبة، ومع الاعتراف، وضمن إصلاحٍ حقيقيٍّ لا تكرار فيه.

حين يُذلّ المظلوم... وتُخرس شهادته... فإنّ الله يسمع ما لم يُقَل،

ويرى ما لا تُظهره المجالس،

ويشهد على كل عينٍ أُغلِقت خوفًا من فتنة... فصارت هي الفتنة بعينها!

ما أبشع أن نُلبس الدين جُبّة الجبن... ثم نقول: هذا هو الستر!

ما أقسى أن نبكي على "هيبة شخص"،

ولا نبكي على انكسار قلوبٍ لا تجد من يُنصفها!

حينها... لن يكون الله معنا في "سكوتنا"،
بل سيكون مع من كُسرت قلوبهم... وسُدَّت أبواب الإنصاف في وجوههم.
فتنَبَّه:
إذا كان "الستر" يُبقِي الظالمَ قويًّا، والمظلومَ مكسورًا...
فهو ليس سترًا... إنما هو سِترٌ كاذبٌ على نارٍ تتّقد...
وسيأتي يوم تنفجر فيه الحقيقة...
ويكون اللهُ هو الشاهدَ والحَكَمَ، لا الناس!

لا أحد يسأل...

"أين الحق؟ من ظُلم؟ من تأذّى؟ من يجب أن يُنصَف؟"
بل الأسئلة الجاهزة تنهال كحجارة تُغلق باب العدل:

- "لا تفضحوه... له مكانة"!
- "هذا شيخ... لا تسيئوا للدين"!
- "اسكتوا... لا تذكروا ما فعل، خافوا الله"!
- "افتحوا ستر الله... ولا تفتحوا باب الفتنة"!

أيُّ فتنة؟

١. أن يعرف الناس الحق؟
٢. أن يُحاسب من ظَلَم؟
٣. أن تُحمى الأمة من نفاق بعض المتدينين؟
٤. أن لا تتحوّل عمامة العالم إلى درع للظُّلم؟
٥. أن لا تكون اللِّحى والتصدّر عذرًا للمجاهرة بالمعاصي؟

أليس الفتنة الحقيقية... أن نُربِّي أجيالًا ترى الدين غطاءً للسكوت؟
أليس الفتنة... أن نضع "الستر" فوق "العدل"، و"الهيبة" فوق "الضمير"،

و"مصلحة السمعة" فوق مصلحة الحقيقة؟

أليس من الفتنة... أن نخاف على صورة الشخوص... أكثر من خوفنا من الله الذي يرى كل شيء؟

إنّ من يحتمي بالدين ليُخفي ظُلمه... لا يحتمي بالله، بل يحتال عليه... ويوهمنا أنه "من أهل الله"، بينما الله منه بريء حتى يرجع ويتوب ويُصلح ما أفسد.

لقد كره كثير من الناس الدين... لا لأنه باطل، بل لأن الباطل تستّر به.

الفرق الجوهري:

الستر النبيل	السكوت الجبان
ستر على من تاب وندم	سكوت عن من ظَلم واستمر
يعين الظالم على التوبة	يعين الظالم على الاستمرار
يُقيم العدل بلا تشهير	يخنق العدل باسم الستر

أمثلة من الواقع:

١. شيخ يتحرّش بطالباته... ويُقال: "لا تفضحوه! حافظ قرآن".

٢. رجل يظلم زوجته... ويُقال: "اصبري، لا تكسري البيت".

٣. موظف يسرق... ويُقال: "استروا عليه، لا نريد الفضيحة".

٤. متنفّذ يهين الناس... ويُقال: "نحن نحترمه! لا تذكروا شيئًا عنه".

٥. مُربي يتسلّط على الأطفال... ويُقال: "دعنا نسوّي الأمر داخليًا".

لكن ...ماذا قال رسول الله ﷺ؟

هل أمَرنا أن نسكت عن الظالم... بحجّة الحب، أو الصحبة، أو "الستر"؟
هل علّمنا أن نُربّت على كتف المجرم... ونقول للمجني عليه: اصبر واحتسب فقط؟....أبدًا.

بل قال ﷺ: "انصر أخاك ظالِمًا أو مظلومًا".

فقال الصحابةُ: يا رسول الله، ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟

قال: "تَمنَعُه عن ظلمه، فذلك نَصرُه " رواه البخاري.

إذًا: من يسكت عن الظلم... لا ينصر أخاه، بل يذبحه مرتين:

- مرةً حين يتركه يتمادى..
- ومرّةً حين يحرمه من باب التوبة... بالتغطية الكاذبة.

ليس كل من سكت... ستر.

وليس كل من فضح... فاجر.

بعضهم حين يكشف الظلم... لا يفضح إنسانًا، بل يُحيي أمّة.

خطر هذا السكوت:

١. يربّي مجتمعات خائفة من قول الحق.
٢. يُفقد ثقة الناس في "المتدينين".
٣. يُظهر الدين وكأنه "غطاء" لا "نور".
٤. يُحرّف صورة الإسلام لدى من أراد أن يدخل فيه.
٥. يُطفئ نور التوبة... لأن لا أحد يعترف أصلاً بالذنب.

رسالة للقلب:

- الله هو الستّير... لكنه ما كان يومًا ساترًا للظلم الذي يُكابَر عليه.
- الدين لا يُهان حين يُكشف المتسترّون، بل يُهان حين يُستخدم للسكوت عنهم.
- ليس من الدين أن نُخفِي جراحات الناس... بل أن نُزيل من يفتحها عمدًا.

الستر الحقيقي:

١. أن تفضح الذنب في نفسك قبل غيرك.

٢. أن تستر المذنب الذي ندم، لا الذي يكرر.

٣. أن تخاف الله أكثر مما تخاف الفضيحة.

٤. أن تتذكّر: أن كل من سكت عن ظلمٍ... صار شريكًا فيه.

خاتمة وجدانية:

لا تخلط بين الرحمة... والتواطؤ..

ولا تجعل الدين مظلّة للذئاب..

وكن عبدًا لله، لا عبدًا "لهيبة الناس"

لأنَّ الله تعالى قال:

﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾

يسمع استغاثة المظلوم،...

"ويبصر من يسكت عن الظالم... ويحسب نفسه متدينًا"

الفصل التاسع: حين صار الطلاق جريمة... والزواج الثاني خيانة!

- **شرع الله لا يُلغى بمزاج المجتمع..**
- **كيف حُوربت سُننٌ مشروعة باسم "الحفاظ على الشكل"؟..**

هل غيّر الله تعالى دينه؟ أم غيّر الناس قلوبهم؟

الطلاق... ذلك الحكم الإلهي المشروع،

الذي جعله الله باب نجاة حين تُغلق أبواب الحياة،

وشرَّعه رحمة لا نقمة، ليفكّ به أسر القلوب حين تضيق...

ويُنهي به فتنة الصبر الذي يُميت.

والزواج الثاني... ذلك الخيار الذي جعله الله رخصة رحمة،

ورأفةً بحال نساءٍ بلا أزواج، وأطفالٍ بلا حنان، وقلوبٍ بلا دفء...

لا انتقامًا، ولا شهوة، ولا خيانة!

لكن اليوم... كلاهما صار تهمتين لا تُغتفران!

الطلاق صار "سقوطًا"، والزواج الثاني صار "خيانة".

فمن طلّق... اتُّهِم بالجفاء.

ومن تزوّج ثانية... رُجم بلقب الخائن، الناكر، عديم الوفاء.

- هل الله شرع الطلاق لتعيير المرأة؟
- هل الله شرع الزواج الثاني ليكسر الأولى؟
- هل الله قسّم الرَّحمات... لنتعامل معها كجنايات؟

الخلل ليس في الشريعة... بل في فهمنا لها.

العيب ليس في الطلاق أو التعدد...

بل في سوء استعمالهما، وسوء ظننا بالله وحكمته.

- لماذا يُحمَّل الدين ذنب السفهاء؟
- لماذا نحاكم تشريعات الله بمنظار دراما المسلسلات؟
- لماذا نتّهم النص... لأننا رأينا من أساء تطبيقه؟

الطلاق... حين يكون بحكمة، هو شرف لا مذلّة.

والتعدد... حين يكون برحمة، هو شهامة لا خيانة.

والتطبيق الخاطئ... لا يُلغي الحكم الصحيح.

إذا رأيتَ من يتزوّج الثانية ظلمًا... فهاجِم ظلمه، لا التعدد.

وإذا رأيتِ من يُطلّق بطيش... فعاتبوا طيشه، لا الطلاق.

أما أن نُشيطن الأحكام ... لأنّ بعض البشر خانها، فهذه هي الخيانة الحقيقية!

من الذي شوّه الفكرة؟

من الذي جعل الطلاق "عارًا"، والزواج الثاني "خيانة"؟

من الذي حوّل الرخصة الشرعية إلى فضيحة،

والرحمة الربانية إلى شبهة تُلاحق أصحابها؟

ليس القرآن... وليس النبي ﷺ...

بل مجتمعات اختزلت الدين في "الشكل الاجتماعي"،

فلم تعد ترى إلّا صورة المرأة "مُطلّقة"، أو الرجل "متعدّدًا..."

ثم تُسقط عليهما كلّ اتهامات "الخذلان" و"الفشل" و"الخيانة".

مجتمعات ألبست سنن الله لبوسًا من العار، ثم رفعت لافتة كاذبة تقول:

"نحن ندافع عن المرأة"! يا للعجب... كيف تدافعون عن المرأة،

حين تجعلون المطلقة مذنبة قبل أن تُسمَع، والمتعدَّد خائنًا قبل أن يُفهَم؟

- هل من الإنصاف أن نُعامل أحكام الله على أنها تهمٌ اجتماعية؟.

- هل من الرَّحمة أن تُحارب امرأة لأنها خرجت من زواج يُؤذيها؟.
- هل من العقل أن تُحاكم نوايا رجل لمجرد أنه طبّق ما أباحه الله؟.

ما شوه صورة الدين... ليس الدين،

بل مَن وضعوا عاداتهم في موضع الآيات،

وجعلوا "الناس ماذا ستقول؟" فوق "ماذا قال الله؟."

لقد صار الخضوع للشرع هو الشجاعة،

وصار السكوت عن العادات هو العبء...

فمن اختار شرع الله بوعي ورحمة... سُمي متخلّفًا،

ومن خالفه لينال رضا الناس... سُمي حضاريًّا ناضجًا!

وهكذا... سقطت المفاهيم، ووقف الحقُّ أعزلًا... يُتّهم بما لم يقل،

وتوارى الشرع خلف عناوين "العيب"،

كأن الله تعالى يُستفتى في مجلس أهل الحيّ!

الطلاق... حين يصبح طوق نجاة، لا عارًا:

قال الله تعالى: ﴿ **وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ** ﴾ النساء: ١٣٠.

الله يغني... لكن المجتمع "يفقر" باللوم والتوبيخ والفضيحة.

المطلقة تُلاحق همسًا لا رحمةً.

وتُعامَل كأنها "فشلت"، لا كأنها "نجت".

وتُمنع من فرص الزواج... لأنَّ الناس تخاف من "تاريخها".

ويُقال عنها: "ما دامت تطلّقت... فلا بد أن فيها عيبًا"!

لكنهم نسوا أن زوجات النَّبي ﷺ، كلّهن إمّا مطلقات أو أرامل...

فهل نطعن فيهن؟ أم نطعن في عقولنا التي صارت عبيدًا للتقاليد؟

والزواج الثاني... حين يكون رحمة لا خيانة:

الله قال: ﴿ **فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ** ﴾ النساء:٣

فجاء المجتمع ليقول:

"الذي يتزوج ثانية خائن... عديم الوفاء... لا يستحق الاحترام"!

حتى أصبحت بعض النساء تقول:

"لو خانني... أرحم من أن يتزوج عليّ بالحلال"!

يا الله... أيّ نكوص عن الفطرة هذا؟

وأيّ استسلام لأصنام المجتمع؟ أصبح الحرام "أهون وقعًا" من الحلال؟!

الخلط الكبير:

ليس كل طلاقٍ ظلمًا!

فالطلاق أحيانًا... هو آخر أبواب الرحمة.

هو القرار الذي يُنقذ ما تبقى من احترام،

ويُبقي على بقايا إنسانية ضاعت في زحام الجراح.

وليس كل زواجٍ ثانٍ خيانة!

فبعض القلوب تتّسع لأكثر من حبّ،

وبعض البيوت تُبنى على الرفق، لا على المقارنة والمكايدة،

وبعض الرجال ما خانوا... بل رحموا.

وليس كل من طلّق ظالمًا،

فالظلم أن تُجبره أن يبقى في علاقة تُميت قلبه كل يوم،

وأن تُلزمه بميثاقٍ تحوّل إلى قيد لا يُطاق.

ولا كل من تزوّج خائنًا،

فالخيانة الحقيقية... هي أن نُلغي ما أحلّه الله،
لنجعل الناس أسرى لتصورات لم يُنزل الله بها سلطانًا.
الخلل الحقيقي؟ ليس في الطلاق... ولا في التعدد...
ولا في تشريعات الله العادلة.
بل في فهم الناس الملتوي للدين...
حين يقيسونه بعين العادات، لا بنور الآيات.
حين يُصدرون الأحكام بلسان الغضب، لا بعقل الشريعة.
حين يجعلون الدين خادمًا لـ"سمعة المجتمع"،
لا سيّدًا يهدي هذا المجتمع للحقّ والعدل والرحمة.
وهكذا... صار من يختار شرع الله "مُتّهمًا"،
وصار من يحاربه "مدافعًا عن الحقوق!"
ولكن... من الذي حطّم البيوت حقًا؟ إنه ليس الدين...
بل "العُرف" الذي تديَّن دون وحي، وتكلم باسم الله دون علم،
وجعل من "العيب" دينًا جديدًا... لا يُرحم فيه من أطاع الله.

هذا ما يقوله الدين لا الناس:

الدين يقول:

إذا استحالت العِشرة... فالطلاق "حلّ مشرّف"، لا "فضيحة".
لأن الله لا يُريد لقلوبٍ أن تتعذب باسم الصبر،
ولا لأرواحٍ أن تُدفن تحت مسمّى "تحمّل من أجل الناس".

الدين يقول:

إذا وُجدت الحاجة... فالزواج الثاني "خيار شرعي"، لا "طعنة في القلب".
لأنه ليس خيانة... بل أبواب رحمة،

وليس انتقاصًا للأولى... بل زيادة في الخير إن وُضع في موضعه.

الدين يقول:

إذا أحببت الأولى... فهذا لا يعني أن الثانية ستكون خيانة.

لأن القلب الصادق لا يُقصي... بل يتّسع.

والوفاء لا يُقاس بعدد الزوجات، بل بعدد المواقف التي لا تُنسى.

هذا ما يقوله الدين...

أما الناس؟

فالناس يُبدّلون كلام الله بمزاجهم...

ثم يُحاسبونك لا على ما فعلت، بل على ما "فهموه" عنك... ولو كان ظُلمًا.

فلا تخف من تطبيق شرع الله...

بل خف من قلبٍ خضع لعُرف الناس، ولم يخضع لله سبحانه وتعالى.

لكن المجتمع يقول... لا الدين:

- **المطلّق؟**

  "فاشل لم يعرف كيف يحافظ على بيته"!

- **والمطلّقة؟**

  "خاطئة لا تصلح للحياة الزوجية... أكيد فيها عيب"!

- **والزواج الثاني؟**

  "عارٌ يُخفيه بعض الرجال... وتبكي لأجله نساء"!

- **والوفاء؟**

  "أن تموت في زواجك الأول، ولو كنتَ تعيسًا، محطمًا، مسحوقًا"!

- **والمرأة؟**

  "يجب أن تقبل كل شيء... الخيانة، القسوة، التجاهل... فقط حتى لا

تُرمى بكلمة (مطلقة)"!

- **والرجل؟**

"يُحاسب على قراره... لا على عدله! فقط لأنه تجرّأ وطبّق رخصة شرعية، لا يفهم أحد خلفيّتها، ولا ينظر أحد في نيّته"!

هذا هو منطق الناس... لا منطق الرَّحمن.

هذا هو فقه "العيب"... لا فقه "العدل".

- هل ترون كيف جعلوا "الوضع الاجتماعي" أهم من "الوضع الإنساني"؟
- هل ترون كيف صار الناس يقيسون العلاقات بعين الحشود... لا بعين القلوب؟..
- هكذا يُخنق الحلال...
- وهكذا يُحاكم الطاهر...
- وهكذا يُشوه الدين بأيدي من لم يقرؤوه أصلًا.

في النهاية... صار من اختار شرع الله متهَمًا،

ومن خالفه "واعيًا ناضجًا متفهمًا!"

وصار الطلاق "وصمة..." والتعدد "خيانة..."

والوفاء الحقيقي... "غباء عاطفي."

لا يا مجتمعي: الحقّ لا يُقاس بصوت الناس... بل بنور الوحي.

والوفاء لا يُقاس بالبقاء فقط... بل بالعدل والنية والصدق.

الرسالة الجوهرية:

الله تعالى لا يُشرّع ما يؤذي...

والله تعالى لا يُحلّ إلَّا ما فيه حكمة...

والله تعالى لا يُقيّدنا بالشكليات، بل يهدينا لحياة حقيقية نعيشها بنور، لا بمظاهر كاذبة... فلا تُجرِّموا شرع الله،

ولا تجعلوا سُنة رسول الله ﷺ سُبةً في مجالسكم،

ولا تُبدلوا معيار الوفاء من الصدق والعدل... إلى "الحفاظ على الشكل الاجتماعي!"..

رسالة وجدانية لكل من:

- امرأة طُلّقت: أنتِ لم تفشلي، بل اختارك الله لحياة جديدة، فاستعيدي ثقتك.
- رجل تزوّج ثانية بعدل: لا تخجل، بل اخشَ أن تَظلم، لا أن تُرضي الناس.
- مجتمع يُهاجم الشَّرع باسم العُرف: توبوا، فالسكوت عن آيات الله جريمة أعظم من الطلاق والزواج.

الفصل العاشر: مفهوم "العيب" في التربية... أكبر حاجز بين الأبناء والدين..

- **كيف خرّبنا العلاقة بين الجيل والدين بالتخويف والتعييب؟**
- **ما الفرق بين الحياء النبوي... والحياء القاتل؟**

تبدأ القصة منذ الطفولة...

حين يُسأل الطفلُ سؤالًا بريئًا عن الله أو الجسد أو الزواج...

فيُقابل بالصراخ: "عيب! لا تسأل! لا تتكلم في هذه الأمور"!

فيتعلم مُبكرًا أنَّ الصمت... أكثر أمانًا من الصدق.

وحين يبكي ابنك من خشية الله، أو خوفًا من ذنب اقترفه...

يقال له: "لا تبكِ، أنتَ رجل"!

فيتعلم أنَّ الرجولة... تعني قلبًا بلا دمعة، ولا خشية، ولا ضعف!

وحين تخطئ الفتاة، وتندم، وتبحث عن التوبة...

يقال لها: "لقد أسأتِ السمعة... لا رجعة لك!

لن يثق بكِ أحد بعد اليوم... ولن ينظر لكِ الناس بعين الصفح"!

فيتعلّم قلبها أن العودة مستحيلة،

وأنَّ التوبة لا تُقبل اجتماعيًّا... حتى لو قبلها الله!.

وهكذا... تُغلق أبواب العودة، وتُفتح أبواب العار،

وتُربّى النفوس لا على "الخوف من الله"... بل "الخوف من الناس".

- يُعلَّم الطفل أن العيب أقوى من الحرام..
- وتُربّى البنت على أن الناس يحكمون، لا الله!.
- ويُهيّأ الرجل أن الصورة أهم من الحقيقة.
- وأن الرجولة تُقاس بعدد من كتموا دمعهم... لا بعدد من خشعوا لله.

وهذه هي بذرة الانحراف الجماعي...

حين نُربّي الأجيال على عُقد، لا على قيم، وعلى السمعة، لا على التوبة،

وعلى "وش يقولون عنك؟" بدل "ماذا يقول الله عنك؟"

هكذا سقطنا... حين صار العار حاجزًا أمام التوبة،

وصار "العيب" دينًا غير مُنزل... لكنه أقوى من كل آية!.

"العيب"... ذلك الطاغية الجديد!

هو ليس من الدين، وليس مما قاله الله تعالى،

لكنه اخترق بيوتنا وتربيتنا ووعينا، وصار أقوى من ألف فتوى!

- "لا تلبس هكذا... لأنه عيب"
- "لا تتكلم عن هذا الموضوع... لأنه عيب"
- "لا تسأل عن هذا الشيء... لأنه عيب"
- "لا تقل أنك ضعفت ...عيب"!
- "لا تعترف بذنبك ...الناس ستتكلم"!

النتيجة؟

جيلٌ لا يفرق بين "العيب" و"الحرام"، ولا يجرؤ على الرجوع إلى الله،

لأنَّ صورة الدين عنده أصبحت:"أوامر مُهينة، لا رحمة محيطة".

الحياء... حين يُغتال في مهده

الحياء النبويّ...

١. هو نور في القلب يمنعك من الوقاحة، لا من التوبة.
٢. هو خجل من الله، لا خجل من الناس.
٣. هو سِترٌ جميل... لا سَحقٌ للقلب.

أما ما نراه اليوم، فليس حياءً، بل خوف مرضي من "العيب الاجتماعي":

- يخفي الشاب صلاته في الجامعة لأنه يخجل أن يُقال عنه "مُتدين!".
- وتخفي الفتاة قرار الحجاب خوفًا من كلام زميلاتها.
- ويخفي التائبون عودتهم إلى الله لأنهم يظنون أن الناس لا ترحم!.

ما هذا الدين الذي حرّفناه إلى منظومة رُعب اجتماعي؟.

من الذي أقنعنا أن "العيب" حكمٌ شرعي؟..

من الذي روّج أن "صورة العائلة" أهم من "نجاة الأبناء"؟..

"لا تسأل... لا تتكلم... لا تخطئ... لا تعترف"

تلك هي التربية الصامتة، التي لا تَصرُخ في وجهك...

لكنها تغرس فيك الخوف من كل شيء.

تقتل فيك الفضول المشروع... فتنمو وأنت تجهل، وتخاف أن تعرف.

تدفن فيك التوبة الحيّة... فتخطئ، وتخاف أن تعود،

لأنّ من علّموك لم يقولوا: "ارجع"،

بل قالوا: "كيف تجرؤ أن تُخطئ؟"!

تزرع فيك الرَّهبة من الحديث، من السؤال، من الاعتراف...

فتتشرّب الصمت بدل الصدق،

وتتقن التمثيل... بدل المواجهة.

وفي النهاية... تُخرّج لنا جيلًا كاملًا:

يعرف كيف يُرضي الناس بصورة،

أو بسلوك اجتماعي أنيق، أو بعبارات تحفظ المقام... لكنّه لا يعرف:

كيف يُرضي الله؟ لأنه لم يُعلَّم أن الله أعظم من الناس،

وأن التوبة أقوى من العار، وأن البكاء في الخلوة...

أشرف من الصمت في المجالس.

هكذا ضاعت البوصلة... حين رُبّي الجيل على الخوف من "الفضيحة"،

لا الخوف من الله.

آثار "العيب" القاتلة:

حين تربّينا على أن "العيب" أخطر من "الحرام"،

وأن "الناس" أخوف من "الله"، وقعت الكارثة...

أبناءٌ صالحون... يبكون إلى الله سرًا،

لكنهم يختبئون من آبائهم خوفًا من أن يُساء فهمهم.

يخشون الصراحة... لأنّ من ربّاهم لا يُصغي، بل يُدين.

بناتٌ تائبات... يشعرن بالذنب، لا لأنهنّ لم يتُبن، بل لأن الناس لن تنسى!

يحملن توبةً بينهن وبين الله...

لكنّ المجتمع يجعلها توبةً مكسورة، مشكوكًا فيها، مشبوهة النية.

مراهقون ضائعون... يمارسون المعصية في الخفاء،

لا لأنهم يحبون الحرام، بل لأنهم لم يجدوا من يرشدهم بالرَّحمة.

كل من حولهم يصرخ: "عيب"!

لكن لا أحد جلس معهم ليسأل: "هل تفهم لماذا هذا حرام؟ هل تحتاج من يسمعك؟"...

العيب إذا انفصل عن الرحمة... صار قيدًا خانقًا، لا ضابطًا راقيًا.

والحياء إذا فُهم على أنه خوف من الناس، لا خضوع لله... سيفقد روحه، ويصير قناعًا للنفاق.

هذه هي الثمرة... جيلٌ يُتقن الكتمان،

يضبط صورته، ويُخفي ألمه... لكنّه لا يجرؤ أن يكون صادقًا، أو تائبًا، أو باكيًا... أمام مَن يُفترض أنهم أقرب الناس إليه.

لأننا علمناه أن كل شيء يُغفر... إلا أن يُكشَف!.

الحل:

نريد تربية تُفرّق بين:

العيب الاجتماعي	الحرام الشرعي
ما يُخجل الناس	ما يُغضب الله
صورة أمام الناس	سريرة بينك وبين الله
قائم على العرف	قائم على الوحي

رسالة لكل والد ومربٍ:

لكل والد، ولكل مربٍّ، ولكل من يظن أن الحزم وحده يُربّي:

- لا تُربِّ ابنك على الخوف منك... بل علّمه كيف يخشى الله إذا خلا، ويشتاق إلى رضاه إذا أذنب.
- لا تزرع في قلبه صورة الدين كـ"جلّاد للخطأ"... بل كـ"رحيمٍ ينتظر التوبة، يفتح ذراعيه للعائدين، ويغفر بفرح".
- لا تقل له:"يا عيب الشوم"! قل له:"يا بُني، الله غفور... لكنه لا يُحب أن يُستهان بنوره".
- لا تخف من أن يعترف لك بخطئه... بل خف أن يُخفي عنك قلبه إلى الأبد، أن يصبح غريبًا عنك، وهو تحت سقف بيتك.
  أن يتعلّم الصمت الماكر... بدل الصراحة المؤمنة.

أنت لا تُربّي صوت ابنك... أنت تُربّي قلبه.

فإما أن ينشأ على أن الله أقرب إليه من الناس،

وإما أن يظن أن الدين يُخيف أكثر مما يرحم...

وهنا تبدأ غربته الحقيقية... حتى لو صلى أمامك كل يوم!

فاحذر أن يكون أول درسٍ يتعلّمه منك...
هو أنَّ الله يشبهك في الغضب – أستغفر الله –، لا في الرحمة!

الختام:

الحياء النبوي يُنبت الصَّالحين... والحياء الاجتماعي يُنتج المنافقين! فاختر، أيّ حياءٍ تريد أن تزرعه؟..

الفصل الحادي عشر: الزواج عبءٌ مادي؟ أم عبادة ميسّرة؟

- **كيف شوّهت المغالاة في المهور صورة الزواج الإسلامي؟**
- **هل الدين فرض حفلات ضخمة؟ أم أباح البساطة؟**

من أين بدأ التشوّه؟

الزواج في أصل الإسلام: عبادة عظيمة، تلتقي فيها الروح بالروح،
وتنطلق منها رحلة السكن، والمودّة، والرحمة.
بابٌ إلى الله... لا إلى الأسواق.
ميثاقٌ غليظ... لا صفقة تجارية.

لكن في واقعنا المعاصر؟

تحوّل الزواج إلى مشروع إفلاس جماعي، ومزاد تفاخر اجتماعي،
لا يليق بدينٍ علّمنا أن البركة في "اليسر"،
وأن "أقلهنّ مهرًا... أكثرهنّ بركة".

يسألون:

كم يدفع؟

كم الذهب؟

أي صالة؟

ما الماركة؟

كم عدد المدعوين؟

هل عنده شقة؟ سيارة؟ تأمين؟ سفرة عسل؟

والأهم:

ما شكل "العرس"؟

هل يُبهر الناس؟

هل يليق بـ"اسم العيلة"؟

هل سيكون "حديث الموسم"؟!

لكنهم نسيوا... بل تناسَوا... الأسئلة التي تبني الزواج... لا تزيّنه:

- هل يخاف الله؟
- هل يُصلي في وقتِه؟
- هل يعرف معنى القوامة... لا معناها الاجتماعي، بل الشرعي؟
- هل عنده أخلاق واستقامة؟
- هل يُحسن أن يُسعد ابنتي... ولو ببيت صغير، لكن فيه الله؟

صار المهر أغلى من الإيمان،

والصالة أهمّ من الصَّلاة،

والسيارة أوضح من السيرة!

وهكذا... دخل الناس القفص الذهبي...

ليجدوا أن الذهب صدأ، وأن القفص فعلاً... قفص!

الخلط الكبير: بين "الكرامة" و"الكِبر"

بعض العائلات تظن – بكل حسن نية – أن تبسيط المهر يُهين البنت،
وأن إقامة حفل متواضع يُقلل من هيبة العائلة،
وأن من لا يُبهر الناس... لا يُحترم! لكن مهلاً...

- ◄ هل كان رسول الله ﷺ يُهين فاطمة الزهراء حين زوّجها لعليّ؟
- ◄ ألم يكن مهرها درعًا بسيطًا؟
- ◄ أليس مجلس عرسها غرفة ترابية فيها شيء من قشّ ونور؟
- ◄ وهل قلّ شأنها
- ◄ أم أنها أصبحت: سيدة نساء أهل الجنة؟

هل رأيتُم كيف تزوّجت أطهر نساء الأرض...
بدون صالة، ولا ذهب، ولا موكب زفّة؟
وهل قلّل ذلك من مكانتها؟
أم زادها رفعةً عند الله، وخلودًا في قلوب المؤمنين إلى يوم الدين؟
الكرامة... لا تُقاس بالمظاهر، بل تُقاس بمنزلتك عند الله،
وبحجم الراحة والرحمة التي تجدينها في بيتك الجديد.
أما الكِبر... فهو أن نُبالغ في كل شيء،
ثم نبكي بعد سنة: لماذا طلق ابنتنا؟ لماذا ساءت العِشرة؟
وننسى أن أول فتنة بدأت يوم جعلنا الزواج مسابقة مظاهر... لا شراكة نفوس.

الكرامة الحقيقية ليست في حفلةٍ تُنسى... بل في حياةٍ لا تُنسى!

ماذا فعلنا نحن؟

جعلنا الزواج "صفقة استثمارية"، تُقاس فيها المرأة بمقدار ما تُكلّف،

ويُقاس الرجل بمقدار ما يملك... لا بما يحمل من دين وخُلق.
جعلنا الكفاءة في "الراتب"، لا في الرقابة الإلهية،
في "الشكل الخارجي"، لا في قلبٍ يعمره القرآن.
صرنا نخطب بـ"كشف حساب البنك"، لا بـ"كشف حاله مع الله".
ونسأل عن الراتب، لا عن الرّكعات.
وعن نوع السيارة، لا عن نوع السُّلوك.

والنتيجة؟

ملايين من الشباب عازبون... ليس لأنهم لا يريدون العفاف،
بل لأننا عقّدنا عليهم الطريق باسم "العادات"، لا باسم "الآيات".
نخاف من أن يُقال "زوّجتم ابنتكم لموظف بسيط"،
ولا نخاف من أن تُطفأ سعادتها كل ليلة في بيتٍ خالٍ من الله.
لقد رفعنا سقف المطالب... حتى صار الزواج مستحيلًا،
ثم بكينا على الفتن والانحراف، ونسينا أننا نحن من أغلق الأبواب،
وتركنا الشباب وحدهم في مواجهة الشهوات.
يا أمة الإسلام... إن لم نُيسّر العفاف،

فلا تلوموا أبناءكم إذا ضلّوا الطريق بحثًا عن شيء من الدفء... بأي ثمن!

ماذا قال الشَّرع؟

- هل قال: صالة فخمة وكوشة مذهّبة؟.
- هل قال: عشرة آلاف مهر، وأربعة آلاف تصوير، وألفَي زينة؟.
- هل قال: صراع ماركات، ومهرجان تفاخر، وكلمات تُكتب للناس لا للميثاق؟.

لا... وألف لا...

قال الله تعالى:

﴿ **وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ** ﴾ النور: ٣٢

أمرٌ مباشرٌ... لا "كوشة" فيه، ولا شرط دعوة ٣٠٠ شخص!

وقال رسول الله ﷺ:

"أعظم النساء بركةً، أيسرهنّ مئونة" رواه أحمد بسند صحيح..

وقال ﷺ أيضًا:

"إذا أتاكم من ترضَون دينه وخُلُقه... فزوّجوه" رواه الترمذي وحسّنه..

أين في الشريعة بند:

"قاعة زفاف بـ ٥٠٠٠$، وفستان لا يُلبَس إلا ساعتين، ومصور درون، وإضاءات بثلاث كاميرات"؟

أين الآية التي تقول:

"من لا يستطيع دفع المهر الفلاني... فليس كفؤًا"؟

أين الحديث الذي يجعل من "نوع الكوشة" مقياسًا للهيبة؟!

في الشريعة... هناك فقط:

- ☑ دين
- ☑ خُلق
- ☑ نية عفيفة
- ☑ رضا الطرفين
- ☑ وليّ
- ☑ شاهدان
- ☑ صداق مقبول... لا مَفخَر

أما ما سوى ذلك؟

فهو "بُنْية اجتماعية هشّة" لا تصمد أمام أول خلاف...

لأنها بُنِيَت على العيون المُعجبة، لا القلوب المُطمئنة.

إذا أردت بركة... فاتبع وحي الله،

وإذا أردت تباهياً... فاستعد لبيتٍ فارغٍ من الروح،

مهما كَبُرَ في أعين الناس.

التبعات المخيفة:

١. شباب يضيع دينه في الحرام لأنه لا يستطيع الحلال

٢. فتيات ينتظرن بلا أمل، لأنهن رهائن سقف الأهل

٣. أسر تتفكك لأن البداية كانت استعراضًا... لا استقرارًا

٤. والأخطر: صورة مشوّهة عن الإسلام أمام غير المسلمين!

يقولون: "دينكم يُشجع الزواج... لكن مجتمعاتكم تعقّده"!

ويقول بعض الداخلين في الإسلام:

" أحببت الدين... لكن لم أستطع أن أعيش فيه زواجًا طاهرًا،

لأني غريب فقير "!.

رسالة:

إلى هذا المجتمع المُنهك بالتقاليد، والبعيد عن نور الآيات:

أيها المجتمع... هل تريدون سعادة بناتكم؟

أم "مهرًا" يُبكيكم عند أول خيبة... بعد شهر؟

هل تريدون عفاف الشباب؟ أم جيلاً من العلاقات السرية والذنوب الخفية...

لأن الحلال صار حُلمًا باهظًا؟

الزواج في دين الله...

- ليس صفقة، بل عبادة.
- ليس مزادًا، بل سكنًا.
- ليس موكب تباهٍ، بل ميثاقًا غليظًا.

فلا تبحثوا عن "الحفل"... بل ابحثوا عن "الحنان".

لا تُفتّشوا في الحسابات البنكية... بل في سُجود الشاب.

لا تسألوا عن القاعة والكوشة... بل اسألوا:

هل هذا الشاب رجلٌ لله... أم صورة على إنستغرام؟

لا تُثقلوا كاهل الشباب...

فربما كان بعضهم من أولياء الله وأنتم لا تشعرون.

وربما من شدّة شروطكم... خسرتم عبدًا صالحًا كان سيجعل ابنتكم سيدة قلبه، ولو في بيت من طين... لكنه عامر بالسكينة.

بالله عليكم... خفّفوا، يُبارك الله.

يَسّروا، يرضَ الله....واذكروا دائمًا:

" البيت الذي يبدأ بـ "رضا الله"... لا يُهدّمه ضيق ولا فقر "

ختام الفصل:

الزواج عبادة...

والعبادة في الإسلام مبنية على التيسير... لا التعسير.

فارحموا الشباب... وافتحوا الأبواب.

ولا تكونوا أنتم الحاجز بين الحلال والقلوب الصادقة.

الفصل الثاني عشر: أولياء الأمور... أم سلاسل العادات؟

- **حين تُمنع فتيات صالحات من الزواج بسبب العُرف لا الشرع.**
- **هل أصبحت السلطة الأبوية أكبر من حكم الله؟.**

الواقع المرير

في مجتمعاتنا... هناك فتيات عفيفات، حافظات لكتاب الله،
قلوبهن معلّقة بالحلال... ينتظرن الزوج الصالح، لا المغازلة،
ينتظرن الستر، لا العلاقات.
يرجون بيتًا صغيرًا فيه طاعة... لا قصورًا فيها خيانة.
وقد يتقدّم إليهن من يُشهد له بالصلاح،
رجل يخاف الله، يُصلي، يعمل بجد، خلقه كريم،
لكن الجواب يكون:

- "لا! ما دام ليس من عشيرتنا"!
- "لا! أصغر منها سنًّا"!
- "لا! فقير... لا يليق بنا"!
- "لا! متديّن زيادة عن اللزوم"!
- "لا! البنت ما زالت صغيرة... دعها تخدم أمها أولًا"!
- "لا! لا يجوز أن تُزوَّج قبل أختها الكبرى"!
- "لا! نحن لا نُزوّج بهذه الطريقة"!
- "لا! لا وقت للزواج الآن... عندنا مسؤوليات أهم"!

وهكذا... تُرفض مشاريع زواج صالحة، ليس لأن الخاطب لا يستحق،
بل لأن "العُرف لا يرضى".. لأن "التقليد لا يسمح"...
لأن "الناس ماذا سيقولون؟"

وليس "ماذا يريد الله تعالى؟"

نحن هنا لا نتحدث عن حالة فردية...

بل عن ظاهرة تُعاني منها آلاف الفتيات،

في بيوت تحفظ القرآن... لكن لا تفتح بابه للذين يطلبونه بالحلال.

ثم نسأل: لماذا تأخر الزواج؟ ولماذا كثرت الفتن؟

ولماذا فقدت بناتنا الثقة في الأهل، وفي العفاف، وفي جدوى الانتظار؟

الجواب موجع:

" لأننا نحن... من أغلق الأبواب التي فتحها الله "

المفارقة الموجعة

الشرع يقول:

"إذا أتاكم من ترضَون دينه وخُلقه... فزوّجوه".

لكن المجتمع يردّ:

"إذا أتاكم من ترضونه... فانتظروا العادات، وخافوا من كلام الناس"!

الشرع يقول:

"الوليّ رعاية ومسؤولية، يحمي القرار، ويضمن الكرامة".

لكن المجتمع يصرّ:

"الوليّ حارس وسجّان... يمنع حتى لو كان الخاطب نبيًّا في خُلقه"!

الشرع يقول:

"فلا تعضلوهنّ أن ينكحن أزواجهنّ"...

لكن المجتمع يقول:

"لن تتزوجي إلا بموافقتي... ولو لم يأتِ أحد"!

الشرع يُعلي من "الدين والخُلق"،

أما الناس... فيُعلون من "النسب والراتب والمظاهر".

الشرع يحثّ على التيسير...

أما الناس... فيُتقنون التعقيد، ثم يتساءلون: "لماذا تأخر الزواج؟"!

هكذا ضاعت سنن الله... حين جعلنا العُرف حَكمًا فوق الآية،

وجعلنا "رأي الناس" قرآنًا يُقدّم على وحي الله تعالى.

العضل: جريمة باسم الولاية

العَضْل" ليس تحفظًا... وليس حرصًا...

بل هو ظلمٌ صريحٌ، نهى الله عنه بنصّ القرآن.

العَضْل هو أن يمنع الوليّ المرأة من الزواج بمن ترغب فيه من الأكفاء،

دون مانعٍ شرعيٍّ واضح، بدافع العادات، أو العصبية،

أو التحكم، أو الخوف من كلام الناس.

وهو ليس فقط خطأً... بل جريمةٌ شرعيةٌ تُنذر بالعقوبة.

قال الله تعالى: ﴿ **فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ** ﴾ البقرة: ٢٣٢..

قال العلماء: هذا نهيٌ صريحٌ، والنهي في كتاب الله للتحريم ما لم تصرفه قرينة.

ولم تأتِ قرينة هنا... بل أتى التهديد!

بعض أهل العلم عدّ العضل من الكبائر،

لأنه:

- يمنع الحلال الذي شرعه الله،
- ويُفجّر المكبوت العاطفي المشروع،
- ويفتح أبواب الحرام، والمخالفات، والندم...

ثم يلوم البنت: "لماذا انحرفت؟"!

إنك حين تمنع امرأة من الزواج بكفء صالح...

فأنت لا تحميها، بل تحبسها عن حقها الشرعي.

ولا ترفع مكانتها، بل تمنعها من السكن والرحمة.

الولاية في الإسلام:

- عون... لا قيد.
- رحمة... لا سجن.
- تكليف شرعي... لا وصاية نفسية.

العضل جريمة...

- ◄ حتى لو ارتُكبت بصوت هادئ،..
- ◄ وحتى لو لبست لباس "الغيرة"،..
- ◄ وحتى لو صمتت الفتاة خجلًا من أن تقول: "لقد ظلمني أبي".

من هو الوليّ في الإسلام؟

هو الراعي ...لا الرافض، هو الرحيم ...لا المتسلّط،

هو السَّند الذي يُسند البنت حتى تدخل بيتها مطمئنة،

لا السَّدّ الذي يقف بينها وبين الحلال، ثم يقول: "أنا أُحبها"!

الوليّ في الإسلام: ليس من يفرض شروطه ليستعرض سلطته،

بل من يسعى لمصلحة ابنته، لا مصلحة كرامته الاجتماعية.

من يزن الأمور بميزان الدين والرحمة، لا بكلام الجيران، ولا باسم "هيبة العائلة".

الوليّ الحق: هو من يُسهّل الزواج، ويحمي البنت من سوء الاختيار،

ويفرح حين يأتي الكفء الصالح... لا يُعقّد الطريق أمامه بـ"آلاف الشروط".

الوليّ في الإسلام...

هو العبد الذي يخشى أن يُسأل يوم القيامة:

- "لِمَ مَنعتَ؟"
- "لِمَ شدّدتَ؟"

- "لِمَ غلّقتَ أبواب الحلال أمام من طرقها بأدب وديانة؟"

فانتبه أيها الوليّ... إنك لا تُزوّج فقط...
بل تُحاسب على كل "نعم" و"لا" تقولها،
لأنك تقف على بابٍ فتحه الله... فاحذر أن تغلقه بهواك!.

أسئلة موجعة للمجتمع

كم فتاة صالحة...

لا تزال تنتظر تحت سقف بيتها، لأن والدها قال بثقة لا تشبه الرحمة:
"ما عجبني شكله"! وهل الخلق يُقاس بالهيئة؟
هل التقوى تُرفض لأن الذوق لم يُعجب؟

كم قلبًا طاهرًا...

كُسر لأنه أحب بالحلال، لكنه حُرم... لأن أخته الكبرى لم تتزوج بعد؟
أين نزل هذا الشرط؟ في أي قرآن؟ في أي سُنة؟ في أي ضمير؟!

كم زواجًا فشل...

لأن الوليّ لم يُصغِ لابنته، وأصرّ أن يزوّجها بمن أراده هو، لا من أرادته هي؟
أين الشورى؟ أين الرحمة؟ أين حقّها في أن تختار شريك حياتها؟

كم من أولياء الأمور...

سيُسألون يوم القيامة... عن أرواح خنقوها باسم "الهيبة"،
وعن دموع دفنت في الوسادة لسنين،
وعن فتنٍ انفجرت لأن باب الحلال كان موصدًا؟
ما أكثر البنات اللواتي ينتظرن "رجلًا صالحًا..."
لكن المصيبة أنهم حين يأتون... يُمنعون من الدخول،
لأنهم لم يُعجبوا أهل الباب، لا لأنهم لم يُرضوا رب الباب!

المغالطة الكبرى

الولاية... ليست ملكية.

وليّ الأمر ليس صاحب قرار مطلق... بل خادم أمرٍ إلهي.

هو لا يمتلك البنت... بل يؤتمن عليها، ويُسأل عنها بين يدي الله.

البنت... ليست متاعًا يُصرَف حسب مزاج العائلة.

ليست ورقة تفاوض، ولا وسيلة حفظ "الهيبة"،

بل نفسٌ إنسانية كاملة، لها رأي، ولها حق، ولها دعوة مستجابة إن ظُلمت.

والله أحقّ أن تُرضوه في حكمكم،

- من الناس الذين تخافون كلامهم،
- من العادات التي تحكمكم،
- من الجيران الذين لا يرحمون... إن أطعتموهم، ولا ينفعون... إن أرضيتموهم.

لا تجعلوا رضا الناس... أعلى من أمر الله.

ولا تجعلوا "الهيبة" سببًا في حرمان فتاة من حياتها،

ثم تسألون: لماذا قست الأيام؟ وقد كنتم أنتم أوّل من قسَا.

نور من السيرة:

حين خُطبت فاطمة الزهراء ﵂، لم يكن في يدها مهرٌ من الذهب،

ولا في بيتها صالة للزفاف، ولا على رأس عليّ تاج جاهٍ أو مال.

لكن... جاء عليّ ﵁، مُحبًّا، صادقًا، مستقيمًا، تقيًّا...

يرجو ما عند الله، لا ما عند الناس.

فسأله النبي ﷺ سؤالًا واحدًا،

سؤالًا لا يسأله إلّا قلبٌ يعرف معنى الحب في طاعة الله:

"ما يقول عنها؟"..فلما عرف أنّ عليًّا يحبها، ويحفظ دينه...
قال كلمته الخالدة: "إنّ الله قد كتبها لك".
لم يقل:

- "لماذا لا يأتي فلان الغني؟"..
- "ننتظر عريسًا أفخم"!..
- "دعنا نرى من يناسب اسم العائلة"!..

بل قال ما يُطفئ كل خوف، ويهزم كل عرف:
"إنّ الله قد كتبها لك".
اليوم... لو جاء عليٌّ بنفس صفاته...
قد يُرفض لأنه فقير، أو "ما أعجبنا شكله"، أو "ما عنده مستقبل".
لكن فاطمة... سيدة نساء أهل الجنة، زُوّجت بدرع، لا بقصر.
وبحبّ، لا بتقارير الحسابات.
فهل نُريد بركة كتلك؟ إذًا، فلنقبل بمقاييس الله، لا بمقاييس السوق!

ختام الفصل:

أيها الآباء... بناتكم أمانة، لا عار.
الوليّ الراشد... لا يمنع النصيب، بل يرعى النضج.
ومن خاف الله... زوّج بناته لمن يخاف الله.
لا تحبسوا الطاهرات في زنزانة العادات،
ولا تجعلوا الولاية سيفًا، بدل أن تكون رحمة.

الفصل الثالث عشر: حين صار الدين مقاسًا طبقيًا!

- هل الفقير أقل إيمانًا؟
- لماذا نربط "النجاح الديني" بالمكانة الاجتماعية؟

المفارقة الأولى: ميزان الله... وميزان الناس

في شريعة الله... ليس الغنيّ بأفضل من الفقير،

ولا صاحب الجاه أسبق إلى الجنة من صاحب الكوخ،

ولا من يملك أكثر... أقرب إلى القَبول.

بل قال رسول الله ﷺ:

"رُبّ أشعث أغبر، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرّه "رواه مسلم.

هذا هو ميزان الله... القلوب، لا الثياب.

النية، لا الشهرة... الخشية، لا المكانة... الصدق، لا عدد المتابعين.

لكن في واقعنا المعاصر؟ الفقير يُرمق بشك، ويُعتبر "مشروع فشل"،

حتى لو صلى وبكى وتبتّل!..

والغنيّ يُظن أنه "مبارك"، وأنه أفضل خاطب،

وأرقى خيار ... فقط لأنه "ناجح" ماديًا.

ومن يظهر على الشاشات، أو يتحدث بفصاحة، أو يرتدي لباس الواعظ...

يُقال فورًا:"هذا من أهل الدين"!

حتى لو لم يُعرف بصلاة، ولا بأمانة، ولا بخوفٍ من الله في الخلوات.

إننا اليوم نُعلي الظاهر على الباطن،

وننسى أنَّ الله لا ينظر إلى صورنا، ولا إلى أموالنا،

ولكنه ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا ...كما قال نبيّه ﷺ.

فهل نُريد رضى الله؟ فلنعد إلى ميزانه.وإلَّا...
فسنعيش في مجتمع لا يعرف من أهل الجنة إلَّا من يُشبه مشاهير الأرض!..

المغالطة الكبرى:

"من رزقه الله مالًا... فقد رضي عنه"!
هذه هي العقيدة الضِّمنية التي تسكن قلوب كثير من الناس...
وهم لا يدرون أنها من أخطر ما أفسد الفهم عن الله.
يَرون الغنيّ، فيقولون: "ما شاء الله، ربنا يحبه"!
ويرون الفقير، فيتهامسون: "ربما هناك ذنب بينه وبين الله"!
يظنون أن المال = بركة، وأن الستر الدنيوي = علامة رضا!
بينما النبي ﷺ قال كلمة تهدم هذا الظن من جذوره:
"إن الله يعطي الدنيا لمن يحبّ، ومن لا يحبّ، ولا يعطي الإيمان إلا لمن أحبّ".
رواه أحمد وصححه الألباني...
هل سمعت؟... الدنيا ...يعطيها حتى للكفار.
لكن الإيمان؟ فلا يُعطى إلا لمن أحبّه الله حقًا.
فما أغرب هذا الميزان المقلوب اليوم:
- صاحب المال يُصفّق له... حتى لو خان.
- وصاحب الدين يُتّهم بالتشدد... حتى لو بكى من خشية الله.
المال ليس علامة رضا، والفقر ليس دلالة سخط،
والحقيقة لا تُعرف من فواتير الذهب، بل من نور القلوب!..

مشاهد من الواقع موجعة كالسيف:

داعية شهير... لا يُؤخذ بقوله لأنه "عالم ربّاني"، بل لأنه "يظهر مع الأغنياء"، ويقف بجوار أصحاب النفوذ... فيُقال:"أكيد فاهم"!

فتاة ملتزمة، خاشعة، تحفظ كتاب الله...

تسقط من القبول في الخطبة لأنها "بنت فَقير!"

كأنَّ البركة لا تنزل إلا على من وُلد وفي فمه ملعقة من ذهب!

طالب علم شريف...

يُهان لأنه لا يلبس ماركات، ولا يحمل هاتفًا فاخرًا،

ولا "يعرف كيف يقدّم نفسه!" فيُقال عنه: "متقوقع، غريب، متخلّف"!

رجل صالح، حفيّ، أمين، عاقل...

يُستبعد من الإدارة الدينية، لأنه "ليس من علية القوم"،

ولا يملك لقبًا، ولا واسطة، ولا شهرة.

أهكذا أصبحنا؟

- نقيس القلوب بعدد المتابعين؟
- ونزِن الدين برقم الحساب البنكي؟
- ونظن أن من يعرف الله... هو من يعرف كيف يضع فلترًا ناعمًا على صوره؟.

إذا صارت المقاييس هكذا... فلا تسأل لماذا اختفى أولياء الله من بيننا،

بل اسأل: هل نحن أصلاً نظر في الاتجاه الصحيح؟..

الانزلاق الطبقي باسم التدين

حين يُختزل الدين في:

- شكل البيت
- ماركة الثوب
- لغة الإلقاء المُنمّقة
- عدد المتابعين

- أو ظهورك مع "الصفوة" من الناس..

فأنت لا تعبد الله... بل تعبد صورة المجتمع.

حين يصير التدين استعراضًا اجتماعيًا، لا انكسارًا بين يدي الله...

حين نُفضّل "حسن المظهر" على "حقيقة الجوهر"،

وحين يُصبح الدين بطاقة دخول إلى صالات النخبة...

فقد سقط المعنى، وبقي القشر.

هكذا يولد "الانزلاق الطبقي" باسم الدين:

حين يُقال عن الغني المتدين: "ما شاء الله، موفق"!

وعن الفقير المتدين: "متحمس زيادة... ناقصه نُضج".

وهكذا... يُدفن الصادق لأنه لا يجيد الأداء، ويُرفع الزائف لأنه يُجيد الواجهة.

الدين لا يُقاس بطراز بيتك، بل بمدى سجودك في جوف الليل.

ولا يُقاس بماركة جلابيتك، بل بصدق خشيتك حين تختلي بالله.

فمن عبد الله... رآه في الخفاء.

ومن عبد المجتمع... طلبه في الإعجاب والضوء.

شرف الإيمان... لا يُقاس بمستوى الدخل

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ الحجرات: ١٣..ولم يقل:

أغناكم... أشهركم... أوسعكم بيتًا... أفخمكم ملبسًا... أرقاكم لهجةً...

أجملكم في الصورة! من جعل الفقر عارًا... أو البساطة قِلّة شأن...

أو الستر علامة فشل... فقد انقلب على ميزان النبوة،

ومشى في طريقٍ لا يُؤدي إلى الله، بل إلى تصفيق الناس... وخيبة الآخرة.

كم من رجلٍ أشعث أغبر... لو أقسم على الله لأبرّه،

ولو طرق بابًا لفتاة صالحة... لرفضوه لأنه لا "يليق اجتماعيًا!"

الإيمان لا يُقاس بعدد المرافق في البيت، بل بعدد الدموع في السجود.
ولا يُوزَن بمساحة الراتب، بل بمساحة الصدق في القلب.
فيا من تريدون الكرامة لبناتكم... التمسوها في التقوى، لا في الترف.
وابحثوا عن أمان القلوب، لا أناقة الخطّاب.
فربما كان في ثوبٍ بسيط... رجلٌ لو عرفتم قيمته عند الله،
لبكيتم خجلًا من ظنّكم فيه.

نور من سيرة النبوة:

هل نسينا أن: بلال كان عبدًا...
أسودَ البشرة، فقيرًا، مملوكًا...
لكنّه صار في ميزان النبي ﷺ:
"سيِّدًا" يُسمع خَشْخَشَةَ نعليه في الجنة!
سلمان كان أعجميًا، غريب اللسان، غريب البلد، لا نسب له في قريش،
لكن النبي ﷺ قال عنه الكلمة الخالدة: "سلمانُ منا... أهل البيت"!
وكان الصحابة الفقراء، البسطاء، المعدمون...
أحبّ إلى قلبه من كثير من وجهاء قريش، لأنهم قدّموا لله قلوبًا، لا ألقابًا،
وأعطوه صدقًا، لا نسبًا، فأحبّهم ﷺ، وبكَى لفراقهم،
ودعا لهم، وتمنى صحبتهم في الجنة.
لكننا اليوم... لو جاءنا بلال ليخطب فتاةً صالحة، لقلنا: "ما عنده بيت"!
ولو جاء سلمان نقيّ القلب، لقلنا: "مو من جماعتنا"!
ولو اجتمع فقراء الصحابة... لما دعوناهم إلى مجلس زواج،
بل ربما أحرجناهم بكلام العيب والمستوى! هل نسينا مقاييس النبوة؟
هل صار شرف الإيمان لا يكفي...

إن لم يكن معه صور تليق بالسوشال ميديا؟
يا أمة مُحَمَّد... عودوا إلى ميزانه... تجدوا البركة.
ففي زمن اختلال الموازين، يبقى نور النبوة هو البوصلة... لمن يريد الله حقًّا.

آثار هذه المغالطة على الناس

حين يظنّ الناس أن الغنى علامة رضا،
وأن الوجاهة الاجتماعية = قيمة دينية...
تبدأ سلسلة من الانكسارات الصامتة، لا يشعر بها إلَّا من عاشها.
يُصاب الفقير بتأنيب الضمير... وكأنّ فقره ذنب ديني!
يظن أنه "أقلّ بركة" فقط لأنه لا يملك سيارة،
أو لأن راتبه لا يسمح له بعمرة، أو بعرس فاخر.
تُهمل الدعوة في الأحياء البسيطة...
فتُقصى البيوت التي تنتظر كلمة الله بلهفة،
بينما تُركّز الأنشطة والمجالس على أماكن الأثرياء،
لأن فيها التصوير، والضوء، والدعوات "المعتبرة".
تُستبعَد المواهب الصادقة... الشباب الذين لا يتقنون الحديث المُنمّق،
ولا يملكون حسابات لامعة، فيُقال عنهم: "لا يليقون بالمظهر العام"!
وكأنَّ الدين صار ماركة تجارية، لا دعوة قلبية.
وهذا كله... تشويه خطير لوجه الدين، الذي جاء ليقيم العدل، لا الطبقية.
الذي بعث نبيّه إلى عبيد مكة قبل سادتها، وآخى بين سلمان وقريش،
وجعل معيار الكرامة:﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾
إن لم نُعد للدين وجهه الصحيح...
فسيظن الناس أنَّ الجنة لا يدخلها إلَّا من لبِس جيدًا،
وتكلم بلباقة، وظهر كثيرًا... وستضيع القلوب الصادقة...

لأنها لم تعرف كيف "تُقدّم نفسها".

ختام الفصل:

يا من حسبت الدين على هيئة المتدين...

والمكانة عند الله على حجم السيارة...

اعلم أن: أقرب الناس إلى الله... ليسوا دائمًا الأقرب إلى الأضواء.

وربّ وجهٍ غُفل في الأرض... يُباهي الله به ملائكته في السَّماء.

الدين لا يُقاس بالمظهر، بل بالمخبر.

ولا يُقاس بالشهرة، بل بالصبر.

ولا يُقاس بما تملك... بل بمن تملَّك قلبك: الله أم الناس؟.

الفصل الرابع عشر: الفهم المقلوب لِقوامة الرجل... واستعباد المرأة باسم الشَّرع!

- **الفرق بين "قيادة الرحمة" و"تسلّط الأنانية".**
- **كيف استُعمل الدين غطاءً لظلم النساء؟.**

حين يصبح "الفضل" ذريعة للاستبداد

في شريعة الله: القِوامة تكليف... لا تشريف... مسؤولية... لا تسلّط.

رعاية... لا هيمنة، قال الله: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ** ﴾

لكي يحفظوا، ويحملوا، وينفقوا، ويرحموا، لا ليصرخوا، ويُهينوا، ويتسلّطوا.

القِوامة ليست عرشًا يتربّع عليه الرجل،

ولا تصريحًا مفتوحًا للتحكّم، ولا بطاقة عبور إلى رفع الصوت،
أو كسر النفس، أو إذلال المرأة باسم "الشرع".
لكنها حين جُهل معناها... حين لم تُفهم على ضوء القرآن،
بل على ظلال العُرف والعصبية...
استُبدلت "القيادة الرحيمة..." بـ"تسلّطٍ فظّ"، يُبرَّر بأنه "غيرة" أو "رجولة".
وصارت "القِوامة" شماعةً... يُعلَّق عليها كل ظلم، وكل تعنيف، وكل استعلاء،
تحت راية كاذبة تقول: "الشرع أعطاني هذا الحق"!
بينما الشرع قال: "استوصوا بالنساء خيرًا".
"خيركم... خيركم لأهله".
فهل هذا هو "الخير" الذي أراده النبي مُحَمَّد ﷺ؟
أم أن البعض يتاجر بالنصوص ليُبرر أمراضه؟
إن القِوامة شرف... لكنها لا تُمنَح إلَّا لمن فهم أنه خادم، لا مُتسلّط،
وأنَّ المرأة في شرع الله ...أمانة، لا مِلكية.

القِوامة في القرآن:

قال تعالى: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ** ﴾ النساء: ٣٤..
ولم يقل:

- "الرّجال أسيادٌ على النساء"،
- ولا: "الرّجال أوصياء على عقول النساء"،
- ولا: "الرّجال يمتلكون النساء، ويتصرّفون بهن كما يشاؤون..."

بل قال: "قَوَّامون" من القيام:
بالنفقة، بالرعاية، بالسعي، بالعدل، بالاحتواء،
بالقيادة التي تُشبه شفقة الراعي، لا استعلاء المُتحكّم.

القِوامة... ليست "منصبًا"، بل أمانة.
ليست "تفوّقًا"، بل تكليفًا مضنيًا.
وهي لا تعني أبدًا أن الرجل أرقى من المرأة،
بل أن عليه مسؤولية "القيام "بشؤونها،
كما يقوم الإنسان على أمرٍ عزيزٍ يخاف ضياعه.
فحين يُحرَّف هذا المعنى... تصبح القِوامة قيدًا بدل أن تكون راحة،
وتصبح سيفًا بدل أن تكون ظلًّا،
ويُقال للمرأة: "اصبري على القهر... هذا شرع"!
بينما الشرع قال: " **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** "
ولم يقل: "اصنعوا لهن معروفًا بصبرهن على الذُّل".

المغالطة الكبرى:

أن تُفهم القِوامة على أنها:
سكوت الزوجة واجب...
حتى لو أُهينت، حتى لو بكت، حتى لو ظُلِمت...
فإن تكلّمت، قيل: "ناشز... لا تفهم حدود الشرع"!..
ضربها "من حقه" لتأديبها!
حتى لو كان الضرب فظًّا، غاضبًا، قاسيًا... فقد وجد من يُبرّره بآية...
ونسي أنَّ النبي ﷺ ما ضرب امرأة قط!
إنفاقه عليها... يُلغي حقّها في الرأي والمشاركة!
فطالما أنه "يدفع الفاتورة"، فهو يملك القرار، والحديث، والمصير... وحده!
وهكذا... تحوّل الزواج إلى عبودية ناعمة،
تُلبس فيها سلطة الرجل لباس "الشرع"،

ويُقهر فيها صوت المرأة باسم:

"القِوامة... اصبري، هذا دين"!

لكن القِوامة في القرآن...

١. ما كانت سوطًا، بل سَكنًا.

٢. ما كانت صمتًا، بل شورى.

٣. ما كانت قيدًا، بل حضنًا يُحمى به القلب... لا يُخنق.

فإذا أصبحت القِوامة أداة إذلال، فقد خرجنا من نور الوحي...

ودخلنا في ظلام الأعراف المتوحشة التي تُزيّف اسم الله... لتُمرر ما تريد.

الفرق بين قِوامة النبي ﷺ... وقِوامة بعض "المتدينين":

كان النبي ﷺ:

- يغسل ثوبه بيده،
- ويُطعم زوجاته بيده،
- ويجلس معهن لا كمتسلّط... بل كمُحبّ حنون.
- كان يُنصت إليهن... بقلبه قبل أُذنه.
- لا يستهزئ، ولا يُقلّل، ولا يقول: "أنا الرجل وأنتِ امرأة"!
- ما ضرب امرأة قط.
- ما أهان زوجة.
- ما جعل من "القِوامة" سيفًا... بل جعلها مظلة سَكينة.

وقالها واضحةً لا تحتمل الالتفاف: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي".

◄ فأين الذين يتمثلون بهدي النَّبي؟

◄ أين الذين يرفعون الآية... لكن لا يعيشون سنّته؟

◄ أين الذين يستشهدون بـ"القِوامة"... وينسون أن النبي ﷺ كان رقيقًا حتى

في الغيرة، ليّنًا حتى في الغضب؟.

من أراد أن يقتدي بالنبي... فلينظر إلى بيته، لا إلى خُطبته.

فلينظر إلى معاملته لأهله، لا إلى تسلطه على نصوص الشرع.

فالنبي ﷺ ما ترك لنا آية فقط... بل ترك لنا نموذجًا من الرَّحمة، يُقاس به كل رجلٍ يقول: "أنا قوّام".

حين يتحول الدين إلى غطاء للاستبداد

بعض الرجال اليوم يرفعون صوتهم باسم الشرع،

لكنهم لا يعرفون من الشرع إلّا ما يُبرّر سلوكهم!

- "أنا القَوّام... اسكتي"!
- "من حقي أضربها... الشرع أباح"!
- "أنا أُقرّر... وأنتِ تنفذين فقط"!

لا يا عبد الله... الله ما جعلك سيدًا تُطاع دون نقاش،

ولا مالكًا يفرض ويمنع ويقهر...

بل جعلك راعيًا، مسؤولًا، محاسبًا أمام الله عن كل كلمة، وكل دمعة، وكل خوف زرعته في بيتك.

الله لم يجعل المرأة عبدة لك، بل أمانة عندك،

فإن أكرمتها... كنت من خيار عباد الله،

وإن أهنتها... كنت أبعد الناس عن هدي النبي ﷺ.

القِوامة... ليست صوتًا أعلى، ولا قرارًا منفردًا، ولا تسلّطًا مريحًا.

بل هي تكليفٌ ثقيل... لا يصحّ إلّا إذا حمله قلبٌ رحيم.

فليس كل من أُعطي سلطة... أُعفي من الرَّحمة.

وليس كل من حمل القِوامة... حمل معها القدوة.

وإياك أن تظن أنك على طريق النبي ﷺ...
إن كنت تُرعب أهل بيتك، وتُسكتهم باسم الدِّين.

الآثار المدمرة للفهم المغلوط:

حين يُفهم الشرع من زاوية "التسلّط"، لا من ميزان الرَّحمة...
وحين تُنتزع الآية من رحمة النبي ﷺ، وتُزرع في قلبٍ غليظ...
يحدث ما لا يُحتمل:
نساء يُعذَّبن في البيوت... باسم "الشرع!"
تُمنع من الكلام، تُهان، تُضرب،
وإذا اشتكت، قيل لها: "اصبري... هذا من حقه، هو القَوّام"!
أطفال ينشأون على أن الأب... "قاضٍ لا أب!"
لا حنان، لا إنصات، لا حوار...
بل أوامر، تهديد، نظرات تُخيف أكثر مما تُربّي.
أُسرٌ تُهدم من الداخل... لأن الرجل خلط بين "الرجولة" و"الفرعنة"،
وبين القيادة بالحكمة... والهيمنة بالصوت المرتفع.
هذا الفهم المغلوط... لا يبني بيوتًا، بل ينسفها في صمت.
لا يُنتج رجالًا... بل يُنتج مستبدين يظنون أنهم "مُطاعون" لأنهم "رجال".
فإلى متى نظل نُعلّم أبناءنا أن الرجولة = قسوة؟
وأن القِوامة = استعلاء؟
وأن الطاعة = سكوت... لا حبًا، بل خوفًا؟
والله ما جاء النَّبي ﷺ بهذه القِوامة...
بل جاء بقِوامةٍ تسند... لا تُسقِط، وتحمي... لا تُذل،
وتُحيي البيوت... لا تُخرس أنفاسها.

القِوامة الحقيقية:

ليست صراخًا... بل عطاء.

ليست قمعًا... بل حكمة.

ليست فرضًا للرأي... بل مسؤولية في الحب.

القِوامة الحقيقية:

- ◄ أن تنفق وتحتوي، لا أن تُنفق وتُهين.
- ◄ أن تُصلح... لا أن تُكسِر.
- ◄ أن تكون اليد التي تمسح الألم، لا التي تصنعه.
- ◄ أن تكون ظلًا يُستظلّ به، لا قيدًا يُخنق به الصدر.

القِوامة التي يحبها الله... لا تُسمَع في صوتٍ مرتفع،

بل تُرى في حضنٍ آمن، ونظرةٍ حانية،

وقلبٍ يخاف الله فيمن جعله الله مسؤولًا عنهم.

فإن كنت قَوّامًا حقًّا... فاعلم أن الله لم يُعطك سلطة... بل أمانة.

وأنَّ القِوامة ليست "أن تُطاع" فقط...

بل أن "تستحق أن تُطاع"... بخُلقك، بعدلك، ورحمتك.

ختام الفصل:

يا من تقرأ هذه الآية كل يوم، قف قليلًا، وتأمل:

- هل كنت قوّامًا... كما أراد الله؟
- أم متسلّطًا... كما أراد هواك؟

قِوامتك امتحان... لا امتياز، مسؤولية... لا سيف، فإن فشلت في الرحمة...

فلا تتحدث عن الشرع!.

الفصل الخامس عشر: الستر الحقيقي... لا إخفاء الجرائم

- مفهوم "الستر" في الشرع، وضدّ "السكوت عن الفساد".
- أين الحدّ الفاصل بين الستر الشرعي والتواطؤ؟.

حين تكون الرحمة غطاءً للحق... لا للظلم

الستر في الإسلام مكرمة... وستر العيوب فضيلة...

والتغافل عن الزلّات رحمة... لكن متى؟

حين تكون الزلّة بين العبد وربه،

وحين يكون الستر بابًا للتوبة لا للتمادي،

وحين يكون الغفران طريقًا للإصلاح لا غطاءً للفساد.

أما إذا صار "الستر" بابًا لحماية المعتدين، أو ذريعة لإسكات المظلومين،

أو وسيلة لطمس الجرائم... فهذا ليس سترًا، بل خيانة لشرع الله.

الستر في سنة النبي ﷺ

قال رسول الله ﷺ:"من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة "رواه مسلم.

لكن في الحديث نفسه، وفي حياته ﷺ:

- لم يكن ﷺ يسكت على المظالم.
- ولم يكن يُغطي جريمة بدعوى الستر.
- بل قال: "انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا"

فسأله الصحابة: كيف أنصره ظالمًا؟

قال:"تمنعه من ظلمه، فذلك نصره".

إذًا، الستر الذي يمنع العدالة ...ليس من الدين،

والسكوت الذي يخوّن المظلوم ...ليس من السنّة،

والتستّر على الظالمين ...ليس غفرانًا، بل تواطؤٌ صريح.

حين يُستخدم "الستر" لإخفاء الفساد

أب يعتدي على ابنته... والأم تقول: "سنُغطّي الموضوع حتى لا تُفضح العائلة!"..

شيخ يتحرش بطالباته... وتقول الإدارة: "احذفوا اسمه فقط... والموضوع يُغلق"!..

شاب يسرق، وآخر يختلس، وآخر ينهب... ويقال: "لا تفضحوه، يكفيه ما فيه"!..

بل بعض المجتمعات ترجو الستر للمعتدي، وتفضح المجني عليه ...إن تكلم!

يا قوم... هذا ليس دينًا... هذا تزويرٌ للستر... وتكريمٌ للظلم.

الستر مشروع فقط عندما:

١. تكون المعصية غير متعدية (أي لا تضرّ غير صاحبها).

٢. يكون الستر بهدف التوبة والإصلاح، لا طمس الحقيقة.

٣. لا يكون في القضية حقٌّ عام أو عدالة مهدورة.

٤. لا يكون في السكوت تشجيع لظالم، أو خنق لصوت مظلوم.

أما غير ذلك... فليس سترًا، بل خيانة للأمانة،

وتواطؤ مع الجريمة، وتقنينٌ للفساد!.

لماذا يجب أن نُفرّق بين الستر... والتواطؤ؟

لأنَّ الستر في الإسلام: رحمة... يُراد بها الإصلاح،

وحماية... تُهيّئ للتوبة، وغطاء... يمنع الفضيحة بعد التوبة، لا في أثناء الجريمة!

أما التواطؤ؟

فهو مرضٌ يُجمّل القبح، وسكوتٌ يُشارك في الجريمة بصمت،

وشهادة زور... تُقدّم باسم "الحكمة"، بينما هي خيانة للحق.

التواطؤ لا يستر... بل يقتل.

- **يقتل ضمير الأمة:**

  حين ترى الخطأ، فلا تُنكره،

  وحين يُكافأ الظالم بالسكوت... ويُخذل المظلوم بالصبر!
- **يقتل العدالة:**

  حين نُعامل القويّ بمعايير أخفّ من الضعيف،

  وحين يُقال: "نستر عليه لأنه شيخ/وجيه/مشهور"،

  فأين الإنصاف؟ أين العدل الذي قامت عليه السماوات والأرض؟
- **ويقتل الثقة بين الناس والدين:**

  حين يرون أن الدين يُستخدم كغطاء لا كميزان،

  وحين يظن الناس أن الإسلام يُبرّر الظلم...

  فقط لأننا نسكت عليه باسم الستر.

إذا لم نُفرّق بين "الستر النبيل" و"التواطؤ الجبان"،

فسنصنع مجتمعًا يُخاف فيه من قول الحق،
ويُؤمَّن فيه المجرم... ويُخوَّن فيه الناصح.
الستر لا يعني تعطيل الحق،
ولا يعني دفن الجريمة تحت عباءة "العائلة" أو "الهيبة" أو "الدين".
بل يعني أن نعطي للمخطئ فرصة للتوبة، لا أن نمنحه ترخيصًا للتكرار.

من الذي يحتاج الستر فعلًا؟

ليس كل من أخطأ... يُستر،
وليس كل من كشفناه... نكون قد "فضحناه".
الستر في شرع الله... لا يُمنح جزافًا، ولا يُستخدم كغطاء دائم،
بل هو رحمة موقوتة لمن يستحقها.
يُستر: التائب، الذي أخطأ بينه وبين الله،
وندم في خلوته، وارتجف خوفًا من انكشافه،
ورجاؤه الأكبر... ألَّا يُفضَح وهو يُصلح ما أفسد.
يُستر: الضعيف، الذي لم يكن قصده الإفساد،
وسقط لا كِبرًا، بل ضعفًا، فإذا نُصح... شكر، وإذا دُلّ على الخير سار.
يُستر: من وقع في ذنب... ثم قام، ثم ندم، ثم عاد،
وبكى في محرابه، لا بين الكاميرات.
هؤلاء ...يُسترون، لأن سترهم يُعينهم على الثبات،
ويفتح لهم بابًا إلى الله تعالى لا يغلقه كلام الناس.
أما من:
يعتدي، ويتفنن في إذلال الآخرين، ويسكت الشهود، ويُخيف الضحايا،
ثم يُقال عنه:"سترنا عليه... لا نريد فتنة"!..

فهذا لا يُستر... بل يُردع، ولا يُسكت عنه... بل يُقام عليه ميزان العدل،
لأنَّ الستر في حقّه = تمكين للظلم.
"الستر" الذي يُسكت المظلوم، ويُبقي الظالم في منصبه،
ليس سترًا... بل تواطؤًا باسم الدين.

ختام الفصل:

يا من تسترون... هل سَترتم لوجه الله تعالى؟
أم لأنَّ المعتدي صاحب منصب؟..
هل سَترتم لتُصلحوا... أم لتُخفوا الحقيقة؟
الستر الحقيقي لا يُخفي الظلم... بل يمنع الفضيحة مع ردّ الحقوق.
تذكّروا:
دين الله لا يحمي ظالمًا... ولو نطق بالشهادتين.
ودين الله لا يُقيم مجتمعات على الكتمان... بل على العدل والصدق.

المحور الرابع: مغالطات المال والوظيفة

حين صار "الرزق" مبررًا للفساد...

وصار "العمل" عبادة بلا روح...

وصار "الحلال" شيئًا يُفصّل على الهوى!

ليس هناك شيءٌ يفضح مكنون القلب... مثل المال.

ففي لحظة واحدة من الطَّمع، قد يُباع الدين بثمنٍ بخس.

وفي لحظة صفقة... قد ينكشف وجهٌ آخر، خلف قناع الورع.

نُصلّي ونصوم، ثم نغشّ في التجارة...

نُسبّح بين الآيات، ثم نزوّر في العقود...

نؤمّن رزق أطفالنا من مالٍ مُلطّخ بدموع الضعفاء...

ثم نقول: "الله رزّاق كريم"! كأننا نسينا... أن المال فتنة.

وأنّ العمل أمانة، وأنّ الله تعالى سائِلُنا عن كل دينار..

من أين اكتسبناه؟ وفيما أنفقناه؟...

لماذا هذا المحور؟

١. لأنّ كثيرًا من مظاهر التدين تنهار عند أول اختبار مالي...

٢. وأنّ بعض العبادات الظاهرة تُكذّبها "المعاملات اليومية".

٣. وأنّ هناك انفصالًا خطيرًا بين المسجد... وبين السوق.

٤. نرفع الأيدي في الدعاء... ونُوقّع بأيدينا عقودًا مُحرّفة.

٥. نطلب البركة من الله... ونتعامل بربا لا نُبالي.

٦. نُسمي الرشوة "إكرامية"، والغش "ذكاءً"، والخيانة "حيلة"،
ثم نرفع شعار: "نريد الرزق الحلال"!..

هذا المحور ليس للمحاسبين فقط...

بل لكل من: باع واشترى، وظّف أو توظّف،..
أدار أموالًا، أو تعامَل بأمانات،..
وقع في فتنة الثراء، أو أُصيب بداء التبرير!..
لأنَّ الشيطان لا يأتيك من باب "الكفر"،..
بل من باب: "هذا رزق أولادي"!..
ومن باب: "الجميع يفعلها"!..
ومن باب: "المهم النية... والله غفور رحيم"!..

نحن لا نفتقر إلى المتدينين في عباداتهم:

لدينا كثيرون يُصلّون، ويصومون، ويحجون، ويُتقنون المظهر الشرعي...
لكننا نفتقر إلى:

- من يُعامل الله في بيعته... فلا يغش، ولا يُخادع، ولا يُجامل على حساب الحق.
- من يُعامل الله في تجارته... فلا يُضخّم الأسعار ظلمًا، ولا يُغري الناس بالحرام، ولا يُجمّل الباطل ليبيعه.
- من يُعامل الله في وظيفته... فلا يُهمل، ولا يزوّر، ولا يأخذ راتبه دون حق، بل يرى الوقت أمانة، والعمل عبادة، والناس مسؤولية.
- من يُعامل الله في "راتبه"، فلا يُنفقه على ما يُغضبه، ولا يُراكم المال بينما

إخوته في الدين جائعون.

- من يُعامل الله في خدمته للناس، فلا ينتظر شكرًا، ولا يبحث عن شهرة، بل ينوي بها وجه الله فقط... ويخدم كما لو كان يخدم نبيّه ﷺ.

نحتاج من إذا خُيِّر بين: صفقة محرمة... أو رضا الله، اختار رضا الله، حتى لو خسر المال، وخسر العلاقات، وخسر التصفيق...
لأنه لا يحتمل أن يخسر الله.
هؤلاء قِلّة... لكنهم بركة الزمان، وسبب نزول الرحمة،
و"الرَّبانيون" الذين لا تعرفهم من كثرة كلامهم...
بل من ثباتهم حين يُعرض عليهم الباطل في ثوب الربح.

في هذا المحور...

لن نُحاضر على الناس، ولن نُصعّد أصابع الاتهام...
بل سنفعل ما هو أصعب... سنضع المرآة أمامنا نحن.
وسنُسائل أنفسنا بصدق:

- **هل المال عندنا وسيلة؟** أم صار غاية تُبرّر كل الطرق ما دامت مغلّفة بعبارة "الرزق الحلال"؟.
- **هل نمتلك المال؟** أم أصبح المال هو الذي يمتلك قراراتنا... ومبادئنا... وصمتنا أحيانًا؟.
- **هل نتاجر... أم نتعلّق؟** هل نعمل للعيش؟ أم نعيش للكدح... والربح... والمراكمة... وإن على حساب رضى الله؟.

هذا المحور ليس جلدًا للناس، بل هو محاولة نقية لصدق المراجعة...
أن نُنزل المال من عرشه، ونُعيده إلى مكانه الحقيقي:
خادمًا لا سيّدًا... وسيلة لا مَعبودًا.

✍فلنبدأ الفصول... على بركة الله، وبقلوب مستعدّة أن تسمع... لا أن تُبرّر.

الفصل الأول: الرشوة بين التحايل والشَّرع... حين يُشترى الحق باسم "الإكرامية"

- **متى تكون رشوة؟ ومتى تكون أجرًا مشروعًا؟.**
- **الفرق بين الهدية... والإفساد باسم الهدايا!.**

مدخل واقعي.. لكنه موجع:

الرشوة اليوم... لم تعد دائمًا ورقة نقد تُمرّر تحت الطاولة،
ولم تعد محصورة في السرّ والخفاء... بل لبست ثيابًا براقة،
وصار لها أسماء نظيفة... تُرضي الضمير، وتُربك الحلال والحرام:

- "إكرامية بسيطة"
- "عربون محبة"
- "تيسير معاملات"
- "هدية من القلب"
- "شكر واجب... ما طلب شيئًا"!

والناس يهمسون:

١. "ما طلب... نحن أردنا فقط أن نفرّحه"!
٢. "مش حرام... الكل بيدفع"!
٣. "هي هدية فقط... لا أكثر"!

٤. "بدنا نخلص شغلنا... مش وقت مثالية"!.

لكننا نسينا... أن الله لا ينظر إلى ما نسميه، بل إلى ما نُخفيه.

لا يُحاسب على المسميات، بل على النوايا،

ولا تُضلله العبارة، بل يُبصر الحقيقة من وراء الابتسامة.

فهل ما قُدّم كان لوجه الله؟ أم لوجه المصلحة؟ هل كانت "هدية"؟

أم "رشوة مغلّفة"... تُقدَّم في علبة من الذهب، لكنها تُغضب الربّ؟!

حين تتزيّن الرشوة باسم المحبة، وتُدفع علنًا دون خجل،

ويُبررها الجميع بأنها "عادة"،

"فاعلم أن الفساد ما عاد يختبئ... بل يجلس على طاولة الشرف"

الرشوة في الشرع:

قال النبي ﷺ: "لعن الله الراشي، والمرتشي، والرائش بينهما" رواه أحمد وأبو داود.

الرشوة محرّمة شرعًا تحريمًا قاطعًا، لا لأنها فقط مالٌ يُدفع... بل لأنَّها:

- تُحوّل الباطل إلى حق.
- وتُسكت عن الظُّلم.
- وتشتري الذِّمم.
- وتُفسد الذوق العام، وتفتك بالمجتمع من الداخل.

الرشوة تُدمّر أربعة أركان من العدل:

١. تقتل الكفاءة: فيُقدَّم غير الأكفأ لأنه دفع.

٢. تُهين المحتاج: لأنَّ "من لا يدفع... يُعطَّل".

٣. تُفسد الذِّمم: فتنشأ عادة التربّح على الواجب.

٤. تُطفئ نور الصدق: لأنَّ "الواسطة" أصبحت أقوى من النظام.

ومتى تكون الهدية حلالًا؟ ليست كل هدية تُحرّم...

لكن متى ما التوت نيتها... انزلقت من "هدية" إلى "رشوة مغلّفة".

الهدية الحلال لها أربعة شروط شرعية واضحة:

١- أن لا تكون مقابل أداء واجب أصلاً: مثل: موظف يأخذ مالًا ليقوم بعمله الرسمي... فهذا "ثمن سكوت"، لا أجر.

٢- أن لا تُسبب ظلمًا لغيرك أو تمييزًا بين الناس: أي لا تؤدي إلى منحك معاملة خاصة على حساب الآخرين.

٣- أن لا تُقدَّم كشرط مسبق للحصول على حق: فالأصل أن تُعطى بعد الخدمة... لا كـ"ضمان" لها!.

٤- أن لا تخرج عن أعراف الكرم والضيافة البريئة: مثل إكرام ضيفك في بيتك، أو تقديم شكر رمزي بعد علاقة إنسانية لا مصلحة فيها.

خلاصة القول:

- كل مالٍ يُدفع لتحصل على ما ليس لك: رشوة.
- وكل مالٍ يُدفع لتأخذ حقك بطريقة غير عادلة: رشوة.
- وكل خدمةٍ تُعطى لشخص لأنها أعطاك: رشوة.
- أما الهدية... فهي كالعطر: لا يُشترى به الضمير، ولا يُباع به العدل.

الفرق بين الرشوة والهدية:

وجه المقارنة	الرشوة (محرمة)	الهدية (جائزة بشروط)
التوقيت	تُعطى قبل أو أثناء تنفيذ العمل	تُعطى بعد انتهاء العمل
الهدف	للحصول على شيء غير مستحق	تعبير عن الامتنان أو العلاقة

	أو لتجاوز القانون	الشخصية
التأثير	تُشوّه العدالة وتُسقط الحقوق	لا تخرق مبدأ العدالة
السياق	في مواقع النفوذ أو الوظيفة العامة	في علاقات خاصة خارج نطاق التأثير والسلطة

مظاهر الرشوة المعاصرة بأسماء مزخرفة:

الناس اليوم لا يقولون: "رشوة"

بل يجمّلونها بأسماء مثل:

دعم – إكرامية – عربون – تسهيل – مجاملة – شكر بسيط

لكن الحقيقة لا تتغيّر بالأسماء... أمثلة حيّة من واقعنا:

١- دفع مبلغ لطبيب ليُقدّمك على مرضى ينتظرون منذ أيام...

▯ ليست أولويّة... إنها رشوة!

٢- هدية لمسؤول في دائرة حكومية كي "ينهي المعاملة بسرعة..."

▯ ليست مجاملة... إنها رشوة!

٣- مبلغ إضافي لمعلم لينجّح ابنك رغم فشله...

▯ ليست مونة أبوية... إنها رشوة!

٤- دعم لحكم رياضي ليُحابي فريقك...

▯ ليست فِراسة كروية... إنها رشوة!

٥- خصم سري في شركة لأصدقاء المسؤول دون معايير...

▯ ليست لفتة ذكية... إنها رشوة!

انتبه... هذه ليست "ذكاءً اجتماعيًا" ولا "تدبيرًا لطيفًا" بل هي:

– شراء للضمائر.

– خيانة للأمانات.

– عبثٌ بموازين العدل.

"وكل رشوة ناعمة تُنبت فسادًا خفيًا، يُهلك الأمة ولو لم يُكتشف في حينه"

الآثار الكارثية للرشوة:

ليست مجرد معصية مالية، بل جريمة حضارية تُدمّر أعمدة الأمة من الداخل:

١- تُميت الثقة في المؤسسات: حين يعلم الناس أن "الواسطة" أقوى من القانون... وأن "من يدفع" يربح دائمًا... تنهار الثقة في كل جهة عدلية أو خدمية، فيتحوّل المجتمع إلى غابة... لا قانون فيها إلا "من يدفع أكثر".

٢- تُهدر حقوق الضعفاء: الفقير لا يستطيع أن يدفع... فيُؤخَّر، أو يُظلَم، أو يُحرَم، فتصبح الوظائف، والفرص، والمقاعد الدراسية، من نصيب "الأغنى" لا "الأجدر".

٣- تُعوّد النفوس على الغش بدل الإتقان: الرشوة تخلق بيئة عمل لا ينجح فيها المجتهد، بل المُتحايل، فيبدأ الناس يقولون: "ليش أشتغل بإخلاص؟ هو أصلاً ما بيهم غير اللي بيدفع"! فينتشر الكسل، ويفسد الضمير.

٤- تُفقد الدعاء والعبادة معناها:ك يف ترفع يديك إلى السماء... وأنت تعلم أن يدك لوّثتها معاملة حرام؟ كيف تُنفق في الخير... من مال كُسب بباطل؟ قال ﷺ: "إن الله طيّب لا يقبل إلا طيّبًا".

٥- تجعل الرزق غير مبارك، ولو كثر: ربما زاد رصيدك... لكن نقصت الطمأنينة، ربما ربحت الصفقة... لكن خسرت البركة، فالرشوة مثل "السمّ في العسل"، تُغريك لحظة... وتُهلكك بعدها!

خلاصة موجعة:

الرشوة ليست فسادًا إداريًا فقط... بل هي هدمٌ للمجتمع من داخله... باسم المجاملة! ولا تنهض أمة، ما دامت تعيش على الغش، وتسمّي الرشوة "ذكاءً".

تأمل وجداني:

الرزق لا يحتاج رشوة... وكرامة الإنسان لا تُشترى بظلم غيره...

فإن أعطيت مالك لمن يسهّل لك الباطل، فقد اشتريت عذابك بيدك، و"وقّعت على ضياع ثقة الله بك".

رسالة الختام لهذا الفصل:

الرشوة ليست فقط ما يُدفع...

بل ما يُكتم في النية، ويُسكت عنه باسم "الناس كلهم يعملون هكذا."

الدين ليس مرنًا في الحق... والحلال ليس طيعًا للأهواء.

فاحذر من أن تُدخل بيتك مالًا حرامًا،

ثم ترفعه إلى الله في دعائك وتقول: "استجب لي"!

فقد قال النبي ﷺ عن الرجل يُطيل السفر ويمد يديه إلى السماء:

"يا رب، يا رب... ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغُذّي بالحرام، فأنى يُستجاب لذلك؟" رواه مسلم.

الفصل الثاني: أكل الرِّبا بحجة "ضرورة العصر"

حين صار "الحرام" ضرورة... و"المحاربة من الله" مجازفة محسوبة!

مدخل واقعي يهزّ القلب:

في هذا العصر الذي اختلطت فيه المعاملات بالحيل، وتحوّل "البنك" إلى مفتاح أحلامٍ كثيرة، بات كثير من الناس لا يرون الرِّبا ذنبًا... بل يرونه حلاً اقتصاديًا!

صار القرض الربوي يُسمّى:

"عرض تمويلي" أو "حل عقاري مريح" أو "خطة تقسيط ذكية..."

ثم تسمع أحدهم يهمس لنفسه مطمئنًا:

"ما في غيرها... الدنيا كلها ماشية هيك"!

وآخر يقول:

"النية طيبة... وربنا غفور رحيم"!

لكن الحقيقة... أن الربا ليس كأي ذنب.

الربا ليست مخالفة إدارية ...بل إعلان حرب من الله!

قال الله:﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ البقرة: ٢٧٩..

هل تتخيل؟ ربما لم تُؤذِ أحدًا...

لم تسرق، ولم تظلم، ولم تقتل...

لكنك، حين رضيت بعقد ربوي، دخلت في حرب ضد ربّك...

وما أقسى أن يكون الله خصمك، لا ناصرك!

الرسالة الصادمة:

الربا ليس خيارًا ماليًا... بل اختبار إيمانياً:

هل ستثق برزق الله... أم بعرض البنك؟

هل سترضى بالحلال، وإن قلّ...

أم تركض وراء الحرام، وإن أغراك بترفٍ زائل؟.

ما هو الربا؟ ولماذا حرّمه الله بهذه الشدّة؟

التعريف: الرِّبا في اللغة: الزيادة.

الربا في الشرع: كل زيادة مشروطة في القرض أو المعاملة بلا مقابل حقيقي مشروع.

أي: مال يُؤخذ من غير عمل ولا تجارة ولا مخاطرة... بل فقط لأنه مال!

الأنواع الرئيسية:

١- ربا النسيئة: وهو: تأجيل السداد مقابل زيادة على أصل الدين.

مثل: تقترض ١٠٠٠، وتعيدها ١٢٠٠ بعد شهر... والزيادة مشروطة من البداية.

٢- ربا الفضل: وهو: تفاضل في مبادلة أصناف ربوية متماثلة (كالذهب بالذهب، أو القمح بالقمح) مع تفاوت في الكمية.

مثاله: تعطي كيلو ذهب وتأخذ ١.١ كيلو ذهب بعد أسبوع، هذا ربا.

لماذا حرم الله الربا؟

ليس فقط لأنه "مال حرام"، بل لأنه:

١- يستغل حاجة المحتاج ويبتز ضعفه.

٢- يأخذ المال بلا مقابل نافع ...فلا تجارة ولا خدمة ولا إنتاج.

٣- يفسد التعاون الإنساني، ويجعل العلاقة بين الناس: "استغلال لا رحمة".

٤- يزرع الحقد الطبقي، ويحوّل الأغنياء إلى طغاة بالمال، والفقراء إلى عبيد

للديون.

٥- يمحق البركة، ويُغضب الربّ الكريم.

قال الله تعالى:﴿ **يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَا وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ** ﴾ البقرة: ٢٧٦..

الفرق الجوهري:

الربا: زيادة على مال مقابل الانتظار فقط.

البيع: ربح مقابل منفعة أو سلعة أو جهد مشروع.

ومن يظن أن الفرق بسيط... فقد غفل عن جوهر الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي.

أشهر المغالطات لتبرير الربا اليوم:

المغالطة	الرد الشرعي
"مضطر... لا أملك خيارًا آخر"	الضرورة تُقدَّر بقدرها، ولا تُحل الحرام إلا عند فقدان كل البدائل... وليس لمجرد الراحة أو السرعة.
"الربا في البنوك ليس ربًا صريحًا"	كل قرض جرّ نفعًا فهو ربا، سواء سُمّي "فوائد" أو "خدمات إدارية".
"الربا اليوم ليس كربا الجاهلية"	الله لم يحرّم الزمن... بل الفعل ذاته، و"الربا الحديث" أشد فتكًا لأنه مقنّن ومغطّى.
"أنا فقط آخذه للحاجة وسأُسدّده سريعًا"	الحاجة لا تُحلّل ما حرّم الله، ولا أحد يضمن نفسه قبل أن يتورّط أكثر.

ماذا يعني أن تُعلن الحرب مع الله؟

حين يُقرّر الإنسان أن يُدخل الربا إلى بيته، فهو لا يعقد "صفقة مالية" فحسب... بل يوقّع – دون أن يدري – على إعلان حرب مع الله!..

قال تعالى: ﴿ **فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ** ﴾ البقرة: ٢٧٩..

هل تتخيّل؟ حرب... لا مع البشر، ولا مع الشيطان، بل مع الرحمن نفسه!.

آثار الحرب مع الله لا تُرى في الحساب البنكي فقط...

قد تكون النتيجة:

١- مال كثير... لكن بلا بركة.

٢- أولاد حولك... لكن بلا سكون.

٣- صحة ظاهرة... لكن قلق داخلي لا يُعرف له سبب.

٤- دعاء يعلو... لكن لا يصل.

٥- قرارات تُتخذ... لكنها لا تُوفَّق.

مفتاح النجاة

من يتّقِ الله، لا يحتاج إلى الرِّبا ولا يُفتن بضيقٍ مؤقت، بل يوقن أن الرزق عند الله لا يُنال بالحرام، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾ الطلاق: ٢-٣.

فلا تقل: مضطر!

بل قل: متيقّن أن الله لا يُطعِم من حرام.

فلا أحد يربح من صفقةٍ... يخسر فيها رضى الله!..

تأمل وجداني:

يا من تقترض بالربا...

هل جربت أن تطرق باب الكريم قبل أن تُقبل على الحرام؟

هل دعوت الله أن يُغنيك بالحلال؟

هل تعفّفت قليلًا... لتُكرم كثيرًا؟

"من ترك شيئًا لله، عوّضه الله خيرًا منه".

رسالة الختام لهذا الفصل:

الربا ليس تقدُّمًا حضاريًا... بل نكسة روحية.

ومَن ظنّ أن الحياة تُدار فقط بالأرقام... نسي أنَّ الرزق "بيد الله"، لا "بيد البنك"، إمّا أن تعيش غنًى بطاعة... وإمّا أن ترى "الوفرة" وهي تنهار، وأنت لا تدري كيف!..

الفصل الثالث: التحايل على الزكاة وادعاء الورع في التفاهات

- **"يصوم تطوعًا... لكنه لا يُخرِج زكاته"**
- **"يخشى الشبهة في التمر... ويأكل حقوق الناس علنًا"!**

مدخل يوقظك... ولو كنت تصلي في الصف الأول:

هل رأيت رجلًا يبكي في صلاة التهجد، ويرتجف من آية العذاب...

لكنه إذا ذُكر أمامه "الزكاة الواجبة"، بدأ يبحث عن "ثغرات الإعفاء الشرعي"؟!

هل تعرف من لا يشرب من كأسٍ لُوّث ببصمة غيره...
لكنه يأكل أموال الموظفين، أو يماطل في أجور العمال، أو يزوّر التقارير ليسرق شركة بأكملها؟!
هل رأيت من يحفظ سورة "المطففين" عن ظهر قلب،
لكنّه يُطفّف في ميزان الأمانة، ويبرر لنفسه ما لا يرضاه لغيره؟
هنا تبدأ الكارثة:
حين تتجمّل بالورع في العبادات،
وتتواطأ مع الشيطان في المعاملات.
حين تخشى الخطيئة في المستحبّات،
وتتهاون في الواجبات والحقوق التي يسألك الله عنها أولًا.
حين تسهر الليل تبكي أمام الله،
ثم تغلق الهاتف في وجه من يطلب حقه منك في النهار.

الزكاة... ليست تبرعًا من جيبك، بل حقٌّ من الله!

الزكاة ليست "صدقة اختيارية" تعطِيها متى شئت...
ولا فضلًا تتكرم به على الفقراء...
بل هي ركن من أركان الدين، تُعاملها كما تُعامل الصلاة والصيام والحج.
قال الله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ التوبة: ٣٤
وقال رسول الله ﷺ: " ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صُفّحت له صفائح من نار، فأُحمِي عليها في نار جهنم، فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره "... متفق عليه
افهم جيدًا:

١- الزكاة ليست مكرمة... بل أمانة.

٢- ليست وسيلة لـ"الظهور الإعلامي"... بل امتحان خفي بينك وبين الله.

٣- ليست عبادة موسمية... بل فريضة سنوية واجبة بلا تأخير.

فاسأل نفسك بصدق:

- هل زكيت مالك؟
- هل زكيت ذهب زوجتك؟
- هل أحصيت أموالك العالقة في الأسهم والحسابات البنكية؟
- هل تحايلت على النصاب؟
- هل أخرت الزكاة عمدًا؟

"لا تُحسن الحديث عن الفقراء... وأنت تسرق حقهم كل عام بصمت"

مظاهر التحايل المعاصر على الزكاة:

السلوك	جوهره الحقيقي
تسجيل الأموال باسم الزوجة أو الأبناء	للتهرب من النصاب
تقسيم المال قبل الحول بشكل وهمي	لإسقاط الوجوب
اختراع ديون غير موجودة	لتقليل المال المزكى
تأخير الدفع عمدًا ثم التعلل بالنسيان	تهرّب وتكاسل
إخراج أقل مما يجب... دون سؤال أهل العلم	جهل مقصود!

الورع المزيّف: حين نحتمي بالقشور... ونهرب من الأصول:

يتورع عن مضغ "علكة" فيها شبهة جيلاتين...

لكنه لا يسأل: هل راتبه حلال؟ هل زكاته مدفوعة؟

هل تجارته نظيفة من الربا والاحتكار؟

يرفض مصافحة امرأة في الطائرة...

لكنه يُهين عمّاله، ويتأخر عن دفع أجورهم، ولا يرى في ذلك بأسًا!

يبكي إذا سمع وصف الجنة...

لكنه يتأفف إذا طُلب منه مبلغ بسيط لفكّ كربة محتاج!

يتفنن في ارتداء الثوب القصير والسواك المعطّر...

لكن قلبه قاسٍ، وزكاته محبوسة، ونظراته للناس دونية!.

يا من تظن نفسك تقيًّا...

ألم يكن التقيّ هو من قال فيه النبي ﷺ:

"التقيّ النقيّ، لا يضرّه من خذله"؟

أين نُقاؤك من حقوق الناس؟ أين تقواك من دموع الفقراء؟

هذا ليس ورعًا... هذا انفصامٌ روحيّ

يسجد في الليل... ويظلم في النهار.

يُطيل التهجد... ويؤخّر الزكاة.

يُنكر الحرام في الأكل... ويغض الطرف عن الحرام في الدخل.

القاعدة النبوية:

"اتقوا النار ولو بشق تمرة"

لا: "اتقوا النار... بلبس البشت وتكبير الصوت فقط"!

آثار هذا السلوك على الفرد والمجتمع:

على الفرد

– يُبارَك له في المظهر... ويُنزَع البركة من المال!.

– يُظَنُّ به التقوى... لكن لا يشعر بلذّة العبادة، ولا سكينة الطاعة.

– يتحوّل الورع إلى قناع اجتماعي... لا إلى قرب من الرحمن!.

على المجتمع

– تُنزع الرحمة من القلوب... ويزداد الفقير فقرًا، والغنيُّ قسوة.

– تزداد الهوّة بين الناس والدين، حين يرون "المتدينين" لا يرحمون، ولا يزكّون، ولا يوفون!

– تُشوَّه صورة الدين... ويُظَنُّ أنه طقوس فقط، لا عدل ولا إنصاف!

وحين تتفشى هذه الظاهرة...

يُصاب الناس بأزمة ثقة في الدين نفسه، لا فقط في المتدينين!

ويُقال: "إذا كان هذا حال من يصلّي ويبكي... فما فائدة الصلاة؟"

وهنا... نكون قد أسأنا إلى الإسلام، لا فقط إلى أنفسنا.

بين الواقعية والورع الحقيقي:

الورع الحقيقي لا يبدأ من تفتيش الملاعق... بل من تفقد المظالم.

الورع ليس أن ترفض شُبهة في نوع لبنٍ أو مشروب...

بل أن تُخرج حقّ الله من مالك دون تأخير، ولا مماطلة، ولا منّة.

الورع ليس وسوسة في المأكول... بل وقفة صادقة مع المكسوب.

قال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله:

"ليس الورع أن تترك ما لا بأس به... ولكن الورع أن لا تتعدى حدود الله".

وقال الحسن البصري:

"بلغنا أن الرجل كان يُخرج زكاة ماله... فيُقال له: هذا ورع فلان"!

أيُّ مقام هذا؟ أن يكون العدل في المال ... هو أوّل ما يُعْرَف به الورع!

لا طول السجود، ولا دمعة التهجد، بل صدق المعاملة مع الله والناس.

تأمل وجداني:

كيف ترجو رحمة الله... وأنت تتعمد إسقاط ركن من أركان دينه؟

هل يُعقل أن تصوم ٣٠ يومًا... وتصلي ألف ركعة...

لكنّ فقيرًا واحدًا حولك جائع... وأنت تعرفه وتتجاهله؟.

رسالة ختامية:

الزكاة... ليست رقمًا تتبرع به،

بل صك وفاء مع الله، وميزان صدق في تدينك.

ومن لا يُؤدّي الزكاة... لا يرقى بورع الشبهات.

احذر أن تكون ممن يُحاسبون على الملايين،

بينما كانوا يخشون أكل "لبانة مشبوهة" أمام الناس!

الفصل الرابع: حين صار الغش "شطارة"... لا خيانة!

- **ربح سريع، وكذب يسير... وضمير ميت"!.**
- **هل الغش حيلة ذكية؟ أم خيانة لله وللرسول؟.**

مدخل صادم:

في الأسواق... لم يعد الغش "جريمة تجارية"، بل صار "ذكاءً تسويقيًا!"

في المهن... لم يعد الغش خيانة، بل "حيلة مشروعة" لرفع الدخل!

في الدراسة... لم يعد الغش عارًا، بل "ضرورة"... يبررها قولهم: "كلنا نغش"!

هكذا... صار الغش ثقافةً لا تُستنكر، يضحك الناس على حِيَلها،
ويبكون فقط... إن كُشفوا!
والمؤلم: أن بعض من يفعل هذا... يفتح يومه بورد قرآني،
ويختمه بدعاء طلب الرزق!..

ما هو الغش في نظر الشرع؟

الغش ليس حيلة تجارية... ولا "شطارة" في الامتحان...
ولا "ذكاءً ماديًا" في المعاملات.
بل هو جريمة شرعية تُشوّه روح الدين،
وتخون ثقة الناس، وتكسر ميثاق الأمانة الذي جعله الله بين عباده.
قال النبي ﷺ بكلمات تُزلزل القلوب:
"من غشّنا فليس منا " رواه مسلم.
وهذه ليست جملة "وعظية" فقط...
بل حدّ فاصل:
إما أن تكون من أمة الصدق...
أو من أمة الغشّ، والمُستَثنى من صفّ النبي!
والمفارقة المؤلمة اليوم:
أن حديث "من غشّنا فليس منّا" يُكتَب على الجدران،
لكن لا يُطبَّق في الأذهان!
فصار الغش "هو الأصل"، والصدق... "سذاجة لا يُنصح بها"!..

مظاهر الغش المعاصر:

المجال	صورة الغش	أثره
التجارة	إخفاء العيوب – النفخ في المزايا	أكل مال الناس بالباطل
التعليم	الغش في الامتحانات أو الأبحاث	تدمير الجدارة وتكريس الجهل
المهن	استخدام أدوات رديئة – وادعاء الجودة	خيانة المهنة وضياع ثقة الناس
الزواج	التزييف في المعلومات أو الصور أو الدخل	خراب البيوت وظلم الشريك
الدين	تزيين الباطل وتغليفه بلغة شرعية	تضليل الناس وتشويه الإسلام

منطق "الشطارة" الزائف وعبث الاحتيال على الله تعالى:

في الأسواق، في المهن، في المعاملات...

انتشر منطق جديد يُسوّق باسم "الذكاء":

- "الزبون لا يفهم، فلا بأس أن نربح منه أكثر"!
- "الجميع يغش، فلماذا أكون وحدي الصادق؟"
- "أنا مجبر... السوق لا يرحم، والناس لا تثق إلَّا بالمظاهر"!

لكن الحقيقة؟ هذا ليس اضطرارًا... بل اختيارٌ للمراوغة.

والأخطر: أنه افتراءٌ على الله، حين نُلبِس الفساد ثوب الضرورة...

ونطلب التوفيق من الله، ونحن نغش في عطائه!

قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٤٢

الضرورات الحقيقية تُقدَّر بقدرها... ولا تشمل:

- الكذب المقصود
- التزوير في الوزن
- الغش في الإعلان
- بيع شيء ناقص مع كتمان العيب

لأن الضرورة لا تبرّر "الخيانة"،

ولا يُعذر عند الله من جعل لقمة أولاده من "ألم الآخرين".

آثار الغش على المجتمع.. ليست تفصيلاً بل كارثة:

الغش ليس مسألة شخصية... إنه عدوى اجتماعية إذا انتشرت، خربت كل شيء.

١- انهيار الثقة بين الناس:

- حين يشكّ الزبون في البائع،
- والطالب في المعلم،
- والزوج في شريك حياته...

فاعلم أن الغش قد نخر قلب المجتمع.

٢- ضياع الحقوق وانتشار الخداع: الغش يُبرّر سرقة الوقت، والمال، والفرص... فيُظلَم من يستحق، ويُقدَّم من يحتال.

٣- تفكك العلاقات حتى في البيوت: الغش يصبح طبعًا...

فمن غشّ في عمله، قد يغش في صدقه، وعهده، ووعوده داخل بيته أيضًا.

فينشأ الأبناء على الكذب، وتنقلب الأسرة إلى ساحة رياء لا رحمة.

٤- تشويه صورة الإسلام عند غير المسلمين: حين يرى غير المسلم أن من

"يصلي" و"يصوم" و"يحج..." لكنه يغشّ، ويكذب، ويخدع،
فما الذي سيبقى من هيبة الإسلام في قلبه؟.

قال عمر بن الخطاب ﷺ:

"نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة في غيره أذلّنا الله".

فأيُّ ذلٍّ أعظم من أن نغش باسم الدين... ونفقد بركته ووجهه؟!

الغش... خيانة لله قبل الناس!

حين تغش... فأنت لا تكسر "قانونًا بشريًا" فقط،
بل تُعلن أنك لا تهاب نظر الله إليك، ولا تعظّم أمره!

الغش = كسر للأمانة

الله تعالى وصف المؤمنين بأنهم: ﴿ **وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ** ﴾
فهل بقي من الأمانة شيء... حين نُجمّل الكذب باسم "حيلة ذكية"؟

الغش = هدم للمروءة

المروءة أن تكون صادقًا... ولو خسرت، شريفًا... ولو فاز غيرك،
لكن من يغش، قد يربح لحظة... ويخسر احترامه إلى الأبد.

الغش = عصيان لله ورسوله

قال ﷺ: "من غشّنا فليس منا"
أتدري ما معنى هذا؟
أي أنك بخُلقك هذا... تُخرج نفسك من صفِّ أمة مُحَّد ﷺ!
قد لا يراك أحد... لكن ربك يراك،
ومن خان الله في السر... كشفه الله في العلن، ولو بعد حين.

تأملات وجدانية:

١- لا تقل: "الدنيا هكذا"... وكن أنت الاستثناء النقي.

٢- لا تقل: "لن أعيش إن لم أغش" بل قل: "لن أعيش إن فقدتُ بركة الله".

٣- لا تُفسد طريق رزقك بمعصية ثم تتعجب لماذا لا تشعر بسعادة في هذا المال.

رسالة ختامية:

- الغش... لا يُورث غنًى، بل ذُلًّا.
- ولا يزيد الرزق، بل يمحق بركته.
- ولا ينجح أحد بالغش... إلَّا على المدى القصير، ثم تفضحه الأيام.

كن صادقًا... ولو خسرت قليلًا فالله الذي رزقك، قادر أن يُعوّضك بما لا يُحتسب.

الفصل الخامس: الوظيفة للراتب فقط؟!

"أين الأمانة في العمل؟"

هل نحن نعدّ الوظيفة وسيلة عبور إلى آخر الشهر أم طريقًا إلى مرضاة الله؟

في كل صباح...

نستيقظ، نرتدي ملابسنا، نحمل ملفاتنا، لكن هل حملنا الأمانة في قلوبنا قبلها؟
نُوقّع دخولًا في الدوام... لكننا أحيانًا لا نُوقّع دخولًا على نية الإخلاص لله.
نعدّ الساعات كأنها سجن... ونسينا أن العمل عبادة،

وأن الوقت الذي يُدفع لك فيه مال... هو وقت لله، لا للهوى.
ننتظر لحظة "الخروج" بشغف...
وكأننا لم نُخلق إلَّا لساعة راحة، لا لساعات أمانة!
هل نسينا أن الوظيفة أمانة؟ أن الله يراك حين تماطل، ويسمع عذرك الباطل،
ويعلم كم من دقيقة أخذتها... ولم تُعطِ مقابلها!
الراتب ليس "رزقًا مجانيًا"... بل ثمن أمانة!
والوظيفة ليست "حيلة راتب"... بل ساحة اختبار.
قال الله:﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا** ﴾ النساء: ٥٨.
فمن خان وظيفته... فقد خان ربه، قبل أن يخون المدير.

الفرق بين الوظيفة... والرسالة:

الموظف للأجر فقط	الموظف لله ثم للمجتمع
يُنجز بالحد الأدنى	يُنجز بما يُرضي الله
يتأخر... ويتكاسل	يلتزم ويستشعر المسؤولية
يتذمّر من كل شيء	يصبر ويُجدد النية
يبحث عن "ثغرة للهروب"	يبحث عن "فرصة للعطاء"

قال ﷺ:
"إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يُتقنه" رواه البيهقي وغيره بسند حسن.

مظاهر خيانة الأمانة في العمل:

ليست مجرد تجاوزات... بل ذنوب موصوفة

الحضور المتأخر والانصراف المبكر

من يسرق من الزمن ساعة أو نصفها...

فقد خان الزمن الذي أُجّر عليه، وأكل من مالٍ لا يستحقه.

قضاء وقت الدوام على الهاتف أو الإنترنت دون إنتاج

الدقيقة التي تمر بلا عمل... ستُسأل عنها.

العمل عبادة... لا مساحة للهوى فيه.

الغش في التقارير أو تزوير الحضور

أن تكتب ما لم تفعل، أو تُثبّت وقتًا لم تحضره...

هو تزوير، والله لا يحب المزورين.

تأخير معاملات الناس بلا مبرر

أن تجعل الناس ينتظرون لأنك "مشغول بالقهوة" أو "تشعر بالملل"... هو ظلم.

والنبي ﷺ قال: "اللهم من وَلِيَ من أمر أمتي شيئًا فشقَّ عليهم، فاشقُق عليه".

رواه مسلم

تبرير التقصير بحجج مثل: الروتين، أو الراتب القليل

- لا الراتب القليل يُبيح السرقة
- ولا الروتين يُبيح الظلم

فلو عملتَ قليلًا... خُذ قليلًا.

لكن إن أخذت كثيرًا... فأنت محاسب، لا معذور!

تذكّر:

"خيانة الأمانة" ليست فقط في المال...

بل في كل وقت، وكل مسؤولية، وكل معاملة لم تُؤدّ كما ينبغي.

لماذا نعمل؟ نية العمل في الميزان:

هل نذهب إلى أعمالنا لأننا "مضطرون للراتب"؟

أم لأننا نرى في عملنا بابًا من أبواب القُرب إلى الله؟

هل نرى:

- المدرسة... مكانًا لبناء أجيال تُرضي الله؟
- المستشفى... ساحة رحمة تُمارَس باسم الرَّحمن؟
- المكتب... ميدان أمانة نُحاسب فيه على كل توقيع؟
- السوق... مساحة صدق لا اختبار خداع؟

أم أن كل هذه الأماكن تحوّلت إلى تمثيل وظيفي؟

نبتسم للمدير، ونتقن لغة التبرير، ونخادع النظام...

ثم نظن أننا قد نجونا لأننا قبضنا الراتب!

الحقيقة الصارخة:

العمل عبادة...إذا نوينا به خدمة الخَلق، وطلب الرزق بالحلال، وأدّيناه بإتقان.

وهو إثم ثقيل...إذا خلطناه بالغش، والكسل، والتلاعب، وسوء النية.

قال النبي ﷺ: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يُتقنه".

فلتكن نيتك كل صباح:

"يا رب، اجعل عملي هذا في ميزان حسناتي لا في صحيفة غشي وخيانتي"

أثر هذا المفهوم الخاطئ على المجتمع:

عندما يُختزل العمل في الراتب فقط... وتُفقد النية، وتُدفن الأمانة...

فإنَّ المجتمع يدفع الثمن، وهذه بعض نتائجه:

١- تأخر الأمة في الإنتاج والتقدم: لأن العامل لا يعطي من قلبه... بل فقط ما يكفي للبقاء على قيد الوظيفة.

٢- انعدام الثقة في الموظفين والمؤسسات: فلا أحد يتوقع أن تُنجز معاملته بإخلاص، ولا أن يتلقى الخدمة بإحسان.

٣- ازدياد البطالة المقنّعة: موظفون كُثُر... لكن الإنتاج ضئيل، والفاعلية منعدمة.

٤- هجرة الكفاءات الصادقة: لأنهم يُحاربون حين يُجيدون، ويسكتون حين يطالبون بالإصلاح، فيرحلون... وتبقى المؤسسات أسيرة أهل المجاملة والفساد.

النتيجة؟

أمة تفقد بركة العمل، وتظن أن السبب في "قلة الموارد"،

بينما الحقيقة: أننا نُهدر النعم، ونفرّط في الأمانات، ونُسقِط النوايا!.

العمل عبادة... لا عادة:

ما دمت تُخلِص النية... وتُؤدي المهمة بإتقان...

فأنت في عبادة لا تقل شرفًا عن السجود.

- كل دقيقة تقضيها بصدق... هي عبادة تُكتَب.
- كل مهمة تُنجزها بأمانة... هي صدقة جارية في الأرض.
- كل وظيفة، مهما بدت صغيرة... تصير عظيمة إن نويت بها وجه الله.

ما بين المعاملة والورقة، التقرير والهاتف، التوقيع والكلمة...

تُقاس همّتك، ويُكتَب أجرك.

فلا تستهِن بعملك... فربّ موظفٍ في زاوية نائية...

كان عند الله أعظم من خطيبٍ على منبر،

لأنه عمل لله سبحانه وتعالى... لا للناس.

مواقف لا تُذكر في نشرات الأخبار...

لكنّ الملائكة تسجلها في ديوان الصالحين:

- تلك المُمرّضة التي تُنهي نوبتها منهكة... لكنها لا تنسى أن تبتسم في وجه مريض، تُرضي الله قبل أن تُرضي المريض، وتُداوي بقلبها قبل يدها.
- وذاك المُعلّم الذي يشرح بإخلاص لطلاب لا يُصغون... لا يعلّمهم فقط، بل يُربّي أمة من الداخل، ويزرع بذورًا ستزهر يومًا ما.
- وهذا الموظف الذي يُنجز معاملة أرملة أو مريض دون مماطلة... قد لا يعرف أنه في تلك اللحظة، ارتقى في ميزان السَّماء.
- وفي المستشفى... الطبيب الذي يُتابع حالة مريض فقير بعد انتهاء دوامه، دون أجر... يُكتب له أجر الصدقة والرحمة.
- عامل النظافة الذي يُنظّف غرفة مريضٍ بإتقان، كأنه ينظف بيته... يرتقي عند الله في مقام الإحسان.
- وفي المدرسة... المعلمة التي تُكرر شرح الدرس لطالبة ضعيفة بلا ضجر... تُمارس عبادة الصبر والرحمة.

  والمشرفة التي تدافع عن طالبة مظلومة وتحميها من تنمّر أو ظلم... تُقيم العدل الذي يحبه الله.
- وفي الوظائف العامة... الكاتب الذي يُنجز أوراق الناس دون تأخير، ولا يطلب مالًا غير راتبه... يُنقذ أرواحًا دون أن يشعر.

  الموظفة التي تُخفي تعبها وتُعامل المراجعين بأدب رغم الضغط... تُكتَب من الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس.
- وفي السوق... التاجر الذي يُبيّن عيب بضاعته قبل البيع... خسر درهمًا، لكنه ربح رضا الرحمن.

  البائعة البسيطة التي تردّ الباقي كاملاً دون نقصان... تُمارس أمانة تُرجّح

كفتها يوم القيامة.

- وفي الورش والمصانع... الفنيّ الذي يُتقن صيانة جهاز لا يراه الزبون... يُراقب الله لا الكاميرات.

  الحِرفيّ الذي يُسلّم عمله في وقته دون أعذار كاذبة... يُكتب عند الله من الصادقين في عهده.

- وفي البيوت... الأم التي تُعدّ الطعام لعائلتها وهي تُردّد الأذكار... تُطعمهم نورًا لا فقط خبزًا.

  الأب الذي يعمل ليلًا ونهارًا ليسدّ دَينًا لا يعرفه أحد... يسعى في سبيل الله دون أن يتحدث عن جهاده.

وفي كل مهنة، مهما كانت بسيطة... إن نويت بها وجه الله، أصبحت عبادة تُرضيه، وجهادًا لا يعرفه إلَّا من راقب النية... وأخلص العمل.

رسالة ختامية:

١- لستَ تعمل تحت نظر المدير فقط... بل تحت نظر ربّ المدير.

٢- وربّك لا يُهمّه اسم الوظيفة... بل نية قلبك فيها، وإخلاصك في أدائها.

٣- لا تجعل الراتب هو غايتك... فيُسلب الأجر والبركة.

٤- بل اجعل الإتقان هو رسالتك... تنال المال والرضا معًا.

الفصل السادس: تضييع الأمانات... وسرقة الوقت باسم الروتين..

الهروب من الدوام، العمل الخاص في وقت الوظيفة، والراتب الذي لا يُستحق!

مقدمة صادمة:

ليست الأزمة في ضيق الراتب... بل في ضيق الأمانة!

نشتكي من غلاء المعيشة، وارتفاع الأسعار، وقلة البركة...

لكننا نغفل عن سؤال أكثر وجعًا:

- هل نحن نأكل من كدّ أيدينا... أم من وقتٍ لم نؤدِّ فيه الأمانة؟
- كم من ساعات العمل ضاعت في تسويف وتساهل؟
- كم من دقائق سُرقت للهاتف، أو المجاملات، أو شؤوننا الخاصة؟
- وكم مرة وقّعنا بالحضور... دون أن نحضر في نية الصدق مع الله؟

لو وُزن يومك بميزان السماء، هل تستحق هذا الأجر كاملًا؟

وهل كنتَ عبدًا أمينًا... قبل أن تكون موظفًا ملتزمًا؟

الأمانة لا تُقاس بالبصمة عند الباب... بل بالبصمة في ضميرك!

أمانة الوقت... ليست ملكًا لك!

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّوا ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا** ﴾ النساء: ٥٨

الوقت الذي تعمل فيه... ليس من وقتك، بل أمانة وُدعت في عنقك.

الكرسي الذي تجلس عليه... لم يُمنح لك تشريفًا، بل تَكليفًا.

حتى القلم والورقة، وجهاز الحاسوب...

كلّها من "المال العام" الذي سيسألك الله تعالى عنه!
كل دقيقة تقضيها في عملك ليست ملكًا شخصيًا...
بل عهدٌ بينك وبين الله، قبل أن يكون بينك وبين الإدارة.
حين تُدرك أن الوظيفة ليست مجرد راتب... بل أمانة،
يتغيّر أداؤك، ويتطهّر رزقك، وتُفتح لك أبواب البركة من حيث لا تحتسب.

أخطر الممارسات المنتشرة باسم "الروتين":

الممارسة	وصفها الشرعي	الأثر الخفي
الهروب من الدوام مبكرًا	خيانة أمانة	أكل مالٍ بغير وجه حق
أداء أعمال خاصة أثناء وقت العمل	استغلال غير مشروع	سرقة وقت الأمة
تعطيل مصالح الناس بحجة الإجراءات	ظلم للناس	تشويه لوجه الدين
استهلاك الأدوات في الشأن الشخصي	اعتداء على المال العام	فساد مُقنّع
النوم أو اللعب في ساعات الدوام	تضييع الأمانة	ذنوب خفية لا تُرى

أنت تعمل عند الله... قبل أن تعمل تحت إدارة بشرية:

قد تخادع الكاميرا، أو تُسجّل حضورك بالبصمة أو الورقة...
لكن ملائكة الرَّحمن تسجّل ما هو أعمق:
النية، والصدق، والأمانة، والوقت الذي أُفني في الحق أو في التساهل.

لا تنخدع بالختم الرسمي على بطاقة دوامك...

فالأختام الأرضية لا تُغني شيئًا

إن لم يكن هناك توقيع خفي في صحيفة صدقك عند الله.

الراتب قد يصرف آخر الشهر...

لكنّ السؤال الأعظم يُطرح في آخر العمر:

هل أديت الأمانة كما يليق بعين الله التي ترقبك؟

حين تعمل وكأنك تحت نظر مديرك...

أنت موظف عادي.

لكن حين تعمل وكأنَّك تحت نظر ربك...

فأنت عبد أمين... لا موظف فقط.

اسأل نفسك مع كل نهاية يوم:

هل يرضى الله عن أدائي اليوم؟

هل خرجت من عملي براتب... أم برضى ربٍّ لا تضيع عنده أمانة؟

لكن الناس كلهم هكذا!

عبارة تتردد كثيرًا... لكنها لن تُقبل عذرًا عند الله.

- "الكل يهرب من الدوام"
- "ما أحد يشتغل بضمير"
- "مش أنا اللي راح أغير الدنيا"

هذه ليست أعذارًا... بل حُجُبًا تخفي بها تقصيرك،

وتواسي بها ضميرك حين يخذلك الصدق.

في ميزان الله تعالى... لن تُحاسب عن الناس..

بل عن نفسك، وساعاتك، وأمانتك،

واختيارك أن تكون مثلهم... أو أفضل منهم.
اختر أن تكون من القِلّة التي تُرضي الله في زمن التفلّت.
اختر أن تعمل وكأنك وحدك في الأرض... لكنك تُراقَب من السَّماء.
فلا أحد يُغيّر الدنيا وحده... لكن كلُّ واحدٍ يُحاسب وحده.

" الأمانة لا تُقاس بالمقارنة مع الناس... بل بالوفاء مع الله "

تأمّل هذا الحديث النبوي العظيم:

قال رسول الله ﷺ: "كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته" متفق عليه..
هذا الحديث لا يُخاطب الحكّام فقط، ولا الآباء والأمهات فقط...
بل يُخاطب كلّ إنسانٍ وُكّل بشيءٍ من الأمانة، أيًّا كان حجمه.
وأنت في عملك... راعٍ.
حتى لو لم تكن مديرًا، ولا تُمسك قلم التوقيع،
فإنك تمسك زمام أمانةٍ عظيمة:
وقتك، جهدك، أداؤك، نيتك، صدقك... وكلها رعيتك.

لا تقل: "لستُ مسؤولًا رسميًا"

فالمسؤولية عند الله لا تبدأ من المنصب... بل من النية.
والرعاية لا تُقاس بالكرسي... بل بالإخلاص.
الوظيفة ليست فقط أداءً إداريًا...

" بل امتحانٌ يومي في الأمانة، والصدق، والنية "

هل تصدق؟...

قد يصوم بعض الناس عن الطعام والشراب...
لكنه يفطر على أوقات الآخرين دون إذن أو حياء!

قد يتوضأ، ويصلّي، ويركع بين يدي الله...

ثم يجلس بعدها يُهدر الوقت، يوقّع أوراقًا بلا تدقيق،

ويُبرّر التقصير بكلمة: "ملل"، أو "ما في شغل!"

فأيّ صلاةٍ هذه... التي لا تنهاه عن "خيانة الأمانة"؟

وأيّ صيامٍ هذا... الذي يُصاحبه "هروب وظيفي" باسم الرتابة والروتين؟

العبادات ليست طقوسًا منفصلة عن الحياة...

بل هي ميزان دقيق يُقاس به الصدق في العمل،

والأمانة في الوقت، والنزاهة في الأداء.

فمن لم تردعه صلاته عن الكذب...

ولم يمنعه صيامه من أكل حقوق الناس...

فليُراجع نفسه، لا عبادته فقط.

رسالة ختامية:

يا من تعمل... عملك ليس لك وحدك

إنك تمثّل أمةً، ودينًا، وقِيَمًا...

وإن كنتَ لا ترى الله، فهو يراك.

كل دقيقة تسرقها، كل توقيع تزوره، كل ورقة تُهملها...

ستُسأل عنها أمام من لا يغفل ولا ينام.

لا تطلب بركة من الله... وأنت تخونه في "أمانة الوقت!"

الفصل السابع: الدين لا يمنع الثراء... لكنه يُحرّم الجشع

بين التوكل والعمل... وبين الطمع والبذخ

مدخل تأملي:

ليس في الدين ما يُعادي المال...

ولا في الإسلام دعوة للفقر المتكلف أو الزهد المتصنّع.

المال في ذاته نعمة...

ورزقٌ من الله يُبتلى به بعض الناس كما يُبتلى غيرهم بالفقر.

لكن الخطر يبدأ... حين يتحوّل المال من وسيلة إلى غاية،

ومن رزقٍ عابر... إلى إله خفيّ يُطاع من دون الله!

الإسلام لم يُحرّم الغِنى، بل حذّر من عبادة الغِنى،

حين يُصبح المال محرّك الضمير،

ومُوجّه القرارات، ومقياس النجاح الوحيد.

فالمال يُختبر به صدقك... هل تمتلكه في يدك؟ أم في قلبك؟

هل تملكه... أم يملكك؟

فأين الخلل إذًا؟

ليس في أن تملك المال...

بل في أن يمتلكك المال حتى يُطوِّق قلبك ويقيّده.

ليس في أن تُثرى وتكسب...

بل في أن تزداد فقرًا روحيًا كلما امتلأت حساباتك البنكية،

أن تنمو أرصدتك... وتنكمش روحك.

الإسلام لا يُخاصم الغنى... بل يُربّيك على التوازن.
يدعوك إلى العمل والاجتهاد...
لكنه ينهى عن عبادة الأسباب، وتعلّق القلب بما في اليد.
يُبيح السَّعي المشروع نحو الثراء...
لكنه يفضح الجشع، ويُعرّي الطمع،
ويحذّر من أن تتحوّل الدنيا إلى قيدٍ يسرق آخرتك.
المشكلة ليست في المال... بل في موقعه: إن كان في الجيب، فهو نعمة.

" وإن وصل إلى القلب... صار فتنة "

بين "البركة" و"التكديس":

قال الله تعالى:
﴿ **وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ** ﴾ التوبة: ٧٥
ولكن... فلما أغناهم من فضله، بخلوا وتولّوا وهم معرضون.
كم تكررت هذه القصة في الواقع؟
أناس عاهدوا، وتمنّوا، وبكوا فقرًا...
فلما أغناهم الله، لم يزدهم الغنى إلَّا بُعدًا وتعلّقًا بالدنيا!
الثراء الحقيقي ليس أن تمتلئ خزائنك...
بل أن يمتلئ قلبك بالعطاء، أن تمسك المال بيدك لا بقلبك،
أن تكون غنيًّا ...وتنفق كما لو كنت مسؤولًا عن الفقراء كلهم.
أما من يجمع المال... للمال، ويعدّ الأرصدة دون نيةٍ للخير،
فقد صار عبدًا خفيًّا لدرهمه، وإن صلّى وصام، ولبس زيّ الصالحين.
الفرق بين البركة والتكديس... أن الأولى تُثمر خيرًا، والثانية تُراكم همًّا.

التوكل ليس كسلًا، والعمل ليس طمعًا:

المفهوم	المعنى الحقيقي	المغالطة المنتشرة
التوكل	الأخذ بالأسباب ثم تسليم النتائج لله	الجلوس بلا سعي بحجة "الله يرزق"
العمل	عبادة إذا خلصت فيه النية	جمع المال دون ضوابط أو نية أو بركة
الثراء	رزقٌ من الله يُنفق في الخير	تكديس المال والتفاخر والتبذير
الزهد	امتلاك الدنيا بلا أن تمتلكك	فقرٌ وعجزٌ وتواكل باسم "الورع"

من أخطر صور الجشع... حين يتلبّس بثياب الدين:

حين يُستغلّ اسم "القرآن" و"الدعوة" و"العبادة"

ليُفتح به بابٌ من أبواب الدنيا لا من أبواب السماء!

تأمّل هذه الصور المؤلمة:

– التكسّب باسم خدمة القرآن والدعوة... بلا نية خالصة، بل بعقود تسويقية مقنّعة.

– التحايل في توزيع الزكاة والصدقات... لا لتفريج الكُرب، بل لجني الأرباح.

– تكديس التبرعات في صناديق دينية... تُحبَس فيها الأموال، ويُنسى أصحاب الحاجة.

– التجارة في مواسم العبادة (كالحج والعمرة ورمضان)... بأسعار فاحشة لا

تعرف للرحمة بابًا.

- بثّ أفكار مسمومة: "الله يحب الغني!"، أو "الفقر دليل تقصير"!

حتى أصبح الناس يربطون القرب من الله بعدد الأرقام في الحسابات...

لا بعدد ركعات السَحر، ولا دموع الخشية.

البركة لا تُقاس بالأرقام...

بل بالإخلاص، والعدل، ورحمة الناس.

فحين يتحوّل الدين إلى سلعة،

ويُقاس النجاح في ميادين الدعوة بميزان الأرباح...

فقد سقطت الهيبة، وذبل النور، وتاهت النفوس بين التديّن والتكسّب.

هل تذكر عثمان؟ وعبد الرحمن بن عوف؟

نِعْم الغِنى... إذا كان على شاكلتهم.

كانوا من أغنياء الصحابة... نعم، لكنهم ما عرفوا الراحة، ولا استلذّوا النعمة،

حتى يطمئنّوا أن بين المسلمين فقيرًا قد شبع،

أو مديونًا قد سُدّ دينه، أو جائعًا بُذلت له يدٌ كريمة.

المال كان في أيديهم... لكن قلوبهم معلّقة بالله، وأكفّهم مبسوطة للناس.

لم يتشبّثوا بالدرهم، بل جعلوه جسراً إلى الجنة،

فزكّاهم الله في كتابه، وزكّاهم النبي ﷺ في سُنّته.

ليس العيب في الغِنى... بل في أن تنام شبعانًا،

وفي قلبك علمٌ بأن غيرك يتضوّر جوعًا.

لكننا اليوم... صرنا نُقدّس "الأثرياء المتدينين"، وننسى ميزان الله!

وننسى ميزان الله الذي لا يُقيس النوايا بالحسابات البنكية!

هل رأيت كيف نصفّق بإعجاب لمن بنى مسجدًا فخمًا،

بقبّة مذهّبة، وسجّاد مستورد، ومئذنة تلامس السَّماء؟

بينما لا نرى خلف بابٍ مغلق... أرملةً تنتظر طعامًا بكرامة صامتة،

أو مديونًا يُصلّي ودمعته تخنقه...

لأنه خجل أن يخبر أهل بيته أنه لا يملك أجرة الدواء.

ليس معيار الإيمان: حجم التبرعات.

بل: صدق النيّة وعدالة التوزيع

وقلب ...لا يُحبّ أن يُرى، بل يحب أن يُرضي الله خفيًّا.

بعض الناس يتصدّقون... ليُقال: "ما أكرمه"!

والبعض يتصدّقون... لأنهم يعلمون أنَّ الله يرى، ولو لم يصفّق أحد.

رسالة من نور:

يا من أكرمك الله بالرزق، وفتح لك أبواب النعمة...

لا تظنّ أن البركة تدوم إن أغلقتَ عينك عن المحتاج،

ولا تظنّ أن الغنى وحده دليل رضى...

فالبركة لا تنزل على المال المحبوس،

ولا على القلب المنغلق على ذاته.

تذكّر دائمًا:

الدين لا يمنعك أن تكون غنيًّا...

بل يريدك أن تكون غنيًّا حرًّا.

لا عبدًا لرقم، ولا أسيرًا لخزينة،

ولا محرومًا من نور العطاء، وأثر الصدقة، وطمأنينة البذل.
الغِنى الحقيقي... أن تمتلك المال، لا أن يمتلكك المال.

الفصل الثامن: حين صار الدين تبريرًا للكسل

- **هل الزهد يعني ترك الكسب؟**
- **كيف يكون الاتكال على الله بابًا للفشل أحيانًا؟**

الفكرة الجوهرية:

الزهد... ليس بطالة... والتوكل... ليس تواكلًا.
والقناعة... لا تعني أن تُغلق أبواب السعي،
وتنتظر الرزق من السّماء دون حركة.
الدين لم يكن يومًا حاضنة للكسالى...
بل كان مدرسةً في العزيمة، وميدانًا في العمل، وساحةً في الجدّ والاجتهاد.
لكن حين خلط بعض الناس بين "الورع" و"الضعف"،
وبين "الرضا" و"العجز"، وبين "التوكل" و"التقاعس"،
تحوّل الدين – في عقولهم – إلى ستار مريحٍ لكسلهم،
وغطاء ناعمٍ يُبرّر تقاعسهم عن الإنتاج والبذل والتطوير.
الإيمان الحقيقي لا يُخرّج متواكلين...
بل رجالًا ونساءً يتحرّكون بثقة، يحرثون الأرض، ويطلبون الرزق،
وهم يعلمون أنَّ الله لا يرزق الجمود... بل الجهود.

الزهد الحقيقي... ليس أن تهرب من الدنيا، بل أن تترفّع عن الحرام فيها:

الزهد لا يعني أن تترك السوق، أو تنسحب من ميادين الكسب،
ولا أن تعيش على الصدقات، وتتجمّل بأنك "لا تملك شيئًا..."
بل الزهد الحق: أن تملك... ولا يُملكك ما تملك.
أن تسعى... ثم تتواضع.
أن تكسب بالحلال... ثم تُنفق بالرضا.
من تمام الزهد: أن لا تجعل حاجتك ذلًا، ولا كسبك طمعًا،
وأن يكون قلبك مع الله... حتى وأنت تُمسك الميزان في السوق.
قال النبي ﷺ: "ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده " رواه البخاري..
فدينك لا يمنعك أن تعمل، بل يزكّيك إن أخلصت.
ولا يلومك على الغنى، بل يختبرك فيه.

كيف صرنا نبرّر الكسل... باسم الله؟

- "أنا تاركها على الله" ← لكنك لم تتحرك خطوة واحدة!..
- "الرزق بيد الله" ← نعم، لكنه لا يُعطى للقاعد، بل للطالب الساعي!.
- "الدنيا فانية" ← لكنّ الصحابة عمروا الفاني ليربحوا الباقي!
- "أنا زاهد" ← لكنك تعيش على عطايا الناس... وتُسمي ذلك ورعًا!

بالله عليك... هل كان النبي ﷺ زاهدًا أم عاجزًا؟
هل جلس عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ينتظر رزقه؟
أم عمل في البساتين، وأجر نفسه ليكفي أهله؟
هل اعتكف الصحابة في المسجد على حساب أمة تنهض؟
أم كانوا يُصلّون ثم يخرجون ليبنوا الأركان بالأمانة والسواعد؟

لقد خلطنا بين التوكل والتواكل، وبين الزهد والعجز،
وبين الورع المشروع... والكَسَل المُقنَّع.
هذا ليس تدينًا... هذا هروب!
وهذا الهروب لا يرضاه الله، ولا يزكّيه النبي، ولا تقيم به أُمَّة.

التوكل لا يُناقض السعي... بل لا يتم إلا به!

المفهوم	المعنى الصحيح	المغالطة الخطيرة
التوكل	السعي الصادق + التسليم لله	ترك الأسباب بحجة "التوكل"
الزهد	التخفف من التعلق بالدنيا	العجز والتراخي وتحقير العمل
القناعة	شكر الموجود مع السعي للمزيد بالحلال	الرضا بالجهل والفقر والضعف باسم الرضا
الرضا	قبول ما قدره الله بعد بذل السبب	الهروب من المسؤولية بلباس الورع

الدين لم يأت ليُسكنك الزاوية... بل ليُقيمك خليفة في الأرض!

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾
أي: طلب منكم أن تُعمّروها... أن تزرعوا فيها الخير، وتُقيموا فيها العدل، وتحمِلوا رسالته.
الإسلام لم ينزل ليعتزل أصحابه الحياة... بل ليُحيي بها الحياة! لكن...

- لماذا حوّل بعض "الزاهدين" هذا الدين العظيم إلى طقوس جامدة لا تُحرّك

ساكنًا؟

- لماذا صار الورع ظاهرًا في حلق اللحية وثوب القطن، وغائبًا عند أول اختبار في السوق أو في منصب أو في أمانة وظيفة؟..

صرنا نرى من "يتورّع" عن أكل الحرام... لكنه لا يتورّع عن الغش في الجودة!
أو الظلم في الإدارة... أو التقصير في عمله بحجّة "الزهد في الدنيا!"
والحقيقة أن الزاهد الصادق... هو من يُقيم عمارة الأرض بنية الآخرة،
ويُنجز في وظيفته كما لو أنَّ الله يراه — وهو يراه.

حين يُصبح الاتكال على الله... عذرًا للفشل!

- الطالب الذي لا يفتح كتابًا، ثم يقول بثقة:"دعواتك"!.
- المعلم الذي يكرّر نفسه منذ عشر سنوات، ويقول:"أنا أؤدي الرسالة"!.
- الداعية الذي يعيش على إعانات الناس، ويُبرّر كسله بـ:"أنا متفرغ للوقف والدعوة"!..
- ربّ الأسرة العاطل، الذي لا يسعى ولا يبحث، ثم يقول لزوجته:"الله يرزق"! بينما هو نائمٌ عن الفجر، متقاعس عن العمل، مُنصرف عن أبواب الرزق.

هؤلاء لا يتوكّلون على الله... بل يتّكئون عليه كذريعة للفشل،
ثم إذا ضاقت بهم الأحوال، ألقوا باللوم على "القسمة" و"القدر"،
وكأنَّ الله تعالى هو من أمرهم بالتقصير!
التوكل لا يعني أن تجلس وتنتظر...
بل أن تتحرّك بثقة، وتسعى بأمانة، وتُسلّم بعد الجهد، لا قبله!
قال عمر بن الخطاب ﷛: "لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السَّماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة".

رسالة من القلب... إلى من خلط الورع بالكسل، والتوكل بالعجز:

تمهّل... فإنك حين تفعل ذلك، لا تسيء إلى نفسك فقط...

بل تُسيء إلى صورة الدين أمام الناس!

حين يرونك متقاعسًا ثم تقول "أنا زاهد"، متواكلًا ثم تزعم "أنا متوكل"،

فقيرًا بالإهمال ثم تتفاخر "أنا من أهل الورع..."

يظنون أن هذا هو الإسلام! وأن الدين لا يُنجب إلا الضعفاء والمنعزلين!

قال النبي ﷺ: "المؤمن القويّ خيرٌ وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير"... رواه مسلم.

لكن انتبه... الضعف ليس ورعًا، والفقر ليس تذكرة إلى الجنة...

إلا إذا كان ناتجًا عن أمانة وجهاد شريف، لا عن كسل ورضًا زائف بالعجز!

فالدين لا يرفعك بضعفك...

بل بإخلاصك في قوّتك، وأمانتك في سعيك، وصدقك في بذل الأسباب.

خاتمة الفصل:

حين يصبح الكسل فضيلة، ويُلبَس لبوس الزهد،

فهذا ليس تدينًا... بل انحراف في الفهم، وكسل مُمَنهج، وجناية على الدين نفسه.

إنّ الله يُحب العبد التقي، الغنيّ، الخفيّ.

غنيّ؟ نعم... غنيّ بالإيمان والعمل، لا بالادعاء.

الفصل التاسع: تحليل الحرام بالفتاوى الانتقائية

- حين نبحث عن الدين الذي يُناسبنا.. لا الذي يُرضي الله!
- هل يجوز أن نأخذ من الدين ما يُناسب تجارتنا ونترك الباقي؟

مدخل تمهيدي:

الفتوى... كانت يومًا بيانًا للحق، ونورًا يُضيء طريق الطاعة،
وكان الناس يسألون وهم خائفون... ويأخذون الحكم وهم عازمون على الانقياد.

أما اليوم... فقد صارت الفتوى عند بعضهم غطاءً ناعمًا لتبرير المخالفات،
وسلاحًا يُنتقى على الهوى: يُسأل لا ليُطاع... بل ليُؤخذ منه ما يُناسب،
ويُترك ما يُخالف الرغبة والمزاج!

وكأن الدين تحوّل إلى "قائمة خيارات":

- ❑ هذه الفتوى تعجبني ← أتبنّاها..
- ❑ وهذه تُقيّدني قليلًا ← أتركها..
- ❑ وهذه فيها مشقة على نفسي ← أبحث عن "قول آخر".

فيا ويح قلبٍ لم يَعُد يسأل لِيَهتدي ...بل ليسكت ضميره!
ويا حسرة على فتوى تُراد بها الراحة لا الحق، والهوى لا الهدى.
هل المشكلة في الفتوى... أم في النفس التي لا تريد الهداية بل التبرير؟
في النفس التي تبحث عما "يُبيح"... لا عمّا "يُصلح"؟
في القلب الذي لا يسأل ليُطيع... بل ليُقنِع نفسه أنه على صواب، ولو في عين الخطأ!

قال الله تعالى:

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ؟ ﴾ البقرة: ٨٥.

أشدّ أنواع التلاعب بالدين...

أن تتقمّص هيئة الباحث عن الحق، وأن تتحدّث بلغة الخشية والورع،

وأنت في قرارة نفسك ...تبحث فقط عن فتوى تُرضي هواك، لا ربك.

هذا النوع من التدين المُنتقى...

لا يرفع صاحبه، بل يُغرقه في وهم الطاعة،

ويحجبه عن نور الإنابة... لأنه أقنع نفسه أنه على حق!

الدين لا يُؤخذ "بالانتقاء"، ولا يُطبّق على ما نحب فقط،

بل يُؤخذ بكُلّيته ...ولو خالف رغباتنا،

فهو وحيٌ من الله، لا "قائمة اختيارات بشرية".

أنواع الفتاوى الانتقائية المنتشرة:

الظاهرة	الفتوى الانتقائية	الحقيقة الشرعية
تبرير المعاملات الربوية	"البنوك ضرورة في هذا الزمن"	الربا لا يتغير باسمه أو ظرفه
خلط الغش بالذكاء	"الكلّ يفعل ذلك... السوق هكذا"!	الغش محرّم حتى لو عُمّم
المبالغة في الإنفاق بالزواج	"الناس تحب الفرح"	التبذير حرام ولو في الفرح
الربح الفاحش	"أرباح السوق حرّة"	الظلم ممنوع حتى في التجارة

إهمال الزكاة	"أنا أدفع صدقة بشكل غير مباشر"	لا تغني الصدقة عن الزكاة المفروضة

فتاوى حسب الطلب؟!

في زمنٍ كثرت فيه الشهوات المُقنّعة بثياب الشرع...
تحوّلت الفتوى عند البعض من وسيلة لمعرفة مراد الله،
إلى وسيلة للحصول على "الغطاء الديني" المناسب للهوى.
صار التاجر لا يسأل: "هل هذا يرضي الله؟"
بل يبحث عن شيخٍ يُبيح له التحايل باسم "الذكاء التجاري..."
وصاحب الإعلان لا يسأل: "هل هذا يُغضب الله؟"
بل يبحث عن من يقول له: "التبرّج الخفيف... مقبول إعلاميًا"!
وصاحب الرِّبا يبحث عن فتوى معاصرة تُجمّل القبح،
وتُلبس المعاملة الربوية ثوبًا شرعيًا، اسمه: "تمويل إسلامي هيكلي!"
وكأنَّ الدين صار يُفصّل حسب المقاس،
ويُكيّف ليناسب الطموح المالي، والرغبة النفسية، والتوجّه التسويقي!
لا حول ولا قوة إلَّا بالله...

إنها ليست فتوى صادقة... بل تزكية مزيّفة.
وليست طلبًا لله... بل مساومة على أوامره.

الفرق بين طلب "الرُّخصة" وطلب "الهوى":

الرخصة في الشرع باب رحمة ... تُفتح للضرورة،
وتُضبط بالورع، وتُستعمل حين يُعجزك الحال ويضيق بك العذر.

أما انتقاء الفتاوى في كل مقام، وتلوين الأحكام بحسب الرغبة،

فهو " تشريع مزاجيّ " مُغلفٌ بثوب الورع، لكنه في حقيقته تمييعٌ للدين.

قال رسول الله ﷺ: "إنما أهلك من كان قبلكم،

أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه،

وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد " رواه البخاري..

أي: كانوا يُكيّفون الدين بحسب المكانة،يُخفّفونه عن الأقوياء، ويُغلّظونه على الضعفاء... كما نفعل اليوم تمامًا:

- رخصة خاصة لأصحاب النفوذ
- فتوى مناسبة لرجال المال
- تشديد على الفقير في الملبس والسلوك،

لكن "تسهيل" على الغني في التجارة والإعلام والربا... باسم "فقه الواقع!"

الرُّخصة الشرعية ترفع الحرج...

أما الفتوى على الهوى، فتُسقط الهيبة، وتُطفئ نور الحق.

أخطر ما في الفتوى الانتقائية...

أنها لا تُبرّر الخطأ فقط، بل تُزيّف الضمير.

يعيش البعض على هامش الطاعة، ويعلم في داخله أنه متهاون...

لكنه مطمئن، لأن في جيبه "فتوى" تُرضيه.

فتوى تُسكّن ألم التأنيب، وتُطفئ صوت الآيات التي كانت تُقلقه.

فيُخادع نفسه ويقول:"الشيخ قال لي"...

لكن السؤال الأهم ليس: ماذا قال الشيخ؟ بل: هل قال الله تعالى ذلك لك؟

هل وافقك الوحي؟ هل نطقت الآية بلسان حالك؟

هل كانت الفتوى ضوءًا في طريقك... أم غطاءً تخفي به تقصيرك؟

واسأل نفسك بصدق: هل كنت فعلاً باحثًا عن مراد الله تعالى؟
أم فقط تبحث عن فتوى تُغلق فم ضميرك، وتمنحك راحة مزيفة بثمنٍ باهظ؟

لأنَّ أسوأ ما تفعله الفتوى المُختارة على المقاس،
هو أنها تُخدّرك... وأنت تنزلق.

رسالة للقلب:

يا من تبحث عن الفتاوى الجاهزة لتُرضي بها نفسك...
تذكّر: الله سبحانه وتعالى لا يُخادَع.
ولا تنخدع براحة مؤقتة تُغلق بها عين ضميرك.
قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ هود: ١٢٣...
قد تغشّ الناس بفتوى ملفّقة، قد تُقنع من حولك أنَّ الأمر "فيه خلاف"،
لكنك لا تستطيع أن تُقنع قلبك... ولا أن تُغلق عين الله عنك.
قلبك يعلم... والله تعالى يعلم... والساعة آتية،

فلا تجعل آخر ما تُلقيه في صحيفتك:
فتوى تُبرّر بها هوىً، لا تهتدي بها إلى حق.

خاتمة الفصل:

الفتوى ليست حيلة... بل أمانة.
والدين ليس محلًّا نأخذ منه ما يُناسب مزاجنا.
بل هو ميثاق مع الله ... إما أن نلتزمه بعزيمة،
أو نكون من أولئك الذين قال فيهم: ﴿ **فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ** ﴾

الفصل العاشر: دين "العقود الصورية"... والتحايل باسم الورق..

- بيعٌ وهمي، طلاقٌ صوري، زواجٌ شكلي...
- هل هذا شرعٌ؟ أم خُدعٌ شرعية؟

تمهيد وجداني:

حين تتحول العقود الشرعية إلى مجرد أوراق خاوية من النية...
وتُكتب في الوثيقة كلمات، بينما في القلب يُخبّأ شيء آخر،
هنا لا نكون قد تعاملنا مع القانون فقط، بل وقعنا في فخ مخادعة الخالق.
الله سبحانه وتعالى لا يُخدع، ولا تُبرم معه عقود زائفة،
فالظاهر قد يحكم عليه القاضي،
لكن الله عز وجل يراقب المقاصد و النيات التي تختبئ في القلب.

ما المقصود بالعقود الصورية؟

العقد الصوري هو اتفاق يتم بين طرفين على شيء يخالف ما في نيتهم الحقيقية، فقط للحصول على منفعة دنيوية، أو للتهرب من حكم شرعي، أو لتغطية مخالفة قانونية.

أمثلة:

العقد	الظاهر	النية الباطنة
طلاق صوري	طلاق رسمي أمام المحكمة	لا نية للفراق، بل لغاية المساعدة أو التهرب
بيع صوري	بيع شكلي لأرض أو عقار	لا بيع حقيقي، بل تهرب من الزكاة أو الضرائب
زواج مصلحة	عقد زواج موثّق	لا نية للعيش الزوجي، بل لأجل الإقامة أو المال

هل هذا حلال شرعًا؟

الجواب الصريح من جوهر الشريعة :لا.

لأنَّ: النية هي ركن أساسي في العقود الشرعية، فإذا خلت من الإخلاص والصواب، كانت العقود باطلة من أصلها.

الشرع لا يقرّ الخداع، ولو تم باستخدام وسائل شرعية ظاهرية، لأن التلاعب بالنية يُفسد العقد ويُخرجه عن إطار الصدق الذي أمرنا به ديننا.

كل عقد يُبنى على الكذب والمراوغة، مهما كانت الأسباب، فهو مردود، لأنَّ الشريعة ترفض الغش في كل حال.

قال رسول الله ﷺ: "من غش فليس منا" (رواه مسلم).

هذه الكلمات الطاهرة ليست مجرد تحذير، بل هي دعوة للتطهير من كل ما يشوبه الخداع، لنبني علاقاتنا الشرعية على أساس من الصدق والنية الطيبة.

ما الفرق بين "التحايل الشرعي" و"التيسير الشرعي"؟

التحايل باسم الشرع	التيسير الشرعي
مبني على المراوغة والكذب	مبني على الضرورة والصدق
ليس له أصل إلَّا الالتفاف على الحكم	له أصل شرعي مُعتبر
يُخادع الناس ويُغضب الله	يُرضي الله ورسوله

أمثلة:

١- من يتناول الطعام والشراب في نهار رمضان بسبب مرض مزمن لا يستطيع معه الصيام، هذا تيسير.

من يزعم أنه مريض ليُفطر في رمضان وهو في الحقيقة لا يعاني من أي مرض، هذا تحايل.

٢- من يترك العمل أو يخفف ساعات العمل أثناء الحج لأداء مناسك الحج، هذا تيسير.

من يترك العمل ويستغل الإجازة في الحج وهو في الحقيقة لا يقوم بالعبادة أو المناسك كما ينبغي، هذا تحايل.

٣- من يتوقف عن تناول الطعام في ساعة معينة بسبب اتباعه نظامًا غذائيًا صحيًا أو لأسباب دينية، هذا تيسير.

من يتوقف عن الطعام فقط لأن الناس من حوله يصومون ويزعم أنه ملتزم بالصيام دون نية حقيقية، هذا تحايل.

٤- من يطلب رأي عالم شرعي عندما يكون في موقف متردد في موضوع ديني، هذا تيسير.

من يطلب رأي عالم شرعي لتبرير تصرفات غير صحيحة بناءً على نية الاستفادة الشخصية أو التمويه، هذا تحايل.

٥- من يدفع المال للفقير بشكل منتظم دون رغبة في إظهار التبرعات، هذا تيسير.
من يعلن عن تبرعاته للناس من أجل الشهرة أو لزيادة إعجاب الناس به، هذا تحايل.

خطورة العقود الصورية: إهدار لمقاصد الشريعة:

عندما تصبح العقود صورية، فإننا نلعب مع الله تعالى – استغفر الله –!
نخالف الحكم الشرعي في القلب، وفي نفس الوقت نكتب شيئًا على الورق يغطّي الحقيقة.
هذه العقود الصورية لا تُحقق مقاصد الشريعة التي وضعت لحفظ الحقوق وحمايتها، بدلًا من التقوى والإخلاص في المعاملات، تُصبح المسائل ألعابًا قانونية تضر بالعدالة.

هدم للثقة المجتمعية:

العقود الشرعية وُضعت لتكون حاميًا للحقوق ومبادئ العدالة في المجتمع.
لكن عندما تُستخدم العقود الصورية، فإننا نهدم الثقة بين الناس، ونـدمر أساسًا من أسس التعامل الشرعي الذي يُبنى عليه المجتمع المسلم.
المجتمع الذي يعيش على أساس التحايل لا يمكن أن يستمر في النمو والازدهار لأن الحقوق تصبح عرضة للضياع.

جرأة على الكذب باسم الله تعالى:

العقود الصورية تتم تحت ستار الشرع، ولكنها تُدخل الناس في مستنقع النفاق.
الكذب في هذه المعاملات يصبح تحت غطاء ديني، ويُستخدم كذريعة لتبرير الأعمال المخالفة للشرع.
التحايل باسم الله أمر خطير، لأن من خلاله نُعطي الناس الطمأنينة الزائفة بأنهم

على صواب، بينما هم في الواقع يخدعون أنفسهم أولًا قبل أي شخص آخر.

الخلاصة:

العقود الصورية تُمثل خيانة لمقاصد الشريعة، وتهديدًا للثقة المجتمعية، وتُعتبر جرأة على الكذب باسم الله، ينبغي أن نلتزم بالشرع في كافة تعاملاتنا، ونتجنب أي تحايل تحت أي مسمى، لأنَّ الله سبحانه وتعالى لا يُخدع، و مقاصده أسمى وأعلى من أي تلاعب بشري.

وقفة للتأمل:

هل تظنّ أن الله ينظر إلى الوثائق؟ أم إلى صدق نيتك؟

قال ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات – "... متفق عليه

فالنية في الزواج، والنية في البيع، والنية في الطلاق...

كلها محلّ محاسبة دقيقة عند الله تعالى.

عندما نقرأ هذا الحديث الشريف، نُدرك أن النية هي الأساس، فهي التي تحدد مدى إخلاصنا في كل عمل نقوم به.

الوثائق قد تكون ورقة رسمية، لكن النية هي التي تُقيم القيمة الحقيقية للعمل.

التأمل في هذه الحقيقة يدفعنا إلى أن نطهر نياتنا في كل فعل نُقدم عليه، مهما كان صغيرًا أو كبيرًا.

إذاً، ليس المهم ما يظهر للناس، بل المهم ما يكنه القلب.

شبهة: "لكن المصلحة تقتضي ذلك"!

المصلحة لا تُبرّر الحرام... ومهما كان السبب "مقنعًا"،
فلا يجوز ليّ عنق الشريعة ونصوص الآيات ليتماشى مع أهوائنا.
إنَّ المصلحة قد تكون مفهومة، ولكن لا يمكن أن تكون مبررًا شرعيًا للمخالفات... الشريعة ليست قابلة للتعديل أو التبديل وفقًا لمتطلباتنا الشخصية أو ما نراه مناسبًا من زاويتنا المحدودة.
حتى لو كانت المصلحة ظاهرية، يجب أن تظل موافقة للشرع، لأن الله تعالى قد حدد لنا الطرق الصحيحة للوصول إلى الخير والعدل، ولا يمكننا تحريفها أو تغييرها لمصلحة مؤقتة.

التأمل:

الشريعة هي الميزان الذي لا يتأثر بالأهواء أو المصالح الشخصية.. عندما نتمسك بها، نحن نؤمن بأنَّ مراد الله أسمى من أهوائنا وأن المصلحة الحقيقية تكمن في اتباع الحق بغض النظر عن أي دوافع شخصية.

ما المخرج؟

الصدق... هو الطريق... إن احتجت أمرًا ... فاطلبه بالحق، لا بالخداع.
إن استعصت عليك الدنيا ...فلا تفتح باب الآخرة بالخيانة!
الصدق هو مفتاح الاستقامة والنجاح، وهو الذي يُشرفنا في دنيا البشر وفي نظر الله... مهما كانت الظروف صعبة أو المصلحة مغرية، لا يجب أن ننجرف خلف الطرق الملتوية التي تتناقض مع الأمانة و الشرع.
التمسك بالحق، مهما كان الثمن، هو السبيل الوحيد الذي يفتح لنا أبواب الرضا في الدنيا والآخرة.. الخيانة لا يمكن أن تؤدي إلى الراحة، بل هي طريق لل ضياع في الدنيا والعذاب في الآخرة.

الصدق هو الطريق... حتى وإن احتجت شيئًا، اجعله على أساس العدل، ولن تندم أبدًا، بل سيتبع ذلك رقي في حياتك وحياة الآخرين.

خاتمة الفصل:

دين الله أعظم من أن يُختزل في أوراق تُكتب، وشرع الله أنقى من أن يُستخدم كغطاء للباطل... من أراد أن يعيش ببركة... فليُبرم عقوده مع الله أولًا، ثم مع الناس بصدق ووضوح: "**وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً** " الإسراء: ٣٤

الفصل الحادي عشر: أين الله تعالى من تعاملاتك؟

- **استحضار مراقبة الله في البيع، الوظيفة، والمال...**
- **هل هو مجرد وعظ؟ أم ميزان حقيقي في حياتك؟**

مدخل وجداني:

في كل صلاةٍ... ترفع رأسك نحو السّماء وتقول:

﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾

لكن... هل كان قلبك حاضرًا وهو يُرددها؟

هل كنت تعبده حقًّا... وأنت تبيع وتشتري؟

حين كتبت فاتورةً مزوّرة، هل استعنت بالله؟

حين زيّنت الحساب لتُرضي الشركة أو تُفرح الجيب، هل رأيته ناظرًا إليك؟

حين وزّعت الميراث... هل وزّعته باسم الحق؟ أم باسم الهوى؟

بعض الناس يسجدون لله في المساجد...

ويكذبون عليه خارجها!

يخشعون في الصلاة... ويخدعون في المعاملة.

يُطيلون الدعاء... ويُخِلّون بالميزان.

وكأنَّ الله لا يُعبد إلَّا على السَّجاد،

ولا يُراقَب إلَّا في الركوع...

أما حين يُوقّعون، ويُنجزون، ويُحاسبون...

فهم وحدهم أرباب الموقف!

يا من تقول "إياك نعبد"،

- أين عبادتك في دفتر الحساب؟
- أين خشيتك في إيصال الراتب؟
- أين صِدقك حين اجتمع المال والضَّمير على طاولة واحدة؟

العبادة ليست حركة جسدٍ في محراب،

بل صدقُ قلبٍ في كل موقف، وورعٌ في كل لحظة،

وخوفٌ من الله لا يُغادر التوقيع ولا التصرّف ولا الحُكم.

إن كنتَ تعبده في سجودك...

فاعبده أيضًا في حساباتك، ومراسلاتك، وقضائك بين الناس.

فربك لا يُعبد في المسجد فقط...

بل يُعبد في كل لحظة تختار فيها الصدق على الخداع، والحق على الهوى.

وإذا لم تُرِ اللهَ في توقيعك كما تُريه في سجودك...

فاعلم أنَّ العبادة التي تعلنها في صلاتك... لم تلامس قلبك بعد.

لماذا سُمّي هذا الفصل بـ "أين الله؟":

لأنَّ الإيمان لا يُقاس بطول السُّجود...

بل بصدق القلب حين لا يراك أحد.
حين تختفي الكاميرات، ويغيب المدير، ولا يسألك أحد عن التفاصيل،
ولا يعرف المظلوم كيف يدافع عن نفسه...
فهل ينهض في قلبك سؤال واحد:"أين الله؟"
سمّيته بهذا الاسم...
لأن هذا السؤال هو الميزان الفاصل بين من يعيش الشهادة حقًا،
ومن يحفظها غيبًا... ويخونها سرًا.
"أين الله؟"... ليس سؤال المرتاب، بل نداء العارف... وتذكير الذاهل...
وصحوة النائم! فالإيمان لا يتجلّى في الجماعة فقط، بل في الخلوة...
في لحظة القرار، حين تكون حرًّا تمامًا، ولا يُراقبك إلّا الله.
وهناك فقط... يظهر جوهر الدين،
ويُجيب قلبك:"هو معي، يراني، يسمعني، يحاسبني".
فقل لي: حين كنت وحدك... هل سألت نفسك:"أين الله؟"
أم نسيتَه لأنه لم يكن بين الحاضرين؟..

الفكرة المحورية:

الدين ليس فقط في المساجد... بل في الفواتير، والتقارير، وتفاصيل المعاملة"!
في السجود قد تبكي... لكن هل يبكي ضميرك حين تزوّر رقمًا؟
في الصلاة تقول "الله أكبر..." لكن من الأكبر في حياتك؟
ربك؟ أم المصلحة؟ أم المدير؟ أم نظرة الناس؟
الدين ليس فقط ما تفعله حين ترتدي الثوب الأبيض وتذهب إلى المسجد،
بل ما تفعله حين ترتدي البدلة وتجلس خلف مكتبك،
أو تفتح حاسوبك، أو تمسك دفتر الحساب، أو توقّع على ورقة تُثبّت بها حقًا

أو تُخفي بها ظلمًا! فإن لم يكن الله حاضرًا في تعاملاتك...
فلا تُحدثني عن صلاتك..لأن الصلاة التي لا تنهى عن الفحشاء والمنكر...
تحتاج أن تُصلَّح أولًا... هل تشعر برقابة الله:

- حين تكتب تقريرًا؟
- حين توثّق ساعة عمل لم تؤدِّها؟
- حين تقبض مالًا لا تستحقه؟
- حين تكتم عيبًا في سلعة؟
- حين توزّع راتبًا أو ميراثًا أو فرصة؟

الدين لا يتجزأ.
و"أشهد أن لا إله إلا الله" تعني: لا إله يُطاع... في السوق كما في المحراب...
إلَّا هو.

حالات يومية تكشف الغياب:

الموقف	هل استُحضر الله فيه؟
أخذ مال من الوظيفة بحجة "ماحدا بيعرف"	نسيان لله
زيادة سعر في صفقة مع جاهل بالسوق	استغلال باسم الرزق
تقديم تقرير كاذب لتبرير غياب	كذب باسم النظام
التغاضي عن أمانة لأن "الكل هيك بيعمل"	مسايرة لا عبادة

القرآن يُجيبك:

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ العلق:١٤..
آيةٌ قصيرة... لكنها كالسَّيف.

تخترق زيف التديُّن، وتوقظ الغافل، وتُسقط الأقنعة.
تذكّرها... ليس فقط وأنت تصلي، بل حين تكتب عقدًا وتخفي بندًا.
حين تقسم بالله في المحكمة... وأنت تعرف الحقيقة كاملة.
حين تقول:"على ذمّتي"، والذمة في قلبك مثقوبة بالهوى والمصلحة.
ألم تعلم بأن الله يرى؟ يرى نيتك... قبل حركتك.
يرى حقيقتك... لا مظهرك.
يرى ما لا يراه القاضي، ولا يعرفه العميل، ولا يشكّ فيه أحد.
فإن لم تكن هذه الآية حاضرة في لحظة التوقيع،
فلن تنفعك في لحظة الركوع.

عندما تتحوّل "المراقبة" إلى "عادة لفظية":

نُردّدها كثيرًا:"اتقِ الله..." لكن، هل نعرف كيف؟
أم أصبحت مجرّد عبارة نُطلقها في لحظة انفعال... ثم نعود لنعصي الله بهدوء؟
هل اتقاء الله يعني فقط أن تبتعد عن الزنا وشرب الخمر؟
أم أنه يبدأ من هناك... من تلك الأمانة الصغيرة التي لا يُحاسبك عليها القانون... لكن الله يراها؟ من بيعٍ بسيط فيه غشّ خفي...
من توقيعٍ مزوَّر... من كلمة تُقال في مجلسٍ فتفضح إنسانًا...
ثم تبتسم وكأنك لم تفعل شيئًا!
التقوى لا تعني أن تبتعد عن الكبائر فقط...
بل أن تخشى الله في كل صغيرة لا يراها أحد سواه.
أن تختار الصدق... حين لا يُكشَف الكذب.
أن تردّ المال... حين لا يُطالَب به.
أن تقول الحقيقة... حين يكون الصمت أكثر راحة.

إذا صارت "المراقبة" مجرّد مصطلح... فقدنا الخوف الحقيقي،
وغرقنا في طقوس... لا تصنع رجالًا ولا أمانة.
التقوى تبدأ حين لا يكون بينك وبين المعصية إلَّا الله... فترتجف.

الدين: مقياس تعامل لا فقط طقوس عبادة

العبادة الشكلية	العبادة الحقيقية
صيام بلا صدق	صيام يضبط اللسان والمعاملة
صلاة بلا أمانة	صلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
ذِكر بلا تطبيق	ذِكر يُثمر قلبًا حيًّا يخشى الله في كل شيء

أين الله من تفاصيلك اليومية؟

◄ **أين الله من راتبك؟**

١– هل تأخذه عن جهدٍ صادق؟

٢– أم تنال أضعاف ما تعمل، ثم ترفع يديك بالدعاء وكأنك لا تأكل من مالٍ مسروق بالتحايل؟.

◄ **أين الله من شهادتك؟**

١– هل سَهرتَ، اجتهدتَ، سقطتَ وقمتَ... حتى استحققتها؟

٢– أم أنك اشتريت طريقك... وعلّقت على الحائط ورقة بلا روح، فخورة بخداعٍ مزخرف؟.

◄ **أين الله من وظيفتك؟**

١– هل تخدم بها الناس... وتُيسّر حاجاتهم، وتبتسم في وجوههم كأنك تمثّل رحمة الله على الأرض؟.

٢– أم أنك تستعبدهم ببيروقراطيتك... وتؤخر مصالحهم كأنك تملك مفاتيح الأقدار؟.

◄ **أين الله من حُكمك؟**

١– هل تحكم بين الناس بالعدل، ولو كان على نفسك أو قريبك أو من تحب؟.

٢– أم أنك تزن بالهوى، وتميل بالميزان، وتُرضي القريب، وتظلم البعيد... ثم تنام مرتاح الضمير؟.

إن لم يكن الله حاضرًا في هذه اللحظات... فلا تبحث عنه فقط في المساجد.

فربك الذي تعبده راكعًا... يريدك صادقًا في الراتب، أمينًا في الشهادة، رحيمًا في الوظيفة، وعادلًا في الحكم.

والسؤال الأخطر الذي يجب أن تطرحه على نفسك كل يوم:

"هل ما أفعله... يرضى عنه الله؟

أم أنني صنعت دينًا مُريحًا يقبل مني كل شيء... إلا الصدق؟"

علامات القلب الذي يستحضر الله دائمًا:

ليس القلب الحيّ من يطيل السجود فقط...

بل من يرتجف حين يوشك أن يخون الله في أي موقف.

تراه بين الناس... لكنه لا يتبعهم إن ضلّوا.

لا يغش، ولو كان السوق كله يغش.

لا يُخادع، ولو كانت الخدعة هي الطريق الأقصر.

لا يأخذ قرشًا إلا وهو يعلم أنه طاهر...

نزل عليه برضى الله، لا من شبهةٍ أو التواء.

وإذا وقع في خطأ... لا يُبرّره، ولا يتذاكى عليه،

بل يهتزّ قلبه، ويستغفر بحرقة، يراجع نواياه كل حين،
يُفكك دوافعه: هل فعلت هذا لله؟ أم لأن أحدًا كان ينظر؟
أم لأن الطمع ناداني... فاستجبت؟ هذا القلب لا يحتاج وعظًا كثيرًا،
يكفيه أن يتذكر:"الله يَراني ..." فيعود.

خاتمة الفصل:

من لم يكن الله حاضرًا في تجارته... فقد عبد المال.

من لم يكن الله حاضرًا في عمله... فقد عبد الكرسي.

من لم يكن الله حاضرًا في علاقاته... فقد عبد صورته أمام الناس.

" **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** " ق:١٨...

فكيف بالتعامل؟ فكيف بالمال؟ فكيف بالعقود؟ فكيف بالحقوق؟

أين الله في قلبك؟ قبل أن تسأل: أين الله في واقعنا؟!

الفصل الثاني عشر: هل نُحب المال أكثر من الله؟

حين تُعرض عليك فتنة المال: هل تتذكّر الجنة... أم الغنيمة؟

امتحان القلوب الخفيّ في لحظة ربحٍ حرام

مدخل صادم:

لحظة واحدة... تفضح كل شيء
في لحظةٍ خاطفة... وُضِع بين يديك مالٌ كثير.
لكنّه حرام... لا أحد يراك، ولا كاميرا توثّق، ولا رقيب يسأل.

أمامك ثوانٍ معدودة لتُقرّر: هل تغتنمه... وتُبرّر لنفسك ما لا يُبرَّر؟
أم تُغمض عينيك عنه... كأنّه لم يكن؟
هل تقول: "فرصة..."! أم تقول: "اللهم إني أخافك!"؟
في تلك اللحظة... لا تُستحضر الفتاوى، ولا تتذكّر المحاضرات،
ولا يعود للكلام الجميل أي وزن.
الذي يظهر وحده... هو قلبك.
هل هو قلبٌ يُحب الله حقًّا؟
أم يُحب المال... ثم يُغطّيه بغطاء "الدين" لئلا يؤنّبه الضمير؟
تلك اللحظة هي الامتحان... لا في الفقه، بل في الحب.
لا في المعرفة، بل في الولاء... ولا يُجيب فيها العقل... بل القلب.

سؤالٌ صعب... لكنه كاشف:

سؤالٌ صعب... لكنه كاشف: لو وُضِعتَ في زاوية الاختبار...
خُيِّرت بين طريقين واضحين:

- مال حرام... سهل، سريع، بلا جهد، يُفرح جيبك... ويُطفئ صوت الضمير مؤقتًا.
- ورضا الله... صعب، طويل، مليء بالتضحية، لكنه يُبهج قلبك... ويُنير قبرك.

فأيّهما تختاره؟ وأهمّ من ذلك:

أيّهما يختاره قلبك قبل عقلك؟

هل ما زلت ترى رضا الله أغلى... حتى وهو مكلّف؟
أم أنك صرت تُقنع نفسك أن الله "غفور رحيم" لتُسكت صوته في داخلك؟
هذا السؤال لا يُجاب في الكتب...

بل في لحظة ضيق، في عرض صفقة، في فُرصة مشبوهة،
في قرار داخلي... لا يراك فيه أحد.
وفي تلك اللحظة... لا شيء يُجيب عنك سوى قلبك.

فتنة المال... ليست رقمًا فقط!

لا تخدعك الأرقام... فالفتنة لا تبدأ بالملايين،
بل تبدأ حين تُبهرُك ورقة واحدة... جاءت من طريق لا يُرضي الله.
قد يكون "المبلغ بسيطًا..." لكنّه مرّ من باب الحرام.
من كلمة غير صادقة، من شهادة باطلة، من وظيفة لا تُؤدى كما ينبغي.
وقد تضحك حين تقبضه، لكنك لا تعلم...
أنك قد قبضت معه قطعةً من آخرتك،
وربما... بعت به رضا الله.
ليست القضية "كم قبضت..." بل "كم خسرت" وأنت تظن أنك ربحت!
وربما يأتي يوم... تحتاج فيه شفاعة دعوة، أو بركة طاعة، أو دمعة خاشعة...
فتكتشف أن تلك الورقة الصغيرة كانت حاجزًا بينك وبين الله تعالى!.

تأمل هذا الحديث العظيم:

قال ﷺ: "تَعِسَ عبدُ الدينار، تَعِسَ عبدُ الدرهم"... رواه البخاري.
هل تأملت الوصف؟ لم يقل: "مُحبّ الدينار"... ولا "جامع المال..."
بل قالها بوضوحٍ صادم: عبد! لأنه حين يُرفع المال فوق أمر الله،
حين يُقدَّم على الحلال والحرام، حين يُباع لأجله الحق، ويُسكت عن الباطل،
ويُنسى الفقير، ويُظلم القريب... فصاحبه لم يبقَ حرًّا...
بل صار عبدًا للدينار والدرهم.

عبدٌ... لكنه لا يسجد! بل يوقّع، ويُناور، ويبتسم... ثم يعود آخر اليوم ليصلي، ظانًا أنه ما زال عبدًا لله.

والنبي ﷺ لم يدعُ عليه فحسب... بل قال:"تَعِسَ" أي: هلك، وانكسر، وسقط في الوحل... وهو لا يشعر.

فاسأل نفسك بصدق:

- هل المال خادمك؟ أم أنت خادمه؟
- هل يطيعك؟ أم أنك تنسى ربك لأجله؟

فما أكثر من يسجدون في الصلاة... لكن سجود قلوبهم للمال، لا لله تعالى!

كيف تعرف أن المال أغلى من الله في قلبك؟

الحالة	هل المال أحب إليك؟
تُماطل في دفع الدَّين، وتُصلي بخشوع	نعم، لأنك ظلمت الخلق
ترفض دفع الزكاة، وتتبرع بالكلام	نعم، لأنك بخيل على الله
تتهاون في مصدر رزقك "لأنك مضطر"	نعم، لأنك قدّمت هواك على أمر الله
تُخادع لتأخذ أجرًا أو دعمًا	نعم، لأنك ضَحّيت بالصدق لأجل المال

التشخيص الدقيق:

كل قلبٍ يُبتلى بشيءٍ يُحبّه... ليُختبَر: من يعبد حقًّا؟

فمنهم من يُبتلى بحبّ النساء، ومنهم من يُبتلى بحبّ الظهور،

ومنهم من يُفتَن بالمنصب، أو بالمديح، أو بجاهٍ زائل...

لكن في هذا الزمان... أشدّ البلاءات انتشارًا، وأخفّها على اللسان،
وأثقلها في الميزان: فتنة المال.
مالٌ يُجمَّل باسم "الفرصة"، ويُؤخذ باسم "الذكاء"،
ويُزخرف بشعار: "ما دام الجميع يفعل"... لكنّه – في حقيقته – ابتلاءٌ ناعم،
يتسلّل إلى القلب كالماء... حتى يُخرج العبودية لله شيئًا فشيئًا...
ويُبدّلها بطاعةٍ خفيّة للدرهم والدينار.
فالمؤمن الحق... ليس من لم يُبتلَ،
بل من إذا وُضِع المال بين يديه... لم يُزَح الله من قلبه.

لحظات فارقة... تكشف الولاء الحقيقي:

ليست كل المعارك تُخاض بالسيوف، بعضها يخاض في صمت...
في زاوية مكتب، أو مكالمة خاطفة، أو لحظة اختيار لا يسمعك فيها أحد.

- عندما يُعرض عليك ربح سريع... مقابل "كذبة صغيرة"،
- عندما تسكت عن ظلمٍ صارخ... لأن في الصمت مصلحة لك،
- عندما تهجر تجارةً صادقة... من أجل واحدة أكثر دخلًا، وأقل ورعًا...

لا أحد يُحاسبك.
الناس يقولون: "ذكي"... والحياة تقول: "ربحت".
لكني أطرح عليك سؤالًا واحدًا:
"من ربُّك الآن؟" هل الله هو من يُملي قراراتك؟ أم المال؟ أم المصلحة؟
أم الخوف من الخسارة؟
في تلك اللحظات... لا تُختبر درجة ذكائك،
بل يُختبر ولاؤك: هل قلبك عبدٌ لله... أم لشيء آخر؟
فيا من تقول "إياك نعبد..."

لا تختبر عبادتك في المسجد فقط، بل اختبرها حين تُعرض عليك صفقة...
وتُغلق الباب، وتقول: "معاذ الله"!.

المقياس الرباني... ليس ما في يدك، بل ما في قلبك!

قال تعالى: ﴿ **وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا** ﴾ [الفجر:٢٠]
تأمل كيف اختار الله تعالى كلماته... لم يقل: "وتملكون المال"،
بل قال:"تحبّونه حبًّا جمًّا"... فالقضية ليست في الرصيد، ولا في التجارة،
ولا في حجم الراتب... بل في مقدار الحب الذي يملأ قلبك،
حتى يُزاحم محبة الله تعالى، ويأكل الورع شيئًا فشيئًا.
المال ليس عيبًا... بل قد يكون نعمةً وسُخرةً لخدمة الحق،
إذا بقي في اليد... ولم يستقرّ في القلب.
لكن العيب الحقيقي...

- أن تُصبح عبدًا للمال،
- أن تهتزّ قراراتك لأجله،
- أن تُساوم على الحلال والحرام إن كان الثمن أكبر!

ذلك هو المقياس عند الله: ما الذي تحبّه أكثر؟
ومن الذي تطيعه حين يتعارض المال مع أمر ربك؟
فما أغنى قلبًا... وإن خلت يده!
وما أفقر قلبًا... وإن امتلك الدنيا كلها!

الإيمان في مواجهة فتنة المال:

المؤمن لا يرفض الغنى، ولا يُنكر النعمة،
بل يُحسن شُكرها... دون أن يعبدها.

هو لا يخجل من الرزق الوفير، لكنه لا يُسلّم قلبه له.
يمتلك المال... لكنه لا يسمح له أن يمتلكه.
المؤمن إذا جاءه المال... شكر، وإذا ذهب... صبر،
وفي الحالتين، يبقى قلبه موصولًا بالله، لا متعلقًا بالخزائن.
يفرح حين يُرزق، لكنّ فرحه الحقيقي...
حين يعلم أنَّ الله رضي عنه، وبارك له، وقبله عبدًا شاكرًا.
ويسأل نفسه في كل صفقة، وكل عمل، وكل فرصة:
هل هذا المال يُقرّبني من الله؟ أم يسحبني – بهدوء – نحو الغفلة، ثم الهاوية؟
فالإيمان لا يُقصي المال من الحياة، بل يُقصي عبوديته من القلب.

هل نحب الله حقًا؟

ليس الحب ما نقوله في الدعاء، ولا ما ننشده في الأناشيد،
ولا ما نكتبه في الخواطر... الحب الحقيقي يُختَبَر عند المفترق:
حين يُعرض عليك طريقان لا ثالث لهما:

- طريق فيه مال كثير ...لكنه حرام،
- وطريق فيه خسارة دنيوية واضحة ...لكنه يُرضي الله.

فهل ستختار الله... ولو خَسرت؟ هل ستُغلق الباب في وجه المال...
فقط لأن الله تعالى لا يُحب هذا الطريق؟ تلك ليست لحظة تنظير.
ولا درس وعظي... بل لحظة صدق داخلي...
ينكشف فيها ربُّك الحقيقي...في تلك اللحظة لا يتكلم اللسان،
ولا تنفع الحُجج، بل يُجيبك القلب... هل تحب الله؟ أم تحب ما يُعطيك؟

خاتمة الفصل:

يا من تحب الله... اختبر نفسك في المال.

هل ترضى أن تُؤخّر زكاتك... لأجل مشروعٍ شخصي؟

هل تغشّ في البيع... وتقول: "كل الناس هيك"؟

هل تُبقي أموال اليتيم عندك... وتنسى رقابة الجبّار؟

إن كنتَ تظن أن الله لا يراك... فراجع إيمانك.

وإن كنتَ تعلم أنه يراك... فراجع قلبك:

لماذا ما زلتَ تختار المال فوق الله سبحانه وتعالى؟..

الفصل الثالث عشر: السطو على المال العام باسم "الانتفاع"

بين الحيلة على الأمة... والجرأة على الله

تمهيد خطير:

ليس كل سارقٍ يقتحم البيوت ليلًا... فبعض السارقين لا يلبسون الأقنعة،
ولا يحملون مفاتيح مكسّرة، بل يدخلون من "باب الوظيفة"،
ويخرجون من "نافذة التبرير"... يسرق في وضح النهار، لا يكسر بابًا...
بل يكسر ضميرًا، ويُطفئ نور الإيمان في قلبه، ثم يكتب توقيعًا مطمئنًا...
كأنَّ الله لا يراه.

إنه السارق الذي يمدّ يده إلى "الحق العام..." إلى مالٍ لا يُخصّه،
إلى وقتٍ لا يستحقه، إلى راتبٍ لا يُنجزه،
ثم يقول ببرود:"من حقي... مثل غيري".

لكنّه لا يدري... أنه ما أخذ من مالٍ إلا وسُحب من قلبه نورٌ،
وما اغتنى من الحرام إلّا وافترق عن الله دون أن يشعر.
فالسارق الذي يُعذّب في السجون...
قد يكون أرحم من السارق الذي يظن نفسه شريفًا...
بينما هو ينهب رزق الناس باسم "الاستحقاق".

من أخطر أنواع السرقة... ما يُرتكب "بوجه مكشوف":

ليست السرقة فقط ما يحدث في الظلام، بل ما يحدث كلّ يوم... أمام الجميع، لكن بضميرٍ مُطفأ، وحياءٍ غائب، وذريعةٍ جاهزة:"الكلّ بيسوي هيك"!

- أن تسرق كهرباء الدولة دون عدّاد... وتقول إنها "مش خسارة فيهم..." هي ليست شطارة، بل خيانة!..
- أن تأخذ راتبًا شهريًا... وأنت لا تعمل شيئًا، ثم تضعه في جيبك وتُصلّي به ركعتين... تلك ليست بركة، بل مالٌ مسروق باسم الوظيفة.
- أن تهدر ممتلكات عامة... بحجّة أنها "مش ملك حدا"، هو جهلٌ بالميزان الإلهي، فما ضيّع الأمم إلّا من باع الأمانة لأنها بلا صاحب ظاهر.
- أن تستفيد من دعم مخصص لغيرك... وتبرّرها بأن "الكل بيعملها"، فأنت لا تسرق فقط... بل تُشرعن السرقة في قلبك!..

كل هذا ليس ذكاءً... بل جرم يُدوَّن في صحائفك،
وكل لقمة من حرام... تُطفئ نورًا في روحك.
فلا تقل "من حقي"... إن كان الله لم يكتبه لك.
ولا تقل "الناس تفعل"... فربك لا يُحاسبك بما يفعل الناس،
بل بما يفعل قلبك حين يراك وحدك.

ماذا قال النبي ﷺ؟

عن خولة الأنصارية رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ:"إن رجالًا يتخوّضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة" رواه البخاري.. تأمل اللفظة النبوية: "يتخوّضون..." ليست مجرد "يأخذون" أو "يصرفون"،
بل يتصرّفون بتخبّط وخيانة، كما يتخبّط الإنسان في الوحل...
لا يفرّق بين الحلال والحرام، ولا بين حقه وحق الأمة، ولا بين العدل والظلم.
ثم تأمل الأشدّ... النبي ﷺ لم يقل:"مال الدولة"، بل قال:"مال الله!" أرأيت؟ هو مالٌ له حرمة عظيمة، وكل من يمدّ يده إليه بغير حق... فهو لم يسرق من خزينةٍ فحسب، بل اعتدى على أمانةٍ أودعها الله في يده ليحفظها... فخانها.
فلا تقل: "راتب إضافي، والكل يأخذ"، ولا تقل: "بدل خدمات، وأنا أستحق"، ولا تقل: "هم ينهبون، فلِمَ لا آخذ أنا أيضًا؟..." فالنبي قالها بوضوح: "فلهم النار..." لا لجنس المبلغ... بل لجنس الخيانة.

المال العام... أمانة كبرى لا تغتفر خيانتها!

المال العام ليس "بلا صاحب"، وليس "مال الحكومة" كما يُزيّن لك الشيطان، بل له أصحاب... كثيرون.

صاحبه:

- الأمة كلها... التي وضعت الثقة في من يدير.
- الفقير... الذي ينتظر كسرة خبز.
- المريض... الذي يحتاج سريرًا في مستشفى فُقِدَ تمويله.
- الطفل... الذي حُرِمَ من التعليم لأنَّ أحدهم سرق ميزانيته.
- الأرملة... التي لا تجد دعمًا لأن راتبها ذهب إلى جيب غيرها.
- الطرق التي تهلك الأرواح... لأن أحدهم سرق مواد البناء.

– الهواء المشبع بالفساد... لأنَّ المال يُهدر باسم "الانتفاع".
فقل لي... هل تجرؤ أن تسرق كل هؤلاء دفعة واحدة؟
هل تتحمّل أن تلقى الله وقد سرقت أمةً بأكملها؟
ثم تقول: "ما فعلتُ إلَّا كما يفعل غيري..."؟!
لا، لم تسرق خزينةً فقط... بل سرقت الأمل من قلوب الناس،
وسرقت الرحمة من يد الدولة، وسرقت الثقة من عيون المساكين.
المال العام... هو اختبار الأمانة الأعظم في هذا العصر،
فإما أن تكون خائنًا بصمت...
أو عبدًا لله، أمينًا، يردّ الحق إلى أهله... ولو خالف الجميع.

خرافة "كل الناس تسرق":

هي أول مخدِّرٍ يضعه الشيطان في ضميرك.
تدخل إلى الظلم من بوابة واسعة اسمها:"كلهم يفعلون"!
لكن مهلاً... هل هم حجّتك؟ هل هم مقياسك؟
هل ستدخل معهم النار، ثم تقول: "ما أردتُ إلَّا تقليدهم"؟
لعلهم لا يسرقون، وأنت وحدك من خان.
ولعلهم خانوا... فهل تتّبعهم في سقوطهم؟
هل ترى قافلتهم تتجه إلى الهاوية... وتطمئن لأنك لست وحدك فيها؟
قال تعالى:﴿ **لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ** ﴾ آل عمران: ١٩٦.
أي لا تنخدع بنجاحهم الظاهري، ولا بغناهم، ولا بنفوذهم...
فذلك كله اختبارٌ مؤجَّل، لا علامة رضا.
تقلّبهم... لا يعني نجاتهم... وغناهم... لا يعني بركتهم.
و"كثرة الفاعلين"... لا تُحلّ الحرام، ولا ترفع الإثم، فلا تغرّك كثرتهم...

مرض "الاستحلال الجماعي":

نعيش اليوم وباءً صامتًا... لا يُرى في المختبرات، بل يُرى في القلوب التي تبرّر الحرام، وفي الألسن التي تُجمّل الخيانة، وفي العقول التي تخترع الحيل لتأخذ ما لا تستحق.... الناس لا تقول: "نسرق"، بل تقول:"نأخذ حقنا، مثل غيرنا"!

فإذا استحلّ الموظف ما ليس له، والمقاول ما لم يُنجز، والمواطن ما لم يُخصّص له، ثم قال:"هكذا الناس كلهم"! فهذه ليست مشاركة... بل عدوى جماعية!

لكن تذكّر: الحق لا يُنتزع بالحيلة، ولا يُكسب بمخالفة أمر الله،

ولا يُبارَك في مالٍ جاءك من باب يغضب الله،

ولو قال لك الناس:"كلنا نفعل ذلك"... إنه استحلال...

لا لأنك أكلت مالًا، بل لأنك سمّيت السرقة "استحقاقًا"،

وسمّيت الخيانة "ذكاءً"، وسمّيت الغش "فرصة!" وهنا تكون الكارثة:

أن لا ترى الذنب ذنبًا... فلا تعود توبةٌ تطرق بابك.

الفرق بين السرقة والانتفاع:

السرقة	الانتفاع المشروع
بغير إذن شرعي	بإذن واضح ومشروع
فيه إضرار بالناس	فيه منفعة متوازنة
يُبرَّر بالعرف	يُنضبط بالنص
فيه خيانة	فيه أمانة
يخلو من الرقابة الإلهية	يقوم على مراقبة الله تعالى

لماذا هذه السرقة أعظم خطرًا من غيرها؟

لأنها لا تسلب مالًا فقط... بل تسلب القيم من الجذور.

لأنها لا تُصيب فردًا واحدًا... بل تُنهك أمةً بأكملها.

لأنها لا تُفقِدنا شيئًا من الميزانية، بل تُميت شيئًا من الضمير العام.

هي الأخطر... لأنها تُعلّم الطفل أن الكذب "ذكاء"،

وأن التعدي "حق"، وأن الحرام "طريق مشروع إن أحسنت تغليفه".

هي لا تسرق خزائن المال... بل تسرق الأمانة من قلوب الأجيال،

فإذا كبروا... كبر فيهم الغشّ، وتربّى معهم الطمع،

وصار من الصعب أن تُحدّثهم عن الصدق... دون أن يضحكوا!

هي الأخطر... لأنها تُنشئ ثقافة:"كل شيء مباح... إذا عرفتَ كيف تبرّره".

وهذا أخطر من الكفر الصريح، لأنه كفر بالأمانة في ثوب الالتزام.

من صور السرقة المقنّعة في زماننا:

ليست سرقة المال العام مجرّد "سحب نقدي" بلا حق...

بل لها وجوه كثيرة، يراها الناس عادية...

لكنها عند الله عظيمة.

١- أن تستخدم سيارة الدولة لأغراضك اليومية... كأنك تملكها، وهي ملك لأمة لا تعرفك.

٢- أن تأخذ من القرطاسية والأدوات ما لا تحتاجه، أو تملأ بيتك مما فُرِش للمصلحة العامة.

٣- أن تسرّب الأدوية المدعومة إلى السوق السوداء، وتبيع آلام الناس... وتشتري بها دنانير زائلة.

٤- أن تُزوّر، أو تتلاعب، أو تستغلّ البطاقات التموينية والمعونات، لتأخذ ما

كُتب لغيرك، وتضحك وأنت تظنّ أنك "ذكي".

٥- أن تبني عقارًا على أرضٍ عامة، ثم تُسوّغه بالواسطة والرضا الوظيفي، كأنك ربُّ الأرض... والناس عبيد سكوتهم.

هذه ليست تصرّفات إدارية... بل ذنوب عظيمة تُغضب الله،

وتُهلك الأمة... لا بهدم جدرانها، بل بهدم قيمها وأمانتها من الداخل.

وإذا عمّ الاستحلال... فلن تبقى دولة، ولا ضمير، ولا دعاء يُستجاب.

لحظة صدق لا يراك فيها أحد:

لو كنتَ مسؤولًا... أو موظفًا... أو عاملًا بسيطًا في مؤسسة عامة...

فاقطع الضجيج من حولك، واختلِ بنفسك لحظة.

ثم اسأل قلبك — لا لسانك: هل المال الذي بين يدي الآن...

يرضى الله أن آخذه؟ هل هذه الزيادة التي حصلتَ عليها... مستحقّة؟

هل هذا الجهاز، هذه السيارة، هذا الوقت المدفوع... حقٌّ لك؟

هل لو وقفتَ بين يدي الله اليوم،

وسألك: "من أين أخذت؟ ولماذا؟ ولمن كان؟"

هل سيكون لديك جواب لا يُخجلك أمام وجهه الكريم؟

إنها لحظة صدق، لا تحتاج فيها إلى فتوى،

بل إلى قلبٍ لا يُساوم على الآخرة من أجل راتب زائد...

ولا يُبدّل رضى الله مقابل توقيع مستعجل.

اسأل نفسك بصدق: هل هذا المال... سيُبارَك لي؟

أم سيكون لعنةً تلازمني في صحيفتي؟

فالناس قد لا يرون، لكن الملائكة... تُسجّل.

الإيمان لا يُجرِّئ على الحرام

من كان قلبه موصولًا بالله... لا يستخفّ بمعصية، ولا يُبرّرها بكثرة أهلها،
ولا يقول:"كل الناس تسرق... ما المشكلة؟" بل يقول بقلبٍ مرتجف:
" أنا أُحاسَب وحدي، وأقف وحدي بين يدي الله،
وأُسأل عن ديني... لا عن تقاليد الناس ".
الإيمان لا يمنحك تصريحًا بالحرام، بل يمنحك حياءً منه، كلما هممت بخيانة،
سمعت في قلبك صوتًا يقول: "أمَّنك الله... فهل تخونه؟"
من يستحي من الله حقًا... يخاف من لقمة حرام،
ولو رآها كل الناس "حقًا مكتسبًا".
من يستحي من الله... لا يحتاج مَن يذكّره، يكفيه أن يعلم أن الله ...يراه.

خاتمة الفصل:

المال العام ليس غنيمة، ولا فرصة تُستغل، بل أمانة ثقيلة، تُسأل عنها يوم القيامة... فلا تفرح بما حصلت عليه اليوم... قد يكون حجتك إلى جهنم غدًا!

الفصل الرابع عشر: حين صار الدين ستارًا للمحسوبيات والوساطات؟

من "وصّيني عند فلان"... إلى "يا رب، أنت حسبي وكافيني"

تمهيد صادم... لكنه صادق!

هل تُصدّق أن بعض الناس... يدخلون إلى الوظائف الدينية،
أو المؤسسات الإسلامية، أو حتى بعثات الحج والعمرة... ليس لأنهم الأعلم،
ولا لأنهم الأتقى، ولا لأنهم الأجدر بخدمة هذا الدين، بل لأن لهم "واسطة
شيخ"، أو معرفة نافذة، أو لأنهم من أهل "البرستيج الديني" المقبول اجتماعيًّا!
هل تُصدّق... أن اسم "الدين" صار عند البعض بطاقة توصية، لا ميزان عدل؟
وأنك قد تُقصى وأنت صاحب الكفاءة،
ويُقدَّم عليك من لا يعرف الوضوء... لكن له واسطة عمامة؟
يا الله... كيف تحوّلت مواطن الخدمة إلى مواطن المحاباة؟
وكيف صار شعار "خدمة الإسلام"... يُرفَع على ظهور من لا يعرف الإسلام
إلا اسمًا؟ إننا لا نُهاجم أهل الدين... بل نصرخ لأجل الدين،
لئلّا يُدنَّس بمعايير الوجاهة.....
ويُغتصب من أهله الحقيقيين تحت ستار:"الشيخ طلب"!

المحسوبية باسم الدين... خيانة للمقدّس!

حين لا يُختار الناس لكفاءتهم، ولا لأمانتهم، ولا لتقواهم أو علمهم أو بذلهم...
بل يُختارون لأنهم: "قريب الشيخ فلان"، أو "ابن العائلة الفلانية"،
أو "صاحب الحظوة عند المدير..."

فأنت لا ترى مجرد محسوبية إدارية، بل ترى تدنيسًا صريحًا لثوب الدين!
لأنك بذلك... تُعطي القداسة لمن لا يستحق، وتُقصي الصادقين باسم الوراثة،
وتزرع في نفوس الناس أن "التقوى لا تكفي، والعدل لا يُقدِّم أحدًا"،
وأن الدين قد صار أداة لتمرير المصالح... لا ميزانًا لرفع القيم.
إنها خيانة مزدوجة:

- خيانة لأمانة الموقع...
- وخيانة لاسم الله تعالى الذي رُفع ظلمًا على تلك اللافتة.

فمن يقصِي الكُفء، ويُقدّم غيره فقط لقرابته من شيخٍ أو موظفٍ أو مدير...
فهو لا يخون الفرد فقط، بل يخون الأمة،
ويشوّه الدين، ويُقنّع الفساد بثوب الورع.

الدين أمرٌ عادل... لا شبكة علاقات!

ليس الدين شركةً عائلية، ولا حزبًا مغلقًا، ولا جماعةً توزّع المناصب على المقرّبين!
الدين ميزانٌ من السماء... لا يُهادن، لا يُجامل،
ولا يُبدِّل موازينه لأجل واسطة أو توصية! قال تعالى:
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ النساء: ٥٨..
"إلى أهلها..." لا إلى أقاربك... ولا إلى أصحابك.
ولا إلى من أوصى بهم شيخ أو مدير أو قائد جماعة.
فحين تُسلّم الأمانة لغير أهلها...
لأن اسمه لامع، أو صوته جميل، أو "ابن شيخ معروف..."
فأنت لا تُكرمه... بل تظلم غيره، وتخون الأمانة، وتُفسد ميزان الدين!
الدين لا ينهض بالأسماء... بل بالأمانة.
ولا يُقام بالمعارف... بل بالعدل.

وإذا ضاعت الأمانة باسم "القرابة الدينية..."
فانتظر أن يُقال: لا دين بقي ولا عدل.

حديث يهزّ الضمير... ويكشف خيانة باسم الوجاهة!

قال رسول الله ﷺ: "مَن وَلِيَ من أمرِ المسلمين شيئًا، فولّى رجلًا، وهو يجدُ من هو أصلحُ للمسلمين منه، فقد خان اللهَ ورسولَه والمؤمنين".
رواه الحاكم وصححه الألباني... الله أكبر...
لم يقل: أخطأ، أو اجتهد، أو قصر...
بل قال:"خان الله ورسوله والمؤمنين!" فيا من تتوسط لصديقك...
وتعلم في قلبك أن غيره أحق، وأكفأ، وأصدق...
فهل تدرك خطورة ما تفعل؟ هل تظنها مجاملة؟ معروفًا؟ ردّ جميل؟
بل هي — في ميزان الله — خيانةٌ ثلاثية:
١- خيانة لله... لأنه أوصاك بالعدل.
٢- وخيانة لرسوله... لأنه علّمك الأمانة.
٣- وخيانة للمؤمنين... لأنك سلّمت رقابهم لمن لا يستحق.
فهل ترضى أن تلقى الله، وفي صحيفتك منصب أُعطي لمن لا يُجيده،
وظُلم فيه من يُحسن الأمانة... لأنك فضّلت القرب على الحق؟
الواسطة على حساب الكفاءة... ليست رأفة.
بل جريمة تُكتب بالحبر الأسود في سجلّ الأمانة.

المغالطة الأخطر:

"ما دامت الوظيفة في مؤسسة دينية... فلا بأس أن أوصي بها لمن أحب".
لا يا أخي... بل العكس تمامًا! لأنها في مجال الدين، فإن المسؤولية أعظم،

والتزكية فيها أخطر، والخيانة فيها ليست خيانةً لمؤسسة فقط،
بل خيانة لرسالة الله تعالى التي يُفترض أن يُمثّلها هذا الموظف.
حين توصي بمن تحبّ، لا بمن يستحق... فأنت لا تقرّبه من وظيفة،
بل تدفعه ليكون وجهًا للدين... وهو ليس أهلًا!
تجعله صورةً يراها الناس ويقولون: هؤلاء هم أهل القرآن؟
هكذا هي حلقات الدين؟ هذه أخلاق من يُمثّلون الإسلام؟..
وأنت تظنّ أنك فعلت خيرًا... وقد جعلت من الدين ستارًا لمحسوبياتك.
لا تُخادع نفسك: في الوظائف الدنيوية، قد تفسد إدارة.
لكن في المؤسسات الدينية، تُفسد الثقة بالدين نفسه.
فلا توجّه التزكية... إلّا لمن ترجو أن يُحشر معك أمام الله تعالى،
وتقول: "نعم، زكّيته لأنه أحق، لا لأنه صديقي".

والضحية من؟

ليس الكسول... ولا الجاهل... ولا المتسلّق.
بل الضحية هو:

- ذلك الذي اجتهد لسنوات، بصمت.
- ذلك الذي تعلّم، وتدرّب، وتزكّى... لكن لا أحد يعرفه.
- ذلك الذي يحمل الكفاءة، والصدق، والخوف من الله...

لكنّه لا يحمل "ظهرًا" يسنده، ولا "واسطة شيخ" تدفعه للأمام.
هو يتقن العمل... لكنّه يُقصى، لأن مقعده محجوز سلفًا لابن فلان،
أو صديق فلان، أو قريب الجماعة.
فمن الذي خسر؟ هو... نعم.
لكنه ليس وحده.

خسرنا نحن...

- خسرت الأمة كفاءةً كانت تبني.
- خسرت المؤسساتُ عدالةً كانت تُلهم.
- وخسر الدين وجهًا نقيًا، كان يمكن أن يُمثّله بصدق، لا بتوصية.

أليس هذا قتلًا ناعمًا لطاقات الأمة؟

أليس هذا تحطيمًا للعدالة التي جاء بها الدين،

وجعلها الله أساسًا للتمكين والنصر؟

فويلٌ لأمةٍ أقصت أبناءها الصادقين...

ورفعت فوقهم من لا يحمل إلّا اسمه أو صوته أو صورته!..

حين تتحوّل "التوصية" إلى ظلمٍ صامت...

نوصي بصديقٍ نحبه... ويُقصى ذلك الذي أتقن وبذل وتفوّق.

نُروّج لابننا... ويُدفن في الظلّ شابٌ غريب،

لا يحمل سوى ملفٍّ نظيف وسيرةٍ نقيّة... لكن لا يعرف أحدًا!

نُقصي من لا ينتمي لفكرنا، ونُعيّن من يوافقنا،

ولو لم يحمل علمًا، ولا تجربة، ولا خوفًا من الله.

ثم نقول:"شفاعة، ومعروف، وسعي في الخير"!

كلا... هذه ليست توصية خيّرة، بل هي: شفاعة في باطل.

شفاعة تُقصي أهل الحق، وتُجمّل الباطل بثوب العلاقات،

وتُدمّر ميزان العدل الذي أمر الله به،

ثم نُعلّق فوق ذلك لافتة: "خدمة الدين"!

ويا له من دينٍ يُشوَّه حين يتكئ الفاسد على شيخ،

ويصعد الجاهل على أكتاف الصادقين.

فانتبه... إنها ليست فقط خطيئة إدارية...

بل ظلم يُحاسِبك عليه ربّ العدل نفسه.

الدين لا يحتاج متملّقين... بل صادقين!

لو كان الدين يُدار بالمحسوبيات، لما قال النبي ﷺ لفاطمة، سيدة نساء العالمين:

"يا فاطمة بنت مُحَمَّد، أنقذي نفسك من النار، لا أُغني عنك من الله شيئًا".

ولو كان حُكم الله يُلوي عنقه "الحب أو القرابة"،

لما وقف في وجه أسامة بن زيد، حبيبه وابن حبيبه،

حين شفع في امرأة سرقت، وقالها صريحةً تهزّ الزيف:

"أتشفع في حد من حدود الله؟

والله لو أن فاطمة بنت مُحَمَّد سرقت، لقطعتُ يدها"!

هذا هو ميزان النبوة... ميزانٌ لا يعرف محاباة، ولا يقيم للدين صورة بلا روح،

ولا يقدّم القرابة على الأمانة، ولا يعلي الوجاهة على الحق.

فويلٌ لأمةٍ تركت الأتقى في الظل، وقدّمت الأقرب إلى الضوء...

ثم رفعت لافتة: "نخدم الدين"! بينما هم يخونون جوهره من حيث لا يشعرون.

الدين لا يحتاج من يتملّق له بوجه، ويطعنه بمحاباته، بل يحتاج رجالًا...

إذا قُدّم غيرهم ظلما، صرخوا: "هذا لا يُرضي الله"!..

وهل هناك شفاعة جائزة؟

نعم... لكنها ليست الشفاعة التي تُقصي الأكفأ، ولا التي تُقدِّم القريب على الأمين، ولا التي تفتح بابًا لـمَن لا يحمل إلا العلاقة... لا الكفاءة.

الشفاعة الجائزة هي:

– حين لا تُقصِي أحدًا أحق منك.

- وحين لا تُعطِي من لا يستحق، ولو كان حبيبًا.
- وحين تكون باب تعريف بمؤهلات صادقة،

لا باب استغلال نفوذٍ ملوّث... هي شفاعة ترجو بها وجه الله...

لا وجه المدير، ولا رضى العائلة، ولا خاطر الشيخ.

هي شفاعة تقول فيها:

"أشهد أنه أهلٌ لهذا المكان، ولو لم يكن صديقي... ولو لم تربطني به مصلحة".

وكل شفاعةٍ غير ذلك... هي خيانة مغلّفة بالمجاملة، وظلم يُرتكب باسم "المعروف"، وسرقة صامتة لموقعٍ كان يجب أن يكون لغيره.

لحظة صدق...

قف مع نفسك لحظة... لا أمام الناس، ولا أمام الأوراق، بل أمام الله.

واسأل بصوتٍ لا يسمعه إلا ضميرك: لو لم يكن هذا الشخص قريبي،

أو من حزبي، أو من جماعتي، أو من أصحاب ودي... هل كنتُ سأرشّحه؟.

إن كان الجواب: لا... فلا تُسمِّها شفاعة،

بل اسحب العدل من فمك قبل أن تُلبسه ثوب التزكية!

لأنك في تلك اللحظة: لا تُعلي الحق،

بل تُنزل ميزان الله... لتوافق هوى نفسك.

الشفاعة الحقيقية لا تُبنى على القرابة، بل على الأمانة.

ولا تُرفع لأجل وجهٍ مألوف، بل لأجل حقٍّ ضائع يستحق أن يُرفع له الصوت.

وإذا لم يكن منصفًا في الخلوة... فهو ظالم في العلن، ولو زكّاه ألف شيخ.

خاتمة الفصل:

الدين ليس مزرعة علاقات... ولا وكالة حصرية للأقارب والمقرّبين...

بل هو نور الله... لا يحمله إلّا الأمين.

فلا تجعل من شرف الدين، سلّمًا للمحاباة، ولا تحوّل الحق إلى مصلحة،

ولا تُشعل الشموع للباطل... وتظن أنك تخدم الإسلام.

الدين لا يرتفع بالمجاملات... بل يُحفظ بالعدل، والحق، والتجرد لله.

الفصل الخامس عشر: حين صار الدين مطيّة للتكاسل عن ردّ الحقوق... والتهرّب من الواجبات؟

الدين الذي يُعلّب للراحة.. لا يُصلح دنيا ولا آخرة!

تمهيد يهزُّ القلوب:

كم مرةً اختبأ أحدهم خلف ستار الدين، لا ليخشع... بل ليتهرّب؟

كم سمعنا من يقول:

- "لن أُعيد المال الآن... فالله غفور رحيم".
- "لا يهم أن أُتقن عملي... فالمهم أن نيّتي طيبة".
- "هذا ليس فرضًا... إذًا لا شأن لأحد بي".
- "اصبر... ولك أجر الصابرين"!.

لكن.....

١- هل وُجد الدين ليكون مظلّة للتهرّب ...لا منارة للتهذيب؟

٢- هل بعث الله الرسل... لتبرير أخطائنا؟

٣- هل أنزل الوحي... ليكون شَهادة زورٍ على كسلنا؟

٤- هل أرسل الله شريعته... لتكون سُترة نُخفي تحتها خيباتنا، وسوء صنيعنا؟

أم ليكون ميزانًا يُقيم العدل، ويوقظ الضمير،
ويُعيد ترتيب الحياة على أساسٍ من الحق؟
يا من تتكئ على "الله غفور رحيم" كلما خُنتَ الأمانة...
هل نسيت أنَّ الله شديد العقاب أيضًا؟
ويا من تتذرّع بحُسن النيّة كلما أفسدتَ العمل...
أما علمت أنَّ الله لا يقبل إلا ما كان خالصًا وصوابًا؟
الدين ليس درعًا تحتمي به لتُبرّر الفشل،
بل هو نور يهديك كيف تنهض، كيف تعتذر، كيف تُصلح ما أفسدت.
الدين ليس سُلّمًا تصعد به على أكتاف الناس،
بل هو ميزان... إن مال، كشَفك لا رفعك.
ما أرقّ الدين حين يُؤمن به قلب صادق...
وما أخطره حين يتّخذه المنافقون رخصة للهروب من كل التزام!.

جوهر المغالطة: حين تُختَطف العبارات الدينية لتُجمّل القبح:

ما أخطر أن تتحوّل كلمات الدين إلى أقنعة يختبئ خلفها التقصير...
وما أوجع أن يُلوّث الحق... ليُبرِّر به الباطل!

- يعجز عن سداد الدين، ويتلكأ في ردّ الحقوق...

ثم يقول:"أنا معسر... والله يعلم حالي".
لكنّه لا يسعى، لا يعتذر، لا يخطط... بل يُلقي حمله على الله!.

- يفرّ من واجباته في عمله، لا يُؤديها بإتقان، ثم يقول:"الدين يُسر... لا تُشدّدوا علينا"، وكأنَّ اليسر يعني التفريط، لا التيسير مع أداء الأمانة!.
- يُؤخّر ما عليه من التزامات، ويماطل الناس في أرزاقهم... ثم يتمسّك بقوله: "اصبروا... ولكم الأجر إن شاء الله"!..

لكن أين أجره هو؟ أين خشيته من ظلم العباد؟.
إنّ الدين الذي تُحمّله تقصيرك... سيشهد عليك، لا لك.
وإنّ النصوص التي تتسلّح بها لتُبرر بها أذاك...
ستتحوّل خصومًا لك يوم الحساب.
الدين لا يُحابي أحدًا.
الدين لا يُستخدم كستار للهوى، ولا كذريعة للكسل،
ولا كرصيف تهبط عليه ذمم الناس.
إنه منهج عدل ...لا مخرج حِيَل... وطريق إصلاح ...لا مفرّ للتبرير.

من كلام الحبيب ﷺ:

"مَطْلُ الغنيّ ظلم " رواه البخاري ومسلم..
ليست مسألة "ظروف" كما يزعمون...
وليست مجرد "تأخير بسيط" كما يُهوّنون...
بل هي جريمة موصوفة في ميزان النبوّة:
تأخير الحقوق مع القدرة على أدائها = ظلم صريح.

- ليس لك أن تُراوغ وأنت قادر.
- ليس لك أن تستغلّ ثقة الناس لتؤجّل بلا مبرر.
- ليس لك أن تضع رأسك على الوسادة... وحقّ غيرك معلّق في رقبتك!

تأمل... لم يقل النبي ﷺ: المطل "حرام" فقط، بل قال:"ظلم".
ليُعلّمنا أنَّ ما تفعله... ليس خطأً بينك وبين نفسك،
بل هو تعدٍّ على الناس، وعدوان على العدل، واستهانة بميزان الحق.
فلا تغرّك الكلمات المُسكّنة...
ولا تخدعنّك العبارة التي تُخفي خلفها قلبًا جافًا بحقوق الخلق...

فإنَّ الله تعالى لا يرضى الظُّلم، ولو بحرفٍ من حق.

الدين بريء من التسويف... وإن لبس ثوب التديُّن

قال ابن عمر رضي الله عنهما، وهو يزن الأمور بميزان النبوّة:

"كنا نعدّ من الذنب أن يُؤخَّر أداء الدَّين، مع القُدرة عليه".

نعم... كانوا يرون التأخير جُرمًا،

لأنَّ القدرة حاضرة، والحق واضح، والنية مُريبة.

فلا عذر مع القُدرة، ولا مخرج لمن في يده السداد... وفي قلبه التراخي!

أما اليوم... فكم من رجلٍ يُؤخّر دينه بلا عذر،

يبتسم ويقول:"مشغول والله... يسّرها الله".

وكأنَّ الله يُبارك ظلم العباد! وكأنَّ التسويف ليس أكلًا خفيًا للحرام،

وكأنَّ التهاون في أداء الحقوق ليس جريمة تُسجَّل في صحائف الآخرة!

تأخّر الدَّين بلا عذر = خيانة مكتومة.

وظلم مغلّف بالكلام الطيب... لا يُغيّر من حقيقته شيئًا.

ليس كل من قال:" الله يسّرها "يسّره الله، بل قد يكون دعاؤه هذا حُجّة عليه،

لأنه يُعلّق ظُلمَه على مشيئة الرَّحمن... وهو يعلم أنه المتسبّب.

الدين ليس ترخيصًا للتسويف، بل هو يقظة ضمير...

وهمٌّ بأداء الحقوق قبل أن تُغلّ رقبتك بها يوم الحساب.

الحيلة باسم الدين... خيانة تُلبِّس ثوب القداسة

كيف تُمسخ أنوار الوحي إلى ممرّاتٍ للهروب؟

كيف يُختطف جلال الشريعة ليصير جسرًا إلى الكسل؟

قالوا زيفًا: "الدين علّمني أن أُؤخِّر... لا أن أُؤدِّي".

كذبوا؛ فالدين علَّمهم أن يُبرُّوا بالعهد، وأن يسبقوا الناس إلى الوفاء، لا أن يجرُّوا الأقدام تحت ذريعة "التيسير".

ادّعَوا: "الدين يُعينني على التخلّص من مسؤوليّاتي".

كذبوا؛ فالدين هو حمّالُ الأمانة، ورافعُ الكَلَف، وموقظُ الضمير حين ينعس تحت إغراء الأعذار الواهية.

تذرَّعوا: "الابتلاء مبرِّري للتخاذل".

كذبوا؛ فالابتلاء في لغة الدين امتحانُ صدقٍ لا تصريحُ هروب، ووَسْمُ شرفٍ لا معبرُ تبريرٍ للخيانة.

ليست هذه ديانة، بل خِدعة متقنة، تُزيّن للقلوب أن تتوارى خلف المصطلحات الشرعيّة لتُنجز ما لا يرضاه الشرع، وأن تغسل أيديها في ماء «الله غفور رحيم» وهي مُلوَّثة بظلم العباد.

الدين الحقيقي رجلٌ يسرع نحو سداد الدَّين قبل أن يغيب الضوء عن عينيه.

الدين الحقيقي صدقٌ يُوقّع على كل التزاماتك قبل أن تُزهق أرواح المعنيّين بها.

الدين الحقيقي ضميرٌ يخجل أن يبيت وفي أعناقنا حقٌّ مُعلَّق، مهما صغُر.

فاحذروا أن يتحوّل الوحي إلى ورقة يانصيب،

أو أن يصبح القرآن سُترةً مضادة للإنذار.. فالذي يختبئ بآيةٍ ليُخادع الناس... سيلقاه صاحب الآية، فيسأله: لِمَ جَعَلْتَ كلمتي مَطِيَّةً لهواك؟

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

النور: ٦٣.. فلنُطهِّر ضمائرنا من «الحِيَل»..

قبل أن نقرع أبواب السماء بلا حيلةٍ تُنجي.

من صور المغالطة المعاصرة: حين تُعلَّق الأخطاء على مشجب القداسة!

- موظفٌ يُهمِل ملفات الناس، ويُعطّل مصالحهم، فإذا عُوتب، تنهد وقال

"أنا مضغوط... والله يعلم حالي".... لكن الله يعلم أيضًا أن التقصير ليس دائمًا من الضغط... بل من الإهمال!..

- رجل يأخذ مالًا ثم يختفي خلف جدران التسويف، فإذا طُولب، قال بثقة ناعمة:"سأُعيده يومًا ما... بإذن الله"... لكنّه لا يسعى، ولا يُفكّر، ولا يضع ذلك اليوم في تقويمه أصلًا!.
- مقاول يعبث بأموال الناس، يُفسد المشروع، ثم يُلقي العبء على القضاء والقدر:"قدَر الله وما شاء فعل"...كأنّ الفساد مكتوب، لا مختار!.
- أب يترك أبناءه دون رعاية، دون تربية، دون نفقة، ثم يبتسم قائلاً:"الله هو الرزّاق... سيكفلهم"!.. وكأنّ اسم الله الرزّاق نزل ليغطي تقاعس الآباء، لا ليزيدهم مسؤولية! هكذا صارت الكلمات الجليلة ذرائع واهية،

وأصبحت أسماء الله تُستَخدَم لا للإيمان... بل للهروب،

وتحوّلت العبارات الشرعية إلى ستارٍ يُغطّي به الإنسان تقصيره ويُقنع ضميره أنه ما زال تقيًا!.. لكن الحقيقة أن الدين لا يُبرر الظلم، ولا يُجيز التهرب، ولا يمنح صكوك غفران لمن تقاعس عن واجبه.

فانتبه... قد تُقنع الناس بحججك،

لكنك لن تُقنع ربك الذي يعلم النية، والقدرة، والتقصير المُتعمد.

وهل الدين فعلًا "يُسقط" الواجبات؟

كلا... بل الدين هو أول من يُقيمها،

ويُحمّل الإنسان مسؤوليتها بكل صدق وجدية.

الدين لا يُعفيك... بل يُوقظك.

لا يُبرّر لك التقصير... بل يُحاسبك عليه.

١- لا يُسقط حق الله في العبادة والإخلاص.

٢- لا يُسقط حق الناس في الأمانات والمعاملات.

٣- لا يُسقط حق النفس في العدل والرعاية.

٤- لا يُسقط حق الوظيفة في الإتقان والوفاء.

٥- لا يُسقط حق العقود والعُهود والوعود.

بل هو الدين الذي نزل بهذه الآية الصارخة، تُزلزل كل متهاون:

﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا** ﴾ النساء: ٥٨...

الأمانة ليست اختيارًا... والوفاء بالعهد ليس تفضّلًا.

والقيام بالواجبات ليس كرمًا منك... بل دَينًا عليك.

فكل تقصير تُخفيه خلف شعار ديني...

هو تحريف للمعنى، وخيانة للحق،

ومجاهرةٌ بلباس العابدين وأنت في الحقيقة من العابثين.

حين نستخدم الدين... كمسكّنٍ للضمير:

نُخرّب البيوت بعنادنا... نؤخّر المستحقات بلا عذر...

نتقاعس عن أداء الأمانات... ثم نُطلق العبارة الجاهزة:

"اصبر... ولك الأجر عند الله"!... لكن أيّ أجر؟ وأيّ دين؟

وأيّ ضمير هذا الذي يطلب من المظلوم أن يصبر...

بينما الظالم يتوسّد الطمأنينة على وسادةٍ من "الأحاديث المنتقاة"؟

هذه ليست عثرة سلوك... بل جريمة مركّبة الأركان:

١- ظلم في الفعل

٢- وغشّ في القول

٣- وتلبيس على الدين = تزوير صريح للشريعة!.

الدين لا يُستخدم كمخدّرٍ يُسكِت صوت الضمير...

بل كمنبّهٍ يُوقظ المروءة، ويهتف في قلبك كلما هممت بالتقصير:
"اتق الله... وأدّ ما عليك"!
فلا تغلّف ظلمك بعبارات التقوى،
ولا تكسُ تقاعسك بألفاظ الرحمة،
فالله تعالى لا يُخادع... وآياته لا تُستعمل لتسويغ الغدر!...
﴿ **وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ آل عمران: ٧٨..

القاعدة النبوية العظيمة... التي تُغلق أبواب التبرير:
قال ﷺ: "أعطِ الأجير أجره، قبل أن يجفّ عرقه"! رواه ابن ماجه..
ما أعظم هذا الميزان! حق العامل لا يُؤجَّل...
وعرقه لم يبرد بعد، فكيف تُؤخّر أجره أيامًا... أو شهورًا... أو سنوات؟
ثم تبتسم وتقول:"قلبي طيب... وسأنوي السداد"!
هل صار "حُسن النيّة" كافيًا لتجميد الحقوق؟
هل صار الدين يُقاس بما في صدرك... لا بما في يدك؟
كلا، يا صاحبي... النية الطيبة لا تُغني عن الوفاء،
والمشاعر الحسنة لا تُعفي من العدل،
فالدين ليس عاطفة مُبللة ...بل ميزان يُحاسب قبل أن يجفّ العرق!
فافهم عن نبيّك ﷺ: الإحسان في الإسلام سريع، مباشر، مسؤول،
ولا يُؤجَّل تحت ذريعة الظروف، أو لطف القلب، أو أعذار الغد.
فمن لم يُحرّكه العرق الطريّ على جبين العامل،
فبمَ يهتزّ ضميره إذًا؟ وبأي وجه سيقف بين يدي ملك الملوك...
إن كان ماطَل في الدين، وكتم حقّ أخيه، ثم قال:"الله يعلم ما في قلبي"!

من أقوال العلماء: حين يُختصر الدين في كلمة واحدة

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

"الدين كلُّه عدل، ومن خرج عن العدل... خرج عن الدين".

لا تُفكّر في الدين كجُزئيات متفرقة... بل كميزانٍ واحد، ميزانه: العدل.

- من صلّى وأخلف وعده... فقد خرج عن روح الدين.
- من صام وجار على الناس... فقد ابتعد عن جوهر الشريعة.
- من حفظ القرآن وظلم زوجته أو عامله... فقد نقض ميثاق العدالة.
- من أعفى لحيته وأكل حقوق الناس... فهو لا يسير على طريق النبي، بل يلبس لباسه ويخونه في المسير!..

الدين ليس فقط ما بينك وبين الله في السجود، بل ما بينك وبين الناس في الميزان، والميزانية، والموقف، والكلمة، والراتب، والعِشرة.

فحين ترى ظُلمًا مُغلّفًا بآية، أو خيانةً مغطّاةً بحديث،

تذكّر هذه القاعدة النورانية: كل ما خرج عن العدل... خرج عن الدين، ولو لبس ألف مظهرٍ من مظاهر التديّن.

والعاقل لا يُفتّش عن "شهادات تديّن" في الجيوب،

بل يبحث عن "آثار العدل" في المعاملة.

خاتمة الفصل:

الدَّيّان لا تخدعه الكلمات، ولا تُنسِيه الذرائع،

ولا يرضى أن نلوّث اسمه العظيم... لنغطي به ظلمًا صغيرًا.

فإياك أن تجعل من كلام الله... مخرجًا لك من أداء حقوق عباده.

واذكر دومًا: الدين الذي لا يوقظ الضمير... ليس هو دين الله، بل دين "الهوى المغلّف بآية..."..

خاتمة المحور الرابع: حين صار المال معيارًا... لا ميزانًا!

في هذا المحور... لا نتحدث عن الأرقام والحسابات،

بل عن القلوب التي اختُبرت بالمال... فسقطت أو ارتفعت.

عن الذين لبّوا نداء الجشع ...ونسوا صوت "ٱتَّقُوا ٱللَّهَ".

عن الذين جعلوا من الدين مخرجًا للغش... ومن الوظيفة وسيلةً للراحة...

ومن الأمانة عبئًا ثقيلًا... ومن الزكاة مجالًا للتحايل...

ومن التعاملات الشرعية بابًا للكذب باسم "الفتاوى المناسبة!"..

هنا... تكشّف لنا وجهٌ آخر من التدين المشوَّه،

ذاك الذي يلبس الثوب الأبيض... لكن جيبه أسود.

ذاك الذي يتحدّث عن القناعة...

لكنه يتكالب على الدنيا باسم "الرزق الحلال".

ذاك الذي يُطيل سجوده في المسجد...

ثم يُماطل في أجر عمّاله، أو يبرّر رشوة، أو يُهمل وظيفته،

أو يُفسد مشاريع الأمة... باسم "التجارة والظروف."

هنا وقفنا لنقول:

المال اختبار... لا غاية.

والوظيفة أمانة... لا وسيلة للهرب.

والدينُ لا يُبرر الغش، ولا يُجمّل التقصير، ولا يُغطي الطمع.

الذين يخدعون الناس "بالمظهر"،

سيُواجهون يومًا الدَّيّان الذي لا يُشترى رضاه بالتصريحات،

ولا تُؤخذ منه الجنة بالعقود الصورية.

أيها القارئ الصادق...

افتح دفاترك القديمة، وتفقد معاملاتك الحالية،

لا تسأل: كم ربحت؟

بل اسأل: هل ربحتها بنور الله؟

فما قيمة المال...

إذا كنت تخسر به رضا من رزقك؟

وما قيمة منصب...

إذا كنت تترقى عند البشر... وتنزل عند الله؟

المحور الخامس: مغالطات الإعلام والدعوة باسم الدين

حين صار الدين مادةً إعلامية... لا رسالةً ربانية..

في زمن الصورة والسرعة، في زمن الكاميرا التي تلتهم المشاعر... وتُزيّف الصدق، برزت مغالطة خطيرة: أنّ أيّ محتوى يتحدّث عن الدين... هو بالضرورة دعوة.

وأنّ من لبس عباءة "الداعية" على الشاشة... فهو رسول حق.

لكن الحقيقة مختلفة... بل صادمة!..

لم يعد الدين عند البعض رسالة هداية... بل أصبح مادة استهلاكية، تُقاس بقوة الانتشار، لا بصدق التأثير.

تحوّلت الخُطب إلى "ترند"، وتحوّلت الآيات إلى مقاطع مقصوصة تخدم المزاج العام... وغابت الخشية، وحضر التسويق.

صرنا نرى دينًا يُقدَّم بحسب الطلب، ويُصاغ بحسب الجمهور،

ويُخدَم بحسب الشهرة... فهل هذه هي الدعوة التي بكى لأجلها الأنبياء؟

هل هذه هي الرسالة التي ضحّى من أجلها الصحابة؟

أين ذهب البكاء من خشية الله... وظهر بدله البكاء لكسب التعاطف؟

أين ذهبت "قل هذه سبيلي ..."وظهرت مكانها "تابعوني على القناة"؟

في هذا المحور، سنكشف:

- كيف خلطنا بين المؤثر والداعية..
- كيف استُعمل الدين لتلميع الأشخاص لا لتزكية النفوس..
- كيف صوّرت الكاميرات ما لم يكن لله... وكأنّه دعوة إليه!..

هذا المحور ليس هجومًا على الإعلام...

بل صرخة صادقة لإعادة التوازن بين الوسيلة والرسالة،

ولعلّه يكون تذكيرًا حقيقيًا... أنَّ الدين لا يُسوّق، بل يُبلّغ...

وأنَّ الشهرة زائلة، لكن الكلمة التي قيلت بإخلاص... لا تموت أبدًا.

الفصل الأول: الشهرة قبل الإخلاص

الشهرة باسم الدعوة... والضحك باسم الدين:

في زمنٍ تغيّرت فيه المنابر، وصار أعلاها ...كاميرا هاتف،

وصارت المواعظ لا تُلقى على جمر الخشية، بل على أضواء التصوير.

في زمنٍ تحوّل فيه الذكر إلى محتوى، والورع إلى وسم (هاشتاغ)،

والقرآن إلى خلفية موسيقية لمشهدٍ عاطفي...

برز جيلٌ جديد من "الناطقين بالدين"،

لكنّه جيلٌ قد لا يعرف من نور الدعوة إلّا ما يُضيء له عدد المتابعين.

يبتسم... ليؤثّر.. .يرتّل... ليُعجب.

يُقطّع صوته عند الآية... لا من الخشية، بل ليرتفع التفاعل!

لكن القلوب – وإن سكتت – تشعر، والوجدان – وإن أُرهق – لا يُخدع.

فليس كل من تحدّث عن الله ...يُحبّه حقًا،

وليس كل من رتّل آية ...يخشع لها فعلاً،

وليس كل من لبس العباءة ...حمل الأمانة!

إنَّ الدعوة الحقيقية ليست حيلة عرضٍ على المنصّات،

بل دمعة في الخلوات... وصدقٌ في الخَطَوات... وثقلٌ في الميزان يوم اللقاء.

حين صعد البعض على أكتاف القضايا... لا على صدق الرسالة:

- في كل وجعٍ يُصيب الأمّة،
- في كل دمعةٍ تسقط من عين طفل،
- في كل شهقة أمّ عند مقبرة،
- في كل مجزرة، واحتلال، وقيدٍ يكتم الأنفاس...

يخرج إلينا فجأة من "يعرف ما يُقال"، ويقول ما يُطلَب، بلغةٍ ملساء، ونبرةٍ مدروسة، وبكاءٍ محسوب الدموع... لا يفيض ولا يقلّ.

ثم... يعود إلى قناته، وإلى نكاته، وإلى ضحكاته المعلّبة، كأن شيئًا لم يكن!

كأنَّ القضية كانت فاصلًا إعلانيًا،

وكأنّ آلام الأمة... مجرد "ترند" يُستثمر ثم يُطوى.

أيّ ميراث هذا؟ هل هذا هو الحمل الذي قال الله فيه لنبيّه ﷺ:

﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾؟ هل هذه هي الرسالة التي نام النبي من أجلها قليلًا، وبكى لها طويلًا، وهاجر لأجلها وهاج عليه قومه؟..

هل الدعوة فقرة درامية؟ أم نار تحرق القلب قبل أن تخرج من الفم؟

أم دمٌ يُسكب في السجود، وعرقٌ يُذرف في الميدان،

وقلبٌ لا يهدأ... لأن الناس لم ينجوا بعد؟!

الدعوة ليست "لحظة ترقٍ في عدد المتابعين"،

بل نارٌ تهزّ روحك كلما سكتت عن الحق، أو زيّفت الألم.

ما الفرق بين "الداعية" و"المؤثر الديني"؟

الداعية الحقيقي... لا يركض خلف الأضواء، بل يمشي في ظلال الخشية.

لا ينتظر التصفيق... بل يخشى التقصير.

لا يطلب من الناس أن يتبعوه... بل يُرشدهم إلى من بيده كل شيء: الله.

الداعية لا "يصنع محتوى" لجذب الجماهير،
بل يحمل رسالة تكاد تكسره من ثِقَلها،
يقولها وإن جرحت، وإن أوجعت، وإن قلّ المتابعون بعدها.
أما "المؤثر الديني..." فهو من يعرف خوارزميات الشهرة أكثر من فقه القلوب.
يقرأ تعليقات الناس... ولا يقرأ أحوالهم.
يقول ما يُحبّه الجمهور... لا ما يحتاجون إليه.
يبتسم حيث يجب أن يبكي،
ويُضحك حيث يُفترض أن تُخشع القلوب وتفيض العيون.
إنه يحرص على "المشاهدات" لا المشاهد، وعلى "الوصول" لا الهداية،
وعلى "المظهر" لا المأوى الذي يُعيد الناس إلى الله.
الداعية يُشبه النبي...
والمؤثر يُشبه "الممثل الديني" الذي خلط الحق بالعرض، والرسالة بالمحتوى،
والوحي بالرندحة البصرية... فلا تخطئ البوصلة يا صاحبي...
واتبع من أضاء لك الطريق إلى الله، لا من زاد لمعان صورته بين الناس.

وما المعيار؟ كيف أفرّق بين من يدعو إلى الله... ومن يدعو إلى نفسه؟

المسألة ليست في عدد المتابعين، ولا في جودة التصوير، ولا في براعة الإلقاء...
بل في وجهة الطريق الذي يأخذك إليه هذا الصوت!

سل نفسك بصدق:

- هل هذا الشخص يُذكّرك بالله... أم بنفسه؟.
- هل تخرج من كلامه خاشعًا... أم متحمسًا لصفحته؟.
- هل تشعر أن قلبك ارتقى... أم أن عقلك امتلأ بالجدل؟.

تأمّل حديثه:

– هل يدعوك لاتباعه... أم لاتباع نبيك ﷺ؟.

– هل يجعل من نفسه مرجعًا... أم جسرًا تعبر من خلاله إلى الله؟.

– هل يزرع فيك محبة السُّنّة... أم تعلقًا بالشخص؟.

اسأل قلبك:

– هل أحيا فيك الإيمان؟

– هل حرّك دمعةً صادقة؟

– هل قادك إلى توبة، إلى ركعة، إلى صدقة خفية؟

أم أنه فقط... أمتعك، أضحكك، وجعلك تقول: "يا له من رائع!" دون أن تتزحزح خطوةً نحو ربّك.

الداعية الحقّ... تختفي صورته، وتبقى هيبة الرسالة.

أما الداعية الزائف... فتتضخّم صورته، وتذوب هيبة الله في الزينة والصوت والمؤثرات.

ختام الفصل:

الدعوة ليست مهنة... بل حياة تُعاش لله

وليست منصة شهرة... بل منصة توبة

وليست مجالًا لكسب القلوب بالإعجاب... بل بكسبها إلى الله

فإما أن تكون داعيةً "إلى الله"

أو تكون داعيةً "إلى نفسك" وأنت لا تدري

احذر أن تكون ممن قال الله فيهم: ﴿**وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾ الزمر: ٤٥.

الفصل الثاني: برامج إسلامية... لكنها تخدش الإسلام

حين يصبح اسم "الإسلام" مجرد واجهة براقة:

تُخفى وراءها جروحٌ في وجه رسالته السامية، وعندما تُطرح "برامج دينية" وكأنها عروض ترفيهية، تُظهر للعيان كلمات مصقولة وخطابات مُنمّقة، بينما يختفي في الأعماق جوهر الرسالة.

"برنامج إسلامي جديد!" يعلن عنه وكأنه مُنتج تجاري لا أكثر، يُعرض في استوديوهات لامعة تشبه برامج المشاهير، ويُسوَّق له كما تُسوَّق المسلسلات الزائفة، لكن من وراء الواجهة... يخدش هذا المضمون وقار الدين، ويُسطّح عقول الأمة، ويحوّل رسالة الإسلام إلى شيء يُقاس بعدد المشاهدات لا بعمق التأثير.

وما فائدة أن يسطع الاسم إذا كانت الحقيقة باهتة؟! هذا النوع من البرامج يُهدر الزمان، ويُغفل الوعي، ويُشغل النفوس عن ما ينبغي أن يكون، لا يسعى لفتح أبواب الجنة، بل يغلق قلب الإنسان على كل فرصة للتأمل أو التغيير.

فكل ما يُبثّ هو مجرد صور، تصرخ من وراءها أصداء خاوية لا تُسهم في صقل الروح، ولا في تهذيب النفس.

أين الخلل؟

حين يُختزل الإسلام في مواقف فكاهية أو ردود ساخرة.

حين تتحوّل الفتاوى إلى فقرة ترفيهية، تُقدم بابتسامة وغمزة!.

حين يُسأل الشيخ في قضايا مصيرية، فيجيب كأنه في "برنامج مسابقات".

حين تُستضاف النساء بحجاب "الموضة" ويُفتتح البرنامج بآية... ويُختتم بنكتة!.

هل هذا هو "البلاغ المبين"؟

- أين هي مهابة الدين؟
- أين تلك اللحظة التي تدمع فيها العين خُشوعًا؟
- أين ذاك الارتجاف في القلب حين تُذكر النار والجنة؟
- أين أثر الآخرة؟!

ما يُبثّ اليوم في بعض هذه البرامج هو إسلامٌ منزوع الروح...
إسلامٌ مُعلّب... مغلّف بورق لامع... لكنه من الداخل خاوٍ.

ما المشكلة حين يُقال: "على الأقل الناس يشاهدون شيئًا دينيًا"؟

المشكلة أن الناس سيظنّون أن هذا هو الدين فعلاً.
وأن الإسلام "بسيط، سهل، ظريف، لا تحتاج أن تغيّر شيئًا في حياتك"،
فقط تابع البرنامج، واضغط إعجابًا، واشعر بالرضا عن نفسك!
هكذا نُنتج أجيالًا ترى الدين ترفيهًا، لا منهج حياة.
نُعطيهم طمأنينة زائفة... بدل أن نوقظ فيهم صرخة التغيير!

الفرق بين الإعلام الإسلامي ...والإسلام الذي يُعلَن في الإعلام:

هو فرق بين جوهرٍ عميق وبين قشرةٍ براقة،
الإعلام الإسلامي الحقيقي: يخاطب العقل، يشحذ الفِكر، ويُوقظ الغافل من سباته، إنه يُربي القلوب، يُعلّم الناس كيف يعيشون دينهم بفهمٍ ووعي، ويُعزز الإيمان من خلال رسائل تصل إلى أعماق النفس.
أما الإسلام الإعلامي الذي يُعرض اليوم: فهو مجرد تجارة تُغلف بأضواءٍ ساطعة،

تجذب الأنظار وتُضيء الشاشات، لكنها تفتقد العمق والمضمون.
برامجٌ لامعة، لكنها تفرغ من المحتوى الحقيقي،
وتنساق خلف رغبات المشاهدين دون أن تنير عقولهم أو تهذب أرواحهم.
يصبح الهدف هنا ليس التربية والتوجيه، بل الاستعراض والحصول على الأرقام والمشاهدات، حتى لو كانت على حساب الإيمان.

النتيجة الخطيرة لذلك هي تشويه هيبة الدين:

حين يُختزل في صورة سريعة قابلة للاستهلاك، فتتبدد عظمته وتُفقد هيبته.
يصبح الدين مجرد أداة للتسلية أو لتلبية احتياجات فورية، بدلاً من أن يكون منارة تهدي النفوس وتغيرها نحو الأفضل.
نجد أنفسنا أمام جيل مُستهلك للدين، لا يعي معانيه العميقة، بل يستهلكه كما يستهلك سلعًا أخرى، دون أن يشعر بحقيقة رسالته، ولا بقيمة الجهاد في سبيله، يصبح هذا الجيل بعيدًا عن المعاناة، بعيدًا عن التضحية، يلهث وراء الرفاهية والتسلية الدينية التي لا تزيده إلَّا فراغًا داخليًا.
أما الدعوة، فتفقد جوهرها الروحي العميق.
تتحول من دعوة تحرر القلوب وتعيد بناء الإنسان إلى محتوى تسويقي يُعرض لجذب الأعداد والمشاهدات، لا لتغيير النفوس وإيقاظ الهمم.
تصبح الدعوة مجرد علامة تجارية،
يستهلكها الناس دون أن تُحفزهم للسَّعي في سبيل الله...

ختام الفصل:

إذا أصبح الدين يُقدّم كما تُقدَّم النكات...
فلن يُثمر إلَّا إيمانًا ساخرًا، هشًّا، مذبذبًا...

قال ﷺ: "بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء " رواه مسلم... الغُربة اليوم ليست في قلّة العدد... بل في ضياع الصورة!..

الفصل الثالث: القارئة التي تُرتّل... وحجابها يفضح الدين

حين يصبح صوتها قرآنًا يرتّل بين الشفاه، لكن مظهرها عنوان تشويه!

هنا يتبدد الخشوع في قلب المستمع ويصبح المشهد مصدر تساؤلات...
بدل أن يكون ملاذًا للروح... ما أقسى أن تسمع صوتًا عذبًا يرنّ بآيات الله، فتغمر نفسك خشوعًا في لحظة تلاوة، لكن فجأةً، تجد عينك تبتعد عن كلمات الله لتسقط على ما يفضحها...
قارئة ترتّل كلام الله بألمٍ في قلبها، ولكنها في الوقت ذاته ترتدي ثوبًا ضيقًا، أو تضع زينة صارخة أو فلترا مُحسناً، أو حتى الحجاب الذي يلفت الأنظار بدل أن يستر، ليصبح مظهرها عنوانًا مُشوّهًا لرسالة الدين.
كم هو مؤلم أن ترى التباين بين ما يخرج من قلبها من آياتٍ عظيمة وبين الصورة التي تُعرض للعالم... في لحظة، يبكي السامع من عمق الآية، ثم يجد نفسه محتارًا بين الإعجاب بالكلمات وبين الاستفهام عن المشهد.
كيف لنا أن نعي رسالة القرآن إذا كان من يتلوه يُسهم في تشويش الصورة بدلاً من نشر نورها؟ كيف نتناغم مع كلام الله إذا كان ما يُعرض أمامنا يثير الشكوك حول حقيقته وأثره؟..
والعجب أن أكثر التعليقات لا تركز على عظمة الآيات التي تُرتّل، بل تُركّز على جمالها وبهاء صورتها... تجد التعليقات تتوالى، ولا يكاد يمر واحد منها دون أن يذكر كيف أن ملامحها تسلب القلوب، كيف أنها جميلة بما لا يُحتمل.
والكثير من هؤلاء لا يتمنون سوى أن تكون تلك القارئة زوجة لهم،

وكأنَّ جمالها هو ما يشفع لها أكثر من تقوى قلبها.
بعضهم يكتب: "إذا تزوجت واحدة مثلك، كأنني في الجنة"،
وكأنَّ الجنة أصبحت مرهونة بمثل هذا المظهر،
وكأن الكلمات التي تخرج من فمها لا تحمل
أكثر من صوت عذب يمرّ على الآذان...
أكثر التعليقات لا علاقة لها بما تتلوه من آيات،
بل كلها تنصب على جمالها الخارجي،
في تهميش تام لرسالة القرآن التي كانت هي الناقل لها.
أين التفاعل مع الآيات؟ أين التدبّر والتفكر في معاني كلام الله؟
ليتنا نتذكر أن القرآن جاء ليُحرك القلب، لا ليثير شهوات البصر،
ولكن في عالمٍ يتسابق فيه الجميع نحو الجمال الظاهر،
نرى كيف أن المضمون يتضاءل أمام الصورة، ويُختزل الدين في مظهر زائل.

هل نحن نخون القرآن... ونحن نظن أننا نُظهره؟

هل ندرك عظمة هذا الكتاب، الذي هو أشرف الكتب على وجه الأرض؟
هل نعلم أن تلاوته ليست مجرد أداء صوتي، بل عبادة عظيمة، لها قدسيتها ومقامها، وليست عرضًا يُعرض على المسامع؟.
هل نفهم أن الحجاب عبادة، ليس مجرد زيّ يُرتدى عند التلاوة ثم يُخلع بعدها كما لو أنه كان مجرد ملابس؟.
إن بعض من يُظهرن القرآن في الإعلام،
لا يدرين أنهنّ في الحقيقة يَكشِفن الدين، أكثر مما يُظهِرن نوره...
لا يعلمون أن الجمال الظاهر لا يُغني عن الجمال الداخلي،
وأن الحجاب ليس مجرد غطاء للرأس، بل هو تجسيد للتقوى والحياء،

وتعبير عن عظمة الرسالة، لكن حين يصبح الحجاب جزءًا من العرض، وعندما تُغلب الصورة على المضمون، فإننا نكون قد ارتكبنا خطأً فادحًا في تمثيل ديننا... فنحن لا نُظهر القرآن عندما نعرضه مجردًا من جوهره، عندما نعرضه على أنه مجرد صورة تستهوي العين دون أن تخاطب القلب.

من الذي شرّفكِ بالتلاوة؟

ليس برنامجًا... ولا جمهورًا...

بل ربّ السماوات، الذي قال في كتابه: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾.

لكن أين الترتيل إن كان لا يُستشعر جلاله؟ أين هذا الترتيل الذي يجب أن يخرج من القلب، ليصل إلى أعماق الأرواح، إذا كان القلب مشغولًا بما حوله أكثر من شغفه بكلام الله؟.

وأين الخشوع، إن كانت العيون مشغولة بالمظهر أكثر من أن تكون خاشعة لله، متأملة في آياته، متذوقة لمعانيه؟.

أي تلاوة تُرفع إلى السَّماء إذا كان كل ما فيها هو صوت عذب بلا روح، وكلمات تلوّنها الألسن لكن لا تجد لها أثرًا في القلب؟

التلاوة الحقيقية هي التي تبعث في النفس خشية، وتُحيي القلب، وتفتح العقل لتدبر معاني القرآن، لا مجرد عرضٍ، ولا مجرد استعراضٍ للمظاهر.

الحجاب... ليس مسرحًا للتصميمات:

يا من ترتّلين القرآن، هل تعلمين أنكِ تمثلين كلام الله أمام العالم؟..

ليس الأمر مجرد كلمات تخرج من فمكِ، بل هو رسالة تُنقل عبر صوتكِ، وجسدكِ، وحجابكِ، وطريقة تعبيركِ عن تلك الكلمات.

فلا يكفي أن يُعجبوا بصوتكِ،

بل يجب أن يروا الإسلام فيكِ، قبل أن يسمعوه منكِ.
الإسلام ليس فقط ما يُقال، بل هو ما يُرَى في تصرفاتنا،
وفي مظهرنا، وفي وقوفنا أمام القرآن العظيم.
ليست المشكلة في أن تكوني أنيقة،
بل في خيانة المعنى تحت لافتة "التمثيل النسائي في التلاوة".
فالحجاب ليس مجرد زيّ يرتدى عند التلاوة ليتسابق الجميع في تقييمه، بل هو عبادة، له معنى عميق لا يمكن فصله عن جوهر الإسلام.
إنه ليس مجرد "مسرح" يعرض التصاميم والموضة،
بل هو تعبير عن التقوى والحياء، وتعبير عن احترام كلام الله الذي نتلوه.
فلا تضيعي هذا الجمال الحقيقي في ضجيج الظاهر، بل اجعلي التلاوة حياة يتجسد فيها المعنى، ويشع منها النور الذي يعكس صورة الإسلام بكل بهاء وصدق.

الحياء قبل الصوت: حين يكون الستر أولى من الاستعراض في تلاوة القرآن:

إن المرأة حين تقرأ القرآن أمام النساء وفي مجاميع خاصة، فهذا أمر يتفق مع حياءها ويعكس احترامها لخصوصيتها وكرامتها.
ولكن حين تخرج على البثوث المباشرة، لتقرأ أمام الرجال والنساء في العلن، وتثير الفتنة بذلك، فإنها بذلك تضع نفسها في موضع يعرضها للفتنة ويجعلها مركزًا للأنظار بطريقة غير لائقة.
القرآن لا يُقرأ في العلن لمجرد إظهار الصوت أو لفت الأنظار،
بل يُتلى ليحمل رسالة تطهير للقلب وتهذيب للنفس.
والمرأة أولى بالستر والغطاء، وأن تبقى بعيدة عن معاشر الرجال في هذه المواقف،
فالحياء هو جوهر الإسلام، وركيزة أساسية في تعاملاتها مع الآخرين.

وفي زماننا هذا، حيث الفتن تكثر وتتنوع، يجب على المرأة أن تدرك أن الحذر والتزام الحياء هو أولى ما ينبغي لها أن تلتزم به.
فالأمر ليس مجرد قواعد اجتماعية، بل هو جريمة في حق حياءها من ربها إذا تخلّت عن هذه الفطرة التي أمرها الله بها، وعرضت نفسها لهذا النوع من الاستعراض الذي يخالف التواضع والحياء الذي هو من خصال المؤمنات.

الدين لا يُعبّر عنه الصوت فقط... بل الهيئة والموقف والنية

قارئة القرآن ليست مغنية... وحجاب القارئة ليس زينة...

والجمهور ليس غاية... بل وسيلة لهداية القلوب.

فمن أرادت أن تُبشّر الناس بالقرآن... فلتكن هي أول المبشَّرات به عملًا ووقارًا.

لا تُظهروا القرآن... وتُخفوا شرعه!

أخطر ما يُفعَل باسم الدين... أن نُبهر الناس ظاهريًا،

لكن نُربّي فيهم باطنًا خادعًا:

يظنّون أن الحجاب حرّية، وأن الزينة عبادة،

وأن "الخشوع في الصوت" يُغني عن الطاعة في اللباس والسلوك.

القرآن... لا يُرتّل بزينة... بل يُرتّل بورع

إن تلاوة القرآن ليست مجرد ترديد للألفاظ أو عرض للصوت الجميل،

بل هي عبادة قلبية تتطلب ورعًا قبل كل شيء.

فالقرآن لا يُرتّل بمظاهر الجمال الخارجي أو الزينة التي تسرّ العين،
بل يُرتّل بروح من التخشع والتواضع، وبقلب خاشع يتأمل معانيه العميقة.
عندما نقف أمام كلام الله، يجب أن نتذكر أن التلاوة ليست مسرحًا نعرض فيه مواهبنا الصوتية، بل هي لحظة عبودية نتوجه فيها إلى خالقنا بكل خشوع وتقدير.... إن الورع هو ما يضفي على التلاوة روحًا حقيقية، ويجعلها متصلة بالقلب قبل الأذن، فهو الذي يجعل الكلمات تنبض بالحياة ويُشعر السامع أن الآيات ليست مجرد حروف، بل هي رسائل من الله إلى قلوبنا.

رسالة إلى كل قارئات القرآن في البثوث وعلى مسامع الرجال:

إن تلاوة القرآن ليست عرضًا يُقدّم لأعين الناس، ولا صدىً يتردد في الأسماع من أجل الإعجاب أو الإثارة... بل إن القرآن هو كلام الله، الذي يجب أن يُتلى بعظمة ووقار، وأن يُحفظ في القلب قبل أن يُنطق باللسان.
إلى كل من تظن أنها قد حظيت بشرف قراءة القرآن في البثوث المباشرة، وعلى مسامع الرجال: تذكري أن القرآن ليس مسرحًا لاستعراض جمال الصوت أو الظهور، بل هو عبادة تتطلب منّا الحياء والورع... إنكِ عندما تفتحين فمك لتقرئي آيات الله على مرأى ومسمع من الرجال، فأنتِ تُفرّطين في شيء عظيم؛ في حياءكِ من ربكِ، في احترامكِ لدينكِ، وفي حرمتكِ كمسلمة.
إن البث المباشر وتلاوة القرآن أمام غير المحارم لا تليق بكِ ولا برسالة القرآن... الحياء الذي أمرنا الله به هو الستر والاحتشام، وهو جزء من تقوى الله، وهو ما يجب أن تتزين به المرأة في كل فعل من أفعالها، بل هو جوهر إيمانها.
في هذا الزمان الذي كثُرت فيه الفتن، كان الأولى بكِ أن تحفظي نفسكِ، وتبتعدي عن مواطن الافتتان، لا في عرض مكشوف يُعرضكِ للمخاطر والأذى.

من لا تذعن لهذا، فقد ارتكبت جريمة في حق حياءها،
وجرحت قدسية دينها... وتذكري، أنَّ القرآن يُرتّل بورع، وليس بزينة.

الفصل الرابع:"الدين في قبضة الترند"... حين يتحوّل الهاشتاغ إلى منبر!

ما عاد الدين يُبلّغ... بل "يُصمَّم" ليواكب الصيحات!

أصبحنا نعيش في زمنٍ يتم فيه "تصميم" الدين ليواكب ما يريده الجمهور، لا ما يرضي الله...

"المقطع وصل مليون مشاهدة!"،

"الترند الآن عن الحجاب... أنزِل شيئًا قويًا!"،

"الناس تُحب هذا الشيخ لأنه خفيف!"،

"الدين محتوى... اجعله قصيرًا وجذابًا!"،

وكل هذه العبارات التي تُقال وكأنَّها معايير حقيقية لنجاح الدعوة.

لكن في الواقع، هذا ليس تطويرًا، بل اختطافًا للدعوة.

حين تُمسك المنصات بخناق الرسالة، وتُجبرها على الانحناء كي "تظهر" على السطح، يتحول الدين إلى مجرد سلعة قابلة للاستهلاك، يُباع ويُشترى وفق ما يرضي السوق الإعلامي... لا يكترثون بالأثر الحقيقي لهذه الرسالة في قلوب الناس، بل بالعدد، بالظهور، بالشكل الذي يلتقط الأنظار.

لقد أصبحت الدعوة مرهونة للترندات، وتُسَير بما يتماشى مع ما يثير الفضول أو يرضي الأهواء، بعيدًا عن جوهرها العظيم.

الدين ليس محتوى يمكن تعديله ليتناسب مع الأذواق، بل هو رسالة ثابتة، يجب أن تُحفظ وتُوصل كما هي، بدون تغيير أو تسويق زائف.

عندما تصير الدعوة رهينة الخوارزميات...

تُصبح الدعوة رهينة لمعادلات وهمية لا علاقة لها بقيمتها الروحية أو الإسلامية.

لا يُنشر ما يُرضي الله، بل ما يُرضي "الجمهور"!

لا يُقال ما يُصلح النفوس، بل ما يُثير التفاعل ويُثير الجدل.

لا يُنتقى الحقّ بعناية، بل يُنتقى ما "يُشعل الترند" ويجذب الأنظار.

لكن النتيجة؟

دينٌ مُخفّف، مختزل، وممسوخ.

يُقدَّم لك بشكل جذاب، لكنه يفقد عمقه وأصالته،

ويُرضي المتابعين بما يسير مع رغباتهم وليس مع تعاليم الإسلام.

هو دين على المقاس، يُشبع الأذواق دون أن يملأ القلوب.

يُرضي المتابع، لكنه لا يُرضي ربّ العباد.

وفي النهاية، لا تُقاس الدعوة بعدد المشاهدات أو التفاعلات،

بل بصدق التأثير في القلوب، وبالحفاظ على نقاء الرسالة كما أرادها الله تعالى.

هل يجوز اختزال الشريعة في دقائق؟

أجل، يمكن أن نُبشّر بكلمة، ونوقظ قلبًا بلحظة، ولكن...

حين تُصمَّم الدعوة لتُناسب "المدة القصوى للمقطع"،

بدل أن تُصمَّم لتُناسب "الحقّ"، فأنتَ لا تُبلّغ... بل تُساوِم!

الدعوة ليست سلعة يُمكن اختصارها في دقائق معدودة،

ولا هي مادة تُعرض وفق معايير التوقيت أو الرغبة في جذب الانتباه السريع.

هي رسالة تحتاج إلى الصبر، إلى التأمل، إلى العمق..

لكن عندما يصبح الهدف هو جذب المشاهدات بدلاً من إيصال الحق،

فإنك بذلك تتاجر بالدعوة، وتُساوم عليها.

الحق لا يُختزل في مقطع، ولا يُجعل قابلًا للتصميم حسب الخوارزميات..
الحق يُنقَل كما هو، كاملًا، دون تقليص أو تلاعب، مهما كانت الوسيلة.

من يُحدّد ما نُعلّمه؟ الله... أم خوارزمية "الاقتراحات"؟

- هل أصبحت مرجعيّتنا هي ما يطلبه الجمهور؟
- هل نُقدّم للناس ما يحتاجونه حقًا، أم ما يُحبّونه فقط..
- ما يُرضي رغباتهم السطحية ولا يواكب حاجاتهم الروحية العميقة؟
- هل أصبحنا نسوّي بين الحق والباطل لمجرد أن ما يُعرض هو الأكثر جذبًا للأعين؟
- هل نسينا أن من صفات المنافقين: يحبّون أن يُحمَدوا بما لم يفعلوا؟ ألا نستشعر خطر أن نُرضي الناس على حساب رضا الله؟
- ألا ندرك أن تلبية رغبات الجمهور قد تُغرقنا في الهوان إذا ضاعت رسالتنا الأساسية؟..

إذا كانت الدعوة خاضعة لما يُريده الناس فقط، فكيف سيكون التبليغ؟
هل سيتحول الدين إلى أداة تسويقية تُستخدم لتحقيق الرغبات بدل أن يُنقل كما هو، بلا تحريف ولا تعديل؟..
المرجعية لا تكون أبدًا لما يُحبّه الناس، بل لما يُرضي الله،
فما يطلبه الجمهور ليس دائمًا ما يُناسب هويتنا كدعاة لله تعالى.

خطورة الدعوة "الخفيفة"

١- تبني جيلًا يُحبّ الواعظ... ولا يعرف الله تعالى.
٢- تُعَلّم الناس كيف يُنصتوا إلى الكلمات، ولكنهم لا يتعلّمون كيف يلامس ذلك قلبهم.

٣- يصفقون للواعظ، لكنهم لا يتقربون إلى الله،

٤- يكتفون بسطور عابرة لا تنقلب إلى حياة عملية أو تغير جوهري في سلوكهم.

٥- تُربّي على ردّات الفعل... لا عمق الفِكر.

في عالم الدعوة "الخفيفة":

- يصبح الناس يتفاعلون مع الرسالة لحظيًا، ولكنهم لا يتأملون في معانيها العميقة أو يُغيّرون فِكرهم تجاه الحياة.
- لا يتعلمون كيف يواجهون التحديات الإيمانية بتفكير واعٍ، بل يتبعون ما يثير مشاعرهم لوقتٍ قصير دون أن يُرسّخ ذلك في كيانهم.
- تُعطي راحة نفسية مؤقتة... دون توبة حقيقية.
- تجعل الناس يشعرون بشيء من الراحة والتسلية لحظيًا، ولكنها لا تقدّم لهم التحول الداخلي أو التوبة الحقيقة التي تقتضي التغيير الجذري في القلب، وفي علاقة الإنسان مع ربه.
- تنتج ما يُسمّى:"الإيمان الترفيهي": إيمان يرضي العواطف مؤقتًا، ويُبهج النفس ببعض الكلمات التي لا تُغني ولا تُسمن من جوع، لكنها لا تُصلح الأوضاع أو تُقوّي الإيما... إيمانٌ يستهلك، لكنه لا يُثمر.

أمثلة مؤلمة:

١- مقاطع دعوية فيها رقصٌ خلف الشاشة... فقط لأن "الرسالة جميلة!":

لقد أصبحنا نرى مقاطع تُقدّم الدين بأسلوب عاطفي مبتذل، حيث يتلاشى الجوهر وتُمحى القيم لتلبية رغبات المشاهدين، بينما الرسالة التي يُراد إيصالها تصبح مجرد وسيلة لجذب الانتباه، دون مراعاة للهيبة والوقار التي يجب أن تكون عليه الدعوة.

٢- فتاوى خطيرة تُلقى في دقيقة... دون سياق أو فهم: أصبح الفقه شأناً عابرًا، يتم تداوله في دقائق عبر منصات التواصل، ليُلقى على الجمهور دون تدقيق أو تفسير عميق، فتوى واحدة قد تُثير فتنة أو تضلل العقول، ولكن الأهم هو سرعة الانتشار وجذب المتابعين، دون النظر إلى عواقب تلك الفتاوى على الناس أو المجتمع.

٣- تعليقات تُصفّق لخطأ بيّن... لأنه "مؤثر": وللأسف، نرى تعليقات تُشيد بأخطاء فادحة، وتدعمها فقط لأن صاحبها "مؤثر" أو يملك قاعدة جماهيرية، لا يُنظر إلى صحة القول أو خطأه، بل يُنظر إلى تأثير الشخص على المتابعين، وكأن التأثير هو المعيار الوحيد.

٤- جيلٌ يحفظ أسماء المؤثّرين... وينسى اسم الله الأكرم!: وأما هذا الجيل، فقد أصبح يحفظ أسماء اليوتيوبرز والمؤثرين، ويُدمن متابعتهم، بينما ينسى اسم الله الأكرم... يسير في هذا العصر ليصنع أبطاله من البشر، بينما يجهل أسمى الأبطال الحقيقين، وتغيب عن ذهنه عظمة خالقه.

الفرق بين البلاغ وبين التسويق:

البلاغ يُقدَّم بحق...

سواء قبِله الناس أم رفضوه.. لا يهم كيف ستتفاعل الجماهير، لأن الهدف هو إيصال الحقيقة كما هي، بلا تلاعب أو تغييرات لتناسب الأذواق.. البلاغ هو رسالة من الله تعالى، يجب أن تُنقل بأمانة، لا لتسليط الضوء على من يحملها، بل لرفع كلمة الحق.

التسويق يُقدَّم بما يعجبهم...

ولو ناقض الحق... يتبع التسويق ما يُرضي رغبات الجمهور، حتى وإن كان ذلك يعني التلاعب بالكلمات أو تقديم ما يتناقض مع الجوهر.. الهدف هنا ليس

تبليغ رسالة حقيقية، بل تحقيق الانتشار وجذب المتابعين بأي وسيلة.
والله تعالى لم يُرسل الرسل لجمع المتابعين، بل ليُخرِجوا الناس من الظلمات إلى النور.... الرسالة التي حملها الأنبياء كانت رسالة إصلاح، تهدف إلى تغيير القلوب وإرشادها نحو الحق، لا مجرد جمع الأعداد، الهدف الأسمى كان إخراج الناس من ظلمات الجهل والضَّلال إلى نور الحق والهداية، حتى لو لاقوا الصدود أو المعارضة.

الحلّ:

١- نستخدم وسائل العصر ...لا نُسلم الدين لأمزجة العصر: التكنولوجيا اليوم سلاح ذو حدين، علينا أن نستخدمها لنشر الحق وتبليغ رسالتنا، ولكن دون أن نسمح لها بتشكيل الدين وفقًا لمعايير السوق أو الشعبية، الوسائل الحديثة هي أداة، وليست بديلاً عن جوهر الرسالة.

٢- نُراعي اختصار المضمون... دون ابتذال المعنى: من المهم أن نقدم المعلومة بفعالية، ولكن يجب أن نحرص على ألَّا نفقد جوهرها أو نُبسطها إلى درجة تُفقدها قوتها وحقيقتها، الاختصار لا يعني السَّطحية، بل يجب أن نركز على تقارب الفكرة مع القلوب دون التقليل من أهميتها.

٣- نُقدّم "حقيقة الدين" بلغةٍ راقية، لا بنَفَس السوق: الدين لا يُعرض كسلعة رخيصة لجذب الأنظار أو تحقيق الأرباح، بل يجب أن يُقدم باحترامٍ وتقدير، بلغة تتسم بالأدب والرقي، تليق بعظمة الرسالة التي نحملها، ولا تنحني لطلبات السوق أو التسلية.

٤- نُبشّر لا نُسطّح... نُقنع لا نُجمّل فقط: الدعوة لا يجب أن تكون مجرد كلمات جميلة، بل يجب أن تحمل قوة الحق، و مصداقية الفكرة، ليس الهدف هو الاستعراض أو جلب التصفيق، بل إقناع القلب وتوجيهه إلى التغيير الحقيقي.

الختام:

الترند اليوم يزول غدًا... لكن الكلمة التي تُقال لله تعالى،
قد تُثمر قلبًا لا تعرفه، وتُحيي روحًا لم ترَها.
لن تظل الكلمات العابرة في مواقع التواصل، ولكن الكلمة التي تخرج من القلب لله، تترك أثرًا أبديًا في الأرواح، حتى لو كانت غير مرئية للعيون.
فلنكن دعاة "حقّ" لا دعاة "إعجاب"،
فالإعجاب يزول، لكن الحق يبقى، ويظل يثمر ويُحيي من في القلوب حياة لا تُقدر بثمن.

الفصل الخامس: منبر بلا خشوع... وكاميرا بلا صدق!

هل فقدت الدعوة هيبتها حين خلطناها بعالم "الإنتاج" و"التسويق"؟

في زمانٍ صار فيه كل شيء قابلًا للتصوير...
صار الدين أيضًا "مادة بصرية!" لكن السؤال الأخطر:
هل الكاميرا أضافت نورًا؟ أم سرقت الخشوع؟
أصبحنا نرى الدعوة في قالب مفعم بالألوان، الأضواء، والإنتاج العالي، لكن هل هذا يُحيي القلوب أم يُغشيها؟ هل الكاميرا تزيد من التأثير الروحي للكلمة، أم أنها تُحولها إلى عرضٍ تجاري يحاكي أنماط الحياة الحديثة دون أن يلامس الأعماق؟..

لقد فقدنا أحيانًا الهيبة التي يجب أن يرافقها كلام الله، وصار الدين مادة قابلة للتحليل البصري لا أكثر، دعوة بلا خشوع، وكلام بلا صدق، حيث الكم أصبح أولى من الجوهر.

حين يدخل "المُخرج" على المنبر...

يُعاد المشهد حتى تكون "الإضاءة أفضل!"
تُقاطع الكلمات لأن "المايك تعطل!"
يُوجّه الشيخ: "ابتسم هنا... قف هنا... امشِ ببطء"!
يُقصّ المقطع ليُناسب التيك توك... لا ليناسب الموعظة!
وهكذا... يتحوّل المنبر من مقام بلاغ، إلى استوديو تمثيل!
في هذا المشهد، يُصبح كل شيء قابلًا للتعديل، من الإضاءة إلى تعبيرات الوجه، ويُسحب المعنى العميق للدين ليتناسب مع رغبات المشاهدين والشكل المبتذل الذي يُرضي الخوارزميات، المنبر لم يعد مكانًا للبلاغ، بل تحول إلى منصة استعراض، تُقاس فيها الرسالة بمقدار التفاعل أو الكمّ، لا بجوهر الموعظة وأثرها في القلوب.

الدعوة ليست عرضًا بصريًا

النبي ﷺ لم يكن يملك منصة ولا إضاءة ولا مايك...
لكنه أيقظ أمة من سباتها بكلمة واحدة: "قولوا لا إله إلا الله!"
لقد كانت دعوته ﷺ حقيقية، مؤثرة، خالدة،
لأنها كانت مبنية على الصدق والخشوع، لا على التقنيات والمظاهر.
الصحابة لم يروّجوا لدروسهم، لكن كلماتهم ما زالت تُروى بعد ١٤٠٠ سنة!
لقد اختاروا أن يكون تأثيرهم في القلوب، لا في الشاشات.
فماذا نُريد أكثر من هذا الخلود... حتى نُضيف له "لمسة إنتاجية"؟!
هل أصبحنا نحتاج إلى التقنيات الحديثة لتوثيق الحق،
بينما الحق في ذاته يُخلّد بلا حاجة لأي تعديلات؟
الرسالة لا تُقاس بمقدار الأضواء أو التفاعل،

بل بصدقها وقدرتها على تغيير القلوب، مهما كانت الوسيلة.

أدوات العصر... نعم، لكن بشرط!

لسنا ضد التصوير، ولا ضد الجمال،

لكننا....

١- ضد أن تطغى الصورةُ على صدقَ الكلمة،

٢- وضد أن يصبح الداعية "مقدّم برنامج ..."لا حامل رسالة،

٣- وضد أن يُخاطب القلب بالإبهار... لا بالحق.

نعم، يمكننا أن نستخدم أدوات العصر لنصل إلى الناس، لكن يجب أن تكون النية هي التوصيل الصحيح، وليس جذب الانتباه فقط... فالإبهار البصري قد يُشوش على الهدف الحقيقي من الدعوة، والذي هو تغيير القلوب، لا إشغال الأنظار.

الداعية ليس مسؤولًا عن تقديم عرض يستعرض فيه مهاراته، بل عن نقل الحقيقة كما هي، دون تحريف أو تلاعب، وعليه أن يتأكد أن رسالته أعمق من الصورة، وأصدق من الصوت.

منبر بلا خشوع = دعوة بلا أثر:

- حين يتكلّم الواعظ كأنّه يُصوّر إعلانًا...
- وحين يتمايل الحرف مع الزاوية والإضاءة،
- وحين يغيب الهيبة... ويُستَبدَل بها الأداء،

فإننا ننتج "وعظًا مرئيًا ..."لا "دعوة ربانية!"

الدعوة الحقيقية لا تُقاس بكاميرا أو مخرج، بل بصدق الكلام وخشوع القلب.

لا يكفي أن يكون الصوت عذبًا، أو الصورة جميلة، إذا لم تكن الرسالة نقية،

محمولة على إيمان صادق، قادرة على أن تُغير الأرواح.

حين يتحول المنبر إلى منصة عرض، نغفل عن جوهر الدعوة، الذي لا يُرى بالعين، بل يُشعر بالقلب، ويُستشعر في الأثر الذي يتركه في النفوس.

الصدق لا يحتاج إلى تجميل:

كم من كلمة ارتجالية، لا تصوير فيها، حرّكت أمة!

وكم من فيديو مُنتَج بأغلى كاميرا... لم يُحرّك ساكنًا!

السبب؟.. لأنّ الله يُبارك في ما يُقال بصدق... لا في ما يُصوَّر بإخراج!

الصدق هو قوة الدعوة، وهو ما يصل إلى القلوب ويُغيرها، حتى لو كان في لحظة عفوية، بدون تكنولوجيا أو تصاميم معقدة.

أما إذا كانت الدعوة مجرد مظهر خارجي، فلا يُثمر ذلك في النفوس، مهما كانت الإضاءة أو التصوير متقنًا.. ما يُباركه الله هو النية الصادقة، والكلمة التي تخرج من القلب، وليس ما يتم تجميله ليلائم الأذواق أو الشاشات.

هل الكاميرا حلال؟

نعم، ولكن إن كانت وسيلة... لا غاية.

إن كانت مرآة للحق ...لا حجابًا له.

إن خدمت الرسالة ...لا أن أصبحت هي الرسالة!

الكاميرا ليست حرامًا بحد ذاتها، لكنها تصبح محلّ اختبار.

هل نستخدمها لنقل الحقيقة والرسالة كما هي، أم أننا ننجرف بها لتصبح هي الهدف، وننسى الغاية التي أُرسلت من أجلها؟ إن كان هدفنا من الكاميرا هو خدمة الدعوة وتوسيع نطاق تأثيرها، فهي أداة رائعة.

أما إذا أصبحت الكاميرا هي الهدف ذاته، فانحرفنا عن جوهر الدعوة.

الختام:

الدين ليس محتوى بصريًا... بل نور يُلقى في القلب، وخشيةٌ تُنزل العبد على ركبتيه، ودعوة صادقة تنزل من السماء... لا تخرج من غرفة تحكم.

الدعوة الصادقة... لا تحتاج مايكًا ليصل صداها، بل تحتاج قلبًا يُرضي الله!

فإذا كان القلب صادقًا، فإن رسالته ستصل بأعمق الأثر، لا مهما كانت الوسيلة.. الصدق هو ما يُحدث الفارق الحقيقي،

ويُغير القلوب، حتى وإن كان الصوت خافتًا، أو الكاميرا غائبة.

الفصل السادس: حين يتحوّل الخلاف العلمي إلى "دراما" إعلامية

هل خلاف العلماء يُعرض كصراع على المنصات؟

وأين الفرق بين بيان الحق ...وفضح المخالف؟

في زمنٍ صارت فيه المنصات ساحات استعراض، والكلمات سهامًا...

والمقاطع المصوّرة أدوات قصف لا تبصير،

تحوّل الخلاف من رحمةٍ تُثمر ...إلى معركة تُشهر!

في هذا العصر، أصبح الخلاف بين العلماء مادة إعلامية، لا يُنظر فيها إلى إصلاح الفهم أو تعميق الوعي، بل إلى الجذب والمشاهدات.

في غياب الحكمة، تُستخدم الكلمات كأدوات حرب،

ويُحتجز الخلاف في معركة لفظية تهدف إلى تشويه المخالف أكثر مما تهدف إلى بيان الحق... أصبحنا نعيش في زمن يُسجن فيه العلم في حلقات تنافسية، حيث تصبح الحقيقة ضحية للاستعراض، ويُخطف الاختلاف من موضعه الصحيح ليصبح صراعًا علنيًا.

الخلاف العلمي... رحمة لا فضيحة

قال الشافعي:"قولي صوابٌ يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأٌ يحتمل الصواب"
واختلف الصحابة أمام رسول الله ﷺ...
فما وبّخ أحدًا، ولا أمر بإقصاء أحد، بل ترك مساحة للاجتهاد الراشد.
كان الخلاف في الإسلام رحمة، ومساحة للتفكير والتأمل،
دون أن يُؤثر ذلك على وحدة الأمة أو على احترام العلماء.
لكننا اليوم... نرى فقيهًا يُهاجم فقيهًا على العلن،
وداعيةً يُسفّه اجتهاد غيره في بث مباشر،
ومقطعًا يُقطّع الجسد العلمي لشخص، ثم يُقال:"هذا نصرة للدين"!
أصبحنا في زمن يُستخدم فيه الخلاف العلمي للتشهير والتسويق، بدل أن يكون فرصة لتوسيع المدارك والتفاهم.
أصبحنا نعيش في وقتٍ ننسى فيه احترام التنوع الفكري في الأمة،
ونرى الاختلاف مجرد مادة إعلامية،
يُستغل لتحقيق الشهرة على حساب الدعوة والرحمة.

دراما لا دعوة!

حين يُقتطع المقطع ليسهل نشره، ويُحذف السياق ليبدو الخصم شاذًا، ويُضرب طالب علم لأنه فقط "قال قولًا مُخالفًا"، فأين ذهب أدب العلم؟ وأين غابت حرمة المسلم؟ لقد تحوّل العلم في هذا العصر إلى ساحة قتال،
تُستَغل فيها الكلمات والمواقف لأغراض شخصية أو إعلامية، بعيدًا عن الصدق والنية الصافية، أصبح العلم عرضًا مرئيًا، تُحرف فيه الحقائق لأجل أن تكون أكثر جذبًا للأنظار، يُحذف فيه ما يتطلب فهمًا عميقًا، ويُختصر فيه ما ينبغي أن يُشرح.

أين أدب العلم الذي كان في زمان السَّلف، حيث كانوا يتناصحون ويناقشون، ويتقبلون اختلاف الرأي برحابة صدر؟ وأين حرمة المسلم التي تحظر لنا تجريح الأخ في عقيدته أو علمه لمجرد أنه اختلف عنّا؟.

نحن بحاجة إلى العودة إلى جوهر الدعوة،

حيث يُفهم الاختلاف برؤية واسعة، وليس دراما مُقيدة.

فرقٌ شاسع بين بيان الحق... وفضح المخالف:

بيان الحق:

- يكون بحجة، وبهدوء، وبنية الإصلاح،
- يُقدّم ليُضيء العقول، لا ليُشعل الفتن،
- ويُقدّم الحق بلا تعصب أو تطرف.
- هو دعوة للتفهّم، يسعى لتحقيق النفع العام.

أما فضح المخالف:

- فيكون بلغة التشهير، وبأسلوب انتقام، وبهدف كسب الجمهور.
- يتخلى عن النية الطيبة ويبحث عن إثارة الجدل، لا لتحقيق الفائدة، بل لتحقيق الشهرة الشخصية، وفرض الذات على حساب الآخر.

وقديماً قالوا: "من أراد النُصح فليُسرّ، ومن أراد الفضيحة فليُجهر".

النصح يكون في السر، حيث يظل الاحترام قائمًا، والنية خالصة.

أما الفضيحة فهي في العلن، حيث لا تتجاوز حدود التشويه،

وتُفقد المصداقية والمغزى الحقيقي.

الإعلام يضخّم... فاحذر أن تكون أداة!

- خلافٌ صغير يُحوّل إلى "ترند!"
- اختلاف رأي يُصبح "معركة الأمة!"
- تعليق عابر يُعرض كأنه كفر وبدعة!

في هذا الزمن، أصبح الإعلام أداة تضخيم، لا أداة إصلاح.
لا يهم حجم الخلاف أو عمقه، بقدر ما يُهم كمية المشاهدات والتفاعل.
فبدلاً من التركيز على الفائدة والعلوم الشرعية،
صار بعض المتابعين يتغذّون على الخلاف، لا على العلم.
أصبحوا يبحثون عن من يشتّم أكثر، ولا يهمهم من يفقه أكثر.
فالمهم لديهم هو الاستعراض الإعلامي، إثارة الجدل،
لا إثراء الفهم أو نشر الحقائق.
فاحذر أن تكون أداة في يد من يستخدم الخلاف ليُحول الدعوة إلى مجرد عروض ومشاهدات، بدل أن تكون منارة هداية و مورد علم.

لماذا يُحب بعض الناس الخلاف؟

يُحب بعض الناس الخلاف لأنه...

- يُشبع لديهم رغبة الاستعراض أو إثارة الجدل.
- الخلاف يخلق مساحة كبيرة من الاهتمام والتركيز، ويجذب الأنظار بسرعة.
- في عالم مليء بالمعلومات السطحية والتفاعل السريع، أصبح الخلاف أداة لتحقيق الشهرة السريعة، سواء كان في النقاشات العامة أو على منصات التواصل الاجتماعي.
- البعض يجد في الخلاف مُتعة، فهو يشحن مشاعرهم، ويمنحهم فرصة للشعور بالقوة والتفوق على الطرف الآخر.
- الاختلاف أصبح وسيلة للتعبير عن الهوية الشخصية أو الفكرية، حيث يظن

البعض أنه لا يمكن التميز إلَّا من خلال معارضة ما يعتقده الآخرون.

- أيضًا، الخلافات تُسهم في خلق الانقسام، وهو ما يجعل البعض يشعر بالانتماء إلى مجموعة أو رأي معين، مما يعزز الشعور بالاستقرار داخليًا، بالرغم من أنه قد يؤدي إلى تقويض الوحدة أو التفريط في الحقيقة.

لكن في الحقيقة، الحقيقة لا تُصنع بالخلافات، بل بالتفاهم والحوار العميق.

هؤلاء..

١- لم يتربوا على "حرمة الكلمة"..

٢- ولم يذوقوا لذة "السكوت حين يحتدم الجدل"..

٣- ولم يفهموا أنَّ العالِم ...يُبصّر الناس لا يُبكيهم!

الدعاة ليسوا ممثلين على شاشة:

إن أخطأوا فلك أن تُنبّههم، وإن خالفوك فلك أن تردّ...

لكن لا تفرح إن أسقطت أحدهم أمام الناس!

فالمسألة دين ...لا جمهور!

الدعوة ليست ساحة لاستعراض التفوق أو زيادة الأتباع على حساب إظهار أخطاء الآخرين، بل هي مسؤولية عظيمة لرفع الحق والنصح بالرحمة والرفق.

إذا وقع الداعية في خطأ، ننصحه بسرية، وإذا اختلفنا مع اجتهاده، نردّ برفق وبنية الإصلاح، لا للإطاحة أو التشهير به أمام الناس.

فالدعوة لا تهدف إلى تحطيم الشخصيات، بل إلى بناء الأمة.

الجمهور ليس هو الغاية، بل رضا الله وحده هو ما نبحث عنه.

الختام:

الخلاف لا يُخيفنا... ما يُخيفنا هو أن يتحوّل العلم إلى استعراض،
وأن يُضحّي الدعاة بالهيبة من أجل "لقطات تُنتشر"،
وأن يُنزع الحياء من خلافٍ كان ينبغي أن يُحلّ في مجلس مغلق لا في بثٍّ مباشر!
اختلاف العلماء إن خُلِع منه الخشية... صار فوضى باسم الدين!..

الفصل السابع: "إضحك تصير داعية!"... حين صار الدين مادةً ساخرة!

- هل صارت الجنة والنار "نكتة" على الهواء؟
- وهل تُشوّه أعظم رسالة ...فقط لتحصد مشاهدات؟

في زمنٍ تصعد فيه المقاطع السطحية... وتُهمّش فيه الخُطَب الصادقة،
صار البعض يختصر الدين في نكتة، ويظن أن الرسالة تُبلّغ بضحكة...
حتى لو ضاعت هيبة الله تعالى في الطريق!.. استغفر الله..
لقد أصبحنا نرى الدين يُعرض على منصات التواصل وكأنه مادة ترفيهية،
لا رسالة تهذيب وتغيير... صار البعض يظن أن الدعوة لا تحتاج إلى جِدّية أو وقار، بل تحتاج إلى ضحكة تُثير الضجيج وتكسب التفاعل..
لكننا نسينا أن الدين ليس ساحة للضَّحك على حساب الهيبة.
إضحك، ولكن لا تستهين بعظمة الرسالة..
دعونا نُذكّر أنفسنا بأنَّ الدعوة لله لا تُختصر في لحظات سريعة تجذب الأنظار،
بل هي أمانة يجب أن تُحمل بصدق وخشية واحترام لله،
بعيدة عن التقليل من قيمة الجنة والنار أو استخفاف بمقام الإسلام.

من السُّخرية بالتدين... إلى السُّخرية من الدِّين!

يبدأ الأمر بمقاطع "فكاهية" عن المصلين،
ثم تنتقل إلى مشاهد تمثيلية فيها تهريج عن الصلاة أو الدعاء.
ثم نُفاجأ بمن "يمزح "في وصف الجنة...
أو "يضحك "وهو يحكي عن عذاب النار!
كأننا لسنا أمام كلام الله تعالى، بل أمام مشهد تمثيلي من الدرجة الثالثة!
لقد أصبح الدين في بعض الأحيان مادة للضحك والتسلية، وكأنَّ الجنة والنار موضوعات يمكن الحديث عنها كما نتحدث عن أحداث عابرة في حياة الناس، دون أن نُدرك هيبة المكان وعظمة المواقف.
السُّخرية من الدين لا تبدأ بالكلمات فقط،
بل تبدأ بتقليل الاحترام له في القلوب قبل الألسن.
هل ننسى أن الحديث عن الجنة هو وعد من الله للمؤمنين،
والحديث عن النار هو تحذير شديد من الخالق؟ إذا كانت الجنة والنار مواضيع يسخر منها البعض في سبيل جذب الضحكات،
فقد نكون قد وقعنا في أكبر الفتن وأشدها تأثيرًا على عقيدتنا.

الجنة ليست مسرحًا... والنار ليست مسابقة فكاهية!

الجنة التي قال عنها ﷺ:"ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"، والنار التي خاف منها النبي ﷺ حتى شحب وجهه...
صارت على لسان البعض مشهدًا ساخرًا لإضحاك الجمهور!
هل نُضحك الناس لنُنسيهم رهبة الله تعالى؟
أم نخيفهم بالله حتى يرجعوا إليه بالحب والخشية؟
إن الحديث عن الجنة والنار ليس مجرد موضوعات يمكن تحويلها إلى مشاهد

فكاهية أو مادة للضحك... هما حقيقتان أبدعت فيهما الهيبة والتوقير،
ويجب أن يُعالجهما المسلم بأدب وخشية، لا بالإستخفاف أو الإستهزاء.
الجنة وعد الله للمؤمنين، والنار تحذيرٌ لنجاة البشر.
إذا كان الهدف هو إضحاك الناس على حساب هذه المعاني العميقة،
فقد تكون الرسالة قد ضاعت تمامًا.
النبي ﷺ كان يخاف من النار، ويُحذر أصحابه منها،
ونحن اليوم نرى البعض يُحول هذا التحذير إلى مزاح،
كأنها مجرد فكرة عابرة... في النهاية،
الدعوة الحقيقية هي التي تخاطب القلب بالحق والصدق، وتزرع الخوف من الله مع محبته، ليعود الناس إلى الله بقلوب مليئة بالخشية والرجاء، لا بالضَّحك والاستهانة.

الدعوة لا تُختصر في تفاعل!

الدعوة ليست مزحة ...بل هي أمانة الرسل!
ليست مشروع "فولو ولايك"... بل ميثاق مع الله.
ليست "ترند اليوم"... بل نورٌ يُهدى به إلى الجنة أو يُضل به إلى النار!
الدعوة ليست مجرد عرض للظهور، ولا وسيلة لجمع المتابعين، بل هي مسؤولية عميقة ومقدسة.. إنها رسالة حياة يجب أن تُنقل بكل صدق وخشية.
نحن لا نتحدث عن مواضيع عابرة تجذب الاهتمام، بل نتحدث عن الحق الذي قد يغير مصير الإنسان الأبدي.. لا تُختصر الدعوة في لحظات تفاعل مؤقتة، بل هي مسار طويل من العمل الصادق والنية الطيبة، يجب أن يُحتفظ بها من البداية إلى النهاية على الطريق الصحيح.
الدعوة ليست مجرد ترند يعبر، بل نور يُرشد القلوب إلى الله، يُنقّي النفوس

ويهديها نحو ما يرضي الله، أو يُضلها عن الطريق الصحيح إذا كان الهدف منها مجرد التسلية أو الترفيه.

هل الفكاهة ممنوعة؟ لا... ولكن!

الفكاهة بضوابط الشرع... مرحّب بها، بشرط ألَّا تمسّ الثوابت.

لكن السُّخرية من الدين أو رموزه ...إثمٌ عظيم وذنب مهلك.

قال الله تعالى:

"**قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ؟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم** "...التوبة: ٦٥-٦٦...

الفكاهة ليست محظورة في الإسلام، بل هي جزء من الحياة التي يمكن أن تُخفف العبء وتبعث على البهجة، ولكن بشرط أن تكون في إطار الاحترام والصدق، دون المساس بمقام الدين أو تعاليمه.

أما السُّخرية أو التهريج على حساب الرموز الدينية أو الآيات أو الرسول ﷺ، فهو إثمٌ عظيم، وذنبٌ مهلك، قد يؤدي إلى الكفر إذا تُرك دون توبة.

علينا أن نكون حذرين في كلماتنا وأفعالنا، فلا نسمح للتهكم أن يغزو كلماتنا، بل نحافظ على قدسية ما نؤمن به ونعبر عن فكاهتنا بشكل يتناسب مع احترام الدين ومقام الله ورسوله.

تأمل هذا المشهد:

شخص يُمثّل "الشيطان" وهو يغري الناس بالمعاصي... ويُضحك الجمهور!

آخر يُقلّد الأذان... كأنه أصوات حيوانات!

وثالث يتحدث عن الزنا أو العقاب الإلهي... وهو يضحك في حديثه!!

أي دينٍ هذا الذي يُقدَّم بهذه الطريقة؟

هل هذا بلاغٌ عن الله تعالى... أم عبث بأعظم شيء؟

الدين ليس مادة للضحك أو التسلية، بل هو رسالة عظيمة من الله، يجب أن تُنقل بكل وقار واحترام..كيف يتحول الحديث عن الشيطان، الذي هو عدوٌّ لنا، إلى مشهد يُضحك الناس؟ وكيف يمكن لأي إنسان أن يستهين بالأذان، الذي هو نداء الله تعالى، أو بالزنا وعواقبه؟ الحديث عن العقاب الإلهي ليس للسُّخرية، بل هو تحذير من الله للمؤمنين.

إذا كان الضحك قد أصبح وسيلة لنقل هذه المواضيع، فقد ضاع مقام الدين، وتحوّل إلى سخرية بعظمة الله تعالى ورسالاته.

الدين ليس عبثًا بل هو أمانة، يجب أن نتعامل معه بكل خشية وجدّية.

الختام:

"يا من تضحكون في الحديث عن النار... هل فكرتم بمن سيبكي منكم إذا اقتربت؟"

"يا من تمثلون الجنة مشهدًا هزليًا... هل أنتم واثقون أنكم ستدخلونها؟"

الدعوة ليست لهوًا... ولا وسيلة لزرع الابتسامة حين يُفقد الوقار.

بل هي جسر الخشية والمحبة بين الخلق وربهم.

إن لم نبلّغ الدين كما بلّغه رسول الله ﷺ... فلا نُفسده على الأقل!

الفصل الثامن: من الذي أعطاك الحق لتتكلم باسم الله تعالى؟

حين صارت الشاشات منابر... والجهل لباسَ الدعوة!

ما حدود العامة؟ وما الضوابط الشرعية في الكلام عن دين الله؟

قال ابن سيرين: "إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم"!

فكيف إذا صار هذا الدين يُؤخذ من صوت مشهور لا من أهل الذكر؟

في عصر أصبحت فيه الشاشات وسيلة للانتشار السريع، اختلط الحق بالباطل، وأصبح الكلام باسم الله يخرج من أفواه غير مؤهلة، ما لم تكن على دراية دقيقة بكلام الله ورسوله... فإن كان الجهل قد دخل إلى المنابر،
فإن الضوابط الشرعية تضيع في زخم هذه الأصوات التي تُؤثر في الناس،
دون أن تحترم أهل العلم والاختصاص.

من الذي أعطاك الحق لتتكلم باسم الله تعالى؟

هل هو شهرتك؟ أم هو دورك في التأثير؟ إن الدعوة ليست مجرد نقل كلام، بل هي أمانة يجب أن تُحمل بحذر شديد، على يد أهل العلم والاختصاص، الذين ورثوا هذا العلم عن الأنبياء، وليس عن أولئك الذين يقتصرون على تقديم محتوى تسويقي لا يُراعي الدقة في النقل.

ظاهرة: "كل متابع يساوي منبرًا!"

- شابٌ في مقتبل العمر... يقرأ حديثًا في الصباح، ويفتي به في المساء!.
- فتاةٌ تدمع عيناها في فيديو... فتقول:"الله قال كذا"، وهي لم تدرس آية في حياتها!..
- مؤثرٌ يتحدث عن الجنة والنار، وعن الحلال والحرام، دون أي خلفية شرعية... فقط لأنَّ الناس أحبوا صوته أو أسلوبه!..

هل صار الدين عرضةً للشهرة؟!

أين توقير كلام الله؟ وأين هيبة النطق باسم الشرع؟

إن هذه الظاهرة لا تعكس احترام الشريعة ولا أمانة الدعوة.
فالحديث عن الدين ليس مجرد تفاعل أو عرض يتبع رغبات الناس.
بل هو مسؤولية عظيمة... كل كلمة تقال باسم الله يجب أن تُحمل بحذر وبعلم، لا أن تُلقى بلا تدقيق أو معرفة.

من يُفتي أو يتحدث باسم الله تعالى يجب أن يتحلى بالإلمام العلمي، بالخشية وبالتواضع... الدين ليس أداة لجذب الانتباه أو لكسب الشهرة، بل هو رسالة هداية يجب أن تُنقل بصدق واحترام وخشية.

لا أحد يتكلم باسم ملك من الملوك... بلا إذن

فكيف بمن ينطق باسم الله؟ الذي قال:

"**وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**" الأعراف: ٣٣

وقال عن الكذب على لسانه:

" **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا** " الأنعام: ١٤٤

إنه خطأ عظيم أن يتكلم الإنسان بما ليس له علم به، سواء كان ذلك في قضايا الدنيا أو في أمور الدين.. الكلام باسم الله ليس أمرًا يُؤخذ بهوَس أو تساهل، بل هو أمانة عظيمة تقتضي العلم، والتدبر، والصدق.

فالحديث عن الشرع والأحكام الإلهية لا يُمكن أن يكون عرضًا شخصيًا أو رأيًا عابرًا، بل يجب أن يكون قائمًا على الدليل الصحيح و الفهم العميق.

من يتكلم باسم الله بدون علم أو تأكد قد يرتكب إثمًا عظيمًا، ويعرض نفسه للتضليل ولعواقب خطيرة في الدنيا والآخرة.

الضوابط الشرعية للكلام باسم الدين:

١- العلم المحقق: لا يكفي أن تقرأ كتابًا... بل لا بد من فهمٍ راسخٍ، وعلمٍ مستند إلى العلماء...

العلم لا يُكتسب بالقراءة السطحية أو التقليدية، بل يحتاج إلى تعمق وتحقق في معاني النصوص وقواعد الفقه.

يجب على المتحدث باسم الدين أن يكون على علمٍ حقيقي بأصول

الشريعة، مستندًا إلى المصادر المعتبرة، الجهل في الدين ليس مسوغًا للفتوى أو تقديم الآراء دون تدقيق.

٢- التأهل والتزكية: كان السَّلف لا يُفتون حتى يُشهد لهم العلماء، ويُزكّون عقولهم وقلوبهم....

الزكاة في هذا السياق ليست فقط للأشخاص من الناحية الأخلاقية، بل أيضًا في علمهم وقدرتهم على تقديم الفتوى.

كان السَّلف يعتبرون أن الفتوى مسؤولية عظيمة لا تُعطى إلَّا لمن تأهل علميًا وتُزكّي سلوكه من قبل العلماء المعتبرين.

٣- النية والخشية: قال مالك:"ما أجبت في مسألة إلَّا خفت أن أكون ضللتُ الناس".

التحدث باسم الدين ليس أمرًا هينًا، بل هو أمانة ثقيلة. يجب أن تكون النية خالصة لله، وأن يكون المتحدث خائفًا من الله، مشفقًا على الناس من أن يقعوا في الضلال أو الفتنة.

٤- رد العلم إلى أهله: إذا لم تعرف... لا تتكلم.

قال الإمام أحمد:"من قال لا أدري فقد أفتى".

إذا كان المتحدث لا يعرف الإجابة أو لا يمتلك علمًا مؤكدًا، يجب عليه أن يتوقف عن التحدث، ويعترف بجهله بدلاً من أن يُضل الناس .

الاعتراف بالجهل هو أول خطوة نحو العلم، وهو مفتاحٌ للسلامة من الوقوع في الخطأ.

الدين ليس مجالًا للتكهنات أو الآراء الشخصية، بل هو أمانة علمية وشرعية يجب أن تُحمل بحذرٍ واحتساب.

احذر: لا تغرّك العاطفة!

- الدمعة لا تعني الفتوى صحيحة.
- جمال الصوت لا يُحِل ولا يُحرّم.
- النية الطيبة لا تكفي إن أُفسد الدين بسببها.

"كم من مريدٍ للخير... لم يُصبْه!" —كما قال ابن مسعود رضي الله عنه.
لا شك أن العاطفة لها تأثير في النفوس، لكن لا يجب أن تكون العاطفة هي المقياس للحق أو الباطل.
فالدمعة قد تكون صادقة، لكن العاطفة وحدها لا تصنع الحق.
وكذلك جمال الصوت قد يجعل الكلمة تلامس القلوب، لكنه لا يغير حكم الله.
النية الطيبة يجب أن تكون مبنية على علم صحيح، فإن كانت النية الطيبة تُفضي إلى إفساد الدين أو تضليل الناس، فليس لها قيمة في ميزان الحق.
يجب أن يكون العمل متوافقًا مع الشرع، لا مجرد حسن النية.
الحذر من الخطأ في الدعوة أمر مهم؛ فحتى من أراد الخير قد يُخطئ إذا لم يكن علمه صحيحًا و فهمه دقيقًا.

مواقع التواصل... منبر أم منحدر؟

إذا تكلم كل أحد في الدين ...فمن سيبقى يتعلّم قبل أن يُعلّم؟
مواقع التواصل الاجتماعي توفر للجميع منصة للتعبير، ولكن هل يتكلم الجميع بما يعلمون؟
الدعوة ليست مجرد رأي أو موقف شخصي، بل هي علمٌ ومعرفة عميقة تستند إلى الكتاب والسنة... فإذا أصبح كل شخص يظن أنه قادر على تقديم الفتوى أو التفسير دون معرفة كافية، ضاع الاحترام للعلم وهيبة الدين.
إذا أصبح كل مشهور داعية فمن سيبقى يتورّع أن يقول على الله ما لا يعلم؟

الشهرة أصبحت مقياسًا لبعض الناس لتقديم أنفسهم كدعاة، ولكن هل يجب أن يكون الصوت الأعلى هو الأصح؟

العالم يجب أن يكون أهلًا للعلم أولاً، والحذر في قول ما لا نعلم يجب أن يكون من أساسيات العمل الدعوي.

وإذا خاض الناس في الفتوى كما يخوضون في الرياضة والأكل... من سيُبقى للدين هيبته؟.

إذا أصبح الدين مجرد موضوع سهل التداول من الجميع، فسنخسر قدسيته، وهيبته التي يجب أن تظل محفوظة.. الفتوى مسؤولية عظيمة، وليست أمرًا يُستعرض به في أي لحظة أو على أي منصة.

إذا أردنا الحفاظ على الرسالة الصحيحة، يجب أن نترك مجال العلم لأهله، وأن نُحسن استخدام منابرنا بما يليق بعظمة الدين.

الختام:

يا من تكتب "بوستًا" عن حكمٍ شرعي...

يا من تصوّر مقطعًا تتحدث فيه عن الله، وعن الجنة، وعن الحلال والحرام...

اسأل نفسك قبل أن تنشر: هل أنا مأذونٌ من الله تعالى في هذا؟

فليس كل من وعى حديثًا... صار فقيهًا.

وليس كل من حفظ آية... صار مفتيًا.

وليس كل من بكى في مقطع... صار خليفة النبي ﷺ في تبليغ الدين!

إنها أمانة... وليست مادة ترفيه.

ومن تكلم باسم الله بغير علم... فليتأهب ليقف بين يديه!..

الفصل التاسع: فيديوهات المواعظ... بدون التزام عملي!

- **هل صارت الموعظة أداءً صوتيًّا؟**
- **وأين الفرق بين المصلح الحقيقي ... و"مُمثل التدين"؟**

خطاب يهزّ القلوب... لكن صاحبه لا يهتز!

- يتكلم عن الزهد... وهو يلهث خلف الشهرة.
- يبكي وهو يعظ عن التوبة... لكنه لا يترك الذنب.
- يحث الناس على الإخلاص...وهو لا يكتب منشورًا إلا وينتظر الإعجاب.

أين ذهب صدق الكلمة؟ أين الالتزام العملي؟

لقد أصبحت بعض المواعظ اليوم مجرد كلمات تُقال،
وأصبحت المنابر الإلكترونية ساحة عرض للأداء الصوتي والتأثير اللحظي،
بينما العمل الحقيقي لا يُترجم إلى فعل ملموس.
عندما يُلقى خطاب عن الزهد في الدنيا، لكن يُمارس الشخص عكس ذلك،
أو يتحدث عن التوبة وهو مُصرّ على الخطايا، أو يوصي بالإخلاص وفي الوقت نفسه يبحث عن الإعجاب والشهرة، فإننا أمام مَشهدٍ تمثيلي لا أكثر.
الكلمة الصادقة لا تقتصر على التأثير اللحظي،
بل يجب أن تُترجم إلى العمل الصادق.
يجب أن يكون كل داعية أو مصلح قدوة حقيقية لما يقول،
لا أن يتقن التحدث عن الفضائل بينما يتغافل عن التزامها في حياته.
الموعظة الحقيقية هي التي لا تتوقف عند الكلمات، بل تمتد لتصبح أسلوب حياة، يعكس ما في القلب من صدق.

الموعظة ليست "عرضًا مسرحيًّا":

إذا لم تكن الموعظة ثمرة قلبٍ حيّ ...صارت مجرد نغمة جميلة.

إذا لم تُصلِح قائلها قبل سامعها... فهي زينة للمنبر، لا دواءٌ للقلوب.

قال الحسن البصري:

"كانوا إذا عِلموا... عملوا، وإذا عملوا... خشعوا، وإذا خشعوا... بكوا، وإذا بكوا... سكتوا".

الموعظة ليست كلمات تُقال لملء الفضاء أو لجذب الانتباه، بل هي رسالة حياتية تبدأ أولًا من قلب الواعظ، فلا يحق لنا أن ندعو الناس إلى شيء لا نعيش نحن به... العمل أولًا، ثم الخشوع، ثم التأثير... الفوائد الحقيقية من الموعظة لا تأتي من الكلمات الملساء، بل من التغيير الداخلي الذي يمر به قائلها وسامعها معًا.. الموعظة دواءٌ للقلوب عندما تكون مبنية على صدق النية، والعمل الجاد، والابتعاد عن التظاهر والتسويق الإعلامي، بل هي أمانة تُنقل بإخلاص وتُترجم إلى أفعال.

أداء صوتي... أم صدى إيماني؟

الخشوع لا يُصطنع... ولا يُمثّل! البكاء ليس شهادة صدق...

إنما الصدق يُعرَف في المعاملة، والخلق، والثبات عند الفتنة.

فكم من موعظةٍ هزّت الدنيا... وصاحبها لا يخاف الله في سرّه!..

وكم من داعٍ لم تُعرف له شهرة... لكن الناس تابوا من رؤيته!

الخشوع ليس مجرد أداء صوتي، ولا قناع يُلبس لإظهار التأثر،

بل هو صدق القلب في تفاعله مع كلام الله.

البكاء ليس مؤشرًا على التوبة أو الخشية،

إذا لم يكن مترافقًا مع التزام حقيقي بأوامر الله في الخلوات والعلن.
فالصدق لا يُقاس بمقدار المظاهر، بل بمدى ثباتك على الحق عند الاختبار، وعند الفتن، وعند غياب الأعين.
وما أكثر من تتبعه أضواء الشهرة، في حين أنَّ الصدق الحقيقي في الداعية لا يُقاس بكمية المتابعين، بل بتأثيره الواقعي على القلوب،
ورؤيته التي تُضيء طريق التوبة لمن حوله.

الفرق بين "المصلح الحقيقي" و"مُمثل التدين":

الصفة	المصلح الحقيقي	مُمثل التدين
النية	يريد وجه الله فقط	يريد الناس والإعجاب
الخلق	متواضع، يخشى الله	متعجرف أو استعراضي
الخفاء	يعبد الله في السر	لا يعمل إلَّا أمام الكاميرا
الثبات	ثابت في الأزمات	يختفي إذا توقفت الأضواء
المواقف	يصدع بالحق	ينافق التيارات

السؤال الصادم:

كم من فيديو وعظي شاركناه وأعجبنا به... ثم نسينا محتواه في أقل من ساعة؟
وكم من داعية أثر فينا صوته... ولم نجد لفعله أثرًا في واقع الحياة؟
هل نحن نبحث عن الخشوع الحقيقي... أم عن مجرد جرعة عاطفية مؤقتة؟
لقد أصبحنا في زمنٍ يقتصر فيه التأثير على المشاعر العابرة،
ونستمتع باللحظات العاطفية التي تمنحنا راحة نفسية مؤقتة،
دون أن نُترجم هذه المشاعر إلى عمل أو تغيير حقيقي في حياتنا.
هل نبحث عن خشوع يُنير القلوب ويُغيّر المسار،

أم أننا نكتفي بـ نقرات الإعجاب التي تبقي قلوبنا
في حالة من الاسترخاء المؤقت، دون أن تُنتج تغييرًا حقيقيًا؟.

خاتمة وجدانية:

الدعوة إلى الله ليست نغمة... بل نجاة.

ليست عرضًا مؤثرًا... بل موقفًا صادقًا.

فلا تكن من أولئك الذين يصنعون مشهدًا مهيبًا للموعظة...

بينما قلوبهم خاوية من الورع.

ولا تكن من الذين يتابعون الدين صوتًا وصورة...

ولا يعيشونه خلقًا وسلوكًا.

فإنَّ الله تعالى لا ينظر إلى عدد المشاهدات...

" بل ينظر إلى قلب الواعظ، واستقامة السَّامع "

الفصل العاشر: "لايكات" على حساب المواقف الشرعية!

- **حين تُخفَّف أحكام الله... ليُثقل الحساب بالمتابعين.**
- **الدين ليس قابلًا للتفاوض.**

التنازلات الصغيرة... تمهّد للسقوط الكبير:

تبدأ القصة بـ "مرونة "في الطرح... وتنتهي بطمس الحق لئلا يزعل المتابع.

يبدأ الداعية بنية حسنة:"أريد أن أقرّب الناس إلى الدين"، ثم ينتهي بـ:
"أريد أن أُرضي الناس... حتى لو غيّرت من الدين"! قال الله عز وجل:

﴿**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**﴾ القلم: ٩.. أي: يتمنّون أن تُلين في الحق... فيُلينوا هم في الباطل!... إن التنازل عن الحق في سبيل إرضاء الناس يبدأ بخطوات صغيرة قد تبدو بريئة، لكنها تمهد الطريق إلى التغيير الكبير في الدين.
فتبدأ الأمور بالمرونة في الطرح، ثم تتحول تدريجيًا إلى إخفاء الحقائق أو تعديلها لترضية الجمهور.
لكن في النهاية، إرضاء الناس على حساب الحق هو خيانة للرسالة، قد تؤدي إلى تحريف الدين عن مساره... المرونة يجب أن تكون في الأسلوب وليس في المحتوى.

لا تجعل من الدين "سلعةً قابلة للتفاوض"

الدين وحيٌ يُتّبع ...لا منتج يُعدَّل حسب رغبة الجمهور.
الشرع لا يُخفف ليُرضى الناس، ولا يُغيَّر ليواكب المزاج.
قال ﷺ:
"من أرضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس" رواه ابن حبان، وصححه الألباني...
الدين ليس سلعة تُعرض وتُعدل وفقًا للأذواق أو المزاجات.. هو وحيٌ إلهي، لا يمكن تغييره أو التلاعب به لتحقيق رضا الناس...
إذا كانت النية هي إرضاء الناس على حساب إرضاء الله،
فإن النتيجة ستكون سخطًا من الله، وخُسرانًا في الدنيا والآخرة.
الدعوة يجب أن تكون ثابتة على الحق،
حتى وإن كان ذلك يعني رفض الرغبات العاطفية
أو التأثيرات السطحية التي قد تضرّ بالرسالة.

هل أصبحتَ داعيةً... أم "صانع محتوى ديني"؟

في الميزان الحقيقي	الداعية الصادق	صانع الترند
يصدع بالحق	ولو خسر المتابعين	يُساير الجماهير
يُراعي الله تعالى	قبل الجمهور	يُراعي مزاج السوق
يُعلّم الشَّرع	كما هو	كما يُحب الناس أن يسمعوه
يخاف الله تعالى	في الكلمة	يخاف من التراجع في عدد "الإعجابات"

هل من أجل "لايك"... نُخفي ما أنزل الله؟

لم يُنزَّل الدين ليُصبح "محتوى قابلًا للفلترة".

أحكام الله لا يُجري عليها أحد استطلاع رأي!

لا يجوز أن تُخفى آيات الحجاب، أو تُستبدل أحكام الأسرة، أو تُزيَّن المعاصي باسم "التيسير".

الدين ليس منتجًا قابلًا للتعديل أو التغيير لتناسب أذواق الناس أو الترندات.

لا يجوز أن نقوم بإخفاء الحق أو تجميل الباطل لمجرد زيادة التفاعل أو إرضاء الجماهير... أحكام الله واضحة وصريحة، ولا تُخضع للتفاوض أو المرونة حسب رغبات البشر... من يسعى لتغيير أو تخفيف أحكام الدين ليواكب المزاج العام، فهو يخون الأمانة ويعرض نفسه لخطر الوقوع في الخطأ... من واجبنا كدعاة وأتباع لهذا الدين أن نحترم الكلمة، وأن نعرض الحق كما هو، دون تغيير أو تلاعب، مهما كانت الظروف.

لحظة صدق:

- كم من داعية كان يقول الحق في بدايته، ثم بدأ يختار عباراته بعناية: "لا أريد أن أخسر فلانًا أو جهةً أو جمهورًا".
- كم من حسابٍ دعوي كان ينشر الفقه والوعي، ثم صار يقتات على "الترندات الدينية".

أين ذهب "الصدق مع الله"؟

وأين غابت "الخشية من يوم يُعرض فيه الحساب"؟

في بداية الطريق، كان الداعية يقول ما يعتقده حقًا، دون حسابات دنيوية أو مصلحة شخصية... ولكن مع مرور الوقت، بدأ الاختيار المقيّد، حيث أصبح البعض يراقب التحليلات أو التفاعلات أكثر من مراقبته لله.. أصبحنا نرى الحسابات الدعوية التي كان هدفها إحياء الوعي الفقهي تتجه نحو مواكبة الترندات والتفاعل مع الأحداث العابرة، حتى ولو كانت الرسالة قد اختفت في خضم الظهور الزائف.

الصدق مع الله يتطلب منا أن نقول الحق بغض النظر عن من سيخسر أو سيربح، وأن نظل ثابتين على المبادئ، حتى في عالم المؤثرات السطحية.. الخشية من الله تقتضي أن نتذكر دائمًا يوم الحساب الذي سنقف فيه أمامه، ونُحاسب على ما قلناه وفعَلناه.

خاتمة وجدانية:

الدين ليس ورقة ضغط، ولا سلعة تسويقية.

الدين أمانة من الله تعالى... وموقف أمام الله.

إن كنتَ تريد رضا الناس... فادفع ثمنه من حسابك الشخصي،

ولا تدفعه من حساب الشريعة!..

واذكر دائمًا:

إذا خسرت الدنيا لأنك صدعت بالحق... فقد ربحت الآخرة،

أما إذا ربحت الدنيا بسكوتك... فقد بعت دينك بقروش الترند.

الفصل الحادي عشر: دعوة "الصراخ" أم دعوة "الرحمة"؟

- **هل التذكير بالآخرة صار تهديدًا فجًّا؟**
- **وأين اختفى اللين النبوي في خطاب "من يُفترض أنهم ورثة النبي"؟**

الصراخ لا يُنبت الإيمان... بل يُقوِّي الحواجز!

ما الذي جرى للدعوة... حتى صار بعض دعاتها يرفعون الصوت أكثر مما يرفعون القلوب؟..

كيف تحوّل المنبر – الذي كان يُحيي الأرواح – إلى مِذياع يُبثُّ منه الوعيد دون بصيرة، والزجر دون حكمة، والنار دون ماء الرحمة؟.

إن الإيمان لا يُزرَع بالصراخ... ولا تنبت بذوره تحت سوط التهديد...

بل ينمو في بيئة الطمأنينة، ويزهر حين يُروى بماء الرحمة، ويشتدّ عوده إذا نزل عليه رحيق الرجاء.

حين يصرخ الداعية، يعلو صوته... لكن تنخفض القلوب عن الاستقبال.

وحين يكثر الوعيد، ترتعد الأذن... لكن تغلق الروح نوافذها خوفًا، لا حبًا.

والسؤال المُرّ: ما الفرق بين من يُريد الخير للناس... ويُفزعهم منه، وبين من

يُبغضهم في الدين فيُنفّرهم منه؟..

قال الحبيب ﷺ: " بَشِّروا ولا تُنَفِّروا، ويسِّروا ولا تُعَسِّروا "متفق عليه.

فهل بشّرنا كما بشّر؟ وهل رقّت قلوبنا كما رقّ قلبه؟

أم أننا ظننا أن الشدّة هي القوة، والنبرة العالية هي الهيبة، والغلظة في الخطاب هي الغيرة على الدين؟..

لقد كان رسول الله إذا حدّث عن النار، بكى قلبه قبل أن تدمع عينه...

وإذا ذكر الجنة، ابتسم قلبه قبل أن تفتر شفتاه...

فأين نحن من هذا الميزان النبوي، حين صار بعضنا يصوّر الجنة وكأنها حُلم مستحيل، والنار كأنها المصير الحتمي لكل من حوله؟الرحمة ليست ترفًا دعويًّا... بل هي الأصل الذي بُعث به نبيّنا الكريم ﷺ:

" **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** " الأنبياء: ١٠٧...

فإذا غابت الرحمة عن الخطاب، غابت الدعوة عن القلوب... ولو حضر الصراخ.

هل نُريد هداية الناس فعلًا؟

إذًا ... فلنخفض أصواتنا، ونرفع خلقنا.

ولنستبدل "الصوت العالي" بـ"القلب العالي"،

والتهديد بـ"الوعد"، والقسوة بـ"الرحمة التي فتح الله بها القلوب من قبل".

لأنَّ القلب لا يُفتح بالمفاتيح الحديدية...

بل يُفتح بمفاتيح اللطف، وبأيدٍ لا تُلوِّح بالنار، بل تُشير إلى النور.

الدعوة بالرَّحمة... لا بالرُّعب:

لم يُؤمر موسى وهارون أن يصرخا في وجه الطاغية...

بل أُمر كلٌّ منهما أن يحمل الرسالة بيدٍ من رحمة، وصوتٍ فيه لِين، وقلبٍ يرجو

الهداية لا الغلبة: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]..
فمن نحن – ونحن نُخاطب عوامَّ المسلمين، وأصحاب الذنوب، وضعفاء القلوب – حتى نتجاوز هذا الأمر الإلهي، ونُجيز لأنفسنا الصراخ والعنف في الخطاب؟
النبي ﷺ ما كان صخّابًا في الأسواق، ولا فظًّا في المجالس،
بل كان إذا تكلم، لينُ صوته يُداوي القلوب، ونظرةُ عينه تسبق الكلمات رحمةً وحنانًا.
فبأي منطق... وبأي فقه... وبأي غيرة ندّعي أننا على درب النبوة،
ثم نُمارس "الصراخ الدعوي" الذي يُربك الأرواح ويُحطم القلوب المُثقلة أصلًا؟
هل غابت عن الأذهان أنَّ القلب الجريح لا يُداوى بالمطرقة،
وأن النفوس الهاربة لا تُستعاد بالسياط،
وأن القلوب المذنبة لا تعود إلى الله خوفًا...
بل حُبًّا وندمًا وحنينًا؟ إن الدعوة ليست خصومة...
وليست معركة صوتية ينتصر فيها من يعلو صوته أكثر...
بل هي رسالة هادئة، رفيقة، تُمسك بيد الهارب...
لا لتوبّخه، بل لتُعيده إلى رحمة الله...
فإذا كان اللين قد أُمر به مع فرعون...
فكيف قَست ألسنتنا على شبابٍ لم يَدّعوا الألوهية، بل فقط... ضاعت خطواتهم؟ كيف اشتدت نبرتنا على فتاةٍ زلّت،
أو شابٍ أخطأ، أو إنسانٍ يبحث عن نور؟
الصراخ لا يُقيم دينًا...
بل يُسقط آخر الحبال بين الداعية والمدعو.
أما الرَّحمة... فهي لغة الأنبياء التي لا تخطئ قلبًا متعبًا.

بين التذكير... والترويع:

الصفة	تذكير صادق بالآخرة	ترويع فجّ منفّر
الأسلوب	يوقظ القلب بلين	يُرهِق النفس بالعنف
الهدف	الرجوع إلى الله حبًّا وخوفًا	إدخال الرعب بلا بصيرة
الأثر	دمعة من خشية... وعمل صادق	قسوة أو تبلّد أو إنكار
المرجعية	أسلوب الأنبياء	أسلوب الوعاظ الغلاظ

وقفة مع الذَّات... بصوتٍ خافت، وقلبٍ صادق:

هل نصرخ لأننا نغار على الدين؟

أم لأننا نُخفي فقرنا في البيان... تحت قناع الصوت العالي؟

هل نرفع نبرتنا لأننا نحمل نورًا؟

أم لأننا عجزنا عن الوصول إلى القلوب، فحاولنا أن نُرعبها بدل أن نُحببها؟

الصراخ قد يُرعب لحظة... لكنّه لا يبني إيمانًا، ولا يُورث حُبًّا،

ولا يُقيم في القلب محراب عبودية.

القلوب لا تفتحها المفاتيح الحديدية...

بل يطرقها اللين، ويهزّها الصدق، ويُقيمها التواضع.

فمن أراد أن يُبلّغ عن الله... فليتذكّر أنَّ أقوى خطاب...

هو الذي خرج من قلب خاشع، لا من حنجرة غاضبة.

الدعوة ليست "حلبة صوتية":

الدعوة ليست منبرًا يُرعد فيه الداعية ويزبد،
وليست مشهدًا دراميًّا يُبكي الناس لحظة... ثم لا يُحرّك فيهم سلوكًا ولا إيمانًا.
ليست تسجيلًا يُضخَّم فيه الصوت حتى يُخيف،
ولا خطبةً تُلوّح بالنار أكثر مما تَهدي إلى النور.
الدعوة بناء... لا انفعال، هدايةٌ... لا إثارة.
قلبٌ يُحب... لا صوتٌ يعلو.
الداعية ليس ضابطًا في ثكنة يُصدر الأوامر بالصُّراخ،
بل مُعلّمٌ رحيم، يُمسك بيد الجاهل، ويُطبطب على قلب العاصي، ويهمس للبعيد: "ارجع... وعد إلى فالله".
الدعوة الحقّة لا تُقاس بمدى تأثّر الجمهور أثناء الخطاب،
بل بماذا بقي فيهم بعد أن سكت الصوت...
وماذا تغيّر فيهم حين خلت القلوب إلى نفسها.
إننا لا نحتاج دُعاة يُتقنون النبرة العالية،
بل يُتقنون لغة القرب من الله تعالى... حتى يُقرّبوا الناس إليه.

خاتمة وجدانية:

من يريد أن يوقظ قلبًا... لا يضربه بقبضة صوته.
بل يطرق بابه برحمة... ويهمس إليه باسم الله، لا بسياط التخويف.
الداعية الحقيقي... هو الذي إذا تكلم عن النار، بكى من رحمته على الناس، لا انتفخ وهو يتوعّدهم بها.
وهو الذي يرى الناس غافلين... فيرجو لهم الهدى، لا يتشفى بتصويرهم في

النار... فاختر أيّ الدعاة تريد أن تكون...
داعيةً يصرخ على الناس؟ أم رسول رحمةٍ يُحببهم برب الناس؟..

الفصل الثاني عشر: حين نُدين الناس على الشاشة... ونجهلهم في الواقع!

- **هل تحوّلت الدعوة إلى "محكمة افتراضية"؟**
- **وأين ذهب ستر المسلم... ونُبل النصيحة؟**

حين يتحوّل الدين إلى عرضٍ إعلامي... والنصيحة إلى مشهدٍ استعراضي!

في زمن الكاميرا، والمنصات، وثقافة "المشاهدات"، تحوّلت أعراض الناس إلى محتوى يومي... يُستهلك، يُعلّق عليه، يُعاد نشره، ثم يُنسى الضمير.
وبعض من يُسمّون دعاة... لا ينامون حتى يُدينوا فلانًا في بثّ،
أو يُحمّلوا عِلانًا وزر انهيار الأمة... في قصة مصوّرة!
لقد بات بعض الخطاب الديني اليوم أقرب إلى الجدل منه إلى الهداية،
وأقرب إلى التشهير منه إلى النصيحة، وأقرب إلى "ترند" يُلاحق الأخطاء...
لا قلوبًا تحتاج الرفق... ونسينا الحديث الذي لا يُخطئه السامع الصادق:
"من ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة" رواه مسلم..
ونسينا الوصايا الرَّبانية التي لا تُمحى مهما كثُرت المنصات:
" **وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا** " الحجرات: ١٢..
إنَّ من أعظم صور الخذلان... أن نفضح من أخطأ، لا لنُصلحه...
بل لنُشبع شعورًا بالانتصار الكاذب.

وأن نُدين الناس أمام الملايين... بينما لم نحاورهم في السرّ دقيقة واحدة!
الدعوة ليست مقصلة... وليست كاميرا تنتظر الزلّة لتُسجّلها،
بل هي يد حنونة تمتدّ لتنتشل، لا لتُشهّر.
فمن يُحبُّ للناس الهداية... لا يُحبّ أن تُذاع عثراتهم.
ومن يعرف الله حقًّا... يخاف من التشهير أكثر مما يخاف من التقصير.

فرقٌ شاسع: بين النُصح... والفضح:

الصفة	النصيحة الشرعية	الفضيحة العلنية
النية	إصلاح القلب والستر	التشهير وطلب الظهور
الوسيلة	خلوة... ورفق... وهمس	بث مباشر... وصوت مرتفع
الأثر	يهدي قلبًا... ويوقظ روحًا	يجرح نفسًا... ويفسد النية
الموقع	في الحياة الواقعية	على شاشة وهمية

قال الشافعي رحمه الله:

"**مَن وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علنًا فقد فضحه وهانه**".

حين يُصدر الناس الأحكام... وهم لا يعرفون القصة!

كم من شخصٍ جُرّ إلى ساحة الإدانة...
لا لأنَّ الناس عرفوا الحقيقة، بل لأنهم رأوا مقطعًا مقتطعًا، أو اقتبسوا جملةً منسوبة، أو صدّقوا إشاعةً راجت في وقت الغضب!..

فاسأل نفسك قبل أن تكتب تعليقًا، أو تُشارك منشورًا، أو تُطلق حكمًا قاسيًا:

- ماذا تعرف حقًّا عن ظروف من تنتقده؟
- هل جلست معه؟
- هل سألته؟
- هل استمعت إلى وجعه... لا إلى خطيئته؟
- هل رأيت الدموع خلف المظهر؟ أو الجهاد خلف الزَّلّة؟
- هل بكيت معه... قبل أن تكتب عنه؟

أم أنك صنعت من زلّته "محتوى جذابًا"، تُثير به المتابعين،

وتستدرّ به اللايكات، وتُعلّق عليه بعبارات "نارية" باسم "الغيرة على الدين"؟

يا صاحبي... الغيور على الدين يُطفئ النار، لا يُشعلها.

يُداوي، لا يُشهّر، ينصح، لا يفضح.

ويُبكيه الذنب... لا يُسعده انتشاره.

فإذا نسيت كل شيء... فلا تنسَ هذا الميزان الربّاني:

"ولا تَزِرُ وازرةٌ وِزرَ أُخرى".

ولا تنسَ أنَّ الله لا يُحبّ الشمَّاتين... حتى لو أصابوا في كلامهم.

سؤال ضمير... لا يراه أحد سواك:

حين تنشر المقطع... هل تنشره إصلاحًا؟

أم لأنك تُدرك في داخلك أنه "سيرتفع في المشاهدات"،

وسينجح في إشعال الجدل؟

حين تُعلّق على خطأ أحدهم... هل تُشفق عليه بصدق؟

هل تُحسّ بحُرقة قلبه؟... هل تتمنّى أن يعود؟

أم أنك فقط وجدت فرصة لركوب الموجة...

فجعلته مادةً تُعلّق بها على أخطاء الآخرين... وأنت غارق في أخطائك؟

هل قلت في قلبك:

"اللهم لا تفضحني كما فُضح، ولا تبتليني بما ابتُلي به"؟

أم أنك نظرت إليه من علوّ، ونسيت أن من مدّ بصره إلى زلّة غيره...

قد يسقط قريبًا دون أن يشعر؟

راجع نيتك... قبل أن تراجع منشورك.

راجع قلبك... قبل أن تراجع تعليقك.

فالله لا يُخادَع ...والنيات التي تُخفيها خلف الكلمات، يراها ربّ الكلمات.

الدين لا يَبني نفسه على أنقاض الناس!

لم يُبعث هذا الدين ليُشيَّد على أنقاض المذنبين،

ولا ليقف على أطلال الزَّلّات كي يُثبت قوته،

ولا ليرتفع صوت الداعية...كلما سقط أحدهم.

الدين لا يحتاج إلى التشهير ليُثبت صدقه،

ولا يحتاج إلى إسقاط الآخرين ليُظهِر تقوى دعاته،

ولا يُربّي الناس على الخوف من الفضيحة... بل على الحياء من الله.

الدين الحق... هو أن ترى عاصيًا بعين الرحمة، لا بعين التشفّي،

أن تمرّ على خطيئة غيرك، فتقول بقلبٍ خاشع:

"اللهم استرني كما سترت هذا العبد، واهدني كما تهدي من يشاء من عبادك،

وأصلحني قبل أن أُشغَل بتقويم غيري".

هذا هو الميزان النبوي الذي لا يُخطئ....

من رأى الزَّلل فبكى... لا من فضح فانتشى.

ومن خاف على نفسه أكثر مما غضب على غيره...

فهو من ورثة النور، لا من صُنّاع الضوضاء.

خاتمة وجدانية:

يا من تتكلم باسم الدين...

احذر أن تكون بوابتك إلى الدعوة هي "أعراض المسلمين..."

إن أردت أن تنصر الله، فانصره بإحياء القلوب... لا بفضح الجراح.

وإن أردت الإصلاح، فابدأ بنفسك، ثم اقترب من الناس بلطف...

فإن القلوب لا تُفتح بالادّعاء، بل بالتواضع والحب والرحمة.

الفصل الثالث عشر: حين يكون الدين تجارة إعلامية!

- **هل أصبح خطاب الله... "محتوى مموّلًا"؟**
- **ومتى يُصبح "الداعية" تاجرًا لا رسولًا؟**

بين الرسالة والربح... أين نقف؟

في زمن الإعلانات، والرعايات، و"الممول"،

في زمن الأرقام التي تُحدّد قيمة الإنسان بمقدار متابعيه،

صار السؤال الأخطر في عالم الدعوة:

"هل هذا المحتوى يُقرّبنا من الله... أم من أرباح السوق؟"

هل هذا الخطاب يُنتج بنور القرآن؟

أم يُعدّل ويُصاغ وفقًا لخوارزميات "ما يطلبه الجمهور"؟

لقد تغيّر وجه بعض الدعوة حتى كادت تفقد روحها... وهي تبتسم للكاميرا،

وتراقب التفاعل، أكثر مما تراقب الأثر في القلوب.
صار بعض الدُّعاة يُخطّط لموعد النشر، ونوع الإضاءة، وكلمات العنوان...
لا لنُصرة الدين، بل ليحجز لنفسه مكانًا في بورصة الظهور.
فأصبحت دعوته مُمَولة، ومحتواه موجه،
وصوته مأجورًا ...لا لله، بل لممول، أو جهة، أو رغبة في التوسع.
هذا ليس تبليغًا عن الله... بل تسويق تحت راية الدين.
هذا ليس منبر هداية... بل منصة ترويج.
لقد خُلط بين الهداية والمحتوى، وبين الرسالة والحساب البنكي،
وبين الآخرة و"مشاهدة الإعلان بعد خمس ثوانٍ".
إن النبي ﷺ لم يكن يملك كاميرا، لكنّه امتلك قلبًا إذا تكلم...
سمعت فيه الأرض والسَّماء صدق الرسالة.
فهل نحن على خُطاه؟ أم أننا فقط ...نُحسن المونتاج؟.

المحتوى الديني... ليس منتجًا!

الدين ليس سلعة تُسعَّر، ولا رسالة تُروَّج كأنها عرض تسويقي،
ولا مادة ترفيهية نُعدّلها حسب "أذواق المتابعين!"
حين يَدخل المال إلى ساحة الدعوة دون ضوابط شرعية صارمة، ورقابة نفسية يقِظة، وخوفٍ من الله لا ينطفئ...
تبدأ الانزلاقات بصمت، لكنها تقود إلى هاويةٍ عميقة.
فتُغلف الدعوة بإعلانات... قد يكون مضمونها مناقضًا لروح الرسالة،
مستفزًّا لسكينة المتلقي، أو حتى مُبتذلًا لا يليق بمقام القرآن.
ثم تأتي "شروط الرُّعاة..." فلا يُذكر ما يُغضبهم، ولا يُنشر ما يُزعجهم،
وتُخنق بعض الحقائق... باسم "المحافظة على التعاون".

فمن يحكم المضمون؟ الدين؟ أم الداعم؟
ثم يقع الانزلاق الأخطر: لا يُختار الموضوع لأنه الأهم، أو لأنه واجب الساعة، بل لأنه "سيجلب المشاهدات"، وسيُرفع في خوارزميات المنصة!
وهكذا... تصبح الدعوة خاضعة لمنطق السوق، والدين خادمًا لأهواء الجمهور، والداعية صانع محتوى... لا صانع قلوب.
هل هذه دعوة؟ أم مجرد أداء وظيفي تحت راية الدين؟
هل نُبلّغ عن الله... أم نُراعي حسابات الانتشار؟
الدعوة التي لا تنطلق من الخشية... ستنتهي بالخسارة، مهما زاد عدد المتابعين.

أسئلة محورية...

هل يجوز التربّح من نشر الخير؟
نعم... إذا بقي الخير هو الغاية، والربح عرضًا لا مقصدًا.
نعم... إذا بقيت النية مخلصة، والكلمة صادقة، والرسالة خالصة لله.
هل الدعوة تتعارض مع التمويل؟ لا... لكن بشرط:

١. أن لا يُشترى بها صوت الداعية،
٢. أن لا تُقايض الرسالة بآراء المموّلين،
٣. أن لا يتحول التوجيه الرَّباني... إلى بيان صحفي مدفوع.

وما الحد الفاصل بين التزكية والابتذال؟ هو اللحظة التي تُبدَّل فيها كلمة...
أو تُؤجَّل فيها قضية... أو تُنحَّى فيها آية...
لأجل "عقدٍ إعلاني" أو "تعاون استراتيجي!"
هناك... تمامًا هناك، تفقد الدعوة قدسيتها، ويخفت فيها صوت الحق، ويعلو فيها صوت السوق.

خطر "تسليع" الدين: من رسالة إلى سلعة... ومن صدق إلى تسويق:

المجال	حين تكون الدعوة صادقة	حين تصبح مشروعًا تجاريًا
النية	نصرة الدين، وهداية الناس	شهرة، مال، نفوذ
المحتوى	نقيّ، مستقيم، صريح، لا يُجامل أحدًا	منقّى، ملطّف، مسوَّق... يُرضي الجميع
الجمهور	حتى لو قلّ... يكفي أن يُرضي الله	المهم أن يزداد العدد... ويتفاعل "الجمهور"
الميزان	يُقاس بالحق، لا بالانتشار	يُقاس بالمشاهدات، لا بالمضمون
الخطورة	على النفس إن خلصت... فتتزكّى	على الدين إن تلوّن... فيُمسخ تدريجيًا

حين يُباع الخطاب الديني في أسواق الإعلام،
قد يبقى الصوت... لكن يضيع الصدق.
قد تبقى الكلمات... لكن تذبل الهداية.
وقد يبقى الداعية ظاهرًا... لكنه يفقد "شرف النيابة عن النبوة".

الرسالة... لا تحتمل التنازلات!

الدعوة ليست وظيفة تُنجزها، ولا صفقة تُفاوض عليها،
ولا "مشروع محتوى" تُجري عليه تعديلات حسب السوق والموسم...
بل هي أمانة الأنبياء، وميثاق الله تعالى، وصوت الحق حين تصمت الدنيا.
الدعوة الحقة لا تقبل التزييف...
ولا ترضى أن تُقصقص أجنحتها لتناسب "أجندة الراعي"،
ولا تُنحّي آية، ولا تُلطّف حكمًا، ولا تُؤجّل حقًا... لأجل إعلان أو تعاون.

الرسالة... إما أن تُحمَل كاملة، أو تُسقِط صاحبها ولو ارتدى ألف لقب.
إما أن تُبلّغ كما أُنزلت، أو تضيع بين فواصل المونتاج... وطلبات الداعمين.
الداعية الرباني لا يخشى قلة الدعم،
بل يخشى أن ينطفئ نور قلبه وهو يتكلم عن الله.
ولا يخاف خسارة الجمهور، بل يرتجف من لحظة يقف فيها بين يدي الله...
وقد باع شيئًا من الحق ليكسب شيئًا من الأرض.
فيا من تحمل هذه الرسالة:
قف عند كل كلمة... واسأل نفسك:
هل أقولها لله؟ أم لأجل "منصة"... أو "خطة محتوى"...
أو "توصيات المتابعين"؟ فإن كانت لله... فامضِ،
وإن كانت لغيره... فالصمتُ حينها عبادة.

وقفة خاشعة... بين يدي الله، لا بين عدسات الجمهور:

الدين... ليس شركة تسويق.
ولا مشروع نموّ رقمي... ولا طريقًا مختصرًا إلى الشهرة.
والله... لا يُعبد على منصة مدفوعة الأجر! ولا يُتقرب إليه بخطة محتوى موسمية،
ولا يُطلب رضاه بتعديلات تجميلية ترضي "الخوارزميات".
القرآن لم يُنزَل ليكون خلفية مؤثرة في مقطع،
بل نزل ليُكسر به جدار الغفلة في القلب... نزل ليُبكي العيون في السَّحر،
ويُقيم الحق في السلوك، لا ليُعلّق على لسان يُحسن الإلقاء ويفتقر إلى الخشية.
إن الدعوة ليست ترندًا عابرًا... بل ميراث نبوّة... من حمله بصدق... رُفع،
ومن تكسَّب به... سُحب من بين اسمه وسمعته البركة، ولو صفّق له الجميع.
فاخفض صوتك... واسمع نداء الله سبحانه وتعالى:

" **فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ** " فأنت لا تملك قلوب الناس،
لكنك مسؤول أمام الله تعالى ...كيف قدّمت له دينه.

خاتمة وجدانية:

حين ترى "المحتوى الديني" يبدأ بـ"إعلان تجاري"، وينتهي بـ"تذكير بالله..."
تسأل نفسك:
هل ما سمعته هو "رسالة من الله"؟ أم "رسالة تسويقية... مموّلة من الأرض"؟
ويا أيها الداعية... إن بعتَ دعوتك للمال، فلن تشتري بها إلَّا سخط الله.
وإن صدقت... جاءك المال راغمًا، ولكنك لا تنحني له.

الفصل الرابع عشر: الفتاوى السَّريعة... فخّ الإعلام الديني!

- **هل يجوز أن نُفتي في كل شيء خلال دقيقة؟**
- **وأين ذهبت حرمة العلم... ومسؤولية الكلمة؟**

حين يختصرون "الشرع" في ٦٠ ثانية!

في زمن "المحتوى السريع"، باتت المنصات تفتح الكاميرا،
ويُسأل أحدهم عن أعقد مسائل الشريعة:

- حُكم الطلاق؟
- حدود الحجاب؟
- شروط الكفر؟
- موقف الإسلام من غير المسلمين؟

فتأتي الإجابة في كلمتين مُنمّقتين، مصوّرتين، محاطتين بإضاءةٍ جميلة... ثم يُغلق

المقطع... وينتشر كالنار... ويُبنى عليه فهم الناس، وتُصاغ مواقفهم، وتُحدد علاقتهم بالقرآن... وربما بعقيدتهم نفسها! لكن قف قليلًا واسأل نفسك: أهذه فتوى؟ أم مجرد "رأي دعوي... بصيغة تلفزيونية"؟

هل هذه الإجابة نزلت من ميزان العلماء؟

أم خرجت من "استوديو" يستعجل النشر؟

هل هذا بيان للناس... أم تسلية دينية بصيغة مُبسطة؟

وأين ذهب قول الله: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾؟

وأين ذهب خشوع الإمام مالك حين سُئل، فكان يقول: "لا أدري" في أربعين مسألة؟... إنَّ الدين لا يُقطّع كالمَشاهد...

ولا تُجزّأ الفتوى بحسب سعة الشاشة، ولا يُبنى الفهم على "اقتباس في الريلز".

ف الشرع أمانة، لا لقطة... والبيان مسؤولية، لا استعراض.

والفتوى توقيع عن رب العالمين... لا عن صاحب القناة.

الفتوى: مسؤولية شرعية... لا محتوى للتفاعل!

ليست الفتوى رأيًا يُقال للكاميرا،

ولا خاطرة تُسجَّل بصوتٍ دافئ لتنال الإعجاب،

ولا منشورًا سريعًا يُنتج تحت ضغط الجدول الأسبوعي.

الفتوى... "توقيع عن الله سبحانه وتعالى!"

كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله، فمن أفتى كأنه يقول:

"هذا ما أراده الله... وهذا حكمه فيما سُئلت عنه".

فأيُّ مقامٍ هذا؟! وأيُّ جرأة على الله إن لم يكن في القلب وقارٌ وخشية؟

فليُراجع كل من أفتى أمام عدسة، هل كانت الكلمة لله؟

أم للجمهور؟... هل كانت للهداية؟ أم للتفاعل؟

إن المفتي ليس مؤثّرًا، وليس صانع محتوى،
بل عبدٌ مُوقّع... عن الملك الحقّ جلّ جلاله.

مخاطر الفتوى الإعلامية المبتورة... حين يُجزّأ الحق، ويُقال بلا وعي!

١- **الاجتزاء من النصوص:** تُعرض الآية أو الحديث خارج سياقه الزماني والشرعي واللغوي، فيُفهم بعكس ما أراده الشرع، فينتشر المعنى المغلوط... ويُبنى عليه حكم باطل، بينما قال الله: ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ** ﴾
لا ليُنتزع منه ما يُناسبنا... بل ليُفهم بكليّته.

٢- **تغييب الضوابط والموانع:** الفتوى ليست "رأيًا معلّقًا في الهواء"، بل لا تصحّ إلا بعد معرفة:

- من السائل؟
- ما حاله؟
- ما ظروفه الشخصية؟
- ما البيئة التي يعيش فيها؟ فالفتوى تتغير بتغيّر الحال،

والعالم لا يُفتي قبل أن يُشخّص كما يُشخّص الطبيب المريض.

٣- **التسرّع في إطلاق الأحكام العامة:** مسألة فقهية دقيقة، نُزعت من موضعها، فصارت قاعدة تُعمَّم على الناس كلهم،
ويُحاسب من خالفها وكأنه خالف أصل الدين،
وهذا من أعظم ما يزرع الفوضى في فهم الشريعة.

٤- **استغلال الفتوى في الدفاع عن موقف سياسي أو اجتماعي:** فلا تُطلب الفتوى طلبًا للحق، بل بحثًا عن "غطاء شرعي" لموقفٍ مسبق،
فينقلب العالم إلى "أداة تبرير"، ويصبح الدين مطيةً للهوى، لا مرجعًا

للفصل، وقد قال الإمام سفيان الثوري:

" إذا كان العالِم يُفتِي للسلطان، فهو بوّاب على النار "

سؤال شرعي وجيه: هل تُستفتى الكاميرا؟

الفتوى ليست خطابًا عامًا، ولا رسالةً تُوجَّه للغائبين،

ولا إجابةً تُسجَّل ثم تُبث في الآفاق بلا حارس ولا ضوابط!

لا تُفتِ إلا لمن سألك بصدق، وسعَك فهمُه، وعرَفت حاله،

وعلمت سؤاله وظرفه وبيئته... أما أن تُفتي لمن لا تراه...

وتترك فتواك مشرّعةً أمام كل فهم، وكل تأويل، وكل نية...

فقد دخلت مضمارًا طالما حذّر منه العلماء على مرّ العصور.

قال الإمام مالك رحمه الله:

"من أجاب في مسألة فيها خلاف،

وقال للناس: هذا حلال، وهذا حرام،

فقد تجرّأ على الله"!

أيُّ مقام هذا؟ أيُّ قلبٍ يحتمل أن يتكلم باسم الله... ثم لا يرجف؟

إنك حين تفتي عبر الكاميرا، قد تصيب واحدًا... وتُضل ألفًا،

قد تُرضي جمهورًا... وتغضب الحقّ،

وقد تبني كلمة... ثم تُسأل عنها يومًا وأنت بين يدي مَن لا يغفل ولا ينسى.

وقفة تدبّر:

هل تعلم أن الإمام أحمد بن حنبل – إمام أهل السُّنة –

كان يُسأل عن أربعين مسألة... فلا يُفتي إلا في واحدة منها؟

ليس لأنه يجهل، بل لأنه يعلم مقام الفتوى،

ويعلم أن "الكلمة" قد تفتح لك بابًا في الجنة... أو بابًا في النار.
لم يكن يراها فرصة للظهور، ولا لحظة لتثبيت الهيبة،
بل أمانة يرتجف القلب أمامها قبل أن ينطق بها اللسان.
فهل من يخشى الله... يُفتي بـ"ريلز" مدته ٣٠ ثانية؟
وهل من يعرف وزن الكلمة...
يُلقيها بلا تروٍّ أمام ملايين لا يعرف حالهم ولا نواياهم؟
إنها ليست فتوى فقط... إنها شهادة بين يدي الله تعالى.

خاتمة وجدانية:

أيها الداعية... إذا سألك الناس عن حكم، فلا تقل:
"دعني أجيب بسرعة لأحافظ على التفاعل"!
بل قف، وتذكّر أنك تُجيب باسم الشريعة...
ويا أيها المتلقي... لا تبنِ دينك على فتوى في دقيقة...
فإن الآخرة أطول من دقيقة واحدة،
وإنَّ الله تعالى يسأل عن الكلمة، كما يسأل عن العمل.

الفصل الخامس عشر: منصات الدعوة بين الغيرة على الدين... ومجاراة خوارزميات الشهرة

- **هل نرضي "الخوارزمية"... أم نُرضي الله؟**
- **ومن الذي يُوجّه خطابنا: وحي السماء؟ أم تحليلات المنصة؟**

حين يصبح "المحتوى الإسلامي" تابعًا للخوارزمية!

في الماضي... كان العالم لا يتكلم حتى يُسأل،
وكان السَّلف يُحجمون عن الفتوى حتى يوقنوا أن الكلام في ميزان الله، لا في مزاج الناس.
أما اليوم... فصار بعض "المؤثرين الدينيين" لا يتكلمون إلا بعد أن يرصدوا ما يتحرك في الترند، وما الذي سيمنحهم دفعة في عدد المشاهدات،
وما يُرضي خوارزمية المنصة... لا ربّ المنصّة!
لقد صارت بعض الدعوات تُخطّط كأنها حملات تسويقية،
مبنية على:

- أكثر الكلمات بحثًا..
- أكثر المواضيع إثارة..
- ما يُغضب أكثر... لا ما يُبصّر..
- ما يُشارك بكثافة... لا ما يُزكّي القلب..
- ما يُشوّق النفوس... لا ما يُصلحها..

فهل هذه دعوة؟ أم إدارة حساب اجتماعي... بغلاف شرعي؟
هل هذا تبليغ عن الله... أم تنقّل بين التريندات باسم الغيرة على الدين؟
هل هذا اجتهاد في الهداية... أم اجتهاد في "تحسين التفاعل"؟
الخطر كل الخطر... أن يتحوّل القرآن إلى خلفية مرئية،
والسُّنة إلى اقتباس على الشاشة،
والدين إلى "محتوى سريع" يُؤكل بملعقة مشاهدات.

مغالطات العصر الرقمي في العمل الدعوي:

حين تتسلّل أخطاء العصر الحديث إلى ثوب الدعوة،

ويُعاد تشكيل الخطاب الديني بناءً على "معايير المنصة" لا "معايير الوحي"، تبدأ سلسلة من المغالطات التي تُفسد أثر الكلمة ولو كانت بليغة:

١- **الخلط بين "الوصول" و"القبول"**: كثرة المشاهدات ليست علامة رضا الله، فالشهرة لا تعني الهداية، والتفاعل لا يعني التوفيق.
قد تصل كلمتك إلى مليون مشاهد...
لكنها لا تطرق باب السَّماء لأن نيتك لم تكن معه.

٢- **تكييف الخطاب ليرضي الجمهور، لا ليُرضي الحق**: فيُكثر البعض الحديث عن الجنة والرحمة واليسر، ويُهملون ذكر النار، والوعيد، والجِدّ، لأن الجمهور "لا يحب النفور"، فينشأ جيلٌ يتمنى الجنة...
لكنه لا يخشى الحساب!...

٣- إهمال العمق العلمي والتربوي: فالمحتوى الطويل لا يُعجب المتلقي، والتفصيل الفقهي يُتجاوز، والتربية الإيمانية تُؤجَّل... ومحاضرات التزكية لا داعي لها.. فيُختصر الدين إلى ومضات عاطفية، واقتباسات محفّزة، لكن دون بناء راسخ في الفهم ولا في النفس.

٤- السقوط في فخ الإعجاب الذاتي: فيُصبح الداعية يهمّه كم شاهده الناس... أكثر من كم غيّره الله!
يبحث عن مدى انتشار صوته، ولا يراجع مدى خضوع قلبه.
فإذا لم يراجع نفسه، تحوّل من داعية إلى مُؤثّر،
ومن مبلّغ عن الله... إلى باحث عن التصفيق.

سؤال عميق... لا يجيب عليه إلَّا الصادق مع الله:

هل نكتب ما يطلبه الجمهور؟ أم ما يحتاجه قلبه...
وإن لم يُعجبه في البداية، وإن قاومه، وإن أغلق المقطع أو ترك الصفحة؟

الداعية الحقّ لا يُساير الناس... بل يُربّيهم.
لا يُطوّعِ الوحي ليُناسب الذوق العام، ولا يُخفف الحقّ حتى يُعجب "الشاشة!"
إنه لا يُخاطب الأذواق، بل يخاطب القلوب.
ولا يبحث عن ردود الفعل، بل عن أثرٍ يبقى في الروح بعد أن يُغلق كل شيء.
من كتب ليرضي الجمهور... باع صوته ولو لم يشعر.
ومن كتب ليرضي الله... بارك الله في حرفه، وإن لم يُصفّق له أحد.

جدول توضيحي: الفرق بين الداعية الصادق و"المؤثر الديني":

السلوك	الداعية الصادق	المؤثر الديني
النية	رضا الله	تفاعل الجمهور
المعيار	الدليل الشرعي	عدد المشاركات
المحتوى	يُعده بصدق ومسؤولية	يُختار ليرتفع في الخوارزميات
الخطاب	يُربّي، يُعلّم، يُنذر	يُحفّز، يُثير، يُؤنس
الخوف	من الله تعالى	من فقدان المتابعين

وقفة خاشعة... تُهمس في قلب كل من بلّغ عن الله:

تذكّر... لن يسألك الله يوم القيامة: كم كان عدد متابعيك؟ كم وصل محتواك؟

- كم مرة تصدّرت الترند؟... بل سيسألك:
- كم مرة أخلصتَ له؟
- كم مرة قلتَ الحقّ حين سكت الجميع؟
- كم مرة خفْتَه حين كان التصفيق يغريك؟
- وكم مرة غيّرتَ من القلوب... لا بالكلمات البراقة، بل بصدقك... وخشيتك... وخضوعك لربك؟..

فإن أجبت على هذه الأسئلة في الخفاء، أكرمك الله في العلَن،
ولو لم يعرفك أحد على الأرض.

خاتمة وجدانية:

أيها الداعية... لا تزن كلامك بعدد الإعجابات، بل بميزان القرآن.

ولا تُعدّل منهجك لترضي الخوارزمية... بل لتُرضي رب البرية.

فإن أعرض الناس... فاثبت... وإن هجروك...

فاذكر أنَّ الأنبياء لم يكن لهم جمهور، بل كانت لهم "أمانة".

الفصل السادس عشر: دعوة تُرَبِّي... لا دعوة تُثير!

- **هل غابت "الرحلة الإيمانية الطويلة" من المشهد؟.**
- **وهل اكتفينا بلحظة الحماسة... ونسينا مشروع التزكية؟.**

مشهدٌ يتكرر كثيرًا... دون أن نتعلّم منه:

رجل تأثر بمقطع... فبكى،

امرأة سمعت موعظة... فارتجف قلبها،

شاب اهتزّ وجدانه بلحظة صدقٍ عابرة...

ثم... بعد يومين فقط، انطفأ كل شيء! كأن شيئًا لم يكن.

ما السبب؟

لأننا أثرنا على المشاعر... لكن لم نبنِ النفوس.

زرعنا "اللحظة" ولم نروِ "المسار".

بكينا... لكن لم نتغيّر... تحمّسنا... لكن لم نتربَّ.

الدعوة التي تكتفي بإشعال القلب ولا ترسم له طريق السير،
هي دعوة تُثير... لا تُغيّر.
والموعظة التي تُلهب الوجدان دون أن تقود إلى تزكية،
هي لحظة عاطفية... لا تُخرّج عبدًا لله.

الدعوة النبوية: مدرسة لا لحظة

النبي ﷺ لم يكن خطيبًا عابرًا، ولا صانعَ لحظاتٍ مؤثرة تُبكي ثم تمضي،
بل كان مربّي أرواح، وباني رجال، وصانع أمة.
ربّى أصحابه بالقرآن... بالصحبة الصادقة، بالقدوة التي تُرى لا تُقال،
بالتدرّج الحكيم، وبالزمن الطويل الذي لا يستعجل الثمرة قبل نُضجها.
لم يكتفِ بخطبة تهزّ القلوب، بل بقي ثلاثة عشر عامًا في مكة...
يزرع التوحيد في القلوب حجراً حجراً،
ويُزيل أصنام الجاهلية من العقول قبل أن يُسقطها من الكعبة.
لم يكن همّه "التأثير اللحظي"، بل "التحوّل القلبي والسلوكي الدائم".
لم يكن يطلب دمعة في لحظة... بل خضوعًا صادقًا يستمرّ في الغيب قبل العلن، وفي المحراب قبل المنصة.
فاسأل نفسك أيها الداعية:
هل تُحاكي نهج النّبي ﷺ... أم تُحاكي المؤثّرين؟
هل تزرع في الناس حبّ الله... أم تنتظر أن يحبّوك؟
هل تبني عبدًا يسير إلى الله... أم متابعًا ينتظر المقطع القادم؟
إنَّ الدعوة التي لا تتربى على هدي النبوة...
ستظلّ تصنع التأثر العابر، لا التغيير العميق.

مظاهر "الدعوة المثيرة"... بلا تربية:

١- الموعظة الصوتية بلا تزكية داخلية: نُتقن فنّ التأثير، نُحسن اختيار النبرة، نهزّ الأسماع... لكن لا نُغيّر القلوب... كلامٌ يُبكي السامع لحظة... لكنه لا يُغيّره ساعة... تتفاعل النفس، ثم تعود كما كانت... لأنها لم تُربّ، بل فقط "تأثّرت".

٢- التركيز على القضايا العاطفية فقط: نُحدّثهم عن الحجاب بـ"القصص المؤثرة"، لا بالتوحيد الذي يربطهم بالله، نُلهب المشاعر بالدعاء، لكن لا نُعلّم معنى "الخضوع" في السجود، نطلب البكاء... ولا نُعلِّم كيف يُولد الخشوع!..

٣- الدعوة إلى مظاهر الدين... دون بناء اليقين: نُعلّمهم كيف يُظهرون التدين، كيف يبدون "ملتزمين"، لكننا لا نبني فيهم يقينًا يُثبتهم في الغياب، فإذا غاب الجمهور... غاب الدين من السلوك.
دينٌ بلا عمق... لا يصمد، وإن بدا جميلاً في الظاهر.

التربية: مشروع إيماني طويل النفس:

التربية ليست لحظة انفعال... ولا مشهدًا مؤثرًا أمام الكاميرا، ولا دمعةً على عتبة مقطع صوتي جميل.
التربية مشروع... لا ومضة، طريق... لا ترند، رحلة... لا لحظة.
أن تُربّي يعني: أن تصبر على السامع، لا أن تنبهر باستجاباته العاطفية.
أن ترى ما بعد البكاء... هل تغيّر السلوك؟ هل ثبُت اليقين؟
هل بدأ القلب يُحب الله حقًا... لا فقط يخافه؟
أن تُربّي يعني: أن تبني في قلبه الإيمان حجراً حجراً، وأن تُقيم فيه بيت التوحيد، حتى لو احتجت شهورًا وسنين.

أن تُربّي يعني: أن ترافقه إذا سقط، وتحمله حين يضعف، وتظل ترشده حتى لو لم يُعجبك ردّ فعله، لأنك ترى فيه "عبدًا في طور التكوين"... لا مشروع متابعة لحظي.

وقد لخّص ابن القيم هذا الطريق كله في جملة تهز القلب:

"ليس الشأن أن تُحبّ الله... بل أن تبقى على هذا الحب إلى أن تلقاه".

هذه هي التربية... أن تزرع في القلب حبًا لا ينطفئ، وصدقًا لا يتلوّن، وعبودية تبقى... حتى يوم اللقاء.

الفرق بين "الدعوة المثيرة" و"الدعوة المربّية":

الصفة	الدعوة المثيرة	الدعوة المربّية
الهدف	جذب الانتباه	بناء الإنسان
الوسيلة	العاطفة السريعة	العلم والرفق والتدرج
الأثر	مؤقت وعاطفي	دائم وعميق
النموذج	لقطات مؤثرة	رحلة متدرجة مع المتلقي

خاتمة وجدانية:

أيها الدَّاعية... لا تسعد كثيرًا بمن بكى من كلامك...

واسأل: هل صلّى بعدها؟ هل عاد إلى القرآن؟ هل صلُح قلبه؟.

فليس كل دمعة توبة... ولا كل تأثرٍ هداية.

الدعوة النبوية كانت رحلة قلب طويلة،

تبدأ من معرفة الله... ولا تنتهي إلَّا بلقائه.

فهل ندعو كما دعا رسول الله؟ أم كما يشتهي جمهور المنصة؟..

الفصل السابع عشر: حين يُصبح الداعية "بطلاً"... لا "عبدًا لله".

- **الذات المتضخّمة في العمل الدعوي.**
- **من هو القدوة؟ ومن هو النجم؟ ومن هو العبد؟.**

مشهد مقلق... يتكرّر كثيرًا:

خطبة مصوّرة، تبدو في أول لحظة عظيمة الأثر:

- إضاءة متقنة،
- تعليق صوتي درامي،
- زوايا تصوير مُبهرة،
- موسيقى تصويرية "مُلهمة!"
- صوت يعلو... ثم يهمس...
- نظرة ثابتة في العدسة، ووقفة محسوبة.

لكن السؤال الذي لا يسمعه أحد،

هو السؤال الذي يُوزَن به العمل عند رب العالمين:

- هل كان الكلام لله تعالى؟ أم للكاميرا؟
- هل ارتجف القلب أثناء التسجيل؟ أم ارتجفت اليد وهي تضبط زاوية الإضاءة؟.
- هل خرجت الكلمات من محراب خاشع؟ أم من سيناريو إعلامي مُتقَن؟

لقد صعد بعض الدعاة إلى المنابر، لكنهم في قلوبهم صعدوا إلى البطولة... لا إلى العبودية... صاروا يبحثون عن "التميز البصري" أكثر من التواضع، ويحرصون على "صورة الغلاف" أكثر من نية البلاغ.

الدعوة ليست بطولة... بل عبودية:

في القرآن، حين أراد الله أن يُشرّف أنبياءه...
لم يصفهم بـ"الأبطال"، ولا بـ"القادة الملهمين"، ولا بـ"المؤثرين الكبار"،
بل وصفهم بكلمة ...تهزّ السماء خضوعًا:
﴿ **سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ** ﴾ [الإسراء: ١]
﴿ **وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ** ﴾ [الجن: ١٩]
﴿ **وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ** ﴾ [ص: ١٧]
ما قال: "بطله"، ما قال: "وجه دعوته"، بل قال:" عبده!"..
لأنَّ القمة... ليست في أن تكون نجمًا، بل أن تكون عبدًا خالصًا،
صادقًا في النيّة، مخفيًّا عن الأنظار، لكنك عظيمٌ عند الله...
وإن جُهلتَ عند الناس.
البطولة تُصنع من الخارج... لكن العبودية تُصنع من الداخل.
الناس قد يصفقون للبطل، لكن الله... لا يقبل إلَّا من عبد.
فراجع موقعك من الله... أأنت نجمٌ على الأرض؟ أم عبدٌ في السَّماء؟..

مظاهر تضخُّم الذات في العمل الدعوي: حين تبهت العبودية ويعلو "الأنا":

كثرة ظهور "أنا" في الخطاب.. بدل أن تسمع: "قال الله... قال رسوله ﷺ"، تتكرّر: "أنا قلت، أنا رأيت، أنا اجتهدت، أنا كتبت".
وكأنَّ الدعوة باتت مرآةً تعكس صورة الداعية... لا نداء السَّماء.

١- طلب التقدير والتميّز والصدارة: يحرص على أن يُقدَّم في المحافل، أن يُمدح في المجالس، أن يُشار إليه بالبنان: "فلان هو المؤثر"، "فلان أنقذ الشباب"... نسي أن أعظم الدعاة في السَّماء... هم أخفاهم على الأرض.

٢- اشتعال "الحروب الدعوية" لحماية الذات... لا الدين: الخلافات الفقهية صارت معارك هوية لا حوار نصيّ، والرأي المخالف يُردّ بحدّة لا بحجة، لأن الذات شعرت أنها هُزِمت... فانتفضت، لا نصرةً للدين، بل ذودًا عن صورتها أمام المتابعين.

٣- قياس النجاح بعدد المتابعين... لا بعدد التائبين! صار التفاعل مقياسًا، والانتشار دليلاً على "القبول"، ونسينا أنَّ الله لا ينظر إلى عدد من شاهدوك، بل إلى عدد من خَشَعوا لله تعالى بسببك.

إنَّ أول مظاهر فشل الدعوة... أن تصبح "أنا" أكبر من "هو".

وإن أول سبيل للشفاء... أن نعود إلى الآية الأولى:

﴿ **فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ** ﴾ هود: ١٢٣، لا إلى: "تابعوني... وادعموا قناتي"!.

الداعية بين ثلاثة مقامات:

الصفة	البطل	النجم	العبد
الغاية	ذاته ومجده	جمهوره وصورته	الله وحده
اللغة	"أنا فعلت"	"شاهدوني"	"قال الله"...
الأثر	انبهار مؤقت	شهرة سطحية	هداية ربانية
المعيار	التصفيق	الانتشار	القبول عند الله

تذكير قاسٍ... لكنه ناصح لمن أراد وجه الله:

قال رسول الله ﷺ: "من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه... أدخله الله النار" رواه الترمذي..

والله إنه لحديث تهتز له القلوب...

فهل سألت نفسك وأنت تتكلم عن الله:

هل أريد أن يُقبل كلامي... أم أن يُقبل وجهي؟

هل أفرح إذا تاب الناس... أم إذا قالوا: "ما أبلغه، ما أروعه"؟

هل دعوتهم إلى الله... أم إليّ؟

كان السلف يعرفون مكائد النفس، وكانوا يقولون:

"الداعية الصادق لا يفرح بكثرة التابعين، بل يخاف...

يخاف أن يكون قد غرّهم، أو أعجبهم، أو سحرهم...

ولم يُخلص لله كما ينبغي".

لأن أكثر ما يُخيف العبد... أن يكون سبب هداية الناس،

بينما هو بعيد عن الله... في قلبه.

لمسة قلبية ختامية:

أيها الدَّاعية... كن عبدًا... لا بطلاً..

كن مُبلّغًا... لا بطل قصة..

كن مِشكاة... لا شُعلة ضوءٍ زائف..

إن دعوتك ستُوزن يوم القيامة... لا بعدد المتابعين..

بل بمدى صدقك في أن تكون عبدًا لا نجمًا، عبدًا... لا سفيرًا لنفسك.

فهل دعوت إلى الله؟ أم دعوت إلى صورت؟.

الفصل الثامن عشر: حين صار الواعظ نجمًا... والنجوم وُعّاظًا!

- من الذي يُرشِد الناس اليوم؟.
- وهل صار الدين تابعًا للضوء لا للهدى؟.

مشهد لا يُنسى... لكنه يُقلق القلب:

شاب صغير يبكي أمام شاشة هاتفه، عيناه دامعتان، قلبه منساق...
لكن ليس لآية مؤثرة، ولا لموعظة من عالِمٍ رباني، بل لممثل شهير...
لبس ثوب "الداعية" فجأة، وتكلم عن "الله" بأسلوب حلو، وإضاءة ناعمة، وموسيقى مؤثرة! والناس في التعليقات يكتبون:

"كلامه مؤثّر"!..

"أقنعني أكثر من الشيوخ"!..

"أسلوبه رهيب"!..

لكن السؤال الصادم:

- هل صار الدين "أسلوبًا جميلًا" فقط؟ أم وحيًا يُبلَّغ عن الله... بالعلم، والخشية، والصدق؟.
- هل أصبح منبر الدعوة متاحًا لكل من يُحسن الإلقاء؟..
- هل صارت المرجعية تُعطى لمن لديه متابعون... لا لمن لديه علم وخشية وورع؟.
- هل نأخذ الدين من لسانٍ رخيم... ولو لم يدرس آية؟ أم من قلبٍ تقيّ... ولو لم يُجيد المونتاج؟.

إن الهدى لا يُؤخذ من التأثير اللحظي، بل من العلم الموروث، والمنهج الراسخ،

والقلب الذي يخشى الله تعالى حين يتكلم عنه.

كيف تغيّرت المعادلة؟

١- الواعظ... صار "نجمًا إعلاميًا": يُقاس نجاحه لا بمدى صدق كلمته أو أثرها في القلوب، بل بعدد المشاهدات، وسرعة الانتشار، وتعليقات المديح، فغلبت عليه صورة النجم، وغابت هيبة المبلّغ عن الله.

٢- والنجم... صار "واعظًا فجائيًا": مغنٍّ... ممثل... لاعب شهير، يُصبح بين ليلة وضحاها "مُلهمًا دينيًا"، يُحلّل ويُحرّم، يُربّي ويُوجّه، كل ذلك دون علم... دون تأهيل... دون رقابة... ودون خشية!..

٣- فخُلطت الأوراق، وتشوّهت المعايير، وصار الناس لا يعرفون ممن يأخذون دينهم، ولا ما إن كان ما يسمعونه "وحيًا من السماء"... أو "كلامًا جميلًا من وحي الإعجاب".

وصار المعيار: من يُعجبنا، لا من يُعلّمنا.

من يُحسن الأداء، لا من يحمل العلم.

من نرتاح لنبرته، لا من نثق بقلبه.

وهكذا... ضاعت الهداية في زحمة الإعجاب،

وغابت الرسالة تحت ضوء العدسة،

وانقلبت العبودية لله... إلى بطولة على المسرح.

خطورة الظاهرة: حين يُؤخذ الدين من الضوء... لا من النور:

١- تسطيح المعاني: لم يعد الدين يُعرض كمنهج حياة، ولا كعقيدة تُبنى على العلم والتدرج، بل يُختزل في جُمل رنانة، مفرغة من العمق الشرعي، تُقال بطريقة مؤثرة... لكنها لا تُربّي، ولا تُبني.

فينشأ جيلٌ يُعجَب بالشكل... ولا يعرف جوهر المسألة.

٢- تأثير المشاهير فاق تأثير العلماء! الناس باتوا يتلقون مواقفهم من الدين، وأحكامهم على القضايا الكبرى، من خلال "النجم المفضل"، لا من خلال القرآن، والسنة، ومنهج أهل العلم... فصار المغني هو الذي يُشكّل وجدان الشباب، والممثلة هي التي تُحدّد موقفهم من الحجاب! فمن أين إذًا يُستقى الدين؟ ومن يُصيغ التصورات؟.

٣- ضياع المرجعية: تراجعت الثقة بالعلماء الصادقين، لأنهم لا يملكون "كاريزما" المنصات، ولا يُتقنون "المونتاج"، ولا يُجيدون لغة الخوارزميات! فصار صوتهم باهتًا في عالم يُحب اللمعان، ولو كان وراءه خواء.

والنتيجة؟ جيلٌ لا يعرف من أين يأخذ دينه، ولا كيف يميز بين "الكلام المؤثر" و"العلم المُوقّع عن الله"... جيلٌ يُفتَن بالمؤثر... ويستثقل العالِم.

وقفة جادّة... لمن يخشى على دينه من الانزلاق الصامت:

قال ابن سيرين، إمام أهل البصيرة:

"إن هذا العلم دين... فانظروا عمّن تأخذون دينكم".

فما بالك إن لم تأخذه من عالِم... بل من مُؤثّر؟

وما بالك إن لم تُراجع المتن والحديث... بل عدد المتابعين والمشاهدات؟

وقال الله عن من ضلّوا بهوى التقليد:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا ﴾ [البقرة: ١٧٠]، فهل هؤلاء كانوا أجهل... أم نحن أهوَن؟ فكيف بمن يقول اليوم: بل نتّبع من نُعجب به على إنستغرام! ليس لأنه أعلم... ولا لأنه أتقى... بل لأنه أوسم، ألطف، أقدر على شدّ الانتباه!..

الدين لا يُؤخذ بالإعجاب، ولا يُقاس بجودة الإضاءة،
ولا يُوزَن بترتيب الفقرة على الشاشة.
الدين يُؤخذ عن راسخٍ يخشى الله... لا عن مُبهِرٍ يُرضي الناس.

من هو الواعظ الحقيقي؟

الصفة	الواعظ النجم	العالم الرباني
المرجعية	الشهرة والجمهور	الكتاب والسنة
التأثير	مؤقّت وعاطفي	عميق ومستمر
الغاية	الإعجاب والشهرة	رضا الله وهداية الناس
الأمانة	رأي شخصي	بلاغ عن الله

لمسة قلبية ختامية:

يا من تسمع الموعظة...

- لا تغتر بمن يتقن الأداء، بل انظر من يبلّغ الأمانة.
- لا تخلط بين النجم اللامع ...والعارف بالله.
- لا تجعل صوتًا رخيمًا... يطغى على صوت الحق.

تذكّر أن النجوم... تُرى من بعيد..
لكن الشموع... تُضيء قربك..
والدين... ليس نجمًا في السماء، بل نورًا في القلب.

الفصل التاسع عشر: حين صار الحجاب... ماركة!

- **الحجاب الشرعي بين الفريضة والموضة.**
- **كيف خُطف الحياء... وزُيّف الحجاب؟.**

مشهد من واقعنا المعاصر... لكنه يوجِع:

إعلان على وسائل التواصل يقول:

" موديل جديد لحجاب شرعي أنيق... بفتحة جانبية، ولمسة شفافة جذابة، وألوان ربيعية ساحرة "! تتوالى التعليقات:

"واو! أخيرًا حجاب عصري"!

"هيك الإسلام حلو"!

"أخيرًا صار الحجاب يليق بالموضة"!

لكن السؤال الصادق الذي لا يُقال في الإعلانات:

- هل هذا "حجاب"؟ أم مجرّد "زيٍّ متديّن" يُرضي السوق... لا الله؟
- هل ما يُسوَّق لنا هو فريضة... أم منتج؟
- هل صار الحياء يُقصّ ويُفصّل حسب الذوق العام؟
- هل خُفّفت الشروط... كي تزداد الطلبات؟
- وهل أصبح الحجاب مشروعًا تجاريًا... بدل أن يكون شرفًا سماويًا؟

الحجاب الشرعي ليس غطاء رأسٍ جميل، ولا قطعة قماش تُنسّق مع الحقيبة،

بل هو ستر... وحياء... وخضوع لأمر الله تعالى،

قبل أن يكون انسجامًا مع خطوط الموضة.

ما هو الحجاب أصلًا؟

الحجاب... ليس قطعة قماش تُلبَس.
ولا زيًّا يُنسّق مع الألوان والموديلات.
الحجاب أمرٌ من الله، وهيئةٌ تعبّدية، ومظهرٌ من مظاهر العبودية.
هو علامة استسلام لا اختيار، هو خضوع لا تزيُّن،
هو طاعة في العلن... وحياء في السر.
قال تعالى:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ** ﴾ الأحزاب: ٥٩، لم يقل: "يخترن ما يُناسب أذواقهن"،
بل قال: "يُدنين"، في إشارة واضحة إلى الستر، والانضباط، والجدية في الطاعة.
وقال رسول الله ﷺ: "صنفان من أهل النار لم أرهما... نساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات.." رواه مسلم...
نساءٌ يرتدين... لكن لا يستترن، يُغطين... لكن يُفتنَّ، فتضيع روح الحجاب، ويَغيب أصل العبادة خلف القماش المزخرف.
فالحجاب ليس فقط "أن يُغطّى الرأس"، بل أن يُغطّى القلب عن الزينة، والنفس عن التباهي، والجسد عن أن يُعرض كسلعة.

ما الذي حدث؟

كان الحجاب طاعةً خاشعة... فأصبح "ستايلًا" جذابًا.
كان يُلبَس ليستر... فأصبح يُصمَّم ليلفت.
كان عنوان عبودية... فصار مجال منافسة في "اللوك" و"البراند" و"الستايل!"
صار يُروَّج له عبر عارضات تُتقن فنّ الإغراء...لا عبر عابدات يُتقن فنّ الحياء.
يُسوَّق بعبارات مثل:
"لمسة جريئة..."

"قَصّة أنثوية..."

"تفصيل يكشف جمالك المحتشم!"

فما عاد الغرض أن "يخفي المفاتن"، بل أن "يُظهر الحجاب... بصورة فاتنة!"

ثم تحوّل إلى سلعة: علامة تجارية، مشروع ربح، وسيلة شهرة.

فاختلطت النوايا، وغابت الغاية،

وانتقل الحجاب من "فريضة يُطلب بها رضا الله..."

إلى "منتج يُطلب به رضا السُّوق!"..

الفرق بين "الحجاب الشرعي" و"حجاب الماركات":

المعيار	الحجاب الشرعي	حجاب الماركة
الغاية	طاعة الله	جذب الانتباه
الهيئة	ساتر، فضفاض، غير زينة	مُجسِّم، ملون، مزيّن
المنطلق	عبادة	موضة
التأثير	يزرع الهيبة والوقار	يثير الفضول والنظر

حين يُستعمل "الستر"... في الفتنة!

هل يُعقَل... أن يتحوّل الحجاب – الذي أُمرنا به ليستر الزينة –

إلى الزينة نفسها؟.. أن يصبح ما شُرع لخفض البصر، هو ما يرفع كل الأنظار؟

أن يكون شعار الحياء... وقد صار وسيلة للتفاخر والظهور والإعجاب؟

هل يُعقَل أن يُسمّى "حجابًا..."

وهو يجرّ وراءه فتنة الألوان، وفتحة الكتف، ولمعة القماش،

وملفات التصوير... والإضاءة... والفلتر؟... هل هذا حجاب؟

أم واجهة تجارية مغرية ...باسم "الاحتشام العصري"؟
هل هذا عبادة؟ أم أداة تسويق ذاتي في سوق الانستغرام؟
الحجاب لا يُفتَن به الناس... بل يُحمَى به القلب.
لا يُستعرض في "ريلز" جذّاب،
بل يُسدل في خضوع هادئ... لا يعرف الرياء طريقًا إليه.
فحين يُستخدم الحجاب للفتنة، وحين يُصوَّر ليُبهر، وحين يُعدَّل ليجذب،
فقدنا الحياء... وإن غطينا الشعر.

سؤال لكل أُخت... بصوت الخشية لا العتاب:

أختي الكريمة... من الذي أمركِ بالحجاب؟
أليس الله؟ إذًا... هل ترتدينه كما يُحب الله؟ أم كما يُعجب الناس؟
هل هو شعار عبودية؟ أم مجرّد زيّ عصري تُلائمين به الذوق العام؟
هل هو "هويتك الإسلامية ..."أم "ماركة موسمية" تتغير مع الفصول والموضة؟
لا تقولي: "النية طيبة..." فالنية الصالحة لا تُبيح هيئةً فاسدة.
ولا تُبرّر زينةً ظاهرة، ولا تُغطي فتنةً ملفوفة باسم الحشمة.
النية الطيبة لا تكفي... إذا كان الستر منقوصًا،
والهيئة ملفتة، والأمر الإلهي مُبدّل ليُرضي "العين لا الله".
الحجاب ليس عن الرأس فقط... بل عن الرياء، والزينة، والتزيّن للناس.
هو عبودية تُلبس، لا صورة تُنسّق.

لمسة قلبية ختامية:

يا من تحجّبتِ لله... اجعلي كل خيط في حجابك طاعة، لا زينة..

كوني متميزة به... لا ملفتة فيه..

لا تسمحي لأحد أن يُعرّف الحجاب نيابة عن الله تعالى..

فالحجاب... ليس "إطلالة محتشمة"...

بل عبادةٌ عظيمة... تُرضي رب السماوات..

الفصل العشرون: حين صار "المحتوى الديني" صناعة جذب... لا وسيلة تزكية!

- **هل المحتوى الديني لجذب الجماهير... أم لنُزكّي النفوس؟.**
- **الفرق بين "وصف الطريق إلى الله"... و"استغلاله للانتشار".**

مشهد من الواقع... لكنه يُبكِي القلوب الصادقة:

فيديو بعنوان: "لن تصدق ما قاله هذا الشيخ"!

أو: "سمعتُ أغرب دعاء في حياتي"!

أو: "لن تتخيل ماذا سيحدث إذا قلت هذا الذكر"!

ويظهر في المقطع:

- نبرة مؤثرة،
- خلفية موسيقية ملهمة،
- فتاة محجبة تتحدث عن الصلاة،
- أو شاب يهمس بكلمات "تحفيزية..."

لكن دون أثر للخشوع، ولا نور للورع، ولا إحساس بمقام الله.

السؤال الذي يجب أن نصرخ به داخليًا:

- هل نحن في سوق ترويج؟ أم في مقام دعوة... وتزكية... وتذكير بالآخرة؟.

- هل أصبح الدين عنوانًا جذّابًا لمحتوى لامع؟..
- هل تحوّلت الآخرة إلى خلفية بصرية جميلة؟.
- هل صرنا نبحث عن جُمل "تحفّز" النفس... بدل أن تُحاسبها؟.
- هل بقيت في القلوب خشية؟.. أم ذابت تحت ضغط:

"متى أنشر؟ كيف أرتّب؟ كيف أُعجب الناس؟"

إن الدعوة ليست حملة إعلانية، ولا رحلة جذب لجمهور يبحث عن التشويق.

الدعوة توقظك من نفسك... لا تغذي رغباتها.

تُذكّرك بالله... لا تُغرقك بصوتٍ جميل فقط.

تُزكّي قلبك... لا تُزيّن هاتفك.

الفرق الجوهري:

السؤال	محتوى التزكية	محتوى الجذب
الغاية	إصلاح القلب	زيادة المشاهدات
اللغة	موقّرة، مؤثرة، رزينة	مثيرة، مشوّقة، مستفزة
المنهج	نابع من الكتاب والسنة	نابع من خوارزميات التفاعل
الأثر	توبة، تغيير، عودة إلى الله	إعجاب، مشاركة، ثم نسيان

انحراف الهدف... حين يُنتَج المحتوى بلا وجهة إلى الله:

حين يفقد المحتوى هدفه، يصير شكلاً بلا روح،

وصوتًا بلا خشية، وكلامًا بلا خشوع.

يُقدَّم على أنه دعوة... لكنه في جوهره مجرد عرض.

فـ يتحوّل الدعاء إلى "مؤثر صوتي" يُلائم الخلفية... لا القلب.

ويُستخدم القرآن كخلفية موسيقية تبعث السكينة... لكن لا توقظ النفس.
وتصبح التوبة "ترندًا" لحظياً... ثم تُنسى بعد خمس ثوانٍ.
كل شيء بات مصممًا لجذب الانتباه، لكن قليلٌ منه يطرق باب السماء.
تزكية النفوس لا تحتاج إلى فلاتر صوت، ولا إلى إضاءات ناعمة،
ولا إلى مونتاج متقن، بل تحتاج إلى:

- صدقٍ في التقديم..
- وحرقةٍ في الدعوة..
- وتجرّدٍ عن الذات..

لأنَّ ما يُقال لله... لا يُقصّ ويُنسّق، بل يُتطهَّر قبل أن يُقال.
وما كان خالصًا... يصل، ولو لم يُعدّل ولا يُمَنتَج.

من المسؤول؟

هل المتلقي هو من يطلب المحتوى السريع والمثير؟
أم أن صُنّاع المحتوى الديني... هم من باعوا الروح،
ليشتروا "الوصول"، ولو على حساب الخشوع؟
من الذي قرر أن الدعوة يجب أن تُختزل في ٦٠ ثانية؟
من الذي استبدل الخشية بالتأثير، والتزكية بالتحفيز،
والوحي بمشهدٍ يتناسب مع الخوارزمية؟
الدعوة ليست سباق ترندات، وليست صوتًا يعلو ثم يختفي،
وليست انبهارًا فارغًا يتبعه فراغ أعمق.
الدعوة غرسٌ طويل النفس... يزرعه الداعية في قلوب لا تُصفّق أحيانًا،
ولا تُعلّق، ولا تُشارك، لكنه يعلم أن الغرس الصادق...
سيُثمر يومًا في قلبٍ صادق.

فالذي يُخاطب القلوب طلبًا لله...لا يخاف قلّة التفاعل.

والذي يغرس لله... لا يستعجل الحصاد.

دعوة للمراجعة... قبل أن يُختم العمل:

أيها الدعاة... أيها المؤثّرون الدينيون...

أيها المتصدّرون في مشهد الدعوة والإصلاح... تذكّروا دائمًا:

أنتم لا تُمثلون أنفسكم، ولا أفكاركم، ولا حناجركم...

بل أنتم تُمثلون "دعوة الله" إلى خلقه!..

فلا تجعلوا الحق وسيلة... للظهور أو التفاعل،

بل اجعلوه غاية... تُبذل لأجلها الأرواح، لا تُستخدم لتحقيق الأرقام.

ويا من تنشرون المواعظ، وتُنتجون المقاطع، وتُنسّقون الآيات مع الأصوات...

قفوا لحظة قبل النشر، واسألوا قلوبكم بصوتٍ لا يسمعه أحد:

- هل هذا المحتوى... يقرّب الناس إلى الله؟ أم يقرّبهم إليّ؟.
- هل يزرع في قلوبهم الخوف من الله؟أ م الإعجاب بي؟.
- هل يُذكّرهم بالآخرة؟ أم يُلهيهم بمؤثرات الدنيا؟.

فإن كانت النية لله... فامضوا، وإن كانت لأنفسكم... فراجعوا،

فإنَّ الله لا يقبل من القول إلا ما خرج من قلبٍ يُريده هو، لا الناس.

لمسة قلبية ختامية:

الدين ليس منتجًا إعلاميًّا... ولا رصيدًا للمتابعة، ولا ساحة للمؤثرين..

الدين... هو الحياة، ومن تكلّم باسمه، فليخشَ الله أكثر من حُب الناس..

"من طلب بعمله وجه الله... أتاه الله بقلوب الناس" لا العكس.

الفصل الواحد والعشرون: المآسي مادة دعوية... أم أمانة دعوية؟

- **هل نستغل دموع الناس... أم نمسحها؟.**
- **متى تتحوّل المصيبة من وسيلة وعظ... إلى وسيلة تسويق؟.**

مشهد موجع... من واقعنا الرقمي البارد:

طفل يتيم يبكي... ويُرفق المقطع بتعليق مؤثر:

"شاهد كيف فقد والدته... وقل: الحمد لله"!

وكأنَّ حزنه مادة خام، ومأساته وسيلة تذكير مريحة لمن يشاهد من خلف الشاشة!

"أمّ شهيد تقف على أنقاض بيتها..."

وفوق المشهد تعليق: "ما أعظم صبرها... انشر تؤجر"!

وكأنَّ الحزن قابِل للنشر... والأنقاض تصلح كخلفية للصبر.

"جنازة مهيبة... " يُجتزأ منها مشهد بكاء، أو تقبيل للميت،

ويُنشر بعنوان: "مات وهو يبتسم... شاهد آخر لحظاته"!

لكن السؤال الحقيقي، الصادق، الذي غاب في زحمة التفاعل:

- هل استأذنا أصحاب المصيبة؟
- هل سألنا اليتيم: أترغب أن تُعرض دمعتك للعالم؟
- هل فكّرنا بقلوبهم... قبل متابعينا؟
- هل تذكّرنا أن هذا الألم ليس "مشهدًا"، بل "جرحًا حيًّا"؟

الدعوة التي تُولد من فوق الجراح... لا بد أن تُولَد بصدق، لا باستغلال.

بخوف من الله... لا بحثًا عن التأثير.

المصيبة ليست مادة دعوية جاهزة،

بل أمانة ثقيلة... لا تُنقل إلَّا بحياء، ولا تُستعمل إلَّا بنية خالصة،
ولا تُنشر إلَّا بعد أن يُمسح وجه المنكوب... لا قبل أن يُصوَّر.

متى تتحوّل الدعوة إلى استهلاك للآلام؟

- حين لا ننتظر أن يجفّ الدمع... بل نسارع إلى تصويره.
- حين نُبادر إلى نشر المصيبة... قبل أن نُبادر بمواساة صاحبها.
- حين نُعلّق بعبارات الوعظ... بينما قلب المنكوب لا يزال ينزف.

تتحوّل الدعوة إلى استهلاكٍ للآلام...

- حين يُصبح الخبر الحزين فرصةً للتفاعل،
- وحين تتحوّل العبرة إلى قصة مثيرة تُنسّق ببراعة،
- وحين نُتاجر بدمعةٍ خرساء ...لنربح بها ألف مشاهدة!

أي دعوة هذه؟ أي صدق بقي فيها؟
وأي توحيد نرجوه من دعوة تبدأ من دم إنسان... وتنتهي بإعجاب إنستغرامي؟
الدعوة الصادقة لا تُولد من دموع الآخرين... بل من خشيتنا نحن.
ولا تبني أثرها على مآسيهم... بل على صدقنا مع الله في خدمتهم.

الفرق الجوهري:

السؤال	أمانة دعوية	مادة استهلاكية
الهدف	هداية القلوب	زيادة المشاهدات
الأسلوب	برحمة وتعاطف وصمت نبيل	مؤثرات، عناوين صادمة، تسويق
محور	الله، والآخرة، والرضا	القصة، الشخصية، ردات

الحديث	بالقضاء	الفعل
الأثر	توبة، محاسبة نفس، صدقة	دموع عابرة، ثم لا شيء

حين يُهدر الحياء باسم "التأثير":

هل من الرحمة... أن تضع كاميرا في وجه أبٍ مكسور، فقد ابنته للتو؟..

هل من النُبل... أن تُصوّر جنازة لحظة الدفن، ثم تُعلّق: "انظروا كيف ودّعوه"!

وكأنَّ الوداع مشهدٌ درامي، لا لحظة رجاء... وخوف... وكسر لا يُرمّم!

هل هذه دعوة؟

أن نُدخل الكاميرا إلى حُرقة أمٍّ لا تجد كلمات؟

أن نلتقط لحظة انكسار... ونُلبسها عنوانًا جذّابًا؟

هل الدعوة تعني أن نكسر خصوصية المصيبة، ونُعلّق على الأوجاع،

ونُفتّش عن "أكثر اللحظات وجعًا"... لنحرّك بها مشاعر جمهور عابر؟

هذه ليست دعوة... بل فضيحة مغلّفة بموعظة.

تُحرّك الناس... لكنها تُمزّق قلوب أصحاب المصيبة.

تزيد عدد المشاركات... لكنها تُقلّل من قيمة الحياء والستر.

الدعوة التي تُفقد الناس كرامتهم... هي دعوة بلا قلب، ولا نور، ولا خُشوع.

الدعوة الصادقة تمسح دموعهم... لا تسرقها لتبكي بها غيرهم.

توجيه صادق للمؤثرين والدعاة:

أيها المتحدّث باسم الدين...أيها المتأثّر بآلام الناس،

والراغب في تذكير الخلق بالله... لا توثّق دمعة... لم تستأذن في عرضها.

فليست كل دمعة مباحة للنشر، ولا كل وجع صالح للتداول.

بعض المشاعر مقدّسة... لا يليق أن تُعرَض في شريطٍ مصوّر.

لا تنشر مشهدًا من مأساة... قبل أن تسأل نفسك بصدق:

"هل هذا يُرضي الله... أم يُرضي جمهوري؟"

"هل أنا أواسي... أم أستعرض؟"

"هل هذا من الرحمة... أم من الرغبة في الانتشار؟"

لا تحوّل موت الناس... إلى فرصة لرفع حسابك.

فالميت يُغسَّل ويُدفن ويُدعى له...

لا يُقَطَّع مقطعُه، ويُزوَّد بالموسيقى، ويُنشر على هيئة "محتوى ملهم".

المأساة... ليست وسيلة، بل أمانة، تحمّلك عبئًا:

- أن تتحدث باسم الجُرح لا باسمه،
- أن تحمله بعينٍ دامعة... لا بعدسة حادة،
- أن تُوصّل الرسالة، لا أن تركّب المشهد.

فاحذر أن تفتح كاميرتك... قبل أن تفتح قلبك بين يدي الله.

لمسة قلبية ختامية:

يا من تعمل في الدعوة والإعلام... لا تنسَ أن الله سيُحاسبك:

هل نقلت المأساة بخشية... أم بعين الصحافة؟

هل وعظت بها لله... أم علّقت عليها لتكسب التفاعل؟

حين تُبتلى الأمة... فهي لا تحتاج مَن "يُحرّك مشاعر الجمهور"

بل من "يُعيدها إلى الله بصدق ورحمة"

الداعية الحقيقي... لا يستهلك المأساة، بل يبكيها مع الناس،

ويأخذ بأيديهم إلى الله... في صمتٍ يملؤه الصدق.

الفصل الثاني والعشرون: حين صار الداعية يملك حق التقديس... أو الإلغاء"!

- **هل تحوّل الدَّاعية إلى صنم فكري؟.**
- **وهل صارت الدعوة مملوكة لشخص... لا مربوطة بالحق؟.**

مشهد من واقعٍ يضجّ بالغُلوّ والانفعال:

داعية يُخطئ في مسألة... أو يُزلّ في اجتهاد... فتقوم عليه القيامة:

"ساقط! ضال! عميل! مُداهن"! يُنسف تاريخه، ويُمحى اسمه، ويُجرّد من كل خيرٍ قاله، وفي الجهة الأخرى... داعية آخر يُصيب في كلمة، أو يُوفَّق في موقف، فيُرفَع فوق الناس، ويُقدَّم على أنه "الوحيد على الجادّة"،

"من لا يُناقَش"،

"من يُؤخذ منه ولا يُرَدّ عليه"،

حتى قال بعضهم: "نحن على دين الشيخ فلان"!

لا على هدي النبي ﷺ.

فمنذ متى صار الخطأ سببًا لـ"المسح الكامل"؟

ومنذ متى صار الصواب حُجّة على "العصمة"؟

ومنذ متى أصبحت الدعوة ملكية شخصية،

نُلغي بها من نُبغض، ونُؤلّه بها من نُحبّ؟

إن الداعية ليس معصومًا... ولا مقدّسًا،

هو عبدٌ يخطئ ويصيب، يُبشّر ويُذكّر، لكنه لا يُعبد ولا يُطاع لذاته.

صنمية جديدة باسم الدعوة:

الوجه الأول	الوجه الآخر
"لا يُسأل، لا يُناقَش، كلامه هو الدين"!	"أخطأ؟ نُسقطه للأبد... ونطعن في كل ما قدّم"!
"كل من خالفه مبتدع"	"كل من دعمه ضالٌّ مثله"
"نقلّد الشيخ... حتى لو لم نفهم الدليل"	"نلغيه تمامًا... حتى لو قال حقًّا"

والنتيجة:

إما عبودية فكرية... أو ثقافة الإلغاء والنبذ!

ولا هذا من دين الله... ولا ذاك.

الميزان القرآني... لا ميزان الأتباع

قال الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ** ﴾ [الزمر: ١٨].

لم يقل: "فيتّبعون القائل" ولا: "فيُعظّمون صاحب المقطع"،

ولا: "فيُدافعون عن الشيخ الذي يحبونه مهما قال"!

بل قال: "**فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**"

أي: يتّبعون الحقّ ...لا الشخص.

يُفتّشون عن الصواب... لا عن من يُرضيهم.

يربطون كلام البشر بمِعيار الوحي ...لا برصيد المحبة.

وقال الإمام مالك – إمام دار الهجرة – وهو يشير إلى قبر النبي ﷺ:

"كلٌّ يُؤخذ من قوله ويُرد... إلا صاحب هذا القبر ﷺ".

فقد كان النبي ﷺ هو وحده المعصوم،
فكيف نجعل من غيره مرجعًا نهائيًا لا يُراجع، أو رمزًا مقدّسًا لا يُسأل،
أو شيخًا لا يُردّ عليه... لأنه فقط "أثر فينا"؟
التأثر ليس معيار حق، والحب لا يمنح العصمة، والمكانة لا تُلغي المساءلة.

تنبيهات تعيد الأمور إلى نصابها:

- ليس كل داعية قدوة كاملة... فالهداية درجات، والكمال لله وحده.
- وليس كل خطأ سقوطًا أبديًا... فقد يزلّ العارف، ويقوم الصادق.
- وليس كل اختلاف فتنة مدمّرة... فالتباين في الرأي لا يُفسد التوحيد إن صحّ المقصد.

وتذكّر أنَّ...

الداعية عبدٌ... لا ربّ
الداعية بشرٌ... لا معصوم
الدعوة من الله... والدعاة يتبدّلون
فلا تربط قلبك بشخص، بل اربطه بـ"الحق".
ولا تتبع داعيةً لأنه أثّر فيك... بل لأنه دلَّك على الله.

كيف نوازن بين النقد والاحترام؟

الضابط	الفهم السليم
الخطأ	يُرَد بأدب، لا بهجوم
الصواب	يُؤخذ مع شكر، لا مع تقديس
الداعية	يُكرم لمقامه، لا يُصنّم لشخصه

الاختلاف	يُفهَم ويُدار بالحكمة... لا يُؤلّب به الناس

لمسة قلبية ختامية:

يا من تحب داعيةً أو تتابعه...

تذكّر أنَّ ولاءك الأول لله والحق... لا للأسماء..

ويا من تكره داعيةً بسبب زلّة...

تذكّر أنَّ الله يحب العفو والعدل، لا الإلغاء والشماتة..

الدعوة أعظم من أي داعية... والحق أعلى من كل الأسماء

فلنعدّ ميزاننا: من قال حقًّا اتبعناه،

ومن أخطأ نبّهناه... لا قدّسناه ولا ألغيناه.

الفصل الثالث والعشرون: حين صار المحتوى الديني بلا مراجعة علمية... ولا رقابة قلبية!

- **من الذي يراجع المحتوى؟ شيخٌ راسخ... أم خوارزميات المنصات؟**
- **هل صار الدين يُعرض على "عدد المشاهدات"... لا على أهل العلم؟**

وقفة صارخة أمام واقع يوجع القلب:

في زمن السرعة... لم يعد يُسأل: "هل هذا المحتوى صحيح؟"

بل يُسأل: "هل هذا المحتوى ضرب ترندًا؟".. وفي زمن الصوت العالي...

قد يعلو صوت المؤثر الجاهل على العالِم الصامت،

لأنَّ الأول يملك "مونتاجًا"... والثاني يملك "ورعًا!"

فتوى خطيرة، أو حديث ضعيف، أو بدعة ملوّنة بلحن عاطفي...

يكفي أن تُرفق بموسيقى، وبكاء، وصوت خاشع... لتُروَّج كأنها من الدين.

لكن السؤال: من الذي راجعها؟ وهل عُرضت على عالم؟

هل تم توثيق مصدرها؟ أم أنها خضعت فقط لمزاج "خوارزميات المنصة"؟.

بين الرقابة العلمية... والرقابة القلبية

العنصر المفقود	نتيجته الخطيرة
مراجعة العلماء	ظهور الفتاوى الممسوخة
التخصص الشرعي	تقديم أنصاف المتعلمين كنجوم
الخشية من الله	نشر ما يُبكي لا ما يُبصّر
توثيق النصوص	تداول الباطل باسم السنة

تنبيه رباني صارم:

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ [الإسراء: ٣٦]..

أي: لا تتكلم، ولا تُفتي، ولا تُحدّث باسم الدين...

ما لم يكن معك بيّنة وعلم وتثبّت.

فالقول في الدين بدون علم... جناية على الوحي.

والنقل عن الله ورسوله بغير تثبّت... قد يكون أعظم من الزنا والقتل، لأنه يضلّ الناس عن صراط الله، قال ابن القيم: "القول على الله بلا علم... أصل كل ضلالة"، فهل نعي خطورة أن يتحوّل الجهل المقدَّم بصوت مؤثر... إلى دينٍ يتعبّد الناس به؟!..

حين ينخفض سقف الدعوة... إلى مستوى المشاهدات:

لا يُسأل: "هل وافق الكتاب والسنة؟"

بل يُقال: "كم لايك جاب؟" "كم مرة انحفظ؟"

وهكذا يُشهر الباطل بأسلوب جميل،

ويُهمَّش الحق لأنه "ما شدّ الناس..."

النتيجة؟

جيلٌ مفتونٌ بالشكل... غائبٌ عن الجوهر.

يبحث عن الصدمة... لا عن السكينة،

عن العاطفة السريعة... لا عن الهداية العميقة.

النتيجة:

- عوامّ يتبعون المقاطع لا المصادر... ويظنون أنهم "فهموا الدين!"
- ناشطون يتكلمون باسم الإسلام... وهم لم يفتحوا كتاب فقه ولا جلسوا عند شيخ.
- الأحاديث تُجتزأ لتُناسب "الثواني الأولى" من الفيديو... لا السياق النبوي.
- الفتاوى تُفرّغ من شروطها... لتناسب عنوانًا جذّابًا: "شوفوا رأي الشيخ"!
- الشرع يُقزَّم... ليُناسب مزاج الجمهور، لا يُعلِي مراد الله.

وهكذا...

- يُرفَع الجاهل لأنه "جميل الصوت"،
- ويُسقِطون العالِم لأنه "غير تفاعلي!"
- وتُتداول مفاهيم باطلة... لكنها مؤثرة،
- وتُنسى القواعد والأصول... لأنها "ثقيلة على السوشال ميديا".

لكن من يتكلّم عن الله بلا علم... يُوقِّع عن الله زورًا، قال ابن القيم:
"المفتي يوقّع عن ربّ العالمين، فانظر ماذا تكتب"!..

دعوة صادقة... تُكتب بمداد الخشية لا الحبر:

يا كل من يصنع محتوى دينيًّا...
يا من تمسك بآية أو حديث لتصيغ بها منشورًا أو مقطعًا أو درسًا...
قف لحظة واسأل نفسك قبل أن تضغط:"نشر"

- هل هذا الكلام يُرضي الله ...أم يُرضي الخوارزميات؟
- هل يُبكي الناس بعاطفة؟... أم يُهديهم إلى الحق بثبات؟
- هل رجعت إلى شيخٍ راسخ، إلى مصدر موثوق، إلى علم محقّق؟
- أم أنك خفت من تراجع التفاعل أكثر من خشية الله؟
- هل قلت: "هذا الكلام سيعجب الناس"؟ أم قلت: "هذا ما قاله الله ورسوله"؟..

الدعوة مسؤولية ...لا مجرد "محتوى"

والمتكلم باسم الدين... كمن يمشي على أرضٍ من نور، يُحاسَب على كل خُطوة... فلا تَستخفّ بالكلمات... فإنها قد تُهدي قلبًا، أو تُضلّ أمة.
قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ** ﴾
أي: أن يكون كل قولٍ، وكل محتوى، وكل دعوة... لله وحده

خطوات إصلاحية ضرورية... قبل أن نُضلّ ونحن نظن أننا نهدي:

١- اعرض كل محتوى شرعي على مختصٍّ قبل نشره:

– الدعوة ليست اجتهادًا شخصيًا... بل أمانة تُؤخذ عن العلماء الرَّبانيين.

– لا تفسّر، ولا تفتي، ولا تعظ بما لا تحسن... فالخطأ في الدين أعظم من الخطأ في الطِّب أو المال!.

٢- لا تقتطع النصوص من سياقها:

– لا حديث دون فهمه في ضوء السنّة كلها.

– لا آية تُعرض بلا مقاصدها، وأسباب نزولها، وسياقها التشريعي.

٣- دع الفتوى لأهلها:

– جمهورك لا يحتاج "رأيك"... بل يحتاج "قول الله ورسوله" كما فهمه الثقات.

– وانشر عنهم لا عن نفسك... فهم أمناء العلم، لا نُجوم المحتوى.

٤- غيّر هدفك... من التأثير إلى البلاغ:

– لا بأس أن يُحِبّك الناس... لكن لا تجعل رضاهم معيارك.

– قال تعالى: ﴿ **فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ** ﴾

– فكن رسول بلاغ... لا نجم ترند.

٥- الدين أمانة... لا مجال فيها للتجريب، ولا للتزيين، ولا للتنازلات.

فإن لم تقدر على حملها... فلا تكن سببًا في التلبيس على الناس في دينهم!..

لمسة وجدانية ختامية:

الدين ليس مادةً تسويقية... بل أمانةٌ ثقيلة.

والدعوة ليست لعبة منصّات... بل ميثاق مع الله.

ومن يكتب أو يصوّر أو ينشر باسم الدين...

فليتذكر أنه قد يُسأل عن كل حرف... أمام رب العالمين.

فإما أن تنفع الناس حقًا... أو تضلّهم بجهلك، ولو كنت صادق النية.

وكم من حسن النية... خرّب ما لا يُصلحه ألفُ عالم بعده.

الفصل السادس والعشرون: الإعلام الإسلامي... إلى أين؟

بين الرسالة الربانية... وسوق المشاهدات!

سؤال يجب أن نطرحه، ولو هزّ أعماقنا:

هل الإعلام الإسلامي اليوم يُبثّ من قلبٍ يخشى الله؟

أم من كاميرا ترصد التفاعل؟

هل المحتوى يُبنى على الوحي؟ أم يُطوّع ليركب الموجة؟

هل الرسالة خالصة؟ أم ممزوجة بـ"ماركتينغ" و"مونتاج" و"سوشال ميديا ستراتيجيس"؟..

الواقع يقول:

- خُلطت النيّات...
- وتشوّهت المضامين...
- وصرنا نُبدع في التصوير... ونُهمِل التصوّر
- ونتفنّن في الإخراج... وننسى الإخلاص

وبين المشاهدات العالية... والخشوع الغائب، ضاعت البوصلة!

فصار بعض من يُمثلون "الإعلام الإسلامي":

- يسوّقون للدين كمنتَج، لا كحق..
- ينتقون من الشريعة ما يُناسب الجمهور..
- ويُقصّون منها ما قد "يُنفر المتابعين"..

فإلى أين؟...........

إلى رضا السوق، أم إلى رضا الله؟...

إلى جمهور "الترندات"، أم إلى الذين إذا ذُكِّروا بآيات الله خرّوا سُجّدًا وبُكِيًّا؟.

ملامح الانحدار... كما تراها القلوب الصادقة:

١- التنافس على الظهور... لا البلاغ... صار السؤال: من "يظهر أكثر"؟.. لا: من "يُخلِص أكثر" أو "يُبلِّغ بصدق"؟.. فانقلبت الموازين... وتحوّلت الدعوة إلى ماراثون شهرة!..

٢- مؤثرون دينيون بلا علم... ولا خشية.. يلبسون لبوس الدعاة، ويتحدثون بلسان الدين، دون سند شرعي، ولا تأصيل علمي، ولا وقفة بين يدي الله.

٣- مواضيع سطحية... مغلّفة بالدين.. محتوى سريع، كلمات لامعة، موضوعات "خفيفة على القلب..." لكنها لا تبني فكرًا، ولا تهذّب نفسًا، ولا تُقرّب من الله.

٤- إثارة عاطفية... على حساب العمق.. مقاطع تُبكي وتُرعب وتُدهش... لكنها لا تُرشد ولا تُزكّي، كأن الغاية أن يشعر المتابع بشيء ...لا أن يتغير فيه شيء!..

٥- أداء تمثيلي... بلا روح تربوية: حركات محسوبة، موسيقى حزينة، مؤثرات بصرية... لكن أين "خشية الله"؟.. أين "الدمعة التي يراها الله لا الجمهور"؟... أين التربية الربانية التي تُصلح الداخل... لا تُلمّع الخارج؟ وهكذا... انحدر الإعلام الإسلامي من مقام "البلاغ عن الله" إلى لعبة "كسب القلوب بلا تربية القلوب".

الإعلام الدعوي في أصله:

تفصيل المعادلة بوضوح:

الإعلام الدعوي الناجح... هو الذي:

- يواكب العصر... دون أن يساوم على النص.
- يتحدث بلغة الناس... لكنه يُبقي "الحق" هو السيّد.
- يستخدم التقنية... لا أن يُستَخدَم بها.
- يَستثمر في الوصول... لكن لا ينسى الوصول إلى "الله" أولًا.

أما الإعلام الدعوي المنحرف... فهو الذي:

- يجعل "الترند" أهم من "التوجيه".
- يتنازل عن الثوابت... ليُكسب رضا المتابعين.
- يزين الباطل بزخرف القول... ويُخفف من الحق باسم "الجاذبية".
- يُسكت النصوص... ويُعلي من التسويق.

الفرق بينهما:

الأول: يرى الإعلام "خادمًا" للوحي.

الثاني: يرى الوحي "أداة" لخدمة المنصة.

والخطر الأكبر:

حين نُطوّع شرع الله ليُناسب السوق، لا أن نُطوّع السوق ليعرف شرع الله.

قال الإمام ابن القيم: "الدعوة إلى الله طريقها الوحي... لا التنازلات"!

فاسأل نفسك دائمًا... قبل أن تُعلن، وتُنتج، وتُخرج، وتبثّ:

- هل ما أقدمه دعوة... أم "مُنتَج"؟.
- هل أُخضع قلبي للنص... أم أُخضع النص لقلبي؟.
- هل أنا أدعو إلى الله... أم أدعو إلى "نفسي" بطريقة أنيقة؟!.
- هل تحب أن أضع الآن خاتمة قوية وجدانية للفصل بأكمله؟.

مقارنة فارقة بين "المؤثر الإعلامي" و"المؤتمن الشرعي"

(جداول القلوب تفضح من يخدم "الوحي" ومن يخدم "الواجهة")

البند	المؤثر الإعلامي	المؤتمن الشرعي
الهدف الأسمى	الشهرة، التفاعل، الوصول	رضا الله، تبليغ الأمانة، تزكية النفوس
المحتوى	ما يُبكي ويثير	ما يُصلح ويهدي
الأسلوب	عبارات صادمة، مؤثرات، موسيقى	صدق في الكلمة، هيبة في الطرح، تواضع في الصوت
الجمهور	يتبع ميولهم ليبقى	يقودهم للحق ليَنجوا
المعيار	عدد المشاهدات واللايكات	ميزان الكتاب والسُّنة
المرجعية	ذاته، ذوقه، متابعوه	النص، العلماء، ورثة الأنبياء
الرسالة	يُجمّل اللفظ ليُعجب	يُبصّر القلب ليهتدي
الخطاب	عاطفي غالبًا... يفتقر إلى البناء العلمي	متوازن... يوقظ القلب ويُنير العقل
الخشية	من "سقوط الحساب"	من "سقوط القبول عند الله"
الهوية	"مؤثّر" معروف على الأرض	"مؤتمن" معروف في السَّماء

المؤثر... قد يصعد بسرعة، لكن المؤتمن... يصعد بثبات.

المؤثر... تتابعه الجموع، لكن المؤتمن... تكتبه الملائكة.

فاختر لنفسك:

- أتريد "هتاف الناس"؟ أم "رضا الله"؟..

- أتريد "ترندًا على الأرض"؟ أم "مكانًا عند الرَّب"؟.

فإنَّما الأعمال بالنيّات... والوجوه يومئذٍ ناضرة، ناظرةٌ إلى ربها.

أين الخلل؟

(حتى نُصلِح... يجب أن نعترف أولًا بما انكسر)

١- غياب المرجعية العلمية:

حين يُفتى في مسائل العقيدة والفقه والأخلاق على يد "مؤثرين" لا خُطى لهم في مجالس العلم، فلا تتعجب إن رأيت الأمة تضيع بين عناوين جذابة... ومضامين فارغة.

✘ من غير شيخ... لا فقه.

✘ من غير سند... لا فهم.

٢- التنافس على الريادة بدل التعاون على البر:

تحوّلت الساحة الدعوية في بعض الأحيان إلى "حلبة سباق"، لا يُرحّب فيها إلا بمن "يخدم الصورة"، أما من يخدم الحق... فيُهمَّش إن لم يكن نجمًا، والله تعالى قال: ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ** ﴾..

٣- تسويق الإسلام كـ"منتج جذاب" لا كدين نازل من السَّماء:

صار الحديث عن الإسلام أقرب إلى الإعلانات منه إلى البلاغ المبين:

- "الإسلام يمنحك راحة نفسية"
- الصلاة تخفف التوتر"
- الصيام يضبط النفس"

لكن أين:

- "أطيعوا الله"؟

- "اتبعوا النبي"؟
- "توبوا إلى الله جميعًا"؟

٤- الخوف من خسارة الجمهور... أكثر من الخوف من الله:

كم من داعية كان في بدايته صادقًا،
ثم خشي أن ينفر المتابعون من كلامه في الحجاب، أو في حدود العلاقة بين الجنسين، أو في بيان الحرام... فصار يلوّن عباراته، يخفّف من ألفاظه، يطمس الحدود... حتى صارت الدعوة "آمنة على الترند"... وخطيرة على الآخرة.

تنبيه صادق:

الدعوة مسؤولية، لا مجرد موهبة.

وشرّ ما يُبتلى به الداعية: أن يُرضي الناس... على حساب الذي بعثه!..

لمسة وجدانية ختامية:

يا إعلاميًا... يا صانع محتوى... يا داعيةً له جمهور:

توقّف لحظة... وتأمل:

- هل لا زالت الكاميرا تُريك الله؟.
- هل لا زال صوتك يُذكّرك بالقيامة؟.
- هل تذكر أنك سوف تُحاسب على كل ما نشرته... لا كل ما أُعجب به الناس؟.

الإعلام الدعوي ليس مهنة... بل أمانة.

ليس تسلية... بل تبليغ.

ليس "شو إعلامي"... بل ميراث نبوي.

فمن خان الأمانة باسم الدعوة... خسر الدنيا والآخرة ولو ملأ الدنيا ترندات.

وما من صوتٍ صدح باسم الدين... إلّا وكتبت الملائكة صدقه أو نفاقه في عليّين... أو في سِجّين.

ملخص وجداني للمحور الخامس:

- **مغالطات الإعلام والدعوة باسم الدين..**
- **حين صار الدين مادةً إعلامية... لا رسالةً ربانية..**

ما أخطر أن يتحوّل الدين الذي أنزله الله لتزكية القلوب، إلى مجرد فقرة مرئية تُقاس بعدد المشاهدات...

ما أقسى أن يُستبدل البكاء من خشية الله ...بالبكاء الدرامي أمام الكاميرا!

ما أوجع أن تتحوّل الدعوة إلى الله من نداء خفيّ بين العبد وربه، إلى عرضٍ عام تُوزن فيه الكلمات على ميزان الشهرة لا الصدق...

الدعوة... لم تكن يومًا وسيلة لاعتلاء المنصات،

بل كانت دائمًا وسيلة لخلع الكبرياء، والتواضع على باب الله.

يا من تدعو الناس... وتُخاطب الجماهير...

قف مع نفسك لحظة، واسألها:

هل دعوتهم إلى الله... أم إلى نفسك؟

هل قلتَ ما قاله الله... أم ما يريده الجمهور؟

هل كان عملك خالصًا... أم كنت تنتظر أن تلمع صورتك في عيون الناس؟

في هذا المحور... لم نُهاجم الإعلام، بل كشفنا كيف انقلب حين خسر روحه

لم نحذّر من الدعوة، بل نادينا أن تعود دعوة لله... لا دعوة باسم الله.

ليس كل من وعظ... كان واعظًا

وليس كل من تصدّر... كان أهلًا للتصدر

وليس كل صوت عالٍ... هو صوت الحق

لقد ترك لنا الأنبياء منهجًا واضحًا:

" وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ "

فمن بدل الأجر الإلهي بالتصفيق البشري... خسر ما لا يُعوّض.

وأخيرًا...

الدين ليس مادة دعائية... بل ميراث نبوي.

الدعوة ليست موهبة صوت... بل قلبٌ يحترق غيرةً على الناس.

الكاميرا لا تعني النور... إن لم يكن خلفها وجهٌ صادق، وقلبٌ باكٍ، وعملٌ متصل بالله.

يا رب... لا تجعلنا نكون ممن قالوا ما لا يفعلون

ولا تجعل دعوتنا حجةً علينا يوم العرض عليك

واجعل كل كلمةٍ نُخرجها للناس... سببًا في نجاتنا لا خيبتنا

اللهم آمين.

المحور السادس: مغالطات في الحكم على الناس

حين سرقنا مقام الله في "العلم بالقلوب"... ووزّعنا الجنة والنار على أهوائنا!

من أين جاءت الجرأة على اقتحام ما استأثر الله تعالى به من الغيب؟.

متى تجرّأ الإنسان على تقمّص مقام "الدَّيّان"، ليحكم على القلوب وكأن له مفاتيحها؟..

أليس من أعجب مظاهر الانحراف أن يتحوّل بعض "الملتزمين" إلى قُضاة على الناس بدل أن يكونوا عبادًا مع الناس؟!..

لقد نسينا أنَّ الله وحده هو العليم بذات الصدور...

وأنَّ الجنة والنار ليستا ملكًا لأحد يوزعهما على الناس بحسب مظهر، أو مذهب، أو مزاج!... في هذا المحور الصادم،

نكشف كيف تحوّل الدين عند بعضهم إلى معيار خارجي قاسٍ، يقيس الناس على "مقاساتهم" الخاصة، لا على ميزان الله تعالى.

كيف صار "الظن" يقينًا، و"الشكل" حُكمًا، و"الاختلاف" كفرًا؟!

إننا هنا لا نناقش مسألة سلوكية فقط، بل نُعلن خطرًا عقائديًا:

١- أن تسرق مقام الله في علم الغيب،

٢- أن تتحدث عن نوايا الناس وكأن الله استشارك،

٣- أن تُكفّر، أو تُفسّق، أو تُزكّي، أو تُقصي... وما بين يديك إلا قشرة لا تعرف ما تحتها.

هنا نضع الإصبع على جرحٍ ينزف في قلوب كثيرين، جرح "الاغتيال المعنوي" باسم الدين، وجرح من حُكِمَ عليهم ظلمًا... لا لأنهم خالفوا الوحي، بل لأنهم خالفوا ذوق بعض المتدينين.

الفصل الأول: تحكيم الظُّنون بدل الوحي

- **حين صار "الإحساس الداخلي" أقوى من حكم الله،**
- **وصار "ما خطر في بالي" أهمّ من النص القرآني.**

المعضلة الكبرى:

حين يُصبح "الانطباع" دليلًا، و"الظن" حكمًا، و"الشعور" فتوى!

لم نعد نُحاكم الأمور إلى الوحي، بل إلى نظراتنا، وهمساتنا، وسوء تأويلنا لما لا نعلم...

المشهد المؤلم يتكرر:

– شاب يخطو خطوة طيبة نحو الالتزام، فيُواجه بـ: "أكيد كان ماجنًا من قبل"! وكأنَّ التوبة دليل ماضٍ مظلم... لا طريق إلى النور.

– داعية يتعامل برحمة... فيُتّهم بالتميع، يتكلم بحزم... فيُتّهم بالتشدد.

فمن أين يرضي الناس... ما دام معيارهم هو الظن، لا الشرع؟

الميزان المنهجي:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [النجم: ٢٨]

وقال ﷺ: "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث" رواه البخاري ومسلم..

القاعدة:

✔ لا تُصدر حكمًا... إلا بدليل..

✔ لا تُسقِط فتوى... إلا بعلم

✔ لا تَخُض في نية عبد... إلا بعدل..

تحذير شديد:

من حاكم الناس بـ"ما توهّمه" لا بـ"ما علمه..."

ظلمهم، وأفسد عليهم طريق العودة، وصدّهم عن الله باسم الغيرة عليه!..

فيا من تنطق بالحكم على الناس...

هل نسيت أنَّ النبي ﷺ مرّ برجلٍ يشرب الخمر، فلعنه أحدهم،

فقال: "لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله"! رواه البخاري..

أيُّ ميزانٍ تحكم به؟ وأيُّ وحيٍ تستند إليه؟..

فالغيرة على الدين... لا تبرر الظلم باسم الدين!..

هنا تبدأ الكارثة حقًّا:

كل تلك الأحكام القاطعة، وكل ذاك الغضب المتشنّج،

وكل هذا "النبش" في نوايا الناس ومظاهرهم وسلوكهم...

على أي أساس بُني؟

– هل سألنا؟ لا.

– هل تحقّقنا؟ لا.

– هل عندنا نص واضح أو علم شرعي؟ أبدًا.

بل فقط:

"هكذا بدا لي" ...

"شعرتُ أنه تغيّر" ...

"تصرّف غريب... أكيد في شيء" ...

"فسّرت تصرّفه على طريقتي... وأصدرت حكمي" !

وكأنّ الشعور أصبح فتوى، والظن أصبح تشريعًا، والتأويل الشخصي صار دليلاً!

وهنا يضيع ميزان العدل... وتُهدر النوايا الطيبة.

نذبح الناس بسكين "الحدس"، ونطعنهم بسهم "النية المسبقة"، ونحاسبهم وكأننا نحن ...الدَّيان!..

تأمل جيدًا:

هل تحب أن يُقال عنك:

"أظنه منافقًا لأنه ابتسم في موقف حزين"...

"أظنها متبرجة لأنها غيرت لون حجابها"...

"أظنه فاسقًا لأنه خالف طريقتي في النصيحة..."؟

فكيف نرضى لأنفسنا ما لا نرضاه على غيرنا؟

النتيجة:

– الناس ينفرون من الدين، لا من ربهم... بل من ظُلم من نصبوا أنفسهم "حماة الدين".

– التوبة تُصبح مشبوهة... والنية الطيبة تُفسَّر بالسوء... والصمت يُتهم بالتقية!.. وهكذا يتحوّل الدين من رحمة إلى رقابة بشرية خانقة...

أترضى ذلك يا من تقول: "أنا غيور على الدين"؟.
الغيرة على الدين... لا تبيح لك أن تفتري باسم الله.
والحرص على الخير... لا يعطيك الحق أن تُخرس الآخرين.
وأكبر فتنة في الدين... أن نصف الناس بالشر، وهم أقرب إلى الله منّا بقلوبهم.
فإما أن نحكِّم الوحي... أو نحكم على أنفسنا بأننا أتباع أهواء،
لا عباد ربٍّ رحيم.

نعم... إنها جريمة عقدية!

حين تُصدّر أحكامك من مشاعرك... وتبني تصوّراتك من انطباعاتك... ثم تَلبسها لباس الشرع وتقول: "هذا فاسق، تلك مُداهِنة، هذا مُرائي، تلك انتكست..." فأنت لم تُخطئ فقط في الظن...
بل تعدّيت حدَّك مع الله تعالى! لأنَّ الحكم على القلوب...
هو اختصاص الدَّيّان وحده، وأنت... من تكون لتدخل في النيّات؟
من تكون لتُصادر باب التوبة؟
من تكون لتحكم على إنسانٍ تراه اليوم...
ولا تدري ماذا كان بالأمس، ولا ما سيكون غدًا؟
الآية صريحة صارخة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ** ﴾ لماذا؟ ﴿ **إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾ ولم يقل: "خطأ محتمل" بل إثم !لأنك:
– نسبته إلى نية لم تعلمها.
– وحكمتَ على قلب لم تملكه.
– وتجرأت على مقامٍ لله وحده.

فائدة عظيمة:

حين تقول: "أظن فلانًا مرائيًا... والله أعلم"

فأنت لم ترفع الإثم عنك بقولك "والله أعلم"، بل زدته...

لأنك تجرّأت على التوقيع عن الله، ثم اختبأت خلف عبارة "الاحتياط!"..

تنبيه شديد:

هذا ليس فقط سوء أدب مع الخلق... بل انحراف في العقيدة، لأنك:

- شاركت الله تعالى في الحكم على القلوب،
- وزاحمت الله تعالى في رحمته بعدم قبول التوبة،
- وكأنَّك جعلت نفسك مرآة الله في الأرض!..

تأمل هذا القول المؤلم:

"كم من ظنٍّ... صار سببًا في انطفاء قلب، وانهيار داعية، وابتعاد تائب، وفضيحة بريء"!

وكلها كانت فقط "ظنونًا"... لكنها عوقبت كجرائم.

القلوب أوعية ربانية... لا تُكشف بظن،

والناس عبيدٌ لله... لا تُصنّفهم مشاعرك،

فاحذر أن تظن... ثم تُهلك نفسك وأخاك بإثمٍ لا تراه...

لكنه يُسجّل عليك كل لحظة.

وهذا هو أصل الفتنة: حين يُقدَّم "الحدس" على "النص!"

لماذا نُحب الظن؟ لأنه لا يُكلّفنا شيئًا.

لا يحتاج إلى علم، ولا إلى تحقيق، ولا إلى عدل.

هو فقط "إحساس داخلي" يُشعرك بأنك ذكي، فَطِن، تُميز الخبيث من الطيّب!

لكن في الحقيقة... أنت لا تُمارس فطنةً،

بل تلبّسَ عليك الشيطان بعباءة "الحدس المقدس!".

الخطر الحقيقي:

حين تَحكم على الناس بهذا الشعور،
فأنت – دون أن تدري – تمارس ما لا يحق إلَّا لله:
"الحُكم على السرائر" وتجعل من نفسك "مِيزانَ الجنة والنار"
بل تصبح وكأنَّك توزّع صكوك البراءة والهلاك!..

لاحظ هذا التدرج الخطير:

تشعر بشيء سلبي تجاه أحدهم... (وهذا طبيعي بشري).
تُصَدّق هذا الشعور... دون تحقق (وهنا أول الانحراف).
تبني عليه حكمًا دينيًا: هذا مُداهن، هذه متساهلة، هذا ضال... (وهنا الخطر).
تبدأ بترويج هذا التصوّر: منشورات، تنبيهات، تحذيرات... (وهنا الإثم الجماعي)..
ثم تُقسم الناس إلى فئتين: معي = على الحق، ضدي = على الباطل... (وهنا تسقط في الافتتان)...

قال الإمام الذهبي:

"من تتبّع زلّات العلماء، وزلّات الدعاة، وزلّات التائبين، وزلّات العوام... ضلّ، وأضلّ، وخذل".

لأن الظن لا يحتاج إلى تعب... فإنه طريق كل كسولٍ عن طلب العلم، وكل متكبّرٍ على النص، وكل مُصابٍ بداء حب التحكم بالناس تحت غطاء "الغيرة على الدين".

فلا تكن ذلك الذي:

- يتسلّى بسوء الظن،
- ويتقوّى على الناس باسم الغيرة،

– ويقع في ما لا يُغتفر: "سوء الأدب مع ربّ الناس".
دع الحكم لله، والتمس لأخيك سبعين عذرًا،
وسَل الله أن لا يبتليك... بما حكمتَ به على غيرك!.

الفرق بين الظن المشروع... والظن المحرَّم:

الظن المشروع	الظن المحرَّم
أن تتوجّس من تصرف معين، دون أن تحكم على الشخص	أن تجعل الظن دليلًا للحكم على نية أو دين شخص
أن تقول: "أخاف أن تكون هذه خطوة غير موفقة"	أن تقول: "هو منافق، بلا شك"!
أن تدعو له بالهداية	أن تشهّر به وتغتابه وتفتي في شأنه

الخطر الأكبر:

حين تُقسّم الناس بناءً على ظنونك:

– هذا على الجادة
– ذاك من أهل البدعة
– تلك متساهلة
– هؤلاء مميّعون

فتكون بذلك قد نصّبت نفسك إلهًا صغيرًا، يوزع الخلق بين جنة ونار.

الطريق الصحيح:

- احذر من استسهال الحكم على الناس.
- راجع النص قبل أن ترخّص لنفسك الظن.

- واذكر دائمًا: أن الوحي لا يُلغى من أجل شعور!

حين يَسقط المجتمع في وحل الظنون...

هذا ما يحدث حين تُستبدل الثقة بالريبة:

تُهدم العائلات... وتُقطّع الأرحام:

أمٌّ تظن أن جارتها تحسدها... فتنقطع العلاقة بلا سبب.

أخ يُسيء الظن بزوج أخته... فتنشأ عداوة لا تنتهي.

صديق يشك في صديقه بسبب موقفٍ غامض... فيبتعد بدل أن يتحقق.

تُشاع الريبة باسم الغيرة الدينية:

رجل يُصلي بطريقة مختلفة قليلًا... فيُتّهَم بالبدعة.

داعية يُخالف رأيك في جزئية فقهية... فتراه ضالًا أو منحرفًا.

فتاة تلبس حجابًا مختلفًا... فتُنعَت بالتميع، أو بأنها "أداة فتنة".

يُخرَج الناس من الملة باسم السياسة أو المذهب:

ينتمي أحدهم لجماعةٍ معينة... فيُحكَم عليه أنه كافر أو عميل!

يختلف في تحليل حدثٍ معاصر... فيُتهم بالفساد في العقيدة.

يناصر قضية بطريقة غير مألوفة... فيُرمى بالخيانة أو الانحراف!

هكذا يتحول المجتمع من أمةٍ متراحمة... إلى غابةٍ من التُهَم:

لا تثق إلا بمن يطابقك في كل شيء.

لا تُحسن الظن إلا بمن يؤيدك حرفيًا.

كل من خالفك... فيه "شبهة"، أو "نية خفية"، أو "ولاء مريب".

وهذا بالضبط هو الجوّ الذي يُزهق فيه الحق... باسم الغيرة!.

النتيجة:

- قلوب ملأى بالحقد والريبة.

- جماعات تلعن بعضها باسم الله.
- أمة تمزقها الظنون... وتفقد الرحمة التي بعث بها نبيها ﷺ.

تذكير قرآني:

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾ [الحجرات: ١٢]..

وقال سبحانه: ﴿ **فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [الحجرات: ٦]..

أيها المتحمّس للدين... توقّف لحظة، واسأل نفسك:

هل ما تفعله هو غيرة لله... أم اندفاعٌ للذات؟

هل تحكم بالعدل... أم بالهوى المغلف بثوب الغيرة؟

فوالله... ما أقسى أن تلقى الله يوم القيامة،

وقد بُنيت أحكامك على الظنّ... لا على البيّنة.

من أخطر الأمثلة الواقعية... التي هدمت أرواحًا باسم "الغيرة":

شابٌ دخل المسجد لأول مرة منذ زمن...

يرتدي لباسًا رياضيًا بسيطًا، فيه بعض المخالفة للعرف،

لكنه جاء بقلبٍ يتوق إلى التوبة... يريد أن يعود إلى الله.

فإذا بأحدهم يقف أمامه بلهجة قاسية:

"مكانك مو هنا... روح صلّ بالنادي أحسن"!

فخرج الشاب من المسجد وهو مطأطئ الرأس،

ولم يعد إليه إلا بعد خمس سنوات من التيه والبُعد.

رجل كبير في السن... سمع الإمام يقرأ برواية قالون عن نافع،

فاستغرب القراءة، ولم يعرف أنها رواية صحيحة متواترة.

فقال بانفعال: "شو هالتحريف!؟ طلعوا الإمام هذا من المسجد"!

وتحوّل الجهل إلى اتهام... والإمام إلى "مُبتدع"... وكادت تقع فتنة كبرى في المسجد، فقط لأن أحدهم ظنّ... بدل أن يسأل ويتعلّم.

هكذا يُقصى الناس عن بيوت الله... باسم الغيرة على الدين!

لا برفق... لا بعلم... لا بحكمة...

بل بأحكام مسبقة، وريبة قاتلة، وظنٍ يُلبس ثوب الدين وهو أبعد ما يكون عنه!

رسالة مهمة:

الغيرة على الدين لا تعني التسلّط على الناس.

تصحيح الخطأ لا يكون بجَلد الضعفاء.

التديّن الحقيقي لا يُظهر نفسه في إقصاء العائدين... بل في احتضانهم.

القاعدة النبوية التي نسيناها... ونتعامل بعكسها تمامًا:

قال رسول الله ﷺ: "إيّاكم والظن، فإنّ الظنّ أكذب الحديث" متفق عليه..

تأمّل هذا التحذير النبوي العظيم:

- لم يقل فقط: "إيّاكم الكذب..."
- بل خصّ الظنّ، لأنه الكذب المقنّع...

الذي يسكن العقول ويُبنى عليه الحكم.

الظنّ لا يُواجهك بصراحة...

بل يتسلّل إلى داخلك، ويصير "إحساسًا" و"تحليلاً" و"رأيًا شخصيًا".

ثم تنقله... وتنشره... وتحكم على الناس به...

وكأنك رأيت الغيب، وفتّشت في القلوب! ومع ذلك... يصدّقه الناس!

لأنه لا يحتاج إلى دليل، ولا إلى بحث،

يكفي أن تقول: "أظنّ... وأحسّ... وأتوقع"

ويُبنى عليه ما يُبنى من مظالم، وقطيعة، وتكفير، وإقصاء، وتشويه للنيّات.

تنبّه!

الظنّ إذا تحوّل إلى حديث... صار "أكذب الحديث "بشهادة النبي ﷺ،
فلا تُعطه لسانك، ولا تُعطه قلبك، ولا تُعطه مكانة "الحق" وهو كذب!..

النتيجة النهائية المزلزلة: حين يُبنى الدين على الظنون...

- تُرتكب الجرائم باسم "الغيرة على الدين"
- يُذبح الأبرياء بسكين "التأويلات الشخصية"
- يُخوَّن أهل الصدق... لأنهم لم يُجاملوا
- ويُمدَح المتملّقون... لأنهم قالوا ما يُرضي الظنون
- يُكفَّر المخالفون بلا بيّنة... فقط لأنهم "يبدون غريبين"
- يُغتال الصادقون معنويًا... وتُشوّه نياتهم، وتُرمى قلوبهم بالظنون!.

وهكذا يتحوّل الدين – في قلوب الناس– من وحيٍ يُنير، إلى سيفٍ يُقطّع
ومن رحمةٍ تُحضن، إلى ظنونٍ تُقصي وتُؤذي.
فاحذر أن تكون من الذين يبنون دينهم على الظنون، لا على الوحي.
واحذر أن تكون من الذين يُضيّعون الحق... وهم يظنّون أنهم يُدافعون عنه!

الرسالة التربوية:

كُفّ عن محاكمة الخلق بما لا علم لك به!
ليس كل ما "تحسّه" حق، وليس كل ما "تظنه" صدق،
وليس كل ما "تراه" ببصرك، قد كشفته بصيرتك.
الدين ليس شعورًا داخليًا... بل وحيٌ محفوظ.
فمن قدّم حدسه على نصوص ربه، ومن صدّق قلبه أكثر من القرآن،
فقد جعل نفسه إلهًا يوزّع الأحكام... ويطرد من رحمة الله من يشاء!

يا محبًّا للدين... لا تُفرّط فيه باسم غيرتك! فالدين لا يُنصر بالافتراء، ولا تُحفظ هيبته بالهجوم العشوائي، ولا يُصان نوره بالظنون المسمومة!..

وختامها تذكرة:

﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [البقرة: ١١١]..

الفصل الثاني: التسرّع في تصنيف الناس

حين أصبحنا نُطلق الأحكام بلحظة...

ونسينا أن الله يُمهل، ويتأنّى، ويعلم ما لا نعلم.

المشهد الذي يتكرّر كل يوم...

لـمّا رأيت رجلًا يضحك طويلًا، قلتَ في نفسك:

"غافلٌ... لا يعرف لله وقارًا".

ولما رأيت شابةً تُحسن الحديث، تُنصت وتُحاور، هززتَ رأسك:

"فتنةٌ تمشي على قدمين".

ولما سمعت داعيةً يخالفك في مسألةٍ فرعيّة، جزمتَ:

"ضلّ عن سواء السبيل"!

هكذا... بلمحة عين، بكلمة عابرة، بظنٍّ مستعجل،

تنصب نفسك حاكمًا على مصائر العباد!

تُطلق الأحكام كما تُرمى السهام:

"هذا من أهل الجنة... وذاك إلى النار"!

"هذا معنا... وذاك ضدنا"!

"هذا عالمٌ ربانيّ... وذاك متصنّع جاهل"!

وكأن مفاتيح الغيب في يدك، وكأنَّ الله قد استأمنك على نيّات القلوب،
وكأنك خُولِفتَ في الوحي لا في الفهم!...
يا هذا... إن لله عبادًا يضحكون وقلوبهم معلّقة به،
ويُحسنون الحديث وهم أطهر من كثيرٍ ممن يُكفّرونهم،
ويختلفون في الفروع، لكنهم من أولياء الله الأخفياء!
فلا تزن الخلق بميزان هواك... ولا ترفع راية "الفرز" باسم الدين...
فالدين نور... لا أداة إدانة... والوحي شفاء... لا مسطرة تصنيف!.
تعلّم أن تتأنّ... أن تسأل بدل أن تحكم، أن تُنصت بدل أن تُطلق،
أن ترى ببصيرة... لا بعدسة الظن! فكم من محكومٍ عليه في الأرض...
هو عند الله في السَّماء من المقبولين.

ما سبب هذا التسرّع في تصنيف الناس؟

ما الذي يدفع قلوبًا لم تُوكل بالحساب... أن تُوزّع صكوك الهداية والضلال بلا بيّنة ولا خشية؟..

١- ضعف العلم الشرعي الحقيقي: من تشرّب العلم بحقّ، وتعلّم ضوابط الحكم والتكفير والتبديع، يدرك أن الميزان ليس في يده، وأن كلمة "كافر" أو "مبتدع" أو "فاسق" ليست نزهة على ألسنة العقلاء.
أما الجاهل... فيقذف بتلك الأوصاف كما يُرسل رسائل "واتساب"، بلا مسؤولية، ولا ورع، ولا علمٍ يردعه!

٢- حب الشعور بالعُلو والتفوّق: حين تُصنّف غيرك، يرتفع وهمٌ في داخلك: "أنا على حق، وهم على باطل" – "!أنا أعلم، أنا أثبت، أنا الأتقى"!
إنه شعور دفين... يُغذّي النفس العطشى للتفوّق الزائف، ويُلهيها عن تقويم ذاتها.

٣- التقليد الأعمى لفلان: قال "فلان" عن فلان إنه ضال؟ إذًا هو ضال...

وانتهى الأمر! لا بحث، لا تدقيق، لا رجوع لأهل الفقه والميزان.

تُصبح الكلمة المنقولة كأنها وحيٌ منزل... وتُنسى وصيّة الله:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

فليت شعري... أين غابت عقولٌ كانت تُفكّر؟

وأين توارت قلوبٌ كانت تخشى أن تسبق ربها في الحكم؟

إنه التسرّع القاتل... الذي لا يطعن الآخرين فقط،

بل يجرّ صاحبه إلى هاوية الظلم... وهو يظن نفسه ناصحًا لله!..

القاعدة النبوية التي هدمها هذا التسرّع:

في حديثٍ مزلزلٍ عظيم، قال النبي ﷺ: "إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما" رواه البخاري ومسلم...

أي: إن لم يكن الموصوف بها كافرًا بحق، رجعت الكلمة على قائلها!...

كأنها سَهم أطلقه على غير موضعه، فعاد ليستقرّ في صدره!..

تأمّل معي هذا الحديث... إنه لا يتحدّث عن "كلمة عابرة"،

بل عن حكمٍ يُخرج الإنسان من الملّة ...ومع ذلك، قال ﷺ: "فقد باء بها أحدهما"، كأنها أمانة ثقيلة، إن أخطأت هدفها، تلتصق بك وتُدينك!..

ومع كل هذا الوعيد... صارت تُقال اليوم على ألسنة بعض الناس كما تُقال التحيات!

- هذا ضال...
- ذاك مبتدع...
- فلان من أهل النار...

كأنهم يوزّعون مفاتيح الجنة والنار في مجالسهم،

وينسون أن الله لم يُوكّل أحدًا منهم بالحساب!
فيا من تُسرع في تصنيف عباد الله، قف مع هذا الحديث...
واسأل نفسك: هل تتحمّل أن ترجع إليك تلك الكلمة...
وتُكتب في صحيفتك...
وتُحاسب عليها يوم لا ينفعك فيها "فلان" الذي قلدته؟.

أمثلة معاصرة مؤلمة... لكنها واقعية:

- فتاة تنشر الخير على "إنستغرام".. تكتب كلامًا طيبًا، تنشر آيات وأحاديث، وتُذكّر بالله... لكن يظهر وجهها فجأة – بحُسن نية – فما إن تُرفع الصورة، حتى تُرفع معها سكاكين التصنيف:
  "داعية فتنة" – "!تُريد الشهرة لا الأجر "!–" تحبط العمل... وتُفسد النية"!
  ونسوا أن الله أعلم بما في القلوب، وأن الهداية لا تُقاس بزاوية كاميرا!.
- شاب موهوب في فن التصميم، أو الإخراج البصري.. يجتهد ليجمع بين الإبداع والحلال... لكن وضع أنشودة بلا موسيقى؟ إذًا:
  "مائع"! –"متساهل"! –"فاسد العقيدة"!.. كأنَّ الفن كلّه رجس، وكأن الرحمة لا تسع المجتهدين!..
- شيخ يتحدث بهدوء، وقلبٍ مملوء بالرفق... لا يصرخ، لا يشتم، لا يُقصي... فيُقال عنه: "جبان"! – "لا يغار على الدين"!
  "من دعاة التمييع"!.. ونسوا أن النبي ﷺ لم يكن صخّابًا، وأن الرفق ما دخل في شيء إلا زانه.
- شاب ملتزم يُصلّي ويصوم، لكنه يعمل في بنك.. ربما اضطرارًا... ربما جهلًا... ربما باحثًا عن البديل، لكن بدل النُّصح والدعاء له، يُقال:

"مرابي"! – "فاسق"! – "مجرم اقتصادي"! كأنَّ التوبة لا باب لها، وكأننا أُمرنا أن نطرد التائهين بدل أن نأخذ بأيديهم!..

في كل مثال... يتكرّر السؤال الجارح:

١- من أوكلك على القلوب؟

٢- من أعطاك حق إصدار الأحكام؟

٣- من نصَّبك بوّابًا على باب الهداية؟

رفقًا بالناس... فبعضهم ما زال يسير نحو الله تعالى، فلا تقطع عليه الطريق بسوط ظُنونك.

ماذا وراء هذا التسرّع في تصنيف الناس؟

ما الذي يحدث حين نُطلق الأحكام قبل أن نفهم، وندين القلوب قبل أن نُبصرها؟..

١- تحطيم النفوس التي كانت تقترب من الله: كم من قلبٍ كان يُحاول أن يُصلّي... أن يعود... أن يُصلح ما فات... فصدمته نظرة احتقار، أو كلمة اتهام، أو فتوى متعجّلة، فتراجع... وانكسر... وظن أن باب الله ليس له!..

٢- كراهية الناس لأهل الدين والدعوة: حين يختلط الحق بالغلظة، والدعوة بالقسوة، والتوجيه بالتصنيف، يقول الناس في داخلهم:

"إذا كان هؤلاء هم أهل الدين... فنحن لا نريده"! فيبغضون الدين لا لعيبه – وحاشاه – بل لسوء خُلق من حملوه بغير فقه ولا رحمة!..

٣- فقدان الثقة بأي ناصح أو مصلح: إذا صار الناصح يُدين ولا يُعين، ويجرّح بدل أن يُداوي، ويطعن بدل أن يُرشد، فمن سيبقى ليصدّق النُّصح؟ يتحوّل الناس إلى مناعة ضدّ الدعوة، ويُغلقون آذانهم، ويقولون: "كلكم

سواء... ما عدنا نثق بأحد"!..

٤- تحويل الدين إلى "نادٍ مغلق": لا يدخله إلا من يُطابقك في كل رأي، ويوافقك في كل اجتهاد، ويُقلّدك في كل فتوى، فمن خالفك: "مُبتدع"، ومن اجتهد بغير طريقتك: "ضال"، ومن سكت عن مسألةٍ لم يفهمها: "جبان أو متواطئ!" وهكذا... يُختزل الدين العظيم إلى رأي مجموعة، وتُغلق أبواب الرحمة في وجوه المستضعفين، ويُنسى أنَّ الله أرحم بعباده من تصنيفات عباده.

قاعدة ذهبية:

"من استعجل تصنيف الناس... تأخّر عند الله"!

لأن الله سبحانه... لا ينظر إلى لقطة واحدة من حياة الإنسان،
ولا يحكم عليه من زلّة، ولا يُدينه من موقف عابر،
بل يُمهله... ويرحمه... ويرى ما لا نراه!
يرى ما في القلوب... وأنت لا ترى إلا المظاهر.
يرى التوبة التي لم تُعلن... والدمعة التي سالت ليلًا... والنية التي تغيرت سرًا.
يرى نهاية الطريق... ونحن لا نحكم إلّا من منتصف الرحلة.
فيا من تُسارع إلى التصنيف... تذكّر أنَّ الله قد يكتب القَبول لمن استضعفته،
ويكتب عليك الوزر لأنك تكلّمت فيما لا تعلم!
الله تعالى لا يُبادر بالحكم كما تفعل أنت... بل يُنادي عبده في آخر لحظة:
"عبدي... لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم جئتني لا تُشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة"! فهل لك قلب يُشبه الله تعالى في رحمته؟؟؟...
فإن لم يكن كذلك... ولن يكون.....
فدع عنك الأحكام، واشتغل بخلاص نفسك.

تأمّل... وتروّى قبل أن تحكم:

هل تتذكر حاطب بن أبي بلتعة؟ ذاك الصحابي الجليل...

الذي أرسل سرًّا كتابًا إلى قريش يُخبرهم بخطة النبي ﷺ لفتح مكة!

لو كنا في زمانه، ولو وصلنا خبره على هيئة "منشور مسرّب"،

لرأينا فيه:

- خائنًا للأمة!
- جاسوسًا ينقل أسرار الدولة!
- مرتدًّا يستحق الإعدام!

لكن النبي ﷺ... الذي أُوتي البصيرة، والرحمة، ومعرفة مقامات الرجال،

لم يُصدر حكمًا عاطفيًا متسرّعًا، بل قال: "وما يدريك؟ لعل الله اطّلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرتُ لكم" رواه البخاري..

فغفر الله له زلّته... لأنَّ له رصيدًا في السماء!

قاتل في بدر، بذل لله، قدّم ما لا يعلمه إلَّا الله.

أما خطأه... فقد غُطي بستره القديم، وبنية لم تكن خيانة، بل حرصًا على أهله.

الدرس؟

ليس كل من زلّ، هلك.

وليس كل من أخطأ، خان.

ف ما تدري... لعلّ له بينه وبين الله ما يُنجيه، وأنت لا تعلم.

فانتبه... قد يكون من ترميه اليوم بسهم التهمة،

هو عند الله من المقبولين، وأنت... من المتسرّعين.

خطورة هذه الظاهرة ليست مجرّد خطأ سلوكي... بل جرمٌ في ميزان السَّماء!

كل مرة تُصنّف فيها إنسانًا ظلمًا، كل مرة تُسقطه بنظرة، أو كلمة، أو فتوى متعجّلة... قد تكون – دون أن تدري – سببًا في إغلاق باب التوبة في وجهه.

قد تقول عنه: "منافق... ضال... فاسق"...

فيصدقك الناس... فيكرهونه... فيبتعد.

ثم يهمس الشيطان في أذنه: "لم تعد مقبولًا... فلماذا تُحاول؟"

فيترك الصلاة، ويهجر القرآن، ويتخلى عن طريق الله... وحينها...

يُكتب في صحيفتك: "كان سببًا في صدّ عبدٍ عن الله"!

﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ** ﴾

فكيف بمن منع عبدًا من الذكر... لا بجدار، بل بحكم جائر!

ربما لو سكتَّ... لاهتدى.

لو دعوت له بدل أن تجرّحه... لعاد إلى ربه.

لو رأيت الخير المحتمل فيه... لكان من الصالحين غدًا.

لكنّك استعجلت... وظننت أن القلوب تُقرأ بالعين،

والنيات تُكشف بالرأي، فأضعت عبدًا... وكتبت وزرًا.

فرفقًا يا من تحكم... فربما كان في صمتك نجاة،

وفي تصنيفك هلاكٌ لك ولغيرك.

الدعوة لا تُبنى على التصنيف... بل على الترفّق والرحمة:

فمن أراد أن يُبلّغ دين الله، فليتشبّه بأخلاق من أُرسل به، قال تعالى لنبيّه ﷺ:

﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

وهو رسول الله، المؤيَّد بالوحي، المعصوم من الخطأ،

فكيف بمن ليس نبيًا ولا ملاكًا، ويجمع فوق قسوته... ظلمًا وتسرّعًا وجهلًا؟!

يُقصي الناس من الدين... ثم يتساءل: "لماذا لا يهتدون؟"
يُحبط السائرين إلى الله بكلمة طعن... ثم يقول: "قلوبهم مريضة"!
يُصنّف ويُدين ويُفرّق... ثم يتعجّب: "أين أثر الدعوة؟"!
يا من تتصدّر الدعوة... الناس لا تحتاج إلى حُكمك، بل إلى صدرك.
لا تنتظر منهم أن يهتدوا على مقاسك،
بل كن أنت جسرًا يعبرون عليه إلى الله... لا حاجزًا يقفون عنده.
الدعوة الحقّة ليست صراخًا في وجه المخطئ، بل رحمة تمتد نحوه،
ولا تصنيفًا يُقصي التائه، بل يدًا تأخذه بلطف إلى النور.

الدرس العملي... الذي يجب أن نحفره في ضمائرنا قبل ألسنتنا:

قبل أن تُصنّف أحدًا، قبل أن تقول: "ضال، فاسق، مبتدع، منافق"...
توقّف لحظة، واسأل نفسك بصدق: هل هذا حُكم شرعي... أم مجرّد شعور؟
هل بُني على أدلّة وفهم؟ أم على انطباع سريع، أو ظنّ سيء، أو شهوة كلام؟
هل قلت ما قلت... بعد نصيحة صادقة؟
بعد أن جلست معه، سمعته، ناصحته، فهمت ظروفه؟
أم بعد صورة عابرة، أو مقطع مجتزأ، أو سلوك لا تعرف خلفيّته؟
هل أتحمّل أن يُعرض هذا الكلام يوم القيامة؟
وأن يُقرأ أمام الله وأمام من طعنت فيه؟ هل سأقدر أن أقول لربي:
"نعم يا رب، هذا هو الحق... قلتُه ببصيرة، وكنت عليه من الشاهدين".
أم أنني سأُطرق خجلًا، لأنني حكمت بغير علم، وتكلّمت بغير بيّنة، وافتريت على عبدٍ لا أعلم ما بينه وبين الله تعالى؟..
حين نُدرّب أنفسنا على هذا التأمّل... سنتكلم أقل، وننصح أكثر.
سنصمت عن الناس... ونشتغل بأنفسنا.

وسنفهم معنى الحديث: "من حسن إسلام المرء، تركه ما لا يعنيه".

فيا صاحب القلب الحي... اجعل ميزانك يوم الحساب، لا لحظة الانفعال.

الرسالة الختامية لهذا الفصل:

الدين... ليس مضمارًا لسباق التصنيفات، ولا منصة لإطلاق الأحكام من بعيد، ولا ساحةً لتصفية الخلافات بلغة الإقصاء والتجريح.

الدين... هو سباق في النصح الرحيم، وفي ستر الزلات لا فضحها،

وفي أخذ الأيدي نحو الله لا دفعها بعيدًا عنه!

من ظن أن القرب من الله يكون بتصنيف الناس... فقد جهل جوهر الرسالة،

ومن قدّم التصنيف على التزكية... فقد خالف خُطى النبوة،

وسلك طريق الغلو الذي حذّر منه نبيّ الرحمة ﷺ.

إن كنت على الحق... فادعُ الناس إليه بخلق النبي، لا بعصا التصنيف.

وإن رأيت خطأً... فاجتهد في إصلاحه بالحكمة، لا بالحكم الجائر.

وإن رأيت باطنك يفرح بتسفيه الآخرين... فاعلم أن في قلبك خللًا، لا فيهم.

فما أقرب الناس إلى الله... إلا من كان لهم سترًا ونورًا ...لا سيفًا وظلًّا!

تذكّر دائمًا:

الرسول ﷺ ما بُعث قاضيًا على النيات، بل رحمةً للعالمين...

فإن أردت أن تسير خلفه حقًا، فامشِ على خطاه... لا على ظنونك.

الفصل الثالث: جعل النفس مرجعًا دينيًا فوق الجميع

حين صار الإنسان يعبد رأيه، ويُقدّس فهمه، ويرى أنه ميزان الحق، ولو خالف الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

الغرور الديني المقنّع... حين يتسلّل بلا تصريح:

قد لا يقولها بلسانه، لكنها تتسرّب من نظراته...

من تعليقاته... من ردوده... من اختياراته:

- "أنا أفهم الدين أحسن من الجميع"!
- "الناس جهلة، وأنا وحدي الذي يرى الصورة كاملة".
- "هذا الشيخ لا يُعجبني... إذًا فتواه مرفوضة، مهما كان علمه"!
- "هذه الآية معناها كذا، رغم كل ما قاله العلماء والمفسرون"!
- "هذا الحكم لا يوافق قلبي... فلا أطبّقه، ولو ثبت بدليل".

يُخفيها أحيانًا خلف كلماتٍ ناعمة، أو حرصٍ مُتوهَّم على الحق،

لكن الحقيقة المرعبة؟ أنه – دون أن يشعر – يضع نفسه في موضع المرجعية العليا! فلا شيخ فوق رأيه... ولا دليل يردعه إن لم يوافق مزاجه...

ولا فهم يُعتدّ به سوى فهمه! وهكذا...

يتسلّل الغرور في ثوب "الغيرة على الدين"، وتُصبح الذات ميزان الحق،

والقلب الحائر... هو المُفتِي والمُفسِّر والحاكِم! وهنا تبدأ الكارثة...

حين لا يعود الوحي مرجعًا، بل يُصبح تابعًا لما نرتاح إليه.

أصل الانحراف... ليس الكفر الصريح، بل الغرور الخفي:

كل الأديان التي حُرِّفت... لم تبدأ بالإنكار العلني،

بل بدأت من رجلٍ ظنّ أنه يفهم كلام الله أكثر من الجميع.

من عقلٍ رفع نفسه فوق الوحي، فصار يزن النصوص بميزانه،
لا يزن نفسه بميزان النص! وهذا لم يكن وليد اللحظة...
بل هو داءٌ قديم... وسرّ الانحدار الأول.
قال تعالى عن بني إسرائيل:
﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ [البقرة: ٨٧]...
فتأمّل... لم يكن الإشكال في الرسالة، ولا في الرسول،
بل في "الهوى "الذي صار هو المرجع:

- إن وافق النفس: قُبِل.
- وإن خالفها: رُفِض... حتى لو نزل به وحي السماء!

وهكذا... حين يُقدَّم "الهوى" على "الوحي"، وحين تُقدَّم "الذات" على "الحق"، تبدأ رحلة الانحراف... في لباس التأويل،
وتنتهي بتحريف الدين نفسه، تحت شعار: "هكذا أفهم"!..

مظاهر هذه الآفة حين يُستبدل الوحي بالهوى، ويُقدَّم الشعور على الشريعة:

١- ردّ النصوص لأنها "لا توافق المزاج": هنا لا يُجادَل بالدليل، بل بالارتياح الشخصي! وتُصبح شريعة الله محل تقييم، لا محل امتثال....

- "أنا لا أقتنع بأنَّ المرأة عليها تغطية وجهها"!..
- "حكم المواريث؟ لا يُعجبني... فيه ظلم للمرأة"!..
- "حديث صحيح؟ لا يهم... لا أرتاح له"!.

هنا لم يعد الله هو المرجع، بل صار الذوق الشخصي هو المُشرّع! فإذا وافق النص الهوى: "مُرحبًا به"، وإن خالفه: "يُشكّك فيه، ويُرمى خلف الظهر"!..

٢- رفض العلماء لأنهم "لا يفهمون الواقع كما نفهمه": تُقصى مرجعية الفقهاء، ويُرفع صوت "الحداثة المغرورة" على حساب العلم العميق.

- "هؤلاء يعيشون في زمن الصحابة... نحن الآن في ٢٠٢٥"!..
- "لا نحتاج إلى علماء... نقرأ القرآن بأنفسنا ونفهم كل شيء"!..

وكأنَّ ١٤٠٠ سنة من الاجتهاد، والفقه، والشرح، تنهار أمام ثقة شابٍ أمسك المصحف وقال: "أنا أفسّره وحدي"!..

٣- تأليه الشعور الشخصي وجعله ميزان الحلال والحرام:

- "أنا أشعر أن هذا حلال... إذًا هو حلال"!..
- "أنا أحب هذا الشخص، فلا أصدق أنه مخطئ، ولو أخطأ"!.
- "لا أرتاح لهذا الحكم، فلا أعمل به".

وهنا... يُنحّى القرآن، ويُعلّى "الإحساس" كمصدر تشريع جديد!..
ويُصبح الحب معيار الصواب، والكراهية مرجعية الفتوى!..

النتيجة؟

اختلاط الدين بالرغبة، وخلط الحق بالهوى، وتحويل الوحي الإلهي إلى مرآة مزاجية: لا نأخذ منه إلا ما يُعجبنا! وهذا...

هو الطريق القصير إلى تحريف الدين من الداخل.

أمثلة واقعية صادمة... تُجسّد انحراف "الهوى فوق الوحي" بأبشع صوره:

- شاب يجادل شيخًا في حكم الربا... فلما بيّن له الشيخ آيات التحريم، وأحاديث الوعيد، قال الشاب بكل ثقة: "مع احترامي... أنا عندي عقل! وما أقبل يكون الله يُحرّم شيء فيه مصلحة للناس"! وكأن عقله صار مِعيارًا يُصحّح به وحي الله! ونسِي أن الله قال: ﴿ **وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَا** ﴾ فهل بقي بعد هذا البيان مجال للاجتهاد بالمزاج؟.
- فتاة تُنكر أحاديث صحيحة لمجرد أنها لا "تستسيغها..." قالت:"أنا أعبد الله مباشرة، لا أحتاج رجال الدين".

قيل لها: "لكن الحديث في البخاري"

فقالت:"وماذا يعني؟! أنا عندي عقلي"! فهنا لم تعد القضية دليلًا ونصًا، بل صارت حربًا صامتة ضد كل ما لا يُوافق مشاعرها...

حتى لو نطق به النبي ﷺ نفسه! والله المستعان..

- شخص يفتح بثًا مباشرًا على "تيك توك..." يشرح القرآن بلا علم، ولا فقه، ولا خلفية شرعية، يسخر من كتب التفسير، ويقول: "كلها اجتهادات بشر... وأنا بشر"! ثم يبدأ يُلوّن المعاني كما يشاء، ويُرضي المتابعين بـ "دين لا يُحرّم"، و"قرآن حسب الرغبة"، فيتهافت عليه الآلاف... لأنه يبيع لهم وهمًا مريحًا اسمه:"دين بلا التزام".

وهكذا... لا يُرفض الدين صراحةً، بل يُعاد تشكيله في قوالب الهوى،

ويُعاد تفسيره ليُناسب الرغبات،

ويُخنق الوحي خلف ابتسامة تقول:"أنا أفهم... وأنا أقرر"!

وهذا هو التحريف العصري... الذي لا يُحرق الكتب، بل يحرّف العقول.

الكارثة الكبرى: عبادة الذات باسم الدين!

ليست الكارثة في أن تُخطئ... فالخطأ طبيعة البشر.

لكن الكارثة حين تُقدّس خطأك، لأنك أنت من أخطأت!

وحين تُقدّم رأيك على وحي الله تعالى،

وتُسكت صوت القرآن لأنه لا يُطابق ما في داخلك!

قال ابن القيم رحمه الله:

"ما هلك من هلك إلَّا بإيثار رأيه على شرع ربه".

كلمة عظيمة... تُلخّص مأساة الانحراف الديني في كل زمان.

فالخطر الحقيقي ليس في أن تُخطئ في فهمك،

بل في أن تُؤله فهمك، وتجعله فوق الوحي!

في أن تُخطّئ الصحابة، وتُسقِط العلماء، وتردّ النصوص...

وتقول بثقةٍ فارغة: "أنا أشعر... أنا أرى... أنا لا أقتنع"!

أنت لا تعبد الله إذًا... بل تعبد "نفسك" التي تُحلّل وتُحرّم.

لا تتبع الشريعة... بل تتبع رغبتك التي تلبست بلباس الدين.

لا ترجع إلى الوحي... بل تُعيد تفسيره حتى يُطابق مزاجك! وهنا...

- يتحوّل الدين إلى مرآة "أنا"، لا مراد الله.
- وتنقلب الطاعة إلى تعصب للرأي،
- ويُصبح الهوى ربًّا مطاعًا... في ثوب التديّن.

قال تعالى: ﴿ **أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ** ﴾ [الجاثية: ٢٣]..

فليس كل عبادةٍ فيها صلاة...

بعضها فيها "أنا فقط"، لكنها تُسمّى زورًا: "دين".

قاعدة ربانية تُضيء طريق الحق وتحذّر من مسالك الهوى:

قال تعالى: ﴿ **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ** ﴾ [القصص: ٥٠]..

هذه الآية ليست فقط عن قومٍ كذّبوا النبي ﷺ،

بل عن كل من قدّم هواه على هدى الله... في أي زمان.

لم يقل: "ومن أضلّ ممن جهل"... ولا: "من لم يفهم".

بل قال: " **مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ**".

لأنَّ الضلالة الحقيقية ليست في قلة العلم...

بل في الإصرار على تقديس الرأي ولو خالف الوحي.

- حين يُعرض عليك الحق من القرآن والسنة... فترده لأنك لا تريده،

- حين يُناقشك أهل العلم... فترفض لأنك "لا تقتنع"،
- حين تقول: "أنا أشعر... أنا لا أقبل... أنا عندي فهمي الخاص"،

فأنت لا تُجادل عن علم، بل تُدافع عن هوى! وهنا يأتي الانحراف الأخطر...
ليس لأنك لم تعرف الحق، بل لأنك عرفته، ثم آثرت عليه نفسك.
فالجهل له شفاء... لكن الهوى المتعالي على الوحي...
هو المرض الذي لا يُرجى برؤه إلَّا أن يُكسر الكبرياء.

فافهم القاعدة:

١- من لم يستجب للوحي... اتّبع هواه.
٢- ومن اتّبع هواه... ضَلَّ، ولو ظنّ أنه على نور.

كيف نحمي أنفسنا من هذا المرض الخفي: مرض "تأليه الرأي" وتقديم الهوى على الوحي؟

إنه داء خطير... يتسلل إلى القلوب المتديّنة كما يتسلّل السمّ في العسل.
ولذا كان دواؤه في أربع وصايا عظيمة، تنقذك من الانزلاق، وتردّك إلى الصراط المستقيم:

١- تذكّر دائمًا أنك عبد... لا مشرّع: مهما بلغ عقلك... ومهما ظننت بنفسك خيرًا، فأنت مخلوق لله، مأمور باتباع أمره، لا إعادة تشكيله!
العبودية الحقة تبدأ حين تُسكت "أنا" أمام "قال الله وقال الرسول".

٢- سلّم لله ولرسوله، حتى لو خالف ذلك فهمك أو هواك: قال الله تعالى:
﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** ﴾ النساء: ٦٥]، ليس الإيمان أن تتّبع ما تقتنع به فقط... بل أن تُذعن لما حَكَم به الله، حتى لو لم تدرك حكمته بعد، فالعقل الصادق يتواضع أمام الوحي، لا يتعالَى عليه.

٣- اطلب العلم من أهله... لا من نفسك: لا يكفي أن تقرأ آية أو حديثًا وتبني عليه فتوى! ولا أن تسمع مقطعًا فتفتي في الدين! سل أهل الذكر، وتعلّم على أيدي العلماء، قبل أن تُزيّف لنفسك دينًا يناسبك... لكنه لا يرضي الله!..

٤- إذا خالفك الدليل... فتبنَّه، لا تُلغِه: الحق ليس ما توافقك عليه نفسك... الحق ما وافق كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ، فإن جاءك الدليل... فقل: "سمعنا وأطعنا"ولا تقل: "لا أرتاح، لا أقتنع، لا أظن"!

تأمّل... الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا معصومين، لكنهم كانوا يقولون: "كان الناس ينهون عن كذا، فكنا ننتهي، وإن كنا لا نفهم السبب"! هذا هو الإسلام الحقيقي...

أن تضع قلبك وعقلك تحت أمر الله، لا فوقه... وإن فعلت ذلك... عصمك الله من الزَّلل، وألهمك الفهم، وفتح لك أبواب الهداية.

إلى كل من جعل نفسه فوق النص... وكأنَّ الوحي يُوزَن بعقله، لا أن يُوزِن عقله به:

أيّها الإنسان... ليس لأنك قرأت كتابًا، أو تابعت مقطعًا، أو انبعث فيك شعور ديني جميل... صِرتَ مؤهّلًا لأن تُشرّع، وتفتي، وتُحكم، وتُلغي، وتختار من الدين ما تشاء! افهم هذه القاعدة جيدًا: ليس كل ما يريح قلبك هو حق... فكم من باطلٍ يُعجب النفس، وكم من حقٍّ يتعبها أول الأمر... لكنه هو طريق النجاة.

أحيانًا يُريحك الكلام الذي يُوافق هواك... لكنه يبعدك عن الله.

وأحيانًا تتضايق من آيةٍ تُعارض رغبتك... لكنها تقودك إلى الجنّة!

الميزان ليس شعورك... بل وحي الله.

﴿ **فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ** ﴾ [طه: ١٢٣]..

فلا ترفع نفسك فوق الوحي... ولا تجعل من ذوقك مرجعًا،

ومن رأيك دينًا، ومن ارتياحك ميزانًا.

فربّك هو الحكيم... لا قلبك... والوحي هو الحق... لا مزاجك.

الرسالة الأخيرة... خلاصة الطريق لمن أراد النجاة:

الدين لا يُؤخذ من داخل نفسك... بل من فوق نفسك!

لا من مشاعرك، ولا من ارتياحك، ولا من تأملاتك الخاصة...

بل من الوحي المنزل من فوق سبع سماوات.

لا تصدّق كل ما تشعر به... فالقلب قد يهوى، والعقل قد يُخدع،

والنفس قد تزين لك الطريق الخطأ بثوب الراحة والرضا.

بل ضع قلبك على ميزان الوحي... فإن وافقه، فذاك نور من الله، فاتبعه.

وإن خالفه، فذاك هوى من نفسك، فاحذره.

قال الله تعالى: ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾ [النور: ٥٤]..

فالطريق واضح، والهداية ليست في كثرة الشعور... بل في صدق التسليم.

- سلّم لله... وارتقِ.
- ضع نفسك تحت الوحي... ولا ترفعه دونك.
- واجعل شعارك في كل شبهةٍ أو رغبة:

"اللهم أرني الحق حقًا وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلًا وارزقني اجتنابه".

الفصل الرابع: هل صرتَ تعلم ما في القلوب؟

الفرق بين الحكم على الظواهر... والدخول في البواطن.

مفتتحٌ يوجع القلب... يهزّ ضمير كل من نصب نفسه حاكمًا على عباد الله:

- من الذي أعطاك مفاتيح الصدور؟..
- من الذي سلّطك على القلوب، لتفتحها أو تُغلقها متى شئت؟..
- من الذي أوهمك أنك تملك حقّ الحكم على نيّة هذا، وصدق ذاك، ومراد فلان، وهدف علّان؟!..

ألَّا تعلم... أنَّ النبي ﷺ نفسه – وهو الموحى إليه – لم يكن يعلم ما في القلوب؟! بل جاءه الوحي الصادق يقول:

﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

ونهى ﷺ عن شقّ القلوب، حتى فيمن ارتكب ما يُريب في الظاهر،

لأنه لا أحد يعلم الباطن... إلا الله... فكيف بك – أيها الإنسان المحدود – تُطلق الأحكام على مقاصد الناس كما لو كنت بوّاب الجنة أو النار؟

كيف لك أن تُقسّمهم إلى صادق ومنافق، مخلص ومُرائي، وقد قال ربك لنبيه:

﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾؟!

كُفّ يدك... ولسانك... وظنّك.

فما أرحمك بنفسك، حين تشتغل بعيوبك بدل قلوب غيرك.

وما أعظمك عند الله، إن تركت الخلق لخالقهم،

وسألت لنفسك: هل قلبي أنا... نقيٌّ حقًا؟.

الآية المزلزلة... التي تهزّ كل من استعجل في تصنيف الناس:

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا** ﴾ [النساء: ٩٤]... هذه الآية لم تنزل في عدوٍ مقاتل، ولا في كافر مجاهر،

بل في رجل قال: "السلام عليكم"... فأُسيءَ به الظن، وقُتل! ظنّ الصحابي أنه قالها تقيّةً لا إيمانًا، فأخطأ الحكم... وكان ظاهر الرجل يوحي بالإسلام.

فعاتب الله أهل الإيمان – بل توعّدهم – على هذا التصرف:

"حتى لو ظننتم أنه منافق... ما دام قد أظهر السلام، فليس لكم إلَّا الظاهر"!

لكم ظاهر اللسان، لا خفايا الجَنان... لكم الشهادة، لا النيّة.

لكم الكلمة، لا التأويل.

فكيف بمن لا يرى "سلامًا" بل يرى مقطعًا على "تيك توك"،

أو صورة على "إنستغرام"، أو تصرّفًا مجتزأ؟

ويقول: "هذا ليس مؤمنًا... هذا منافق... هذا ضال"! أيُعذَر بعد هذه الآية؟!

تأمّل... القرآن منعك من نفي الإيمان عن من قال: "السلام عليكم"،

فكيف تجرؤ على أن تنفيه عمّن يقول: "أشهد أن لا إله إلا الله"؟

أو يقرأ القرآن، أو يصلي، أو يتكلم بخير...

ثم تصفه بالفسق أو النفاق أو الكفر، بناءً على ظنّك فقط؟

هذه الآية ليست فقط قصة تاريخية... إنها قاعدة ربانية:

الظواهر تُحترم، والنيات لا يعلمها إلَّا الله.

فلا تكن ممن قتل بكلمة... ولو لم يرفع سيفًا.

القاعدة الذهبية في الشريعة:

"نحكم بالظاهر، والله يتولّى السرائر"... هذه ليست قاعدة فقهية فحسب...

بل ميزان عدلٍ، وسياجٌ يحمي القلوب من التجرّؤ على ما استأثر الله به وحده.

فالشرع الشريف لم يُكلّفك أن تفتّش في الصدور، ولا أن تُفسّر النيات، ولا أن تزن المقاصد الخفية بميزان ظنّك! فأفعال الناس يُحكم عليها بظاهرها، أما القلوب... فمُحرّم عليك اقتحامها.

فلا تقل:

- "هذا يُصلّي... لكن صلاته ليست لله"!
- "هي تُعلّم الخير... لكن نيتها الشهرة"!
- "هو يتظاهر بالورع... لكنه يُخفي نفاقًا"!

هذه الأقوال ليست من الورع... بل من العدوان.

ليست من الغيرة على الدين... بل من الافتراء على عباد الله.

قال النبي ﷺ: "إني لم أُومر أن أفتّش عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم" رواه البخاري ومسلم.. فقف حيث أمرك الله:

- عند الظاهر الصالح... فاحترمه.
- وعند المنكر الظاهر... فغيّره بالمعروف.

أما ما في الصدور؟ فقد قال ربك: ﴿ **إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ** ﴾

نحكم بالظاهر... لأنه أمانة العدل، وندع السرائر... لأنها أمانة الله.

متى نحكم على الأفعال؟ ومتى لا نقترب من النوايا؟

الحالة	الحكم المشروع
رجل يرتكب فعلًا محرّمًا ظاهرًا (كالربا – الزنا – الغش)	يُحكم على فعله، وتُقام الحُجة، مع الرحمة والدعوة
رجل يعمل عملًا مباحًا أو دعويًا أو اجتهاديًا	لا يُحكم على نيّته، حتى لو خالفتك طريقته

امرأة تُجيد التلاوة بصوت ندي وتنشره	يُحكم على أدائها وظاهره، لا على مقصدها..
داعية مشهور على وسائل التواصل	لا يجوز الحكم على دوافعه الداخلية، بل يُناقَش عمله بمنهج وبيّنة

أمثلة واقعية... تكشف كيف تحوّل بعض الناس إلى "قضاة على القلوب":

وكأنَّ مفاتيح السرائر بين أيديهم:

- رجل يُشارك في التمثيل الإسلامي – مشاهد دعوية هادفة – يريد إيصال رسالة الخير بأسلوب عصري، فإذا بالبعض يقول: "ممثل... نيته الشهرة، لا الدعوة"! وكأنهم اطّلعوا على ضميره، وعرفوا ما لا يعرفه عن نفسه!.
- داعية يُدافع عن مسألة شرعية مختلف فيها... يتكلم بلغة الحكمة، ويحاول الجمع لا التفريق، فيُقال عنه: "يُجامل... يخشى الجمهور... كلامه ليس لله"! ونسوا أن الكلمة تُوزَن بالعلم والدليل، لا بنوايا مُتخيلة!.
- شابٌ صالح يلبس زيًّا عصريًا، مرتب الهيئة، حَسَن المعاملة.. لكن مظهره لا يعجب "الذوق الدعوي التقليدي"، فيُقال له: "أنت تتظاهر... نحن نعرف نيتك"! فمن أعطاهم حقّ الدخول إلى أعماق قلبه؟ ومن نصبهم شهودًا على ضميره؟!..
- فتاة تدعو إلى الله على "تيك توك" بأسلوب لطيفٍ، يخاطب الناس بلغتهم تنشر آيات، أو تذكّر بحديث، أو تحثّ على خلق، فتنهال عليها التعليقات: هي لا تريد الدعوة... تريد أن تظهر فقط"! ونسوا أن رسول الله ﷺ قال: "من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما"، فكيف بمن قال: "يا مرائي، يا متصنّع، يا شهير" دون بينة؟!

- كل هذه أحكام قلبية باطلة، ليس لأحدٍ من الخلق أن يقولها أو يُلمّح بها، لأن القلوب لا يعلمها إلا الله.... فمن قال: "نيّته كذا..." دون بيّنة، فقد افترَى، ومن ظنّ أن له حقّ النظر في السرائر، فقد تجاوز حدّه.

وإنما نحن نحكم بالظاهر، والله وحده... يتولّى السرائر.

من أخطر أنواع الظلم... وأشدّها خفاءً:

أن تنسب لإنسان "نيةً فاسدة "لم ترَها، ولا تملك عليها بيّنة، ولا سمعت بها منه، بل فقط... "توقعت"، أو "شعرت"، أو "فسرّتها" على طريقتك!..

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

"النية موضعها القلب، وليس لأحدٍ أن يحكم على قلب أحد، لأنه لا يراه".

وهذا القول العظيم يُلجم كل لسانٍ تجرّأ على مقاصد الناس...

وكل عقلٍ توهّم أنه يعرف ما في السرائر!

- تتصدّق امرأة؟ فيُقال: "تُحب الظهور"!
- يتحدث داعية بلطف؟ فيُقال: "يريد أن يُرضي الجمهور"!
- يُظهر شخصٌ خشوعًا؟ فيُقال: "يتصنّع الورع... وهو منافق"!
- يُدافع عن فكرة شرعية؟ فيُقال: "عنده مآرب... يُخفي بدعة"!

فأيُّ قلبٍ هذا الذي جعل من الظنّ دينًا، ومن الحدس ميزانًا؟

وأيُّ يدٍ هذه التي تكتب في صحيفتها: "اتهم عبدًا في نيّته... بغير علم"؟!

قال الله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا** ﴾ [النجم: ٢٨]..

والنبي ﷺ قال: "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث" متفق عليه...

فتذكّر: أن تُخطئ في ترك تصنيف شخص... خيرٌ من أن تظلمه في نيّته.

لأنَّ الله تعالى لم يُوكل إليك القلوب...

بل أمرك أن تُحسن الظن، وتدع السرائر لمن خلقها.

لماذا حرّم الشَّرع الخوض في النوايا؟

لماذا شدّد الإسلام في النهي عن الحكم على المقاصد، وتفتيش السرائر، والتجرؤ على ما استأثر الله به من علم الغيب؟.. إليك الجواب، بكل وضوح ووقار:

١- لأنك لا تراها... النية سِرّ بين العبد وربه، لا تُرى بالعين، ولا تُسمع بالأذن، ولا تُمسك باليد... فكيف تحكم على شيءٍ لا تراه؟! بل كيف تجرؤ أن تتكلم فيه، وأنت لم تُكلّف به أصلًا؟

٢- لأنَّ الله وحده يعلمها... قال تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [النحل: ١٩].. فمن تكلّم عن نيّات الناس بغير علم، فكأنّه ادّعى علمًا لا يملكه... ونَصّب نفسه مكان الله تعالى – أستغفر الله –!

٣- لأنَّ الناس لو استُبيحت نواياهم... لانقطعت الثقة والأمان بينهم.

- كل عمل سيُشكك فيه: "هل فعله لله؟ أم لمآرب أخرى؟"
- كل دعوة سيتهمها البعض: "هو يطلب شهرة... لا أجرًا"!
- كل ابتسامة ستُفسَّر: "يتقرّب لا يُخلِص"!

فتنقلب المجالس إلى محاكم، والصحبة إلى ريبة، والدعوة إلى تشكيك، وتُصبح الحياة جحيمًا نفسيًا لا تُطاق!..

٤- لأنَّ الطعن في النوايا يُحبط الأعمال، ويُفسد القلوب.

حين يُقال للعبد الصالح:

- "أنت مرائي"!
- "عملك للدنيا"!
- "نيتك فاسدة"!

فربما يُحبط قلبه، ويُصاب بالإحباط أو الرياء الحقيقي... فتكون أنت السبب في فتوره وضياعه.

لذلك... كان من أعظم أبواب الظلم: الحديث عن النوايا.
ومن أصدق دلائل التواضع: السكوت عمّا لا يعلمه إلَّا الله.
فالنية حرزٌ مغلق... مفتاحه بيد رب العالمين، لا بيدك أنت.

حتى النبي ﷺ... نُبِّه ألَّا يقتل المنافقين، رغم علمه بنفاقهم!

عن رأس النفاق عبد الله بن أبيّ، الذي آذى النبي ﷺ في عرضه، وطعن في دينه، وتآمر في كل غزوة، قال ﷺ:
"لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه"! رواه البخاري...

تأمّل... لم يقل: "أعرف ما في قلبه"، ولا: "أنا أميّز المؤمن من المنافق"، بل اختار ﷺ أن يدرّب الأمة على ميزان الشرع:

- نحكم بالظاهر، وندع السرائر لله.
- نُراعي المصلحة، ونغلق أبواب الفتنة.
- نضبط ألسنتنا... حتى عن الواضح الباطن، إذا لم يكن عليه حكم ظاهر.

عبد الله بن أبيّ... رأس النفاق، والنبي ﷺ يعرف نفاقه، والقرآن نزل يفضحه، ومع ذلك... لم يُقم عليه حدًا، لأنه كان يُظهر الإسلام، ويُصلّي مع المسلمين، ولم يظهر عليه كفرٌ بَواح.

فهل بعد هذا يجرؤ أحدٌ منا أن يقول:

"هذا مرائي... هذا نفاقه ظاهر... أنا أعرف نيّته!"؟

هل نُريد أن نكون "أفقه" من رسول الله ﷺ؟!

تذكّر: النبي ﷺ اختار أن يُغلق باب الفتنة...
وأن يُربّي الأمة على الانضباط لا على الغلظة، وعلى الورع لا على الظنون..
فما أحوجنا أن نتعلّم من هذا الموقف النبوي العظيم:
أن نكفّ ألسنتنا... ولو عن من نظنّ نفاقه،

ما دام لم يظهر عليه ما يُبيح لنا الحكم عليه بالشرع.

ماذا يحدث إذا سرنا في طريق "النية المظنونة"... وجعلنا الظنّ مرآة نحكم بها على صدور الناس؟

ما الذي ينتج عن تتبّع المقاصد، وتأويل النوايا،
وتشريح القلوب دون علم ولا بيّنة؟
الجواب مرعب... وهذه بعض نتائجه:

١- تتفكك المجتمعات: حين يُصبح كل إنسان متّهمًا في نيّته، تذبل الثقة، وتضمحلّ المودّة، ويخاف الناس من بعضهم، ويُصبح الصدق عبئًا... والصمت أمانًا... فلا يُؤمن الصادق على صدقه، ولا ينجو المخلص من ظنّ المتربّصين.

٢- يُسقط الصالحون... باسم الغيرة على الدين:
- كل داعية يُتّهم بالرياء،
- كل معلّم يُتّهم بحب الشهرة،
- كل مبادر للخير يُقال عنه: "يُرائي، يُظهر نفسه، عنده أهداف"!

فيسقط الناس واحدًا تلو الآخر... لا لخطأ ظاهر، بل لنية مظنونة لا يعلمها إلا الله!..

٣- تُختزل نيات العباد في عيون المتطفلين: كأن قلوب الناس شاشات، والمتابعون هم المفسّرون!...
- رأيت دمعة؟ إذًا هو يمثل.
- سمعت موعظة؟ إذًا هدفها كسب متابعين.
- شاهدت منشورًا؟ إذًا صاحبه يسوّق لنفسه.

وكأنَّ الله أعطاهم مفاتيح الصدور... وما أعطاها حتى لنبيّه ﷺ!

٤- يُكرَه الناس في الدين والدعاة: حين يُشاع أن كل من يعمل للدين "مشبوه النية"، وكل داعية "يبحث عن شهرة"،وكل مشروع دعوي "خلفه غايات دنيوية"، فمن الذي سيُقبل على الدين؟ ومن الذي سيتجرّأ على الدعوة؟ حين يُتّهم المصلحون... ينكفئ الناس عن الإصلاح.

٥- **يُجفّف منبع الدعوة: "النية لله"**: النية هي القلب النابض للعمل الصالح، فإذا خاف الناس أن يُسيء إليهم الآخرون الظنّ، تردّدوا، وتراجعوا، وكفّوا أيديهم... فتجفّ المواعظ، وتخفت المبادرات، ويموت الحماس في النفوس.

وهكذا... يكون أول ضحايا الظنّ بالنوايا: الدعوة نفسها!

فاحذر... فإنَّ تتبّع النوايا ليس ورعًا، بل فتنة.

وفتح هذا الباب... كفتح باب النار على الأمة.

أغلِقه كما أغلقه النبي ﷺ...وقل:

" **اللهم سلّم قلوبنا من الظنون، وألسنتنا من الطعن، وأعمالنا من الرياء** "

الرسالة الختامية... لمن غار على الدين فأخطأ الطريق:

أيّها الغيور على دين الله... احفظ غيرتك من أن تنقلب إلى ظلم،

واضبط حماسك قبل أن يجرّك إلى التعدّي على ما استأثر الله بعلمه.

قف عند الظاهر... كما أمرك الله، واحذر أن تزاحم ربّك في علمه،

فالقلوب له... لا لك، والسرائر عنده... لا عندك.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ** ﴾ [الأنفال: ٤٣]..

فلا تُطلق الأحكام على النوايا...

ولا تُنصّب نفسك شاهدًا على الضمائر... ولا ترفع ميزانك فوق ميزان الله!

وإن كنتَ لا تحب أن يُقال عنك: "نيته فاسدة، قصده الرياء، باطنه كذا"...

فلا تفعل ذلك بغيرك، فربّك عادل... وقد يُعاملك بما كنت تُعامِل به الناس!
لا تُفاجأ يوم القيامة بأنك كنت تُدين عباد الله بغير علم،
وتتكلّم في قلوبهم بغير سلطان من الله مبين.
فاجعل شعارك: "لي الظاهر... والله يتولّى السرائر".
فبهذا تسلم... ويزكو عملك... وتُرضي ربك.

الفصل الخامس: حين نحكم على الناس من هيئة لباسهم فقط

المحجّبة ليست بالضرورة ولية... والسَّافرة ليست بالضَّرورة ضالّة!

"النظر بنور الله" ليس بصريًا... بل قلبيًا.

المشهد الذي نراه كل يوم... لكننا نغفل عن عمقه:

فتاة ترتدي الحجاب الكامل... تُفتَح لها الأبواب، وتُستقبل بالأحضان،
يُقال عنها فورًا: "أم عبد الله... التقية، الورعة، الولية الصالحة"!
وكأنَّ المظهر حسم القضية، وكأن القلب كُشِف للناس!
وفي الجهة المقابلة... فتاة لا ترتدي الحجاب، فتُغلق في وجوهها أبواب الرحمة،
ويُقال عنها: "ضائعة، فاسقة، مُنافقة، لا ترجى منها هداية"!

ولم يسأل أحد:

- هل تلك المحجبة فعلًا تحجّبت لله ...أم خضوعًا لضغط المجتمع أو العائلة؟
- هل تسير بثبات نحو الله؟ أم أنها ترتدي قشرة إيمان وتُخفي صراعًا داخليًا؟
- وهل تلك السَّافرة تائهة تبحث عن النور؟ أم أنها أُبعدت بسبب قسوتنا، أو طُعنت من أقرب الناس حين كانت تنتظر كلمة رحمة؟!

إننا نرى الظاهر...

لكننا لا نعلم من التي تُصلي وتبكي في جوف الليل،

ومن التي لم تعرف كيف تعود... وتنتظر من يأخذ بيدها لا من يُغلق الباب في وجهها.

الحجاب علامة طاعة، نعم.

لكن الهداية الكاملة ليست ثوبًا يُرتدى، بل قلبٌ يُزكّى.

فرفقًا بالقلوب قبل الأجساد، ولا تجعلوا من الثياب مقياسًا للقلوب،

فكم من محجبة تحتاج إلى من يدلّها على الله،

وكم من سافرة قلبها ينزف شوقًا إلى ربها...

لكنها لم تجد من يسمعها دون أن يُدينها!

دع عنك المظاهر للحظة... واسأل: كيف أفتح الباب لا كيف أغلقه؟

فالدين هداية ورحمة... لا تصنيف وإقصاء.

الكارثة المعنوية: عبادة "المظهر" بدل عبادة الله!

- حين يتحوّل اللباس من وسيلةٍ لطاعة الله، إلى معيارٍ وحيد للحكم على الناس، وحين نختصر الصلاح كله في شكل الثوب، ونختصر الفساد كله في من خالف "ذوقنا الديني"، فهنا لا نكون قد عظّمنا الله... بل عظّمنا مقاييسنا الخاصة!..
- حين نُعطي المنتقبة لقب "الصالحة" دون أن نعرف خشيتها، وننزع الإيمان عن فتاة سافرة دون أن نسمع همّها، فنحن لا نعبد الله... بل نعبد قوالب المظهر التي ارتحنا إليها!... نعم، الحجاب واجب...

  لكنه ليس الوحيد، وليس المعيار الأوحد للإيمان.

  فالقلوب تُوزن عند الله لا عند الناس،

والنية، والخشية، والصدق، والتواضع، وحسن الخُلق...

كلها من أعمدة الدين التي لا تُرى بثوبٍ ولا نُدركها بصورة.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]

ولم يقل: "أحسنكم مظهرًا..." بل:"أتقاكم ..."

وهي صفة لا تُرى بالعين، بل يراها الله وحده.

فالحذر... من أن تتحوّل معايير الدين في قلوبنا إلى "أقمشة"،

وننسى أن الدين ليس ما يبدو... بل ما يُخفى ويُخلص ويُحبّ ويخشى.

عبادة الله... لا تكون بتأليه المظاهر،

بل بالخضوع للحق، مهما خالف ما ألفناه.

القرآن يربّينا على ما هو أعمق من المظهر... على حقيقة الإيمان من الداخل، لا قشرته من الخارج.

قال الله تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦]..

لم يقل: "ولباس القطن، أو الصوف، أو السواد، أو الطول هو خير"،

بل قال:"لباس التقوى ..."أي اللباس الذي يكسو القلب هيبةً، والخُلق تواضعًا، والسلوك طاعةً.

فلا يكفي أن تُغطّي الرأس... إن لم يكن الرأس خاشعًا لله.

ولا تُغني الثياب الطويلة... إن لم يكن القلب ذليلًا بين يدي ربه.

الحجاب الظاهر طاعة، نعم...

لكنه ليس كل الطاعة، وليس نهاية المطاف.

فكم من مُتحجبة تُبغض الناس، وتطعن فيهم، وتتكبر عليهم باسم التدين!

وكم من سافرة تبكي ليلًا، وتقول: "يا رب، خذ بيدي... وأعدني إليك"!

فمن الأولى بالرأفة؟ ومن الأقرب إلى باب الهداية؟

من لبست قشرة الطاعة وتكبّرت،
أم من ضيّعت ظاهرها... لكن قلبها لا يزال يطرق الباب؟
لباس التقوى لا يُشترى من الأسواق، بل يُنسَج في خلوة الصادقين،
حين يلبس العبد ثوب التواضع، ورداء الخشية، وحزام الاستقامة،
ويقول بقلبه قبل لسانه:
"اللهم لا تجعلني فتنةً للناس، ولا على أحدٍ حُكمًا قبلك".
فاجعل لباسك ظاهرًا لله... وباطنك خالصًا له،
تكون قد جمعت الستر الكامل... لا القماش فقط.

من المشاهد المؤلمة... التي تفطر القلب وتكشف سوء الفهم العميق للدين:

- فتاة ترتدي الحجاب الكامل، لكنها تتكبّر في قلبها، تحتقر زميلاتها، وتُقسّم الناس إلى "أنا ومن دوني"، تسخر من تائبة، وتُسكت طالبة، وتردّ الخير إن جاء ممن لا يعجبها مظهره... ورغم ذلك يُقال عنها: "من أهل الجنة، انظري إلى سترها"!...
- أخرى متخبّطة... بين اللباس والدمعة، بين الضعف والحنين، تلبس يومًا... وتنزعه يومًا، لكنها تسجد باكية كل ليلة، وتقول: "يا رب، قوّني... لا تُبعدني"، فيُقال عنها: "لا أمل فيها... ضائعة"!
- شاب يلبس ثيابًا ضيّقة، لا يشبه الصالحين ظاهريًا، لكنه يُنفق على والديه، ويخدم المساكين، ويجتهد في طاعته لله خفية، يبكي في دعائه، ويخشى أن يُردّ... ورغم ذلك، تُرمى عليه نظرات الاحتقار، ويُقال: "ما هذا المائع؟"!
- وآخر ذو لحية طويلة، ومظهر وقور، لكنه قاسٍ في بيته، يُهين زوجته، ويغتاب خلق الله، ويطغى باسم الدين... ومع ذلك، يُقال عنه: "شيخ... رجلٌ صالح"!

فأين المعيار؟

وأين ذهب ميزان الله الذي لا يُخدع بالمظاهر؟ أليس من الظلم أن نختزل الدين في ثوب، ونغفل عن قلبٍ مكلوم، أو نفسٍ باحثة عن النور، أو خلقٍ قد نجا به صاحبه؟!

قال النبي ﷺ: "**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** "رواه مسلم.. أين نحن من هذا الحديث؟؟؟

نعم، اللباس الظاهر له شأنه، لكن أعظم منه لباس التقوى،

وصدق العمل، وحُسن المعاملة، ونقاء السريرة.

فلا ترفع أحدًا بثوبه، ولا تُسقط أحدًا بمظهره...

فلربما عند الله ما يُدهشك يوم تُكشف الحقائق.

الفرق بين "مؤشّر الهداية" و"الحُكم النهائي"... فارق دقيق، لكنه جوهري!

نعم، اللباس الشرعي، والسمت الصالح، والعناية بالمظهر المتوافق مع الشريعة...

كلها مؤشّرات على الهداية، تُبشّر بالخير، وتدلّ – غالبًا – على طاعة أو التزام.

لكن... ليست حُكمًا نهائيًا على الإنسان كلّه! فالهداية أعمق من ثوب،

والاستقامة لا تُختصر في مظهر،والقرب من الله لا يُقاس بلقطة من حياة إنسان!

فقد يرتدي العاصي لباس المتقين...

ويُخفي وراءه قلبًا فاسدًا، أو رياءً خفيًا، أو ظلمًا للناس،

وقد يتقلّب قلب المُقصّر في لحظة... فتُفتح له أبواب السماء،

ويُصبح أحب الخلق إلى الله...

بكلمة، أو دمعة، أو نيةٍ صادقة لا يعلمها إلا الله.

قال النبي ﷺ:

"إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالًا، يرفعه الله بها

درجات..." رواه البخاري... إذًا...

– لا تنكر فضل المظهر الشرعي...
– ولا تغترّ به على حساب الجوهر...
– ولا تُسقِط الآخرين لأنهم لم يبلغوه بعد...

فربّما كانوا في الطريق... وربّما كنت تسبقهم في الثوب،
لكنهم يسبقونك عند الله في القلب.
اللباس مؤشر... لا مصير.
والله لا يُحاسبنا على ما "يُبشّر بالهداية"،
بل على ما استقرّ في القلب، وظهر في العمل، وخُتمت به الحياة.

لا تكن قاضيًا على الناس من زيّهم!

فالله لم يجعل المظهر ميزانًا للنجاة، ولا زيّ التديّن دليلاً حاسمًا على القرب منه.
تأمّل حديث النبي ﷺ عن الرجل الذي قتل ٩٩ نفسًا،
ثم أتمّ المئة... ورغم ذلك، لما صدق في التوبة، ومضى بقلبه نحو الله،
قال ﷺ: "فغفر الله له، وأدخله الجنة" متفق عليه..
فاسأل نفسك:

- هل كان يلبس زيّ الصالحين؟
- هل كانت لحيته كثيفة؟
- هل كان يُشبه "أهل الطاعة" في مظهره؟

الجواب :لا.... لكن قلبه تغيّر...
فنظر الله إلى ذلك القلب، لا إلى ثيابه، ولا إلى ماضيه.
فمحا خطاياه، وفتح له أبواب الجنة...
لأنه صدق في الرجوع، وأقبل بقلبٍ منكسر، وعزمٍ صادق.

فإيّاك أن تُقفل باب التوبة على أحد...
لأنه لا يشبه "الصورة التي رسمتها للصلاح!"
وإيّاك أن تحتقر تائبًا في أول الطريق،
فربّما صار بعد حين أقرب إلى الله منك... دون أن تدري.
فلا تكن قاضيًا بالثياب... وكن ناصرًا للقلوب الصادقة.
فالله تعالى ينظر إلى النية، والدمعة، والرجفة، والعزم،
لا إلى القماش ولا إلى اللحى ولا إلى الأزياء.

"النظر بنور الله" لا يعني أنك ترى القلوب!

كثيرون اليوم يقولون بثقة:
"أنا أشعر... عندي فراسة... أقرأ الأشخاص من أول نظرة"!
ثم يُصدرون أحكامًا صارمة على الناس،
– هذه الفتاة متبرجة؟ إذًا نيتها فاسدة!
– هذا الشاب لا يُعجبني مظهره؟ إذًا هو ضائع، مائع، لا يُرجى منه خير!
وكأنهم يملكون مفاتيح الجنة والنار...
وكأنهم نُصّبوا مراقبين على القلوب والسرائر! لكن الحقيقة التي نسيها هؤلاء:
أن "الفراسة النورانية" لا تعطيك سلطة الإدانة، بل تُثقل عليك المسؤولية!
من صدق نظره بالله... خشع قلبه لله،
ومن أبصر بنور الإيمان... رقّت نفسه، وامتلأ قلبه رحمة،
لا تكبرًا، ولا احتقارًا، ولا شماتة!
قال ابن القيم رحمه الله:
"إذا رأيت الفراسة تثمر تعاليًا على الخلق، فاعلم أنها ليست نورانية... بل نفسية".
الفراسة الحقّة لا تجعلك تتباهى بأنك "كشفت فلانًا"،

بل تجعلك تبكي على حاله، وتخاف على نفسك، وتدعوه بلينٍ وأدب.
فاحذر أن تُبرّر طعنك في الناس بقولك: "أنا أفهم، أنا أشعر، أنا عندي فراسة"... فالله لم يُعطِ الفراسة لتدين بها الناس،
بل لتحمي بها نفسك، وتعين بها عباد الله على الوصول إليه.

ضوابط الحكم على الناس: ميزان الشرع والعدل والرحمة:

الحالة	ما يجوز لك قوله شرعًا وأدبًا
فتاة غير محجبة	"نسأل الله أن يهديها ويشرح صدرها، وعلينا أن ندعو لها لا أن نُشهّر بها أو نطعن في نيتها، فالهداية بيد الله".
محجبة سيئة الخُلق	"نُذكّرها أن الحجاب لا يكتمل إلا بحُسن الخلق، وأن الستر الظاهري لا يُغني عن تقوى القلب ولسان الرحمة".
رجل يلبس لباسًا مريبًا	"نُناصحه بلطف، ونلفت نظره بأدب، لكن لا يجوز أن نحكم على قلبه، أو نُقصيه لمجرد مظهره. فقد يكون فيه من الخير ما لا نراه".
شخص يُظهر الخير ويُخفي الشر	"لا نحكم عليه إلا إن وُجد دليل شرعي ظاهر لا يحتمل التأويل، فالله لم يُكلّفنا بالحكم على النوايا، ولا بالظنون الباطنة".

القاعدة الكبرى:

نحكم على الظاهر بما يُقرره الشرع، ونكل السرائر إلى الله.
فمن تجاوز ذلك، فقد تعدّى على مقام الربوبية، وادّعى ما لا يملك.

الرسالة الكبرى:

احذر... أن تتعامل مع الناس وكأنك "مرآة السماء"... فأنت لا ترى ما في القلوب، ولا تملك مفاتيح الغيب، ولا كُلفت أن تُصنّف الخلق نيابةً عن رب العالمين.

كم من فتاة سافرة... تكاد تموت شوقًا لله، وتبكي في الليل، وتقول: "يا رب... خذ بيدي"، وكان قلبها أحبّ إلى الله من آلاف المحجّبات المتكبرات، اللواتي سترن رؤوسهن... لكن كشفن قلوبهن من التواضع والرحمة.

وكم من متديّن شكليًا... يلبس لباس الصلاح، ويُتقن لحن الخطاب، لكنه أبعد ما يكون عن الصدق، والإخلاص، والنية الخالصة، فكان مظهره نورًا... وباطنه ظلمة!..

فلا تغترّ بما تراه... ولا تحتقر من لا يشبهك...

ولا ترفع نفسك على من يُجاهد قلبه في الخفاء.

فربّك لا ينظر إلى صورتك... بل إلى قلبك.

﴿ **إِنَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ** ﴾ [الأنفال: ٤٣]

فاخشَ على قلبك أكثر مما تحكم على قلوب الناس، فربما كان من تحقره اليوم... هو أقرب منك إلى باب الله غدًا.

الرسالة الختامية:

الله تعالى لا يُحاسبك على ما لبسه غيرك... بل على ما حمله قلبك تجاههم.

فليس امتحانك في ثياب الناس، بل في نيّتك معهم، ورحمة قلبك، وعدلك في الحكم عليهم.

فإذا رأيتَ إنسانًا لا يسير على طريقك... لا تُسارع إلى الإدانة من ملبسه، أو هيئته، أو ماضيه، بل ارفع عينيك إلى السماء وقل:

"اللهم اهدِ قلبي وقلبه... واهدنا جميعًا إلى صراطك المستقيم".

قال الله تعالى:﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]

لم يقل: "أستركم لباسًا"، ولا: "أطولُكم لحيةً"، ولا: "أشدُّكم تمسكًا بالمظاهر"

بل قال:"أتقاكم..." أي: أصدقكم قلبًا، وأصفاكم نية،

وأخشاكم لله في السرّ والعلن.

فاجعل معيارك هو معيار السَّماء:

- لا تُفتّش في قماش الثياب... بل في لطف القلب.
- لا تُنصّب نفسك حاكمًا على الناس... بل كن خادمًا لله في دعوة عباده.
- ولا تتباهَ بظاهر الطاعة... حتى تزكّي باطن التقوى.

" فبالتقوى يُكرم العبد، وبالنية يُرفَع، وبالرَّحمة يُنجى "

الفصل السادس: الجاهل بالدِّين... ليس عدوًّا لله!

بين الجهل المقصّر، والجهل المعذور... وهل نقيم على الجاهل الحد؟ أم نفتح له باب الهداية؟

سؤال يقلب الموازين: مَن هذا الجاهل الذي تهاجمه؟

من هذا الذي تصبّ عليه غضبك، وتُشهر في وجهه سلاح الإدانة؟

- هل هو من نشأ في بيتٍ لم يعرف طهارةً ولا صلاة؟
- أم من تربّى في بيئةٍ لم يُفتح فيها مصحفٌ، ولا سُمع فيها حديث؟
- أم من تعلّم "الإسلام" من نماذج طاردة، ومن ممارسات منفّرة باسم الدين؟
- أم من لم يرَ يومًا داعيةً يُجيد مخاطبته بلغة قلبه؟
- أم من حُرم من المعلم، والقدوة، والرفق، والرحمة، ثم أخطأ الطريق؟

ثم لما تاه أو أخطأ... رُفِع عليه السيف، لا اليد التي تأخذ بيده!
وصار يُرمى بالفسق، والنفاق، والضلال،
قبل أن يُسمع منه، أو يُفهم واقعه، أو يُعطى فرصة للهداية!
وهنا الكارثة: أن يُعامل الجاهل معاملة العارف،
وأن يُحاسب من لم تُبَلّغه الدعوة... كما يُحاسب من حُجّت عليه الحجة!
قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا** ﴾ [الإسراء: ١٥]..
فالله تعالى لا يُعذّب حتى يُقيم الحجة،
فلماذا يُعذّب الناس بعضهم بعضًا بالحكم والتكفير والإقصاء،
قبل أن يُقيموا فيهم الرحمة، والعلم، والدعوة؟!
الجهل ليس جريمة... بل حالة تنتظر نورًا.
فإما أن تكون ذلك النور... أو فاصمت عن الظلام حتى لا تُضيف إليه ظُلمًا.

الفهم المغلوط الذي أهلك بعض الغيورين على الدين من حيث لا يشعرون:

كثيرٌ من الناس اليوم، ممن تغلي في قلوبهم "الغيرة على الدين"، يقعون في فخّ خطير... يتعاملون مع الجاهل وكأنه:

- فاسق مقصود
- عدو لله ولدينه
- ساخر مستهزئ
- كافر يجب أن يُقصى ويُدان!

يُخطئ الشاب في لفظ... فيُرمى بالزندقة.
تجهل الفتاة حكمًا... فيُقال عنها: "مستحلة للمحرّم"!
لا يُصلي أحدٌ بسبب بيئة جاهلة... فيُقال: "مرتدّ لا يُرجى له توبة"!
وكأنَّ الجهل نفسه جريمة لا تُغتفر،
وكأنَّ الرحمة تُمنح للعالمين... إلا للجاهل الذي لم يُمهَّد له الطريق!

- لكن انظر إلى رسول الله ﷺ... كيف تعامل مع الجاهل؟
رجل بال في المسجد؟ فما قال: "نجّس بيت الله"! بل قال:"دعوه، لا تُزرموه"... ثم قرّبه، وعلّمه، فخرج من المسجد أحبّ الناس إليه.
- شاب يطلب الزنا؟ فما قال: "فاسقٌ مجاهر"! بل قال:"أترضاه لأمك؟"
وخاطب قلبه، حتى قال الشاب: "فما قام من عنده إلا وهو أحب الناس إليّ"!...

كان النبي ﷺ يرى في الجاهل إنسانًا تائهًا... لا مجرمًا.
كان يعلم أن الجهل لا يُعالج بالهجوم... بل بالهداية.
وأن أقسى ما على الجاهل: أن يُحكم عليه بدل أن يُعلَّم.
فالفرق بينك وبين رسول الله ﷺ... ليس في غيرتك، بل في حكمتك.
والمقياس ليس حرارة القلب، بل نور البصيرة.

الفرق الجوهري: بين الجهل المقصِّر، والجهل المعذور

نوع الجهل	تعريفه	الحكم عليه
الجهل المعذور	من لم تصله الدعوة، أو وصلته مشوّهة، أو لم يفهمها لضعف علم أو بيئة فاسدة	لا يُلام، ويُعلَّم، ويُرحم، ويُفتح له الباب
الجهل المقصّر	من عرف الحق ثم أعرض عنه، أو تكبّر عليه، أو استهان به	هذا يُحاجج، ويُنصح، ويُعاتب، وقد يُحاسب إن أصر

القاعدة الربانية العظيمة... التي تُفصِل بين العدل الإلهي والغلو البشري:

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا** ﴾ [الإسراء: ١٥]..

تأمّل هذه القاعدة جيدًا:

- الله ﷻ... العليم، الخبير، الحكيم، العادل، لا يُعذّب أحدًا على جهلٍ لم يُقَم عليه فيه دليلٌ ولا حُجّة.
- لا يُحاسب إنسانًا لم يعرف..
- ولا يُقيم عليه العذاب إلا بعد أن يُقيم عليه العلم.
- لا يُؤاخذ الجاهل حتى يُبلّغه، ويُبصّره، ويُمكّنه من الفهم.

فكيف بك أنت؟

أتُقيم على الجاهل سيف الإدانة، وتُلقي عليه أحكام الكفر والفسق، قبل أن تُبلّغه، وتعلّمه، وتفتح له الباب؟!

الجهل لا يُعذّب عليه الله... فكيف تعذّب به أنت؟

وما الفرق بين الجهل والعناد؟

- الجاهل لا يعلم... فإن عَلِم، انتفع.
- أما المعاند... فهو من تأتيه الحُجّة فيردّها، ويُعرض عن الحق وهو يراه.

فإذا رأيت إنسانًا على خطأ، اسأل أولًا: هل بُلّغ؟ هل فهم؟ هل وصله الحق كما أنزل؟ فإن لم يكن... فالحُكم ليس عليه، بل على من قصّر في تبليغه.

هذه هي رحمة الله... فلا تجعل من نفسك أرحم من الله، ولا أعدل منه، ولا أسرع إلى العقوبة منه.

مشاهد مؤلمة واقعية...

لكنها تتكرّر بصمت كل يوم، وتطرد من الدين من كانوا على وشك الدخول إليه بصدق:

- شاب لا يُحسن قراءة الفاتحة، ويجهل أحكام الطهارة، لكنه امتلك الشجاعة، ورفع يده في حلقة علم وسأل بكل براءة: "يا شيخ، كيف أتوضأ

إذا كنت كثير النسيان؟ وهل قراءتي هذه صحيحة؟" فجاءه الردّ القاسي:

"كيف تصلي وأنت لا تعرف؟! أنت تُفسد صلاتك منذ سنين"!

فما الذي حدث؟

- انطفأت فيه شعلة الشجاعة.
- غادر الحلقة، ولم يعد.
- وظن أن الدين لا يقبل إلّا من كان عالـمًا منذ ولادته!

وهكذا... ضيّعنا طالب علمٍ كان يمكن أن يُصبح وليًا من أولياء الله، لولا قسوة جهلاء لبسوا ثوب العلم.

- فتاة كانت ترتدي لباسًا غير شرعي، لكنها تاقت لله، وهمست لصديقتها المتدينة: "أنا أفكّر بالحجاب... بس مش عارفة من وين أبدأ، ممكن تساعديني؟" فجاءها الردّ الصادم: "تغطّي الآن... أو لا تتكلمي أصلًا! إما كل شيء أو لا شيء"! فما الذي حدث؟
  - خافت...
  - تراجعت...
  - وظلت عامًا كاملًا تعيش بين شوق لله... وخوف من عباده!

وهكذا... أُغلِق باب التوبة في وجهها، لا لأن الله لم يفتحه، بل لأننا نحن أغلقناه!..

فمن الذي أذن لكم أن تكونوا بوّابي الرحمة؟

ومن الذي أوكلكم بالحكم على الصادقين حين بدأوا الخطوة الأولى؟

أليس رسول الله ﷺ قال: "بشّروا ولا تُنفّروا، ويسّروا ولا تُعسّروا"؟متفق عليه

فإن لم تقدر أن تحتضن المبتدئ... فلا تكن سببًا في طرده.

وإن لم تستطع أن ترحّب بتائب... فلا تغلق عليه الباب بوجهك.

ربما كانت كلمتك القاسية سببًا في بُعده سنين،

وربما كانت كلمة حنونة منك... سببًا في هدايته للأبد.

المفارقة العجيبة... التي تكشف أزمة الفهم قبل أزمة الجهل:

لو أن بعض الدعاة اليوم، ممن تشدّدوا باسم الغيرة،
كانوا حاضرين ذاك المشهد النبوي الخالد...
حين بال أعرابي في المسجد! لكانوا أول من صرخ:

- "كافر ينجّس بيت الله"!
- "جاهل لا يُغفر له"!
- "يجب جلده... ويُمنع من دخول المسجد مرة أخرى"!

بينما النبي ﷺ، الذي أوتي الوحي والحكمة والرحمة، قال لأصحابه الغاضبين:
"دعوه، لا تُزرموه"... ثم ناداه، فقرّبه، وأرشده، وقال له:
"إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله".
فخرج الأعرابي يقول: "اللهم ارحمني ومُحمّداً، ولا ترحم معنا أحداً"!
لأنه رأى من رسول الله ﷺ رحمةً لم يرَها ممن حوله.
المفارقة ليست في الحدث... بل في رد الفعل!

– النبي ﷺ رأى قلبًا يجهل... فدلّه.
– وهم يرون فعلاً يستفزّ... فيُدينون صاحبه بلا علم ولا رحمة.

هنا الفرق بين من تربّى على الوحي... ومن تربّى على العُنف المغلّف بالدين.
فيا من تتكلم باسم الدعوة:
هل دعوتك تُقرب الناس كما فعل نبيك؟ أم تُبعدهم كما يفعل خصومه؟
هل ترى في الجاهل قلبًا يُرجى؟ أم ترا فيه "ملف قضية" يجب الحكم عليه فورًا؟!
أحيانًا... تكون الرحمة أعظم بيان، وأشد تأثيرًا من ألف موعظة.
فهلا اقتديت بالمعلّم الرَّحيم ﷺ؟..

سؤال مفصلي... يفضح معدن الدعوة، ويكشف نوايا المتكلمين باسم الدين:

هل الجاهل عدوّ... أم مشروع مؤمن مؤجَّل؟

هل تراه خصمًا يجب إسقاطه، أم قلبًا تائهًا يبحث عن قبس هدى فتمدّ له يدك؟..

هل نُقيم عليه الحد... أم نُقيم له مجلس علم؟

هل نُشهر في وجهه سيف "أنت ضال"، أم نُشهر في قلبه نور "تعال أعلّمك... وأصبر عليك حتى تُبصر"؟

هل نهاجمه لأنه لا يعلم... أم نشفق عليه لأنه لم يجد من يُعلّمه؟

كم من جاهل لو وجد كلمة طيبة... صار من أولياء الله.

وكم من مُحبّ، طُرد من ساحة الدين لأنه سأل بسذاجة،

أو ظهر بجهله في مجلسٍ لم يعرف فيه الرحمة!

الجاهل ليس خصمك... بل مسؤوليتك.

الجاهل لا يُقصى... بل يُحضن.

الجاهل لا يُحاكم... بل يُحتوى.

تأمّل ما قاله الله عن نبيّه ﷺ:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]..

فهل كنت لينا؟ هل كنت سببًا في رجوع قلب... أو في فراره؟

إن كنت ترى في الجاهل عدوًا... فراجع نيتك، فربما كنت أنت أبعد عن روح النبي ﷺ من ذلك الجاهل الذي لم يُعلمه أحد.

تأمّل..

قال تعالى عن المنافقين – الذين علم الله نفاقهم يقينًا-:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ [النساء: ٦٣]..

فإذا كان هذا الخطاب مع من ثَبَت نفاقهم!...

– لم يُؤمر النبي ﷺ أن يفضحهم،

– ولا أن يلعنهم،

– بل أُمِر أن يعظهم... ويُكلمهم بلين وبُلغة تخترق القلب!

فكيف بمن...

– لم يُنافق، بل جهل؟

– لم يكذب على الله، بل ضَلّ الطريق وتردّد؟

– لم يُظهر الإسلام نفاقًا، بل تمنّاه ولم يعرف كيف يصل إليه؟

أيُّ حقّ لنا أن نحكم على هؤلاء؟

أيُّ وجهٍ نرفعه في وجه من بكى لأنه لا يعرف الطريق؟

أيُّ ذنب أن يُولد إنسان في بيئة لم تعرّفه بالله،

ثم يُحاكم على جهله قبل أن يُبلَّغ؟!

إن كان الله قال لنبيه ﷺ عن المنافقين: "عِظهم"...

فماذا تقول لمن حبس الناس خلف الجهل، ثم أغلق في وجوههم أبواب الرحمة باسم الدين؟

الدرس الرباني واضح:

– حتى أهل النفاق... أُمر النبي أن يُعالجهم بالحكمة والموعظة.

– فكيف يجرؤ أحد أن يُسقط جاهلًا أو تائهًا بلا علم، ولا دعوة، ولا رحمة؟

فاحذر أن تسبق الله في حكمه، أو تضيق بما وسّعه، أو تُقصي من لا تدري أي باب للهدى قد يُفتح له غدًا.

كيف نُميّز الجاهل الذي يُرحم؟

ليس كل جاهلٍ معاندًا... وليس كل من أخطأ مستكبرًا...

فهناك جاهل يستحق الرحمة لا الإدانة، والتعليم لا الإقصاء.

إليك ملامحه التي تُضيء قلب الداعية وتُرشده إلى الصواب:

١- يسأل ولا يُجادل: لا يُثير الأسئلة ليُكابر، ولا ليُثبت نفسه، بل يسأل لأنه يريد أن يفهم، لا أن يُفحِم.

تلمح في سؤاله الحياء، وفي نبرته التواضع، وفي عينيه رجاء أن يُجاب لا أن يُوبّخ.

٢- يتألّم من حاله: حين يتحدث عن جهله أو تقصيره، لا يفتخر، بل يقولها بوجع: "أعرف أنني مُقصّر... بس ما بعرف من وين أبدأ".

وهذا الألم ...علامة قلب حيّ،

يُرجى منه الكثير لو وجَد قلبًا يُعينه لا لسانًا يُدينُه.

٣- لم يُهيّأ له العلم، ولا رآه في بيئته: لا القرآن كان حاضرًا في بيته، ولا السجود كان مألوفًا في عائلته، نشأ في غفلةٍ لا بإرادته... بل بحكم القدر والبيئة، فمن الظلم أن تُحاسبه كما تُحاسب من تربّى بين العلماء!

٤- يقبل المعلومة إن قُدِّمت له برحمة:

إن اقتربت منه بلطف... اقترب منك،

وإن حدّثته بحكمة... فتح قلبه،

وإن نصحته برحمة... غيّر من نفسه.

هو لا يرفض الحق...هو فقط ينفر من أسلوب قاسٍ يُغلق عليه أبواب الفهم.

هذا هو الجاهل الذي يُرجى، ويُبشّر، ويُحبّب إليه الله.

هو الجاهل الذي ربما كان أصدق منك في نيّته، وأقرب إلى الله يوم يهتدي منك وأنت في زهوك.

فإن رأيت في أحدهم هذه العلامات...

فلا تضيّعه، بل كن أنت أول من يأخذ بيده إلى النور.

الرسالة التربوية العميقة التي يجب أن تُكتَب في قلوب الدعاة قبل ألسنتهم:

أنتَ اليوم تعرف... تُفتي، وتُعلّم، وتُبيّن، وتكتب بثقة.

لكن ...ألم تكن يومًا لا تعرف؟

ألم تتعثّر مرة؟ ألم تقف حائرًا تسأل:

"كيف أتوب؟ من أين أبدأ؟ هل سيغفر لي الله؟"؟

منّ الله عليك...

- أرسل إليك من علَّمَك،
- فتح لك باب الهداية،
- أيقظ قلبك من غفلته،
- ورفعك خطوة خطوة حتى صرت "تدلّ الناس على الله".

فكيف... كيف تنسى ماضيك؟ وتقف اليوم على الباب لا لتفتحه...

بل لتُغلقه في وجوه السائرين كما كنت تسير؟

كيف تُعيّر الجاهل، وقد كنت بالأمس تجهل أكثر منه؟

كيف تحتقر البادئ، وقد كنت يومًا تبكي سرًّا من شدّة جهلك وخوفك؟

قال ابن القيم رحمه الله:

"من لم يتذكّر حاله الأول، لم يُحسن دعوة من هو في حاله الآن".

الداعية الحقيقي... لا يُعلّم من فوق، بل يُذكّر من تحت.

يقول دائمًا في قلبه:

"أنا كنت مثله... بل أسوأ، لكن الله ستَرني... فهل أفضحه؟"

تذكّر: اليد التي تُنقذ الغريق... لا تسأله أولًا: من أوقعك؟

بل تنتشله أولًا... ثم تُرشده.

فكن ذلك اليد... تكن من الذين قال الله فيهم:

﴿ **وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ [المائدة: ٣٢]

الختام:

لا أحدٌ يولد عالمًا...

وكلنا مررنا بمرحلة "الجهل"، والفرق بينك وبين من تراه بعيدًا اليوم...

أنك وجدت يدًا امتدت إليك بلطف...

فكن أنت هذه اليد للآخرين..﴿**وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا**﴾

لكن النبي ﷺ لم يُغلق الباب في وجه الجدل... بل حوّله إلى حوار يفتح قلبًا.

الفصل السابع: تاريخ التوبة... لا يُشطب بالمعصية القديمة!

- **كم من عاصٍ عاد لله... وكم من صالح انهار؟**
- **﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ﴾ وليس المصفّين من الذنوب!**

المشهد الجارح... الذي يتكرر في صمت، ويقتل الروح بدل أن يُحييها:

- فتاة تائبة، نشرت مقطعًا تتكلم فيه عن التوبة، تدعو فيه الناس إلى الله، بعين دامعة، ونبرة صادقة، وتجربة عاشتها من الظلمة إلى النور...

  فإذا بأحدهم يعلّق: "أنتِ؟! مو انتي اللي كنتي فلانة...؟"! فيُطفئ ذلك التعليق نارًا من الشوق إلى الله كانت قد اشتعلت في قلبها.
- شابٌ تاب من طريقٍ مظلم، وأراد أن يفتح بيتًا بالحلال، وتقدّم لخطبة فتاة

صالحة، فقالوا: "ماضيه ما يطمّن... كان يعمل كذا وكذا"! وكأنّ باب التوبة لا يُغلق فقط على الخطايا... بل على فرص الحياة أيضًا!..

- امرأة حفظت كتاب الله، وأصبحت تُعلّمه، بعد أن كانت تغني في الحفلات، أو تظهر في الشاشات... لكن المجتمع لا ينسى، ويُصرّ على مناداتها: "المطربة التائبة" بدل أن يقول:"الحافظة، المُبلّغة، القارئة"! وكأنَّ الذنب يُسحب خلفها كظلّ لا يُمحى... مهما نورت طريقها بنور القرآن!.

لماذا نُحاكم الناس بأَمْسِهم، في حين أنَّ الله يُحاسبهم بيومهم؟ ألم يقل الله:

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾

آل عمران: ١٣٥،

١- الله تعالى يُبدّل السيئات حسنات... ونحن نُعيد الحسنات إلى سوابق؟!

٢- الله تعالى يغفر... ونحن نُذكّر!.

٣- الله تعالى يُحب التائب... ونحن نُشكّك في توبته!.

فيا من تقف بين العبد وربه بحكمٍ أو تعبير أو نظرة...

اسأل نفسك بصدق:

- هل تُعطي للتائب فرصةً كما أعطاك الله تعالى فرصةً حين غفرتَ لنفسك ذنوبًا لا يعلمها أحد؟.
- وهل ترضى أن يظل اسمك مربوطًا بما كنت عليه... لا بما صرت إليه؟

التوبة لا تُشطب بالتذكير بالماضي، بل تُثبت بالصدق مع الله...

ومن عاد إلى الله، فلا يُسأل: من كنت؟ بل يُبارك له: من أصبحت؟.

الكارثة الخفية... التي لا تُقال بصوتٍ عال، لكنها تُشعر بها الأرواح:

الناس لا يغفرون... حتى لو غفر الله تعالى.

قد يُذكّرك الناس دومًا بخطيئتك، حتى لو محاها الله من صحيفتك،

يُنادونك بما كنت، ويُعرّفونك بماضيك،
وكأنَّ التوبة في عرفهم لا تمحو... بل تُؤرشف!
لكن الحقيقة الخالدة التي يُثبّت الله بها القلوب:
ماضيك لا يُلغي توبتك...
بل قد يجعلها عند الله أثمن من عبادةٍ بلا شعور، أو صلاحٍ بلا انكسار.
قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]..
لم يقل: "يحب الذين لم يخطئوا"، ولا: "يحب الذين لم يسقطوا"،
بل:"يُحب التوابين ..."الذين سقطوا، فانكسروا، ثم رجعوا بخجلٍ ودمعة وصدق.
فاعلم... أنك حين تبت، كنت أقرب إلى الله من كثيرين عبدوه بلا ألم،
وأن دمعتك في خلوة... قد رفعتك درجات لم تبلغها بصيام ولا قيام.
فلا تلتفت إلى من يُذكّرك بماضيك، وانظر إلى من يُناديك باسمك الجديد عنده: "عبدي التائب... المحبوب".
فالله لا يحب المخلوقين من نور، بل يحب من كُسرت قلوبهم فعادوا إليه...
ليُعيد بناءهم بنوره.

الشاهد الأعظم من القرآن...

الذي ينسف نظرة الناس القاسية، ويُظهر رحمة الله العظيمة:
قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].
تأمّل... لم يقل:"يقبل التوابين"، أو "يعفو عنهم"، بل قال:"يُحبهم!"
وهذه ليست مجرّد مغفرة... بل محبّة! محبة من الله، لا من مخلوق.
محبة خالصة، تفتح للعبد أبواب الكرامة بعد أن أغلق الناس في وجهه أبواب الرحمة.

- يعفو؟ نعم.

- يُكرم؟ نعم.
- يُقرّب؟ نعم.

لكن فوق ذلك كلّه... يُحب.

يحب التائبين لا لأنهم لم يُخطئوا، بل لأنهم رجعوا، وبكوا، وانكسروا، وصدقوا.

بينما الناس يقولون: "انظروا من تاب"!

الله تعالى يقول:"انظروا إلى عبدي... أحببته لأنه تاب"!..

فلا تُحقّر توبتك... لأنَّ الناس يُحقّرون ماضيك، ولا تظن أن ذنبك حجبك عن الله، بل لعلّه كان سبب قربك منه... إن صَدَقت العودة.

فالله لا يُذكّرك بما فعلت، إذا جئت إليه بما في قلبك من صدق.

بل يُناديك بأحب الأسماء إليه: "التائب... المحبوب... العائد إلى ربّه".

وهذا هو الفارق الجوهري بين حكم الناس... وحكم رب الناس.

مفارقة موجعة... لكنها واقعية تُبكي القلوب الصادقة:

- كم من "عاصٍ قديم "كان بالأمس بعيدًا... ثم عاد بقلبٍ منكسر، وتوبة صادقة، فأصبح داعية يهدي القلوب، يُنير دروب الناس بدموعه القديمة، ويأخذ بأيدي التائهين لأنه كان تائهًا مثلهم!..
- وكم من "صالحٍ ظاهري "كانت هيئته تُبهر، لكن سقط في الرياء، أو الكبر، أو قسوة القلب، أو غفلة القلب... فظلَّ ثوبه مستقيمًا... بينما قلبه انحرف!..

فلا تغترّ بقديم الصلاح... ولا تزدري ماضي التائبين...

فربما كانت زلة العاصي سبب نجاته، وكانت غفلة الصالح سبب هلاكه.

لا تجعل "سجّل الإنسان القديم" يحجبك عن رؤية "حاله الجديد".

فالله تعالى لا يُعامل العبد بما كان، بل بما أصبح عليه الآن.

قال تعالى:﴿ **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ** ﴾ [الفرقان: ٧٠]..

فمن أنت حتى تُبقي السيئات في صحيفة غيرك...

بعدما محاها الله وبدّلها نورًا؟..

تذكير بسُنّة الحياة... وسُنّة الله:

١- الناس يتغيرون ...لا أحد يبقى كما كان.

٢- الذنوب تُمحى ...إن صدق العبد في توبته.

٣- القلوب تُطهّر ...حين يُقبِل العبد بصدقٍ إلى الله.

٤- والله يُبدّل السيئات حسنات ...لا فقط يغفرها، بل يُغيّرها إلى نور!

فيا من تُعيّر غيرك بماضيه...

- هل أُوكل إليك حساب الناس؟
- هل اطلعت على صدقه مع ربه؟
- هل ضمنت أن تُختم لك بخير؟

فمن أنت حتى تُنقّب في الماضي؟ وقد يكون هذا الذي تُعيّره اليوم...

هو أحبّ إلى الله منك بكثير، لأنه عرف الله بعد طول بُعد،

وسجد له بعد عناد، فأحبه الله أكثر... لأنه رجع.

﴿ **فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا** ﴾ [الإسراء: ٢٥]

فلا تقف في وجه من عاد... بل كن عونًا له، لا سيفًا عليه.

من المظاهر المعاصرة المؤلمة: جلدُ الناس بدلًا من سَترهم...

◄ فتاة نشرت منشورًا عن الحجاب بكل صدق ومحبة... فما كان الجواب؟

أحدهم ينبش صورًا قديمة: مش إنتي اللي كنتي تلبسي كذا؟"!

◄ شاب تاب من الأغاني، وتكلّم بحرقة عن ضررها... فجاء الرد ساخرًا:
"غريب... مو إنت اللي كنت الـ DJ تبع الحارة؟"!

◄ رجل تاب عن تجارة محرّمة، وتكلّم عن الحلال بحب... فسمعهم يقولون:
"فلوسك كلها من الحرام... لا تتكلم! أنت آخر واحد"!

وهكذا... لم يعد الشيطان بحاجة إلى أن يُحبط التائبين،
فالناس أنفسهم تولّوا المهمة! جلدهم بالكلمات... نظراتهم... تذكيرهم بالماضي... حتى صار سوط الشيطان بيد بشرٍ كانوا يُفترض أن يفرحوا بتوبة إخوانهم.

فيا أخي... إن لم تكن معينًا على الهداية، فلا تكن حائلًا دونها!
قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾
ولم يقل: تعاونوا على النبش والتقريع والتثبيط! دعوا التائبين يمشون إلى الله... دون أن تُثقلوا ظهورهم بماضي قد غفره الله!..

سيرة الحبيب ﷺ... مدرسة الرَّحمة والنسيان الطيب:

هل نسي النبي ﷺ أن عمر بن الخطاب ﵁ كان يؤذي المؤمنين ويُضيّق عليهم؟
هل نسي أن وحشيًا هو من طعن قلبه بقتل أحبّ الناس إليه: حمزة؟
هل نسي أن خالد بن الوليد قاد جيش الكفار ضده في أُحد وساهم في جراحه وجراح أصحابه؟! لا... لم ينسَ... لكنّه لم يُبقِ الماضي قيدًا في أعناقهم...
بل فتح لهم طريق النور، وأغلق باب الذنب إذا صدق التوبة.
قالها ﷺ كلمة خالدة تهزّ القلوب:
"الإسلام يجبّ ما قبله".

أي: يمحو، يزيل، يدفن... لا يُذكّر، لا يُشهّر، لا يُلاحق.
فهكذا كان نبيّنا... يرى الناس بما هم عليه الآن، لا بما كانوا عليه أمس.

ويفرح بتوبة العدو، أكثر من شماتته بسقوطه.

أفلا نتعلّم منه؟

- ألا نكفّ عن تعليق الناس في ماضيهم، وكأنهم أسرى لا يُغفر لهم؟
- ألا نستحي أن نُطالب بالستر... ونحن لا نستر؟!

اجعل شعارك مع كل تائب:

"أهلاً بماضيك الذي انتهى... وأهلاً بحاضرك الذي بدأ"!

سؤال يهزّ القلب: هل أنت أحبّ إلى الله من التائب؟!

رسول الله ﷺ قال: "لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده، من أحدكم سقط على بعيره وقد أضلَّه في أرض فلاة" متفق عليه

تصوّر هذا المشهد العظيم... رجلٌ تائه في صحراء، أضاع ناقته، وفقد الماء والطعام، أيقن بالموت... ثم فجأة: يجدها! كيف ستكون فرحته؟

الجواب:

فرحة الله بعبده التائب ...أعظم من هذه اللحظة!

فحين يعود هذا العبد إلى ربه... تفرح السماء، وتبتسم الأرض، وتستبشر الملائكة... ثم يأتي أحد الناس... ليُطفئ هذا النور، ويقول بسخرية:

- "مو انتَ كنت تسوي كذا؟"!
- "مش إنتي اللي لبستِ كذا؟"!
- "هو دا اللي صار داعية؟"!

ألا تخاف أن تكون بكلمتك قد أطفأت نورًا... كان الله قد أشعله؟

ألا تخجل أن تردّ من باب الله من قد طرقه بدموع وانكسار؟

فانتبه... فربّ تائب أحبّه الله، ورفعه، وقبله...

وأنت تهاجمه بكبرك، فتكون ممن قال الله فيهم:

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٤]..

فلا تُطفئ شمعة التوبة... بريح الغرور.

ولا تظن أن استقامتك وحدك... هي بطاقة الدخول إلى رضا الله.

فلعلّ في دمعة تائب ...ما ليس في عُمر عابد!.

قاعدة من النور:

المعيار	عند الناس	عند الله
الماضي	لا يُنسى	يُغفر ويُبدّل
الخطأ القديم	وصمة أبدية	درس وسبب قرب
صورة سابقة	دليل إدانة	لا وزن لها مع التوبة
النية	غير معتبرة	هي المعيار الأعلى

كم من القلوب أُطفئت... بسبب "نحن!"

- فتاةٌ أرادت أن تتحجّب، ففرحت الملائكة، واستبشرت السماء...
  لكن يدًا من الأرض سحبتها إلى الخلف، بكلمة: "مش انتي اللي...؟"!
  فانطفأ نورها، وخبأ الحجاب في درجٍ من الخجل.
- شابٌ بدأ يسير نحو النور، تعلّم آية، حفظ حديثًا، وأراد أن يتغير...
  لكن وقع في طريقه من قال له: "أنت! تتكلّم عن الدين؟"! فغرق من جديد، وعاد إلى ما فرّ منه.
- امرأة كانت تكتب دعاءً من قلبٍ مجروح، فجاءها سهمٌ مسموم على هيئة

تعليق: "أنتِ آخر من يتكلم عن الدين"! فانكسر القلم وسكت القلب.
والذنب؟ ليس عليهم... بل على من أغلق أبواب الرحمة في وجوههم.
على من جعل من نفسه "ميزاناً للعدالة"، يُجيز هذا، ويرفض ذاك، ويمنع الناس من التوبة باسم الدين.
قال تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]..
وهل هناك غضبٌ أشدّ... من أن تصدّ عبدًا أراد الله به خيرًا؟
من أن تطفئ نور هداية... بكلمة استعلاء؟
فرفقًا بالقلوب العائدة... لا تُغلق عليها باب التوبة،
فيغلق الله عليك باب رحمته... وأنت لا تدري.

الرسالة النهائية:

لا تحاكم أحدًا إلى ماضيه...
فقد يكون يبكي عليه ندمًا كل ليلة، ويسجد لله كي يستر ما كان،
وأنت تفضحه بكلمة... وتُغلق عليه أبواب الأمل.

وتذكّر دائمًا:

أن التائب ليس إنسانًا ضعيفًا... بل هو قوي،
قوي لأنه غلب شهوته، وواجه نفسه، ورجع إلى ربه باختيارٍ لا بإجبار.
وقد يكون أصدق من الذي لم يذنب يومًا...
لأنه ذاق مرارة البُعد، فصار يُقبّل نعمة القرب بكل جوارحه.
قال الله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]..
ليست مغفرة فقط... بل تكريم، وتبديل، ورفعة!
فيا من تُذكّر الناس بماضيهم... احذر أن يُذكّرك الله بماضيك!
واترك أمرهم بين يدي الخالق... فلعلّهم يُحبّهم الله... وأنت لا تعلم.

الفصل الثامن: الحكم على غير الملتزم لا يعني استصغاره عند الله!

هل الفاجر مظلوم؟ وكيف نكون دعاة هدى لا قضاة فرز؟

الصورة الشائعة:

- رجل لا يُصلّي...
- امرأة لا تتحجّب...
- شاب يسمع الأغاني...
- فتاة تنشر صورها...

فيُقال عنهم مباشرةً:

"فُجّار – أهل معاصٍ – لا خير فيهم – بعيدون عن الله – قلوبهم مريضة – لا رجاء لهم"! لكنّ السؤال الجوهري:

- هل هذا الحكم نابع من شريعة الله؟ أم من نفسٍ مشحونة؟
- هل هو حكم شرعي... أم انفعال بشري؟
- هل ترى هؤلاء بـ"عين نبيٍّ رحيم"... أم بـ"نفسٍ ترى نفسها فوقهم"؟.

الفرق الجوهري بين الحكم الشرعي والحكم النفسي:

النوع	الحكم الشرعي	الحكم النفسي الغريزي
مصدره	النص والميزان الرباني	الانطباع والعاطفة والتربية
ضوابطه	ظاهر الفعل + القواعد الشرعية	المظهر + المزاج + ما يُريح القلب
نتيجته	عدل ورحمة ودعوة	جفاء وتكفير واستعلاء

هل الفاجر مظلوم؟

نعم، في كثير من الأحوال، يُظلم الفاجر مرتين:

١- بذنبه الذي أوقعه فيه شيطانه أو جهله.

٢- وبنظرة الناس إليه وكأنه ساقط لا قيام له!

لكن: ما دام لم يُجاهر بمعصيته... ولم يُنكر المعروف ويستهزئ به...
وما دام قلبه لم يُقفل، ولم يعلن الحرب على الدين... فهو عبدٌ مبتلى... لا منبوذ... وهو أحوج ما يكون إلى من يأخذ بيده... لا من يدفعه إلى الهاوية.

كيف تكون داعية هدى... لا قاضي فرز؟

تذكّر حالك قبل الهداية...

- من أنت؟ ومن كنت؟
- كم من ذنبٍ فعلته والله ستره عن الناس؟
- فكما أحببت أن يستر الله عليك... استر على الناس.

وافهم أن الهداية توفيق...

- لا ذكاك، ولا بيئتك، ولا اجتهادك...
- إنما "ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ".

اصمت عن ما لا تعلمه..

- أنت ترى "ملابسهم"، لكنك لا ترى "دموعهم في الليل".
- ترى "الظاهر"، لكنك لا تسمع "دعاءهم في السرّ".

افتح باب الرجاء، لا الإدانة..

- كل تائب اليوم... كان عاصيًا بالأمس.
- وكل داعية ناصح... كان بحاجة من ينصحه في يومٍ ما.

من القرآن والسنة:

- القرآن قال عن الفسّاق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]
- والنبي ﷺ قال عن الذي قتل مئة نفس: "فغفر الله له"
- وعن المرأة الزانية التي سقت كلبًا عطشانًا: "فغفر الله لها".

فأيُّ ميزان هذا... الذي يجعل بعضنا لا يغفر لغيره، مع أن الله غفّار الذنوب!

فإن كنتَ ترى العاصي مستخفًا بالدين...

فلا تكن أنت مستخفًّا برحمة رب العالمين.

وإن كنتَ ترى غير الملتزم بعيدًا عن الله...

فاحذر أن تكون أنت البعيد عن رحمته بسبب استعلائك عليه.

لا تكن جلّادًا باسم الغيرة... بل كُن رحيمًا باسم النبوّة.

قال الله تعالى: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾

فحتى من تعتقد أنه لا يُسبّح... قد يكون أقرب إلى التسبيح منك وأنت لا تشعر.

فلا تُقصِ أحدًا من رحمة الله... فقد يكون أقرب إليها منك وأنت تُقصيه.

نقطة جوهرية لا بد من ترسيخها:

نعم ...نُسمّي الذنب ذنبًا، والمعصية معصية، ولا نُلوِّن الحق، ولا نُجامل الباطل، ولا نُطبطب على المعصية باسم "اللين".. .لكن في الوقت ذاته...

لا نربط قيمة الإنسان بذنبٍ ارتكبه، ولا نحكم عليه حكمًا أبديًا من خلال "لقطة خاطئة" في لحظة ضعف! الذنب لا يعني أنَّ الله قد أبغضه إلى الأبد...

ولا يعني أن بابه أُغلق في وجهه...

ولا يمنحك رخصةً للاحتقار أو التوبيخ أو التجريح!

الذنب لا يُلغي احتمالية التوبة... بل قد يكون بداية الرجوع الحقيقي إلى الله...
الذنب لا يُبرر الإهانة... فالمذنب يحتاج إلى يد حانية... لا إلى صفعة متكبّرة.
الذنب لا يُعطيك الحق في الاستعلاء... فقد تكون أنت الذي لم تقع في الذنب... لكن قلبك مليء بالكبر، فيسقط العمل كلّه!..

الميزان الرباني ليس كما ترى أنت!

فربّ تائبٍ منكبٍ على الذنب... أقرب إلى الله من عابدٍ معجبٍ بنفسه.
قال رسول الله ﷺ: "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يُذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم" رواه مسلم، فلا تجعل من نفسك خصمًا لمن عصى، بل كن بابًا للهداية... لا سياجًا للطرد.

نعم ...قد يكون الفاجر مظلومًا.

١- حين يُختزل كلّ تاريخه في ذنب واحد... ويُنسى أنه إنسان يعيش صراعًا، وله لحظات صدق، وقدرات على التغيّر.
٢- حين يُحاكم الناس عليه فقط... ويُغفلون ما لا يرونه من:
- طفولةٍ بلا توجيه،
- نشأة في بيئةٍ طاردةٍ للدين،
- جهلٍ فادح بأحكام الله،
- جراح داخلية وصراعات لم يُسعفه أحد على حلها.

٣- حين يُمنع من التوبة... لا بنص شرعي، بل بنظرات مُهينة.
٤- حين يُقال له ضمنًا:
- "أنت فاجر... لا تستحق أن تعود"..
- "أنت آخر من يتكلم"..

- "مثلك لا يُقبل منه الدين..."..

٥- حين يُعامله الملتزمون كمنبوذ... لا كمشروع توبة.. فيرى في عيونهم الرفض... وفي كلماتهم الاحتقار... وفي سلوكهم الطرد بدل الدعوة.

٦- حين يُطفئ الناس فيه نور الرجوع إلى الله... ويتناسون أن بعض الفُجّار اليوم... قد يصبحوا أولياء الغد إن وجدوا من يأخذ بأيديهم!.

"**وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ**" [العنكبوت: ٦٩]، فما دام فيه بقية مجاهدة... وبذرة خير... فهو في دائرة الرحمة لا الطرد.

نعم... الفاجر مظلوم، حين ننسى أن الله تعالى وسِع كل شيءٍ رحمة.

مفارقة من حياة الصحابة:

نعم... إنها مفارقة تهزّ القلوب.

رجل يشرب الخمر مرارًا... يُجلَد في حضرة النبي ﷺ،

ويُؤتى به كثيرًا، فيوشك الصحابة أن يحكموا عليه نهائيًا:

"لعنه الله! ما أكثر ما يُؤتى به"! لكن الحبيب ﷺ، المعلم الرباني، قال كلمته التي تفتح باب الأمل للأمة كلها: "لا تلعنوه، فوالله ما علمتُ إلا أنه يحب الله ورسوله"! رواه البخاري..

- كم من مذنب اليوم... يحب الله ورسوله حبًا صادقًا، لكنه يُبتلى؟
- كم من قلب مشغول بالله... لكنه ضعيف في جانبٍ من الجوانب؟
- وكم من مستقيمٍ ظاهريًا... لا يتجاوز دينه حنجرته؟

الخط الفاصل هنا كان واضحًا: الذنب لا يُلغي المحبة... ولا يُسقط العبد من رحمة الله... إن كان في قلبه شوقٌ وصدقٌ وحياءٌ من ربه.

أما اللعنة، والاستعلاء، والحكم على المصائر...

فليست من دين مُحَمَّد ﷺ في شيء.

وقد يذنب العبد وهو يبكي... خيرٌ من عبدٍ آخر لا يذنب... لكنه يعجب بنفسه، ويحتقر الناس، ويتكل على استقامته.

فيا من رأيت مذنبًا... لا ترفع السَّوط، بل ارفع يديك وقل:

اللهم اهدنا جميعًا، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.

من صور الاستصغار المؤلم اليوم:

نعم... هذه ليست مجرد تعليقات مؤذية،

بل هي أسوار حديدية تُبنى حول القلوب الهشّة، وتمنعها من الرجوع إلى الله.

- فتاة أرادت أن تقول كلمة طيبة... فذُكِّرت بجسدها بدل أن يُكرَّم عقلها.
- شاب بذل ماءً باردًا... فجفّفوا روحه بعبارات الإقصاء.
- رجل بكى بحرقة... فشكّكوا في صدقه، بدل أن يقولوا: "اللهم ثبّته وزده من فضلك".
- فتاة أعلنت توبتها... فلم تجد أحضان الرحمة، بل أصوات التهكّم.

وكأنَّ رحمة الله حكرٌ على من وُلدوا على سجادة الصلاة، ولم يذوقوا مرارة التيه، ولم يتخبّطوا ثم يعودوا.

لا أحد يملك صكوك التوبة، ولا مفاتيح الجنة، ولا حق سَحب الرحمة من أحد.

وكل كلمة استعلاء، أو احتقار، أو تذكير بالماضي...

قد تكون هي السَّدّ الذي يحجز ماء التوبة عن قلب متعطّش.

يا من رأيت لمحة خير... فازرع فيها الرجاء، لا الشك.

ويا من رأيت دمعة، فاخشَ أن تُطفئ نورها بسُخريتك...

فتُحاسَب عليها يوم يبكي هو، وتبكي أنت... لكن بفارقٍ شاسع.

النبي ﷺ لم يكن قاضي فرز... بل داعية هدى:

بالضبط... النبي ﷺ لم يكن بوّابًا يُغلق الأبواب، بل كان مفتاحًا يفتح أبواب الله للناس.. كان قلبه بوّابة للرحمة، لا قاعة محاكمة.

جاءه رجلٌ يُريد التوبة، فلم يُذكّره بماضيه، ولم يُخضعه لفحص نوايا، بل فتح له الطريق وقال: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له".

جاءه أعرابي فبال في المسجد، فثار الصحابة، أما النبي ﷺ فقال:

"لا تُزرموه، دعوه"... ثم ناداه بلطف، وعلّمه، فدعا له الأعرابي:

"اللهم ارحمني ومحمّدًا، ولا ترحم معنا أحدًا"!

جاءته امرأة زانية تطلب إقامة الحد، فلم يُنزل عليها العقوبة فورًا،

بل قال:"ارجعي حتى تضعي ما في بطنك".

ثم قال:"حتى تفطميه"... أعطاها فرصًا متتالية...

ربما لعلّها تُدرك أن الله غفور قبل أن يكون شديد العقاب.

هكذا كان نبيّنا ﷺ... لا يغلق قلبه على عاصٍ، ولا يُحاكم أحدًا بنظرة، ولا يمنع أحدًا من الله بسبب ماضيه.

فهل نقتدي به... أم نُقيم لأنفسنا منابر قضاةٍ لم نُكلَّف بها؟

اللهم اجعلنا مفاتيح للخير، لا مغاليق له.

أيها الغيور على الدين:

إياك أن تتحوّل غيرتك إلى غلظة، أو أن تغلّف الكِبر بثوب النصيحة.

– نكره المعصية لأنها تُغضب الله... لكننا لا نَكره العاصي، لأننا نرجو له ما نرجوه لأنفسنا: الهداية.

– نحذّر من الحرام لأنه طريق الهلاك... لكننا لا نسحب من المخطئ إنسانيته، فالخطأ لا يُسقط كرامته، ولا يُلغي قابليته للهداية.

– ندعو إلى الالتزام لأن فيه النجاة... لكننا لسنا وكلاء الله على خلقه، ولا قُضاة على نواياهم، بل رُسل رحمة... نهدي ولا ندين، نُضيء ولا نحرق، نرشد ولا نُقصي.

تذكّر دائمًا: من ظنّ أن مهمته هي تصنيف الناس...

فقد نسي أنه عبدٌ، لا ربّ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ النجم: ٣٠

كيف نكون دعاة هدى لا قضاة فرز؟

الداعية الحقيقي	القاضي المتكبّر
يفرح بأي خطوة إلى الله	يُحبط كل محاولة إن لم تكن مثالية
يميّز بين الفعل والفاعل	يدمج الذنب بالشخص
يرى الناس "في الطريق"	يرى الناس "إما هنا أو هناك"
يتواضع ويتذكّر ماضيه	ينسى نفسه ويُعجب بصورته

الرسالة الأخيرة:

كل من ترى عليه معصية...

قد يكون قلبه مُنحنٍ باكيًا في جوف الليل،

يُناجي الله أن يخرجه مما هو فيه... ويخجل حتى من رفع عينيه.

وكل من تراه على استقامة... قد يكون قلبه منتفخًا بالعُجب، غارقًا في إحساس التفوق، مُعرضًا عن التوبة لأنه يظن نفسه لا يحتاجها.

فلا تغترّ بالشكل... ولا تحتقر من ظاهره دونك.

فما دام القلب ينبض... فباب الله مفتوح.

وما دامت الروح لم تُقبض... فكل نفسٍ مرشّحٌ للنجاة... أو للانتكاس.

فارحم... فمن رحم الناس، رحمه الله.

ولا تكن خصيمًا بين عبدٍ وربّه... فإنك لا تعلم خفايا القلوب، ولا ثقل الدموع، ولا عمق الصراع.

فربك وحده هو من يكتب المصير... لا ظاهر الثياب، ولا نظرتك المحدودة.

الفصل التاسع: لا نُكفّر من لم يُكفّره الله

- **خطر التسرّع في إطلاق أحكام الخروج من الملة..**
- **ومتى يكون الكلام كفرًا؟ ومتى يكون خطأً وجهلًا؟**

الافتتاح: من قالها... رجعت عليه!

قال رسول الله ﷺ: "من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما " متفق عليه.

تأمّل هذا الحديث العجيب... لم يقل ﷺ: "فقد أخطأ"، أو "تجاوز..."

بل قال:"فقد باء بها أحدهما!" أي أنَّ الكلمة الخطيرة هذه...

إن خرجت من فمك بغير علمٍ ولا بيّنة، فإنها لا تُعلّق في الهواء... بل ترتد عليك، فتُصبح أنت المُدان... وتُصبح هي سهماً في قلبك لا في قلب من طعنت! فاحذر... فليس كل اختلاف كفر، وليس كل خطأ ردّة، وليس كل مظهر مخالف علامة ضلال.

فكم من "مُكفَّر" عند الناس... هو عند الله وليّ!

وكم من "مُصفّى" في الظاهر... قلبه غافلٌ عن الله!

ميزان التكفير والتفسيق ليس في يدك... بل في يد من لا تخفى عليه خافية.

الكارثة المنتشرة اليوم:

كثيرٌ من الناس – بل وبعض المتدينين الجُدد للأسف –
تراهم أسرع الناس لقول:"كافر، مرتد، زنديق، فاسق، خارج من الإسلام"!
ولو نظرت في حال من يُكفّرونهم، لوجدت أنهم:

– من أهل المذاهب الإسلامية المخالفة...
– أو من الفساق العصاة دون جحود...
– أو من الجهلة الذين يُخطئون عن سوء فهم لا عن عداء...
– أو حتى من المخالفين في مسائل اجتهادية ليست من أصول الدين!

وهذه ليست غَيرة على الدين، كما يتوهّم البعض...
بل هي تجرّؤ على مقام الله عز وجل، لأنَّ الذي يُخرج من الملة هو الله وحده،
لا أنت، ولا شيخك، ولا جماعتك، ولا حزنك، ولا غضبك!

قال الإمام الذهبي:

"**والتكفير أمر عظيم، ولا يُكفَّر المسلم إلَّا ببرهان أوضح من الشمس**".
فلا تكن من الذين يبنون دينهم على الحُكم على الناس...
بل كن من الذين يبكون خوفًا أن يُختم لهم بسوء!.

القاعدة الكبرى في العقيدة:

ليس كل خطأ كفرًا... وليس كل جاهل مرتدًا... وليس كل من نطق بمكفّر يُكفَّر"!.. بل لا يُحكم على مسلم بالكفر إلا بعد توافر ثلاثة أمور متكاملة:

١- تحقق شروط التكفير:

– أن يكون الفعل أو القول صريحًا في الكفر بلا تأويل.
– أن يكون المنسوب إليه الفعل عالـمًا بالحكم، غير جاهل ولا مخطئ.

٢- انتفاء الموانع: مثل الجهل، أو الإكراه، أو التأويل، أو الغفلة، أو الخطأ غير المقصود.

٣- إقامة الحُجّة: لا يُكفَّر الإنسان حتى تُقام عليه الحُجة وتُزال عنه الشبهة، كما قرر أئمة أهل السنّة.

فإطلاق الكفر على الناس بدون علم ولا تحقق ولا عدل

ليس من الدين... بل من البغي والعدوان.

احذر أن تحكم على قلبٍ، أو تُخرج عبدًا من رحمة الله...

فإنك بذلك تزاحم الرَّبّ في سلطانه!..

متى يكون الكلام كفرًا؟ ومتى لا؟

الحالة	الحكم الفقهي	التفصيل
من أنكر شيئًا معلومًا من الدين بالضرورة، كجحد الصلاة أو تحريم الزنا	كفر، إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع	بشرط أن يكون عالمًا، قاصدًا، غير متأوّل ولا مكره
من سبَّ الله أو رسوله عنادًا واستهزاء	كفر أكبر	لكن يُنظر في حاله: هل هو واعٍ؟ هل جاد؟ هل في حالة سكر أو غضب شديد؟
من قال عبارة فيها سوء أدب مع الله أو الدين	لا يُكفّر فورًا	بل يُسأل: ماذا قصد؟ هل يعرف معناها؟ هل نطقها عن جهل؟ هل نادم؟
من وقع في بدعة أو خرافة	لا يُكفّر	بل يُعلَّم وتُقام عليه الحجة أولًا

مشاهد واقعية من التسرّع القاتل:

- رجل يقول:"الله في كل مكان" فيرتفع صوت "الغيورين" ... كافر! بينما هو قد يكون جاهلًا بالمصطلحات العقدية، ويقصد أنَّ الله معنا بعلمه وقدرته وإحاطته، لا أنه بذاته في كل مكان!.. (وهذا فرق دقيق لا يُدركه كثيرون من عوام المسلمين)..
- فتاة في لحظة مصيبة تقول:"أنا زعلانة من رب العالمين"... فيُقال لها بلا رحمة:"هذا كفر"!... لكنها لم تُنكر الله، ولم تخرج من الدين... بل تكلمت بلسان قلبٍ منكسر، وفهمٍ ناقص...
  وكُلنا قلنا يومًا ما يُشبه ذلك في لحظات ضعف، ثم بكينا نادمين.
- شاب متألم يقول:" ليش ما استجاب الله دعائي؟ "! فيُقال له مباشرة:"أنت تنكر القضاء والقدر"!.. بينما هو فقط يبحث عن طوق نجاة، لا يعترض على الله، بل يشتكي إليه...

الحقيقة:

هذه ليست كلمات كفر... بل صرخات وجع! فمن سارع إلى التكفير بدل التفسير، ومن بادر إلى الإدانة بدل الاحتواء، فهو قاتلٌ للأمل، طاردٌ للرحمة، حاجبٌ عن التوبة.

قال علي بن أبي طالب ﵁: "لو سكتَ من لا يعلم، لسقط الخلاف".

فيا من تطلق الأحكام جزافًا... تذكّر أن الله لا يحكم على عباده بالظَّن...

فكيف جعلتَ نفسك أعدلَ منه؟

منهج النبي ﷺ في التعامل مع العبارات الموهمة للكفر:

كم مرةً سمع النبي ﷺ كلمات قد يُظن أنها كفر صريح،

ومع ذلك... لم يُكفّر أصحابها، ولم يرفع السيف، ولا أصدر فتوى طرد من

الإسلام! بل... صوّب الكلمة، وأمهل القائل، وفتح له باب العلم.
جاءه رجل فقال: "ما شاء الله وشئت"! فقال له ﷺ بلين ورحمة:
" أجعلتني لله ندًّا؟! بل ما شاء الله وحده " رواه النسائي وأحمد..
لاحظ: لم يقل له "أنت مشرك"! ولم يُهدر دمه، ولا طعن في عقيدته،
بل نبّهه إلى الخطأ في العبارة، لا إلى خلل في الإيمان.
والنبي ﷺ لم يكن يُربّي على "قصف العبارات"،
بل على فهم القلوب، وتزكية النفوس، والتعليم بالحكمة.

القاعدة النبوية التربوية:

الكلمة الموهمة لا تُحمل على الكفر... إلّا بعد البيان، والتبيّن، وسؤال القائل عن قصده.

فما بال أقوامٍ اليوم... يُكفّرون بكلمة سمعوها في لحظة ضعف،
ويَغفلون عن أنَّ النبي ﷺ علّم، ولم يُهاجم... فهكذا يكون حمل الرسالة.

شروط التكفير الشرعي (عند أهل السُّنة والجماعة):

التكفير ليس لعبة ألفاظ، ولا انفعال مشحون... بل حكمٌ خطير له ضوابط دقيقة، لأن فيه إهدارًا للدم والعرض والدين.

الشروط الأساسية للتكفير:

١- أن يكون القول أو الفعل كفرًا بَوَاحًا صريحًا: لا يُحتمل إلا الكفر، ولا تفسير له في لغة الشرع إلا الخروج من الدين.

٢- أن يكون القائل عالمًا بالحكم: فالجاهل لا يُكفّر حتى يُعلَّم، كما قال الله تعالى:﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (الإسراء: ١٥).

٣- أن يكون قاصدًا للمعنى الكفري: لا متأوّلًا، ولا ناقلًا، ولا مازحًا بلا وعي، ولا ساخرًا لا يدرك معنى كلامه.

٤- ألَّا يكون مُكرَهًا: فمن نطق بالكفر تحت التعذيب أو التهديد، لا يُكفَّر، لقوله تعالى: ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ (النحل: ١٠٦).

٥- **أن تُقام عليه الحجة، وتُزاح عنه الشبهة:** أي يُبيَّن له وجه الخطأ، ويُعطى الفرصة للفهم والتراجع، فإن أصرّ بعد البيان... قامت عليه الحُجّة.

القاعدة الذهبية:

التكفير حكم شرعي دقيق... لا يُطلق إلا بحق من ثبت كفره بالشروط والضوابط، ولا يتولاّه إلا أهل العلم المعتبرون.

تحذير:

من كفّر مسلمًا بغير حق، فقد وقع في كبيرة عظيمة، بل قد ترتد عليه الكلمة، كما قال النبي ﷺ: "من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما".

إذًا: نُسمّي الذنب ذنبًا، ولا نتردّد في بيان الحرام... لكن لا نتجاوز إلى إخراج الناس من الملة بغير حق.

فإنَّ أبواب التوبة مفتوحة، والمؤمن يُحذّر من الخطر...

لا أن يدفع الناس إليه بدفعة استئصال!...

من أخطر المزالق:

من أخطر المزالق التي يهوي فيها بعض المتدينين دون أن يشعروا: التكفير بغير علم... لا يُفسد قلبك فقط، بل يُفسد المجتمع كله.

تأمل الآثار الواقعية المخيفة:

١- رجل يقتل آخر لأنه "كافر بنظره"، بينما هو عند الله من أهل لا إله إلا الله، لم تُقم عليه حجة، ولا بلغته دعوة.

٢- زوج يطلّق زوجته لأنه سمعها تقول كلمة لم يفهم مقصدها، فسلبها بيتها وحياتها بسبب جهل ديني مغلّف بغضب جاهلي.

٣- داعية ينهش الناس على المنابر، فيجعلهم يظنون أن التوبة مستحيلة، وأن الماضي يُلاحقهم إلى الأبد، فيُطفئ ما بقي فيهم من شوق إلى الله.

هذه ليست غيرة على الدين... بل فتنة تُغلق أبواب الرحمة، وتُشعل أبواب الهلاك.

"التكفير حكم شرعي... لا يجوز أن يُطلق على معين إلَّا بعد التثبّت واستيفاء الشروط وانتفاء الموانع، ومن كفّر مسلمًا بغير حق، فقد تبوأ مقعده من النار".

الوعي الحقيقي:

- هو أن تعرف الفرق بين الخطأ والكفر.
- هو أن تدعو من أخطأ... لا أن تدفنه حيًّا.
- هو أن تخاف من الله حين تفتح فمك لتُصدر حكمًا... قد يكتب مصير إنسان عند ربه.

فاحذر أن ترفع إصبعك على عبد... وقد فتحت السماء أبوابها تنتظر توبته.

توقّف... ولا تسرق مقام الله!

قال الله تعالى:

﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ الحج: ٦٩

الله هو الحَكَم العدل، هو من يزن القلوب، ويعلم النوايا، ويفصل في المصائر...

أما أنت، فلا تملك إلا الظاهر... ولا ترى إلا لقطة من حياة إنسان...

وقد تُخطئ في الفهم، أو تُضلّل بالمظهر، أو تظلم بلا قصد!..

التكفير ليس "تغريدة..." بل قضاء رباني تُبنى عليه أخطر أحكام الدنيا والآخرة:

- يترتّب عليه سقوط الولاية،

- فسخ الزواج،
- الحرمان من الميراث،
- منع الدفن في مقابر المسلمين،
- والأدهى: الحكم بالخلود في النار!

فهل تجرؤ أن تتحمّل هذه الأحكام؟!..

وهل تظن أنك أحرص على دين الله من الله تعالى نفسه؟!

بعض الناس اليوم يكفّر في لحظة... لكن لا يعلم أنه بكلمته هذه قد يكون أقرب إلى النار من الذي كفّره! قال ﷺ: "من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما" متفق عليه..

إذا لم تكن عالمًا... فاسكت.

وإذا لم تكن متأهّلًا... فاحذر.

وإذا خفت الله حقًّا... فقل:

"اللهم لا تجعلني خصيمًا لعبدٍ ربما تُحبه، وأنا لا أعلم".

"اللهم اجعل غَيْرتي على دينك رحمة... لا لعنة".

ماذا نفعل إذا سمعنا كلمة فيها كفر؟

إذا سمعتَ كلمة تُوهِم الكفر أو تنكره، فلا تُسارع بالتكفير، بل اتّبع هذه الخطوات:

١- اسأل عن القصد: قل له:"ما الذي تقصده بكلامك؟" لأن القول الكفري لا يُحكم عليه بالكفر إلّا إذا عُرِف قصده بوضوح.

مثال نبوي: جاء أحد الصحابة يقول:"ما شاء الله وشئتَ يا رسول الله".

فقال ﷺ:"أجعلتني لله ندًّا؟! بل ما شاء الله وحده" علّمه، ولم يُكفّره.

٢- بيّن الخطأ بالحكمة: قل له بلطف: "هذا القول لا يجوز، لأن فيه كذا وكذا، وربما لم تقصد ذلك، ولكن أوضح لك"...

← لأن من يجهل أو يخطئ لا يُعامَل معاملة الجاحد المعاند.

٣- ادعُ له بالهداية ولا تُقصِه: قل:"أسأل الله أن يشرح صدرك للحق، ويزيدك علمًا".

← فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، يهدي من يشاء... وكم من كلمة هادئة غيّرت مسار حياة إنسان.

٤- ردّ الباطل دون سحق صاحبه: قل:"القول هذا باطل، ولا يجوز، لكنه لا يُخرجك من الإسلام إلا بشروط معينة"...

← وهذا هو العدل: نردّ الخطأ، لا نكسر الإنسان.

بالضبط... هذا هو منهج النبي ﷺ ومنهج الرَّبانيين من العلماء...

الخلاصة: ليس دورك أن تُصدر "صكوك الخروج من الملة":

بل أن تكون داعية هدى، يُصحّح... لا يُقصي، ويُرشد... لا يُهلِك، ويُشبه نبيّ الرحمة... لا شياطين الغلظة... قال تعالى:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]..

رسالة ختامية تُكتب بماء القلب، وتُقرأ بخشية:

١- لا تكن مفتي جهنم... كلمة واحدة تقولها اليوم، قد تُغلق على عبدٍ بابًا فتحه الله له، قد تُطفئ في قلبه نورًا بدأ يشتعل، قد تجرّه إلى هاوية... كان يسعى جاهدًا للخروج منها، فاحذر...

٢- لا تُخرِج أحدًا من الإسلام بغير علم،

٣- لا تُكفّر عبدًا لذنبٍ قد تاب منه،

٤- لا تُخاصم من قال "لا إله إلا الله"... لأنك لا تعلم ما بينه وبين الله.
قال ﷺ: "من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة " متفق عليه، لم يُقيّدها بلباس، ولا بلهجة، ولا بمذهب، ولا بماضي... قالها الحبيب ﷺ وهو أعلم الناس بالله، وقالها لنا... كي لا نغلق الجنة على الناس بأيدينا.

فتذكّر دائمًا:

قد يكون هذا الذي كفّرته اليوم... من أهل الفردوس غدًا.
وقد تكون أنت... من ندم في لحظة الحساب، لأنك جعلت نفسك إلهًا يُقرّر المصائر!.. فقل خيرًا... أو فاسكُت.
ودع الحكم للعدل الرَّحيم... ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾

الفصل العاشر: المظهر الديني لا يكشف درجة الإيمان

- **هل لحية الرجل تعني أنه أقرب؟**
- **هل حجاب المرأة يعني أنها خير من غيرها؟**
- **لا أحد يعلم الموازين... إلا الله.**

الافتتاح: حين صار الدين "واجهة"... لا وجهة.

في زمنٍ تتصدّر فيه الصورة، وتُبنى الأحكام على المظهر،
تحوّل الدين – في نظر كثيرين – إلى لحية طويلة، أو عباءة واسعة، أو نقابٍ منسدل.
لكن هل هذا هو الإيمان؟ القرآن الكريم يقول: لا.
فالإيمان لا يُقاس بطول الثوب، ولا يُعرف بكثافة اللحية،
ولا يُحدّد بلون الحجاب... بل هو شيءٌ أعمق... شيءٌ يسكن القلب،

ويصدقه العمل، وتشهد عليه النية الخفية.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾

لا أكثرَكم عباءة... ولا أطولَكم لحية... بل أصدقكم قلبًا.

قاعدة ذهبية لا تُنسى:

"كل مظهر ديني... قد يكون بوابة هدى، أو قناعًا لغفلة".

فالعباءة قد تستر قلبًا خاشعًا... وقد تخفي نفسًا معجبة متكبرة.

واللحية قد تكون سُنّةً يُرجى بها وجه الله...

وقد تكون زيًّا يتوارى خلفه رياءٌ خفيّ.

لذا، لا تحكم على أحد بالمظهر فقط...

ولا تُعطي البراءة لمجرّد شكلٍ يُوحي بالصلاح،

ولا تُصدر الاتهام لمجرّد زيٍّ لا يُعجبك! فالمعيار القرآني واضح:

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾

أسئلة تُحرّك القلب... وتُحرّر العقل:

- هل لحية الرجل تعني دائمًا أنه تقيّ؟ أم قد تكون لحيةً نبتت على وجه قلبٍ لم يُطهّر؟..
- هل المرأة المنقبة دائمًا هي الأقرب لله؟ أم قد تكون تقيةً صادقة... وقد تكون مجرّد صورة بلا روح؟..
- هل من يرتدي ثوبًا قصيرًا ويتحدث عن الدين، هو بالضرورة أفضل ممن يرتدي بذلة؟.. أم أن الدين لا يُقاس بالأقمشة... بل بالخشية في السرّ والعلن؟..
- هل اللباس الديني يُساوي منزلة عند الله؟ أم أنه مجرّد علامة... لا تُغني شيئًا

إن خلا القلب من الإخلاص؟..

السؤال الحقيقي هو: هل تُعامل الناس كما يحب الله... أم كما يُمليه عليك مظهرهم؟.. قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾

لا أكثرَكم لحًى، ولا أوسعَكم نقابًا، ولا أطولَكم أثوابًا...

بل أصدقكم قلبًا، وأنقاكم سريرة.

القرآن يفضح زيف الصورة:

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ** ﴾ المنافقون: ٤... أي أنهم يبهرونك بأجسامهم وكلامهم... لكنهم في الحقيقة: خشبٌ لا روح فيها، وقلوبٌ خالية من النور.

الظاهر يخدعك... لكن الله تعالى لا يخدعه شيء.

قد ترى لحيةً كثيفة... وصدرًا مرفوعًا... وعباراتٍ رنّانة...

لكن الله يرى شيئًا آخر: يرى الصدق... أو نفاق القلب.

انتبه...

ليست كل هيبة دليل إيمان.

وليس كل من يُحسن الكلام... يعرف الله.

فكما أن هناك عصاةً بقلوب تائهة مشتاقه...

فهناك أيضًا متدينين بمظاهر ناصعة وقلوب نائمة.

مشاهد تُبكي القلب، وتكشف الغشاوة عن البصر والبصيرة:

◄ شابٌ تكسو وجهه لحية كثيفة، لكن قلبه قاحلٌ من برّ والديه، يضيق صدره بمن هم دونه في الالتزام، ويجعل من لسانه سيفًا يقطع به عباد الله:

"هذا ضال... وتلك فاجرة... وهؤلاء من أهل الجحيم"!
فيا هذا... ما أثقل لحيتك إن لم تُثقِل بها ميزان الرحمة،
وما أهونها عند الله إن حملت فوقها قلبًا منتفخًا بالكبر!

- وفتاةٌ منقّبة، حافظة لكتاب الله، لكنها تطلق سهام سخريتها على أختٍ أقلّ سترًا، وتجعل من المجالس منابر لذمّ الأخريات، كأنها نالت صكّ الغفران، واحتكرت طريق الجنة! فما نفع ستر الجسد، إن بقي القلب مكشوفًا لعاهة الكِبر؟ وما قيمة الحفظ... إن لم يحفظك من تعالي النفس، واحتقار الغير؟.
- وفي زاوية لا يلتفت لها الناس... رجل بسيط، لا شهرة له، ولا هيئة تلفت الأنظار، لحيته قصيرة، وثوبه عادي، لكنه إذا أقبل الليل... قام إلى الله خاشعًا، يبكي في خلوته، ويطعم جائعًا، ويُكرم يتيمًا، لا يعلم الناس عنه شيئًا... لكن الله يعلم، وملائكته تسجّل، والسماء ترفعه، وقد يوزن عند الله وحده أكثر من ألفٍ ممن ضجّت الدنيا بظواهرهم!..

العبرة ليست فيما نلبسه... بل فيما نُكنّه.
والقيمة ليست فيما نحفظه... بل فيما نطبّقه.

فلا تظننّ أن الدين ثوبٌ يُرتدى...
بل هو قلبٌ يُطهَّر، ونفسٌ تتواضع، وسلوكٌ يُنير.

من مدرسة النبي ﷺ:

دخل فقيرٌ على المجلس، ثوبه رثّ، وملامحه بسيطة، لا يملك من زينة الدنيا شيئًا... فتمتم بعض الصحابة: "لو طرق الباب، لما أُذن له"!...
ثم دخل بعده رجل آخر... هيئته أنيقة، ثيابه فاخرة، حديثه لبق، فقالوا بإعجاب:

"هذا... لو خطب لزُوِّج، ولو شفع لشفِّع"!

لكن النبي ﷺ... الذي لا ينظر بعين البشر، بل بعين النبوّة،

رمقهم بنظرة أعمق من السطح، وأصدق من المظهر،

ثم قال كلمته الخالدة، التي نقشت في ضمير الزمان:

هذا – أي الفقير – خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا" رواه البخاري..

يا الله!... ملء الأرض من المال، والوجاهة، واللباقة...

لا يعدل عند الله قلبًا متواضعًا، نقيًّا، صادقًا في حبّه لله!..

فالدرس النبوي:

اللباس لا يزنك عند الله... بل قلبك.

والأناقة لا ترفعك في السماء... بل صدقك.

وما كان الناس يظنون أنه ميزان القرب... قد يكون هو الحجاب الذي يحجب!

لا نُقصي الناس بسبب شكلهم... ولا نُعظّم الناس بسبب هيئتهم

خطأ شائع	الحقيقة الشرعية
"ذاك بلحية طويلة... لا بد أنه من أولياء الله"	اللحية سُنة... لكن التُقى في القلب، والسلوك
"تلك غير محجبة... إذًا لا تعرف الله"	قد تكون تبحث... تجهل... أو تُجاهد نفسها
"هذا لا يظهر عليه أثر الالتزام... إذًا بعيد"	قد يكون أقرب إليك إلى الله في لحظة خفية

لا نُنكر جمال المظهر... ولكننا نُذكّر بجلال الجوهر.

نعم... الحجابُ فريضة، يُرضي الله ويُكرم المرأة.

اللحيةُ سُنّة، تُظهر اتباع النبي ﷺ وتوقير هديه.

اللباسُ الشرعي ضرورة، يرسم وقار المسلم ومسلمته في الدنيا.

لكننا نقولها صدقًا وعدلًا:

لا تجعل هذه المظاهر هي الميزان الوحيد للحكم على الناس!

فهي علاماتُ السير... لا غايةُ الطريق.

دلائلُ وجهة... لا صكوكُ نجاة.

مفاتيحُ باب... لا ضماناتُ قبول.

فقد يلبس أحدهم زيّ الطاعة...

بينما قلبه يضجّ بالكبر، أو تحت ستره خبءٌ من غفلة.

وقد يكون آخر في بداية الطريق... ضعيفًا في الهيئة،

لكن قلبه يشتعل شوقًا لله، ويُمطر خلوته بدموع الرجاء،

فيرى الله منه ما لا نراه نحن!...

فاحذر أن تُبصر الثوب وتغفل القلب...أن تُعجَب بالعمامة وتنسى التقوى...

أن ترى النقاب وتغيب عنك خشية الله.

لأن الله لا ينظر إلى صورنا... بل إلى قلوبنا وأعمالنا.

الخطر حين تتحوّل المظاهر إلى ميزان نجاة، بدل أن تبقى مجرد معالم طريق:

حين تُعلّق القلوب بالقماش، وتُنسى الأرواح...

حين يُوزَن الدين بطول لحية، أو اتساع عباءة، أو صدى صوت في محاضرة،

وتُنسى تلك اللحظة الخفية التي ينكسر فيها القلب بين يدي الله... فلا يراها أحد، لكنها عند الله أغلى من ألف محفلٍ وصورة.

كم من رجلٍ بسيط الهيئة... لا يعرفه الناس،

لكنه يمشي إلى الصلاة بتواضع، ويبيت لله قائمًا،

ويبكي سرًا من خشية الله... هو عند الله ملكٌ لا يُرى.

وكم من صاحب مظهرٍ مهيب... لا يزال في نظر الله تعالى...

أسيرَ ذاته، غريقَ إعجابه، محرومًا من لذّة القرب.

الميزان في السماء مختلف... يَزِن القلوب لا الصور، والنيّات لا الأقوال،

والدموع في الخلوات لا التصفيق في الساحات.

فإيّاك أن تجعل من مظاهر الناس سلاح تصنيف...

فربّ عبدٍ مستور، لا يُرى... هو أحبّ إلى الله منك، وأسبق إليه منك.

قال الله تعالى:

﴿فَلَا تُزَكُّوٓا أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ النجم: ٣٢...

فلا تظنن أن طول لحيتك يُزكّيك، ولا أن نقاب غيرك يُدينه،

ولا أن صمتك في المجالس أقدس من ضحكة صدرت من قلبٍ طيّب.

لا تظن أن لباسك أقرب... ولا أن هيئة غيرك أبعد.

فالله تعالى لا تَخدعه المظاهر، ولا تغيب عنه النوايا...

هو وحده يعلم من هو أقرب إليه، حتى لو كان في أعين الناس بعيدًا جدًا.

الرسالة الأخيرة:

المظهر الديني... لا يعني أن القلب على خير،

كما أن المظهر غير الملتزم... لا يعني أن القلب على شر.

ف الله تعالى لم ينظر يومًا إلى شكل عبده... بل إلى قلبه وسعيه.

"قد ترى في المقهى قلبًا باكيًا من الله... أصدق من ألف ساجدٍ مغرور"

الفصل الحادي عشر: حين نحكم على الناس بماضيهم وننسى رحمة الله

تمهيد يُمزّق الغفلة:

كم مرة نظرت إلى أحدهم نظرةَ يأس، فقلت في سِرّك أو جَهرِك:

- "لا رجاء منه... قد انتهى"!
- "هذا غارق... لن يخرج من ماضيه"!
- "أعرفه جيدًا... لا يتغيّر"!
- "تاريخه أسود... فكيف يُصبح من أهل النور؟"!

لكن مهلاً... ألست تؤمن أن ربك هو أرحم الراحمين؟

فكيف ضاق صدرك بما وسعته رحمة الله؟

ألست تعلم أن القلوب بيد الرحمن... يُقلّبها كيف يشاء؟

فمن أعطاك إذنًا بأن تُغلق على أحدهم باب الرجاء؟

أو أن تكتب عليه حكمًا أبديًا... لم يكتبه حتى خالقه؟!

الحق أن المصائر لا تُبنى على الماضي، بل تُرسم من لحظة صدق...

يعود فيها العبد إلى الله، ويقول: "يا رب، ما لي سواك".

من أنت... لتقول: "لن يتوب"؟!

أيّ يدٍ رفعتَ بها ستار الغيب... فرأيت مصيره؟

وأيّ ميزانٍ امتلكتَ... فوزنت نيّته في الخفاء؟

من أذن لك أن تُغلق أبواب الرحمة؟ ومن وكّلك بتوزيع مفاتيح الهداية؟!

أخبرني... هل رأيت دموعه التي لم يُرِها لأحد؟

هل شهدتَ تلك السجدة في جوف الليل...

التي محَت ماضيه، وجعلته أقرب إلى الله منك؟

هل تعلم كم مرة ستره الله وهو يُخطئ... ثم اجتباه حين صدق في العودة؟

فإن لم ترَ شيئًا... فاسكُت... نعم اسكت...

فقد يكون في قلبه من الصدق...

ما تُحرم أنت من مثله، وأنت تظن نفسك مهتديًا!..

وما زال المشهد يتكرّر... كأنَّ القلوب لم تتعلّم!

- فتاة... كانت تملأ الشاشات، بمقاطع لا تُغني ولا تُثمر، ثم انقلبت حالها، ومسحت ماضيها، وصارت داعية... لكن الأصوات من الخلف ما زالت تصرخ: "مش هي اللي كانت؟"!
- وشاب... كان يُطرب الساهرين بأغانيه، ثم جاءه فجرٌ من رحمة، فأغلق باب المعازف، وفتح مصحفه... لكنّهم كلما تكلّم، ضحكوا ساخرين: "أنت؟ تبالغ... نعرفك"!..
- ورجل... نُسجت حوله الحكايات عن الخداع، ثم نفض عنه الغبار، وتاب وأناب، وسار في دروب الخير بصدق... فقالوا: "تمثيل! قلبه أسود، لا ينفع"! وما قالوها ...لكن كأنهم يقولون لله، جلّ في علاه: "لا تُغيره... نحن نعلم أكثر منك"!

يا الله... كم من إنسان أخَّرَ توبته... لا لأنك لم تفتح له الباب، بل لأنَّ عبيدك سدّوه في وجهه!..

الخطر: احتقار التائب... يحرمك من الرَّحمة!

قال ﷺ: "من قال: لا يغفر الله لفلان، قال الله: من ذا الذي يتألّى عليّ؟ قد غفرتُ له، وأحبطتُ عملك"! رواه مسلم، فانظر...

ذاك الذي سَخِرتَ من دموعه، ربما كان في لحظة قبولٍ مع الله،

وأنت... بلحظة كبرياء، أهدرتَ رصيد عمرك في الطاعة.

إنها ليست مزحة... من يحتقر تائبًا،

فقد تطاول على أقدس باب في دين الله: باب التوبة...

وقد يسقط من نظر الله تعالى، وهو يظن نفسه ناظرًا من فوق.

الله تعالى لا ينظر إلى بداية سقطتك... بل إلى نهاية عودتك:

العبرة ليست: أين كنت؟ بل: إلى أين وصلت؟

ليست: ماذا فعلت؟ بل: كيف بكيت بعدها... وكيف وقفت بعد الانكسار؟

فرُبَّ دمعةٍ في آخر الطريق، تمحو سُحبًا سوداء من أول الطريق...

وربّ قلبٍ عاد متأخرًا، فصار أحبّ إلى الله من قلوبٍ لم تذق حرارة التوبة يومًا.

فلا تيأس من نفسك... فالله تعالى لا يُنهي القصة حين تسقط،

بل يُمهلك حتى تنهض وتعود إليه بإخلاص.

الرسالة الأخيرة:

أيها المتكبّر على الناس بماضيهم:

قد تُبعث يوم القيامة وراء من كنت تسخر من توبته.

ويا أيها التائب: لا تخف من نظرات الناس،

فربك لا ينظر للماضي... بل إلى قلبك الآن.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ الفرقان: ٧٠..

لا يُعطيك عفوًا فقط... بل يُحوّل ماضيك إلى رصيد نور.

الفصل الثاني عشر: نُحاسب الناس على مواقف لحظة... ونتجاهل عمرًا من الطاعات

- **زلة لسان؟ انفعال عابر؟ كلمة لم تُحسن صياغتها؟**
- **فهل نسقط بها إنسانًا... قضى عمره في طاعة الله؟**

المشهد المؤلم: حين تُمحى الرحلة... بلقطة!

- داعيةٌ تعب من عمره عشرين عامًا، نذر نفسه للقرآن، وأيقظ قلوبًا نائمة، ثم في لحظة زلّ فيها لسانه، انهالت عليه السهام: "ضلّ... انحرف... كذب على الله"! ونسوا أنه بشر... وأن الذي علّمهم التوبة، يستحق منهم دعوة لا إدانة.
- فتاةٌ نشرت في ساعة ضعف صورة لا تليق، فانقضّ عليها الجميع: "سقطت! انكشفت"! ونسوا أنها في الخفاء... كانت تبكي، وتدعو، وتذكّر، وكانت في كل ليلة تقول: "يا رب، بدّلني نورًا"!..
- أمٌّ غاضبة، أنهكها التعب، وصرخت في ابنها... فقيل عنها: "قاسية، لا تستحق الأمومة"! ونسوا أنها سهرت حين ناموا، وضحّت حين أنانيّتهم زادت، ونسوا أن لحظة الانهيار لا تمحو سنين الحُب.

إلى كل من نسي أن البشر يخطئون،

تذكّر: أنَّ الله تعالى لم يُقيّم الناس بلقطة، بل برحلة.
وأن الرحمة... تسبق المحاسبة.
وأنَّ الميزان عنده سبحانه... أوسع من نظراتنا الضَّيِّقة.

هل اللحظة تُلغي الرحلة؟

لا أحد معصوم من الزَّلل... لكن ميزان الله تعالى يزن الرِّحلات، لا العثرات.

- ◄ فمن رأى أُمًّا تصرخ في لحظة إرهاق، فنسي دموع سهرها، ووجع تعبها... فقد جحد المعروف.
- ◄ ومن سمع داعية يزل في لفظٍ، فأنكر به عُمرًا من البلاغ والدعوة... فقد خان العدل.
- ◄ ومن رأى تائبة تعود خطوة إلى الوراء، فقال: "انكشفت حقيقتها"! فقد نسي أن التوبة لا تمحو ضعفًا فقط، بل تحتضنه ليقوم من جديد.

العدل...

- أن تنظر بعين الحق، لا بعين الحدّة.
- أن تحكم بالرِّحلة، لا بالهفوة.
- أن تذكر الطريق الطويل... لا الحصى الذي تعثّر فيه المسير.

فإنَّ الله تعالى لا يقضي بالمصير في لحظةٍ عابرة...
بل يعلم نوايا القلب المتراكمة، يرى من يقوم بعد العثرة تواضعًا...
ومن يسقط بعد طول استقامة تكبُّرًا.

"فما يزننا عنده هو عمق الإخلاص... لا مجرّد الوقوف أو السقوط"

من نور القرآن...

حين فرّ بعض الصَّحابة في غزوة أُحد، وانسحبوا من ساحة القتال، لم يُشطب

اسمهم من سجلّ الإيمان، ولم يُسحب منهم وسام الصحبة.

بل قال الله عنهم: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ** ﴾ [آل عمران: ١٥٥]

زلةُ قدم... لكنها لم تكن نهاية الطريق، لأن الله تعالى ينظر إلى صدق التوبة بعد السقوط، لا إلى سقوط السيف من اليد فقط.

فكيف بمن زلّ في كلمة؟ أو تاه في لحظة؟

أو أغوته نفسه مرة؟ ثم رجع إلى الله باكيًا من قلبه؟

أفيُردّ؟ أويُهان؟ أويُكفَّر ويُقصى؟

عدل الله تعالى أعظم من نظرتك، ورحمته أوسع من حكمك.

وإن كان قد عفا عن من تخلّى في المعركة...

فلا تُقصِ أحدًا من دائرة الرحمة بسبب لحظة ضعف!

انتبه... فإنك لا تدري كيف خَتَم الله له!

كثيرًا ما نسمع: "يُبعث المرء على ما مات عليه".

فيتسرّع البعض في حُكم قاسٍ:

"مات وهو على معصية... إذًا يُبعث عليها"!

وكأنهم رأوا خاتمته، واطّلعوا على صحيفة قلبه في اللحظات الأخيرة!

لكن الحقيقة المؤلمة المُوقظة:

نعم، يُبعث على ما مات عليه...

لكن لا أحد يعلم على أيّ حال مات غيره! ولا ما قاله في آخر سجداته، ولا ما نزفه قلبه وهو يلفظ أنفاسه، ولا كيف ناجى ربَّه في ظلمة لا يراها أحد.

- قد تراه يضحك في المقهى... ثم يموت على استغفار.
- وقد تسمعه يزلّ بلسانه... ثم يختم الله له بكلمة التوحيد.

● وقد يظهر لك أنه ضائع... لكنه في داخله يزحف باكيًا نحو النور.

فلا تكن أنت من يُغلق عليه أبواب الرحمة بكلمة، فربُّك هو الستّير... وهو الذي يعلم الخواتيم.

" اللهم اختم لنا بالحسنى... ولا تجعلنا من الجاهلين المتألين على عبادك "

من الحياة... لا من الورق:

◄ شابٌ سار نحو الله بخطًى متعثّرة... لكنّه تعلّق، وبكى، وبذل.

ثم زلّت قدمه فجأة... وارتكب خطأً مريرًا.

فما أسرع الناس إليه!... أفواه تشمت، وأصابع تُشير،

ومنشورات تجلده كأنه لم يعرف الله يومًا! لكن ما لم يروه...

أنه بعد أيام، اعتكف في خلوته، وعاد يبكي، وسجد طويلًا...

ثم خرجت روحه وهو ساجدٌ بين يدي ربه.

فكم من لسانٍ ذمّه... وهو عند الله من المقبولين المقرّبين؟

◄ وفتاةٌ عرفت طريق الدعوة، وبثّت النور في القلوب،

لكنها في لحظة غفلة... نشرت صورةً لا تليق، فاستأسد الجميع عليها!

– "خانت الرسالة"!

– "سقطت القناعة"!

– "كنا نظنّها خيرًا من ذلك"!

فانكسرت، وبكت، واعتزلت، وتابت، وربما كانت تلك التوبة الصادقة أحب إلى الله من آلاف الشامتين الذين لم يعرفوا يومًا معنى الانكسار بين يدي الله.

"فلا تحكم على أحد في عثرته... فربما كانت تلك اللحظة بابًا إلى جنّته"

من مدرسة الرَّحمة والعدل:

في صلح الحُديبية... كان الموقف صعبًا، والقلوب مشحونة،
والصحابة يرَون القيد على المعاهدة... ذُلًّا أمام الباطل!
فانفجر عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بكلماتٍ حادّة، شديدة، أمام رسول الله ﷺ: "ألستَ نبيّ الله؟ ألسنا على الحق؟ فلِمَ نُعطي الدنية في ديننا؟"!
وكان في ظاهرها "اعتراض"... لكنه اعتراض المحبّ، المتألم، الغيور على الدين.
ومع ذلك... لم يُعنّفه النَّبي ﷺ، ولم يُقصه، ولم يُجرّده من منزلته!..
بل بعد الفتح... ذكّره ﷺ بما لا يُنسى:
"لعلّ الله اطّلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرتُ لكم".
لأنَّ من له سجلٌّ ذهبي في السَّماء ...لا يُنسف بسطرٍ واحدٍ في لحظة غضب.
ومن عرف الله في ميادين الصدق... لا يُسقطه زلَل في لحظة عتب.
علّمنا الحبيب ﷺ أن المحكوم على الإنسان...
ليس لحظته فقط، بل رحلته، وتاريخه، ونيّته، وما خفي من نوره.

التوازن: لا نُبرر الخطأ... لكن لا نُسقط صاحبه:

الحالة	الفهم المتوازن
خطأ داعية في لفظٍ غير مقصود	يُنصح، لا يُفضح
موقف انفعالي من أم، أو زوج، أو شيخ	يُفهم في سياق التعب، لا يُضخّم
تغريدة عابرة من شاب صالح	تُناقَش... لا يُلغى بسببها

الرسالة التربوية:

ليس الناس مقاطع عابرة... بل روايات مكتوبة بمداد الألم،

والضعف، والتقلب، والرجاء.

فلا تُلخّص سيرة إنسانٍ في مشهد...

ولا تحرق كتاب حياته لأنك لم تُعجب بفقرةٍ فيه.

كلّ قلبٍ له فصول مخبوءة، وبين الصفحة والصفحة...

سجدة خفية، أو دمعة غالية، أو لحظة صِدقٍ لا يعلمها إلَّا الله.

فإن كنت تُحب أن يُحسن الله تعالى خاتمتك...

فلا تُحاكم الناس بلحظة سهو، أو زلة عين، أو مقطعٍ لا يمثّل الحقيقة.

بل انظر إليهم بعين من يقول خاشعًا:

"اللهم كما سترتهم... استرني، وكما عفوت عنهم... اعفُ عني"

الخاتمة:

ربّك جلَّ جلاله لا يُسقطك من سجدة واحدة نسيتها،

فكيف تُسقط أنت عبدًا من زلّة واحدة ارتكبها؟

تذكر قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾

فوسّع قلبك... إن كنت تُريد أن يُوسّع الله لك في يومٍ لا يُوسّع فيه إلا على الرُّحماء.

الفصل الثالث عشر: لا تحكم على دمعةٍ... ولا على ضحكةٍ!

- **هل البكاء من الخشوع؟ هل الضحك من الغفلة؟.**
- **هناك من يضحك وفي قلبه يقين... وهناك من يبكي ونيّته رياء!.**

مقدمة كاشفة:

رأيته يبكي في الصلاة... فهمَسْتَ في قلبك: "يا له من خاشع"!
لكنّك لم تُبصر ما خلف الدمع... أكان وجلاً من الله سبحانه وتعالى؟
أم رياءً يطلب التصفيق من العيون؟
ورأيت شابًا يضحك بين أصحابه... فأدرت وجهك قائلاً:
"غفل قلبه عن مولاه"!... لكنك لم تدرِ أنه قضى ليلته ساجدًا...
يبكي همّه لله، ثم خرج متماسكًا... يُداوي بجسده قلبًا متعبًا.
كم من قلبٍ نقيٍّ اختبأ خلف ابتسامة،
وكم من رياءٍ جثا في محرابٍ تظنّه نورًا!..
فلا تُزكّي أحدًا بنظرة... ولا تُسقطه بلحظة،
فأسرار القلوب... لا يراها إلَّا من خلقها.

الكارثة المفهومية:

أن نربط الدموع بالإيمان كلّما انهمرت،
وأن نربط الضحك بالغفلة كلّما علا صوته.
فذاك ميزان مكسور... يرفع من يُجيد البكاء أمام الناس،
ويُسقط من يُخفي وجعه خلف ابتسامة.
وهكذا... تُرفع أقنعة الرِّياء إلى مقام الأولياء،

وتُداس قلوب صادقة... لأنها لم تبكِ على الملأ! ما أكثر ما خُدعنا بالدموع، وما أظلم أن نحكم على الأرواح من ملامح الوجوه!..

من مشكاة الوحي:

يُحدّثنا القرآن الكريم عن المنافقين بقوله:

﴿**يُرَاؤُونَ النَّاسَ**﴾ ـ يُضللون الأبصار بدموعٍ مصنوعة، وخشوعٍ مرسوم.

لكن ربّ العزّة يكشف حقيقتهم في الآية نفسها:

﴿**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى**﴾ ـ أجسادٌ واقفة، وقلوبٌ ساهية.

فليس كلُّ عينٍ تفيض دموعًا صادقةً في محراب الإخبات،

كما أنّ ضحكة الصادق قد تُخفي ليلًا طويلًا من سجودٍ وتضرّع.

إنَّ ميزان الله تعالى لا يقع على قطرات الدمع،

ولا على ارتفاع الصوت، بل على صدق النيّة،

وحياة القلب، وخشية السرّ والعلن.

فلا تحكموا على الأرواح بمظهر اللحظة؛

قد يكون البكاء ستار رياء، وقد تكون البسمة ثوب يقين.

الميزان الحق:

لا تُخدع بالمظاهر... فليست كلّ ظاهرة دليلًا على الحقيقة.

الظاهرة	لا تعني بالضرورة...
البكاء في الدعاء	صدق الإخلاص
الخشوع الظاهري	حضور القلب
الضحك بعد الصلاة	قلّة الإيمان
المزاح في المواقف	قسوة القلب

فكم من باكٍ باحث عن تصفيق،
وكم من ضاحك قلبه متبتلٌ في الأسحار!
الميزان الصادق... هو ما يراه الله في السر، لا ما يراه الناس في العلن.

من الواقع... دروس لا تُنسى:

◀ فتاةٌ اغرورقت عيناها بالدموع في محاضرةٍ إيمانية... لكنها ما إن خرجت حتى اغتابت زميلاتها، كأنَّ شيئًا لم يُقال.

⟵ فليست كل دمعةٍ نازلة... صادقةٌ صاعدة.

◀ شابٌ يملأ المكان ضحكًا ومزاحًا مع أصدقائه... لكنّه فجراً، كان أولَ الراكعين في المسجد، وتاليًا لكتاب الله بدمعةٍ خفية.

⟵ فليست كل ضحكة... دليل غفلة.

◀ داعيةٌ بكى بحرقةٍ في بثٍّ مباشر، فلما أُغلق التصوير، قال ساخرًا: "أديتُ المشهد ببراعة"!.. أليس كذلك..... الله المستعان!!

⟵ تلك لم تكن دموع خُشوع... بل دموع إخراجٍ وتمثيل!..

◀ رجلٌ ضحك في مجلس، فأعرض عنه البعض قائلاً: "أما تخشى الله؟"! فردّ بهدوء: "بل أحبُّ أن أُظهر نعمة ربي، ولا ألبس الإيمان ثوب الاكتئاب".

⟵ فليس التدين عبوسًا، ولا القرب من الله كآبة.

من سيرة النور ﷺ:

كان سيّد المستغفرين... يقول بأعظم تواضع:
"إني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة" رواه البخاري..
ومع ذلك... كان يبتسم، ويمزح، ويُؤنس من حوله،
ثم يقول بوقار النبوة: "ولكني لا أقول إلا حقًّا".

لم يكن ضحكه ﷺ ضعفًا في إيمانه، ولا مزاحه خفّةً في مقامه،
بل كانت بشاشته تُحيي القلوب، وتعلّم الأمة أنَّ النور لا يعني الجفاف،
وأن التديّن ليس عبوسًا دائمًا، بل توازنًا بين القلب الباكي والوجه البشوش.

وصدق بعض السلف حين قال:

"رُبّ باكٍ من ذنبه... قد أُعجب بخضوعه،
وربّ ضَاحكٍ بنعمة ربّه... أقرب إلى الله ممن بلّل وجنتيه بالدموع"!
لأن الميزان الحقّ... ليس ما تراه العيون،
بل ما يزنه ربّ القلوب في الخفاء.
فكم من دمعةٍ أغرقت صاحبها في العُجب،
وكم من بسمةٍ رفعت صاحبها عند الله مقامًا لا يُرى.

لا تُقيّم الإيمان بملامح الوجوه!

فليست العبوسةُ دائمًا دليلَ ورع، ولا البسمةُ علامةَ غفلة.

- قد ترى رجلاً صامتًا، حزين الملامح، فتظنه من أهل التقوى، وهو يحمل في صدره كِبرًا لا تراه، وحقدًا يُطفئ نور العبادة، وغُرورًا يتخفّى خلف سكونه.
- وقد ترى شابًا ضاحكًا، خفيف الروح، فتُسارع بالحكم عليه... لكنّه في خلوته يبكي خاشعا بين يدي الله، ويكتم دمعه خوفًا أن يُحبط إخلاصه.

فلا تجعل من قسمات الوجوه موازينَ للقلوب،
فالإيمان لا يُقاس بالبصر... بل بالبصيرة.

فكيف نوازن؟

بأن لا نحكم على القلوب من ملامح الوجوه،
ولا نُصنّف النوايا من نبرة الصوت أو انكسار النظرة.
نُفرِح القلوب بدل أن نُثقلها بموازين ظاهرية قاسية،
نُصغي لدموع الناس... لكن لا نُقدّسها،
ونضحك معهم بصدق... دون أن نحاكم إيمانهم بنظرة.
فالإحسان لا يعني الغلظة، والتديّن لا يعني التجهم،
والقرب من الله... لا يُقاس بمدى جفاف الملامح،
بل بمدى حياة القلب في السرّ والعلن.

الله عزَّ وجلَّ لا يُحاسبك على دموعك... بل على النيّة التي تسبقها:

قد تبكي... فيراك الناس خاشعًا، لكن الله ينظر إلى قلبك:
هل بكيت له... أم للناس؟
قال ﷺ: " إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم،
ولكن ينظر إلى قلوبكم " رواه مسلم...
فالقلب قد يضحك... وهو منكسر، وقد يبكي... وهو معجب بنفسه.
وحده الله تعالى... يعلم من أي نبع خرجت تلك الدموع.

الرسالة الأخيرة:

يا من تُقدّس الدموع... تأكّد: ليست كل دمعة مفتاحًا للجنة.
ويا من تزدري الضحك... تأكّد: قد يكون خلفه يقين لا تراه.
ويا أيها الإنسان... دع الحكم لله، وابقَ عبدًا بين عباده،

تفرحهم، تواسيهم، تدعو لهم، لا تحكم عليهم...
فقد تُبعث وأنت باكٍ... لكن باكيًا على نفسك،
أو ضاحكًا... وقد كتبك الله في زمرة المسرورين عنده.

الفصل الرابع عشر: حين نحكم على العامة بما نعرفه كعلماء

- **لا يُكلف الناس ما لا يعلمون...**
- **ليس كل خطأٍ ضلالًا... ولا كل جهلٍ كفرًا...**

افتتاح كاشف:

- ليس كل من خالف فتواك... ضالًّا مبتدعًا.
- ولا كل من سأل سؤالًا غريبًا... ساخرًا مستهزئًا.
- ولا كل من وقع في بدعة... عدوًا للسنة.

بل قد يكون:

١- جاهلًا لم يجد من يعلّمه،
٢- أو حائرًا يطلب الحق بين الضباب،
٣- أو تائهًا ينتظر يدًا تمتدّ إليه قبل أن يسقط.

الكارثة الحقيقية...

حين يظن بعض طلبة العلم أو الدعاة أن الناس مثلهم،
فيحاسبونهم على ما ينبغي أن يُعلموه لهم،
ويُعاملونهم كمخالفين... لا كمحتاجين.
فالعلم إذا لم يُورِث رحمة... صار وبالًا،
والدعوة إذا لم تنطلق من القلب... فلن تصل إلى القلوب.

القاعدة الرَّبانية:

يُعلن الرَّحمن سنّتَه العادلة في آيةٍ كالحَدِّ الفاصل:

﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾ [الإسراء: ١٥].

فالعدلُ الإلهي يقضي بأن يسبق البيانُ الحساب، وأن يجيء العلمُ قبل المؤاخذة؛

لا عِتاب بلا حُجّة، ولا حساب بلا نور.

فكيف يجرؤ بعض الدعاة على إصدار أحكام الإبعاد والتضليل

في حقِّ أناسٍ لم يطرق أسماعَهم من العلم ما طرَق أسماعهم؟

أهذا ميزان الله تعالى... أم هو هوى البشر؟

لو أدركوا أنَّ العلم أمانةٌ تُهدى، وأنَّ الجهل حرمانٌ لا جريمة،

لعلموا أنَّ وظيفة الداعي أن يحمل المصباح... لا أن يُشهر السيف.

من الذي يُخيف الناس من الدين؟

ليس الدين... بل بعض من تَصدّر له دون حكمة،

فحمل العلم كالسيف، لا كالنور.

ذاك الذي يُنزل على الناس علومه الثقيلة دفعةً واحدة،

ثم يوبّخهم إن لم يفهموا، ويُصنّفهم إن جهلوا، ويُقصيهم إن أخطأوا...

كأنما جاء ليُحاكم، لا ليُرشد.

هذا ليس إصلاحًا... بل إغلاق لأبواب الله في وجوه عباده،

وصدٌّ عن سبيله بلغة التديُّن،

ولو علم أنَّ النبي ﷺ بعثه الله رحمة، لا صاعقة،

لما قطع الطريق على من أراد أن يبدأ.

من الواقع... مشاهد تُبكِي القلوب لا العيون:

- سأل شاب بخجل: "هل يجوز أن أُصلّي وأنا أرتدي شورتًا فوق الركبة؟" فانقضّ عليه أحد المتصدرين قائلاً: هذا استهزاء بالدين! صلِّح دينك أولًا! فانكسر قلبه... وهجر الصلاة شهورًا، لا لأنّه لا يحبها، بل لأنه ظن أن الله لا يقبل خطواته الأولى.
- وقالت فتاة بأمل: "هل يمكن أن يغفر الله لي وأنا غير محجبة؟" فردّت عليها أخرى بحدّة: "إذا ما تحجّبتِ... فالنار أولى بكِ"! فأغلقت المصحف، وظنّت أن باب الله لا يُفتح إلا لمن اكتملت هيئته.
- وسأل رجل بسيط، قال: "أنا أمسح ماء زمزم على باب بيتي تبرّكًا، هل في هذا خير؟".. فقيل له: "أنت تُشرك بالله حجرًا"! فخجل، وارتبك، وأقسم ألَّا يسأل عن الدين ثانية... لأنه لم يعد يشعر بالأمان.

كل هذه القصص تختصر مأساة واحدة:

أننا نُحاكم العامة بمقاييس الخاصة، ونُعامل السائل كمتهم، لا كطالب نجاة، فنُنفّر، ونُقصي، ونُغلق الأبواب... باسم الغيرة على الدين.

لكن الله تعالى... فتح أبوابه لكل سائل، فمن نحن لنُغلقها؟!..

من سيرة الحبيب ﷺ:

دخل أعرابي المسجد، وبال في زاويته!... فهاج الصحابة غضبًا،

لكن النبي ﷺ، الرحمة المهداة، قال بهدوء القائد الرحيم:

"دعوه، لا تُزرموه"! أي: لا تقطعوا عليه بوله.

ثم لما أنهى، ناداه بلطف، وقال: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله والصلاة".

لم يصرخ في وجهه: "أين تعظيمك لبيت الله؟"!

ولم يُهدر كرامته بقول: "أما تعرف الحكم؟"!
بل خاطبه كإنسان لم يعرف، لا كمتهم تعمّد الخطأ.
علّمه... لا فضحه، وقوّمه... دون أن يكسره.
لأنه ﷺ يعلم أنَّ الجاهل لا يُؤدَّب، بل يُعلَّم،
وأنَّ من لم يصله النور... لا يُحاسب كمن عاش فيه.
هكذا كانت دعوته... رحمة تُوقظ، لا قسوة تُنفّر.

ميزان العلماء الحقيقيين:

العالم الرباني	المتصدر المتعجرف
يراعي مستويات الناس	يُخاطبهم بمصطلحات لا يفقهونها
يُبشّر لا يُنفّر	يُفزعهم بالمصير والنار أولًا
يبدأ بالرَّحمة ثم البيان	يبدأ بالهجوم ثم التهديد
يعرف أن الجهل لا يعني العناد	يظن أن كل مخالف "متعمدٌ للخطأ"

الفرق بين الجهل، والضلال، والكبر في ميزان الشرع:

السلوك	الحكم الشرعي والتعامل معه
من أخطأ في العبادة عن جهلٍ أو عدم بلوغ الحجة	يُعلَّم برفق... ولا يُعاقب، لأنه لم يتعمّد المخالفة.
من اجتهد طلبًا للحق فأصاب أو أخطأ	له أجران إن أصاب، وأجر واحد إن أخطأ – كما في الحديث.
من بلَغَه الحق وبيّن له ثم أصرّ على العناد	يُحاجَج ويُحاسَب، لأنه ردّ الحق بعد علمٍ لا عن جهل.

الميزان النبوي واضح:

الجهل يُعالج بالعلم، والاجتهاد يُكافأ على نيته،

أما الكِبر... فهو الحجاب الأكبر عن الهداية.

قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]..

كلمات خطيرة... تُقال بلا تفكّر:

- "كل من يفعل هذا... مبتدع"!
- "هؤلاء؟ جُهّال ضالّون لا يُرجى منهم خير"!
- "الناس ما تستحق الدعوة... لا يسمعون أصلاً"!
- "فلانة لا تتحجّب؟ إذًا هي مستهزئة بدين الله"!

تُقال هذه الجُمل وكأننا نملك مفاتيح الجنّة والنار،

وكأننا نعلم خفايا القلوب، ونُحيط بمقاصد الناس!

لكن الحقيقة الصادمة: أنها أحكام قاسية...

- خرجت من لسانٍ تعلّم، لكنه لم يتربَّ.
- عرف النصوص... لكنه لم يعِ روحها،
- حفظ الأحكام... ونسي الرحمة التي جاءت بها.

فالعلم بلا تزكية... سيفٌ يقطع، لا نورٌ يهدي.

الرسالة الختامية:

يا من علّمك الله تعالى... لا تجعل من علمك سيفًا فوق رقاب الناس.

بل اجعل منه مصباحًا في الظُّلمة، يُرِي الناس الطريق، لا يُحرقهم إن تعثروا.

وتذكر قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

فكن رحمةً في علمك... لا لعنةً على من لا يعلم.

الفصل الخامس عشر: لا تتكلم عن الناس من زاويتك فقط

ظروفهم... بيئاتهم... ابتلاءاتهم... ليست كما تعيشها أنت.

فأنت لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ اطَّلِع عَلَىٰ قَلْبِهِ..

الافتتاح:

- أنت تقولي:"لماذا لا تتحجب؟"! لكن هل عرفتٍ كيف كان بيتها؟
ومن الذي شوَّه فطرتها، وأسكت صوت الفطرة في داخلها؟
- وأنت تقول:"لماذا لا يصلي؟"! لكن هل رأيت من قتل الإيمان في قلبه؟
ومن أوصله إلى هذا الجفاف القاسي الذي لا تراه في نظراته؟.
- وتقول:"لماذا يفعل هذا؟ ألا يخاف الله؟"! لكن هل رأيت كم مرّة سقط؟
وكم حاول أن يقوم وحده؟ وكم بكى في الظلمة... وهو لا يجد يدًا تأخذه للنور؟

الحقيقة الصادمة:

"زاويتك ليست الكون... ومعيشتك ليست مرجعًا".

فلا تحكم على الناس من نافذتك، ولا تزن القلوب بمقاييسك الخاصة.

الخطر الصامت:

حين تُحاكم الناس من "زاويتك" الضيّقة...

فأنت لا تراهم حقًّا، بل تُسقط عليهم صورتك!

فتظلمهم دون أن تشعر، وتُنحّي رحمة الله عنهم باسم الغيرة عليه،
وتجعل من نفسك ميزانًا للعالم، كأنك تقول:
"لو كنتُ مكانه لما فعلت... إذًا هو آثم"!
ونسيت... أنك لست مكانه أصلًا... وأنَّ الله تعالى يرى ما لا تراه،
ويعلم من صَدَق السَّعي حتى لو تعثّرت خطواته،
ويزن القلوب لا الصور... والنوايا لا الظواهر فقط.
لا تضع نفسك مكان الله في محاسبة عباده...
فربما سترَك الله بجهلك، ورفع غيرك بإخلاصٍ لا يُرى.

القاعدة النبوية الذهبية:

قال رسول الله ﷺ: " إن الرجل ليتكلّم بالكلمة لا يرى بها بأسًا، يهوي بها في النار سبعين خريفًا" رواه الترمذي ...
كلمة واحدة... قد يقولها ببرود، أو بجهل، أو بثقة مفرطة،
ظنًّا منه أنها "غيرةٌ على الدين"،
بينما هي سهم... أصاب قلبًا يبحث عن الله، فمزّقه.
لأن تلك الكلمة: خرجت من زاويةٍ مغلقة... لم ترَ الواقع كاملًا،
ولا بحِلم النبي ﷺ الذي علّم الجاهل ولم يفضحه،
ولا برحمة الخالق الذي فتح أبوابه حتى لأبعد العائدين.
كلمة واحدة... قد تُهوي صاحبها، وتُبعد غيره،
فلا تتكلّم باسم الله تعالى... قبل أن تتأدّب مع رحمته.

تأمل:

ما تراه أنت	ما قد يكون عند الله
شاب يضحك كثيرًا في المجالس	يحبس دموعه في الليل حتى لا يراه أحد..
فتاة تتهاون في الحجاب	تُقاتل نفسها كل يوم، وتدعو أن يهديها الله..
رجل في تجارة مشبوهة	يُنفق منها على أبوين مريضين، ويستغفر سرًا كل ليلة..
امرأة ترد بعصبية	لها تاريخ مع العنف اللفظي في بيت أهلها... وما زالت تتعافى..

من الواقع... مشاهد يراها الناس، ويجهلون ما خلفها:

- شاب فقير... نشأ في بيئة ينهار فيها الجميع أمام المخدّرات.
صمد ثلاث سنوات كاملة، ثم تعثّر مرةً واحدة.
فقالوا سريعًا: "أصله سيئ... لا يُرجى منه صلاح"! ونسوا أنه ربما كان في ميزان الله أعظم ممن لم يُبتلَ بنصف ما ابتُلي به، وأنه مجاهد... لا ساقط.
- فتاة تتأخر في إعلان توبتها... فقالوا: "متكبرة! جاحدة"! لكنها كل ليلة، تسجد وتبكي خفية: "يا رب، خذ بيدي... فقط لا تفضحني".
تقاوم في صمت، وتنتظر لحظة الانكسار الكبير... التي لا يراها أحد.
- أم تصرخ في وجه أطفالها... فقالوا: "مهملة! قاسية"! ونسوا أنها تُصارع اكتئابًا صامتًا، وتنهار كل ليلة على وسادتها، تبكي لأنها لم تكن كما تمنت... وتُصلّي أن يرزقها الله يومًا يُعيد إليها نفسها.

احذر أن تحكم على صورة... دون أن تسمع الرواية كاملة.
فالله تعالى لا ينظر كما تنظر، ولا يزن كما تزن،
ورحمة الله قد تسكن قلبًا لا تراه صالحًا... لكن الله رآه صادقًا.

النبي ﷺ... لم يكن يرى الناس من زاويته فقط:

في صلح الحديبية، حين اشتعلت مشاعر الصحابة، ورفضوا شروط المعاهدة،
لم يُعنّفهم... لأنه رأى زاويتهم الشعورية:
غضبٌ للحق، وحرقةُ محبٍّ لا يفهم الحكمة بعد.
لكنّه ﷺ كان يرى زاوية أخرى: زاوية الغيب، والوحي، ووعد الله.
فقال بثقة العبد الذي يعرف ربّه: "أنا عبدُ الله... ولن يُضيّعني".
ورأى قاتل عمّه حمزة... "وحشيًا"، الذي طعن قلبه قبل أن يطعن جسد عمّه،
فلم يُقصِه، ولم يُغلق الباب في وجهه،
بل قبل توبته، لأنه لا ينظر إلى الأفعال وحدها،
بل إلى القلوب حين تُقلِع... والرحمة حين تُثمر.
هكذا كان ﷺ: يرى أبعد من الظاهر،
ويحكم ببصيرة الرَّحمة... لا بغضب الشعور.

فهل علمت الآن معن: ﴿ فأنت لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ اطَّلِع عَلَىٰ قَلْبِهِ..﴾:

توقّف لحظة... فأنت لا تدري...
لعلّ الله قد اطّلع على قلب من تحتقره،
فرآه منكسِرًا إليه في خلاءٍ لم يره أحد،
رآه يبكي بلا صوت، ويستغفر من أعماق الذنب،
فرحِمه... وغفر له ما لا تعلم.

وأنت لا تدري...
لعلّه عاش حربًا داخلية أشدّ مما تحتمله أنت،
وسقط مرة... لكنه قام ألف مرة في الخفاء.
فهل علمت ذلك؟ هل رأيت قلبه؟ هل سمعت أنينه؟
إننا لا نعلم ما بين العبد وربّه، فلا ترفع نفسك على أحد،
ولا تنظر لغيرك من علٍ، فربّما سبقك... وهو لا يزال في المعركة،
وأنت استرحت ظنًّا أنك الفائز.

قاعدة عملية للقلوب التي تخشى الله:

قبل أن تتكلّم عن شخص، أو تُطلق عليه حكمًا قاسيًا...
توقّف واسأل نفسك بصدق:

- **هل أعيش ظروفه؟**

  هل ذقت ما ذاق؟ وهل مررت بما مرّ به في الخفاء؟..

- **هل أنا متيقّن من نيّته؟**

  أم أنني أفسّر تصرّفاته من خلف ستار ظنوني؟..

- **هل يمكن أن يكون في قلبه من الصدق... ما لا تراه عيني؟**

  فليس كل ما خفي عنك، غائبًا عن الله.

- **ولو كنت مكانه...**

  هل أحب أن يُحكم عليّ من الخارج فقط؟
  أن تُختصر رحلتي في لحظة؟ وأن يُطفأ نوري بخطأ؟

إنها أسئلة بسيطة... لكنها تفضح قسوةً كثيرة.
وتُعيدك إلى جادة الرحمة،
قبل أن تجرح قلبًا... وتُسقطه باسم الغيرة على الدين.

الرسالة الأخيرة:

أيها الناقد، المتكلم عن الناس من زاويته...

اتقِ الله، فإنك لا تدري!... لا تدري ماذا غفر الله له...

ولا تدري ماذا كتب الله لك!

فلا تصنع من نفسك "إلهًا صغيرًا" يحكم على الناس من مكانه،

بل كن عبدًا... يرجو لهم ما يرجوه لنفسه.

الفصل السادس عشر: حين نحكم على الآخرين بهوى مجموعتنا أو مذهبنا أو بلدنا..

الولاء لا يُوزّع جغرافيًا أو مذهبيًا ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾

افتتاح كاشف:

- قد تظن أنك تُحب فلانًا لأنه على الحق،
  لكن في أعماقك... أنت تُحبّه لأنه من بلدك.
- وقد تظن أنك تُهاجم الآخر غضبًا للدين،
  لكن لو فتّشت في قلبك... لوجدت أن سبب الهجوم أنه فقط من "المذهب الآخر".
- وقد تظن أنك تنصر أخاك لأنه مظلوم، لكن الحقيقة... أنك تنصره لأنه "من جماعتك"، ولو كان هو الظالم.

وهكذا، دون أن تشعر، تتحوّل إلى ميزان يميل مع الهوى،

وتغلف انحيازاتك باسم الغيرة على الدين...

لكنها ليست لله، بل لعصبية تنكّرت في ثوب الدعوة.
إن كنت تُشَكِّك في الصادق لأنه لا ينتمي إلى صفّك،
وتتجاوز عن الظالم لأنه من جماعتك،
وتكيل بمكيالين لأن الهوى يشدك من الخلف،
فأنت لا تحكم لله، بل تحكم للانتماء،
وتدافع عن صورة نفسك، لا عن نور الحق.
فالدين... ليس قبيلة.
والحق لا يُقاس بالهُويّات، ولا بالمناطق، ولا بالأسماء.
الدين ميزانٌ عادل، لا يعرف "مَن معنا ومَن ضدنا"،
بل يعرف: "من صدق... ومن تلوّن".
وقد تظن يومًا أنك تُدافع عن الإسلام،
لكنك في الحقيقة... تدافع عن "صورتك" في جماعة،
أو عن "شيخك" الذي اتخذته ميزانًا،
وتنسى أنَّ الله لا يقيس الولاء بالرايات،
بل بالعدل... حتى لو كان على نفسك.

الكارثة الخفية:

كثير من الناس لا يشعر أن ولاءه تغيّر... فهو يظن أنه ينتمي إلى الله،
لكن في الحقيقة... قلبه أصبح ينتمي لمجموعته، لمدينته، لمذهبه، لحزبه، لرايته...
لا لميزان الله.

- فإذا أحبّ شخصًا، فليس لأنه على الحق... بل لأنه من "مدينته".
- وإذا اتهم غيره، فليس لأنه أخطأ... بل لأنه من مذهب آخر.
- وإذا دافع عن فلان، فليس لأنه مظلوم... بل لأنه من "جماعته".

- وإذا غضب من ناقد، فليس لأن النقد باطل... بل لأنه طال "بلده" أو "شيخه" أو "رمزه".

ثم يُغلف كل ذلك بثوب الغيرة على الدين، ويقول: "أنا أنصر الإسلام"!
وهو في الحقيقة... لا ينصر إلَّا نفسه.
وهنا الكارثة: أن يتحوّل الدين من ميزان... إلى شعار،
ومن عبادة لله... إلى راية يُقاتَل تحتها لأجل الهوية، لا لأجل الحق.
هذا ليس دينًا... هذا تحزّبٌ مموّه، وعصبيةٌ مقيتة غُلّفت برداءٍ شرعي،
ولو قُدِّم للناس باسم الإسلام... فهو بعيد عن روح الإسلام.

الميزان القرآني الحاكم:

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ**﴾ [الحجرات: ١٣]، لم يقل:

- أشرفكم حسبًا...
- ولا أذكاكم رأيًا...
- ولا أقربكم إلى شيخ، أو جماعة، أو بلد...

لم يقل:

- أتقاكم في جماعته،
- ولا أتقاكم بحسب مذهبه،
- ولا أتقاكم لوطنيّته وانتمائه...

بل قال:" عند الله ".

فالكرامة الحقيقية لا تُمنح على بطاقات الهوية، ولا تُكسب بالولاء التنظيمي، ولا تُقاس بحجم جمهورك، أو لون رايتك.

بل تُوزَن هناك... في الغيب، في النيّة، في التقوى، فاسأل نفسك بصدق:

- هل تحكم على الناس بميزان ما هو "عند الله"؟ أم بميزان ما هو "عند

مجموعتك"؟..

- هل تُنزل الناس منازلهم بعين الشريعة... أم بعين الحزب، والعاطفة، والتحزّب المُقنّع؟..

" العدل... أن تُحبَّ لله، وتبغض لله، وتزن لله.

وما سوى ذلك... ولاءٌ مزيف، حتى لو لبس ألف عباءة دينية "

أين يُختل الميزان؟

الحالة	الحكم السليم	الانحراف الشائع
عالم من مذهب آخر، لكن صادق وعادل	يُحترم ويُستفاد منه	يُخوَّن ويُسَفَّه لأنه " ليس من مذهبنا "
إنسان صالح من بلدٍ نختلف معه سياسيًا	يُحكم عليه بتقواه لا بجنسيته	يُلغى بسبب الخلاف السياسي
ناقد ناصح من خارج دائرتنا	يُسمع له بعلم وعدل	يُرفض لأنه " ليس من جماعتي "

من الواقع... حين يُحاكم الناس لا بما قالوا، بل بما هُم عليه في نظر الآخرين:

- داعيةٌ من بلدٍ مختلف... قال كلمة حقّ وسط فتنةٍ صاخبة، فلم يُصغوا إلى صدقها، بل سألوا: "من هو؟ من أي بلد؟ أصله كذا"! ونسوا أنَّ الحق لا يحتاج "جواز سفر"، وأنَّ صوت الحكمة لا يُقاس بالخريطة... بل بالتقوى.
- شابٌ بدأ يسير إلى الله بصدق... لكنه لم يُبايع جماعة، ولم يدخل تنظيمًا، فقيل عنه: "متسلل! مشكوك فيه! لم يدخل معنا"! ونسوا أنَّ الله لا يسأل:

"من جماعتك؟"... بل يسأل: "هل كنت لله... أم للناس؟"...

◄ عالمٌ ربانيّ، يتّبع مذهبًا فقهيًا مختلفًا في بعض الفروع، لم يُخرج أحدًا من الإسلام، ولم يُضلّل أحدًا... لكنهم قالوا: "هذا من طينةٍ أخرى، لا يُؤخذ منه"! ونسوا أنَّ المذاهب مدارس اجتهاد، لا مذاهب خلاص،
وأنَّ الله لا يُسلّم أحدًا مفاتيح الجنة... لأنه وافق هواه المذهبي.

الحقيقة المُرة:

كثير من الناس لا يحكمون على "ما يُقال"، بل على "من قال"،
فإن وافق جماعتهم... رفعوه،
وإن خالفهم... أسقطوه، ولو نطق بالحكمة نفسها.

" فأي دين هذا... الذي صار ميزانه "من نحن"، لا "من مع الله"؟..

من سيرة الحبيب ﷺ... موقف لا يُنسى:

وقف أبو ذرّ – الصحابي الجليل، من السابقين الأولين، ومن أهل بدر– على عبدٍ أسود، وقال له كلمة فيها انتقاص:
"يا ابن السوداء"! فما سكت النبي ﷺ، وما ابتسم مجاملة،
بل قال له فورًا، بكلمة تهزّ القلوب: "إنك امرؤٌ فيك جاهلية"!
لم يُلتمس له العذر، ولم يُقال: "هو من الصحابة"!
بل قُطع الطريق أمام كل محاولة لتطبيع الجاهلية باسم القرب والمكانة.
لأنَّ النبي ﷺ علمنا أنَّ الجاهلية... ليست فقط في الأصنام،
بل في اللسان المتعالي، والانتماء المتكبّر، والنظرة التي تُفرّق بين الناس.
وأنه إذا لم تُقوَّم هذه الانحرافات الصغيرة...
فإنها تنخر في قلب الدين، وتعيد القبائل بثوبٍ جديد،
وتجعل الإسلام راية قوم لا راية حق.

فلا تقل: "أنا من الجماعة الفلانية"، أو "من البلد الفلاني"، أو "من العائلة العريقة"، بل اسأل نفسك:

هل قلبي خالٍ من الانتماء الموروث الذي يُشعرني أني أفضل من غيري؟

" إن لم تُنقِّ قلبك... فأنت تحمل جاهلية، ولو صليت، وصمت، ووعظت "

تحزُّبك الخفي... قد يُطفئ نور الله من قلبك، وأنت لا تشعر:

إذا كنت تعتقد أنَّ أهل بلدك دائمًا على الحق،

وأنَّ جماعتك وحدها تملك مفاتيح النجاة،

وأنَّ من خالفكم في رأيٍ فرعيّ أو اجتهادٍ فقهيّ...

لا يُؤتمن، ولا يُقبل، ولا يُصاحَب، فراجع قلبك...

لأنك لست تعبد الله تعالى حينها،

بل تعبد "الانتماء"، وتدور حوله كما يدور أهل الأهواء حول رموزهم.

فليست العبادة سجودًا فقط، بل عبادة القلب أخطر...

ومن جعل انتماءه مقياس القَبول والرفض،

فقد نصب صنمًا خفيًا في أعماقه... وهو لا يدري.

الفرقة الناجية... ليست جماعة على الأرض،

بل قلوب عرفت الله بصدق، وأخلصت له، ووزنت الناس بميزانه... لا بميزانها.

الولاء والبراء في ميزان الشرع الحقّ:

المسألة	ميزانها الشرعي
الولاء للمؤمنين	يكون بحسب إيمانهم وتقواهم، لا بحسب جنسيتهم أو انتمائهم الحزبي أو العِرقي، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

البراء من المخالف	يُبنى على عداوته للحق وثبوت بغيه، لا على مجرد اختلافه في مسألة فقهية أو اجتهادية.
الموقف من المخطئ	يُقوَّم بحسب جهله أو علمه، عدوانه أو اجتهاده، استقامته أو انحرافه... لا بحسب اسمه أو جماعته.

التوضيح:

- قد يكون المسلم من بلدٍ بعيد، لكنه أتقى عند الله من أقرب الناس إليك.
- وقد يخطئ مخالفك في مسألة، لكن نيّته لله، واجتهاده مخلص، وهو عند الله معذور.
- وقد يسقط إنسان من جماعتك في باطل بيّن، لكنك لا تراه... لأنَّ ميزانك مائل بالانتماء.

فاحذر أن تجعل الولاء والبراء على صورتك... لا على ميزان الله.

" فالله تعالى لا ينظر إلى الرايات، بل إلى القلوب،
ولا يسأل: "من جماعتك؟ "بل:"ماذا فعلتَ بالحق؟ "

لا أحد يملك صكوك النجاة:

ليس لأحد أن يُلزم الناس بمذهب معيّن، ولا أن يحتكر الهداية في طريقته، ولا أن يجعل من جماعته معيارًا للحق، ومن غيرهم دليلًا على الباطل.
فالعدل... واجب في كل مذهب، والظلم... محرّم في كل لباس.
فلا تُقدّس مذهبك وكأنه منزلٌ من السَّماء،
ولا تصنع من شيخك دينًا يُعبد من دون دليل،
ولا تُنزّل مجموعتك منزلة "الفرقة الناجية" المطلقة، فقد تكون الأقرب إلى الحق، لكن النجاة لا تُعطى بالشعارات... بل تُمنَح بالصدق، والتقوى، وحسن القصد.

" إن النجاة... ليست راية ترفعها، بل حالٌ يراك الله عليه في الخفاء "

الرسالة الأخيرة:

أيها المنتمي...

أَحبب جماعتك، وطنك، بيئتك، مدرستك الفكرية... لا حرج.

لكن إياك أن تجعلها ميزان الجنة والنار.

فإن الله سبحانه وتعالى لن يسألك يوم القيامة: "مع من كنت؟"!..

بل سيسألك: "ماذا قدمت؟ لمن كنت؟ وبأي قلبٍ جئت؟"..

الجنة... لا تُدخلها بطاقة عضوية،

ولا يحجز لك مكانٌ فيها بسبب راية، أو انتماء، أو شيخ.

بل يدخلك إليها:

- قلبٌ صادق... لم يتعصّب،
- ولسانٌ نطق بالحق... ولو خالف محيطه،
- وعدلٌ لم ينحز... إلا لله سبحانه وتعالى.

فكن عبدًا لله، لا عبدًا للجماعة.

وكن نصيرًا للحق... لا لنفسك، ولا لهويتك.

" فالانتماء لا يُنجيك... إلّا إن كان انتماءك الأول: لله تعالى وحده "

الفصل السابع عشر: الستر على الناس... لا يعني تزكيتهم، ولكنه خُلق الله في عباده

- **ليس كل من لم تتكلم عليه صالحًا...**
- **بل لأنك عرفت مقام الستر، لا مقام الفضيحة.**

افتتاح يوقظ القلب:

◄ رأيتَ معصية... وسكتَّ؟ ليس لأنك راضٍ بها، ولا لأنك تبرّرها،
بل لأنك أدركتَ أنَّ الستر بابٌ من أبواب الله، لا يفتحه إلَّا من عرف مقامه.

◄ علمت بسقطة إنسان... ولم تتكلم؟ ليس لأنك تـُزكّيه،
ولا لأنك لا تُنكر الخطأ، بل لأنك اخترت أن تخاف الله... لا أن تفضح عبدًا تَكفّل الله بأمره.

الستر هنا... ليس جُبنًا، بل أدبٌ مع الله، ورحمةٌ بمن زلّ،
واتباعٌ لنبيٍ قال: "من ستر مسلمًا، ستره الله يوم القيامة".
فلا تظننَّ أنَّ الصمت خذلان... قد يكون عبادة.
ولا تظننَّ أن الستر تهاون... قد يكون أعمق فهمٍ للرحمة.

من كلام النبي ﷺ:

قال رسول الله ﷺ:
" من ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة "رواه مسلم ...
تأمّل... قال:"ستر"
ما قال: "برّر خطأه"، ولا قال: "زكّاه علنًا"، ولا قال: "نافَق وأخفى الحقيقة"

الستر هنا... ليس تزكية للذنب، ولا مشاركة في الإثم، بل هو أدبٌ إلهي، وسُلوكٌ نبوي، واقْتداءٌ باسم الله "السّتّير" الذي لا يزال يسترنا رغم علمه بكل خفايا أرواحنا.

حين ترى عثرة أخيك، وتكفّ لسانك، وتدعو له في الغيب،

فأنت لا تدافع عن الخطأ...

بل تدافع عن باب التوبة، أن يُفتح له، لا أن يُغلق بفضيحتك.

فمن ستر عبدًا ستره الله في اللحظة التي يكون فيها أحوج ما يكون إلى الستر.

الفهم الخاطئ المنتشر:

- "لماذا لا تتكلم عن فلان؟"!
- "سكوتك يعني أنك معه وتؤيده"!
- "أنت لا تفضح هذا المخطئ... إذًا أنت متواطئ"!

لا... ربما كان سكوتك هو أحبّ شيء إلى الله في تلك اللحظة،

أن تغضّ الطرف، أن تكفّ لسانك، أن تُبقي على سترٍ ربما لو هُتك...

سُدّت على صاحبه أبواب التوبة.

ليس كل ساكتٍ خائف، وليس كل ناصحٍ فاضح،

وليس كل من سكت عن الزَّلة... خائنٌ للحق.

بل قد يكون من رحم الناس... قبل أن يُقيم عليهم الحجة،

ومن رجى لهم عودةً إلى الله تعالى... قبل أن يُعلن سقوطهم أمام الناس.

فليس كل صمت تواطؤًا، بل قد يكون الصمت عبادةً، ورحمةً، وحكمةً...

في زمنٍ كثر فيه ضجيج التشهير، وقلّ فيه أدب الستر.

الستر ليس تزكية... بل فقه ورحمة:

الستر	الفضح
حفظ لكرامة أخيك	كسر لقلبه أمام الناس
باب للتوبة الصَّامتة	بابُ للعناد والانتكاس
خُلقٌ رباني يتبع ستر الله لنا	ردٌّ لنعمة الستر عن العباد
استبقاء للرَّحمة في القلوب	إشعالٌ للغلّ في المجالس

من هدي النبي ﷺ... حين طرق الذنب باب الرحمة:

جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ، وقال:"يا رسول الله... زنيت"!

لكن النبي ﷺ لم يصرخ، ولم ينتهز الفرصة ليُعلنها على الملأ،

بل أعرض عنه ...وكأنه لم يسمع، ثم أعرض ثانية... لعله يتراجع،

ثم سأله بلطفٍ نادر: "هل تقصد كذا؟"

"لعلّك قبّلت؟ أو غمزت؟ أو نظرت؟"

كان يُريد أن يصرفه عن الاعتراف العلني،

لأنَّ النبي ﷺ كان لا يُحب أن يُهدر السَّتر،

ولا أن تُهتك نفسٌ جاءتها لحظة ندم صادقة.

ثم لما أُقيم الحد بعد الإصرار، قال ﷺ لمن بالغ في النيل منه:

"لو سترته بثوبك، لكان خيرًا لك".

هكذا كان النبي ﷺ: يُعالج الذنب دون أن يُهين صاحبه،

ويهدي المذنب دون أن يُحطمه، ويفتح باب التوبة... لا باب التشهير.

فأيّ بعدٍ بيننا وبينه؟.. وأيّ فجوةٍ تفصل بين دعوتنا... ودعوته؟.

توضيح..

قوله ﷺ:"لو سترته بثوبك، لكان خيرًا لك "هو تربية نبوية راقية وعظيمة في باب الستر والرحمة.

المعنى:

أي: لو غطّيت عليه زلّته، وسترته عن الناس بدل أن تفضحه وتُشهّر به، حتى تُتاح له فرصة التوبة دون إذلال، لكان ذلك خيرًا لك عند الله من أن تكون سبّاقًا في كشف عورته، أو شامتًا بمعصيته، أو مبالغًا في جلد عِرضه، حتى لو أخطأ ووجب عليه الحد.

وهذه الكلمة تُقال بعد إقامة الحد، تأديبًا لمن تجاوز الحد في التشهير، لا في تنفيذ حكم الله، بل في تشفّيه ممن وقع في المعصية، أو قسوته الزائدة على من اعترف وأذعن.

الرسالة النبوية هنا:

- لا تكن قاسيًا على العاصي التائب.
- لا تُشهر بعبدٍ عفا الله عنه.
- لا تفضح من سقط... بل استره ما استطعت، فقد يستره الله يوم القيامة.

درس عظيم:

الستر على العاصي، حين لا يكون في المعصية تعدٍ على الآخرين يكون باب رحمة، وسبيل لإنقاذ النفوس، وهو خيرٌ من التشهير والتشفي، حتى بعد إقامة الحد.

من الواقع... مواقف خفية فيها نور لا يراه إلا الله:

◄ رأيتَ مقطعًا لفتاةٍ وقعت في خطأ... ولم تُشارك المقطع، مررت عليه بصمت، وقيل لك:"أنت تُخفي المنكر! تخدع الناس"! لكن قلبك كان يقول

في خضوع: "اللهم استرني كما سترتها... فأنا أضعف من أن أُفضح كما فُضحت، وأفقر إلى عفوك أكثر مما تظن".

- وعلمت بسقطةٍ من أحد الدعاة... فلم تذكر اسمه، اخترت أن تُشير إلى الخطأ... لا إلى الإنسان، فقيل لك:"أنت تُميع الحق! تُداري على الباطل"! لكنك كنت تعلم يقينًا... أن بعض القلوب تُصلحها دعوة في السر، أكثر مما تُصلحها ألف فضيحة في العلن... الستر ليس ضعفًا، ولا الصمت خيانة، بل هو اختيار من اختار أن يُشبه فعل الله... لا فعل الناس.

سؤال مهم:

هل كل من سكتَّ عنهم صالحون؟

لا... ليس بالضرورة... فليس كل من لم تفضحه بريء،

وليس كل من سترته نقيّ القلب.

لكنّك لست مكلّفًا بفضحهم،

ولا مؤهّلًا لحمل ميزان السماء على كتفيك.

دورك... أن تستر ما استطعت،

وأن تدعو لمن زلّ... لا أن تدفعه نحو الهاوية.

فقد يكون من سترته اليوم... هو من يُصلّي بعد توبته غدًا،

وقد تكون دموعه في الخفاء... أعظم عند الله من كثير من شهرتك في العلن.

فاختر الستر... لا لأنهم يستحقونه دائمًا،

بل لأنك أنت من يحتاج أن يُستَر... أكثر مما تظن.

قِف مع هذه القاعدة جيدًا:

"الستر لا يعني غياب الخطأ... بل حضور الحكمة".

قد ترى الخطأ واضحًا... فتغضب في قلبك، وتنكره بينك وبين الله،
وتدعو لصاحبه بصدق، لكنّك تكفّ لسانك عن التشهير،
لأنك تعلم أن التشهير لا يُطهّر،
وأن الفضيحة لا تهدي... بل تُطفئ مصابيح التوبة.
أنت لا تبرّئ المخطئ... لكنك تختار طريقًا يُشبه ما يريده الله:
أن يُفتح له باب الرجوع... لا أن يُغلق عليه باب الرحمة.
فالستر هنا ليس سكوتًا عن الحق، بل ارتقاء في فهمه.
ليس خضوعًا... بل حكمة، وليس جُبنًا...
بل خوفًا أن تُفضح أنت غدًا، لو بدت عورتك للخلق.

متى يجوز كشف الخطأ؟

الحالة	الحكم
المعلِن المجاهر بالمعصية، دون توبة أو ندم	يُحذَّر منه إن كان ضرره عامًا
إنسان تائب يتغير	لا يجوز ذكر ماضيه
نصيحة خاصة بينك وبينه	تُقدَّم برفق، لا فضيحة
خطر على الناس (كذب – سرقة – تزييف دين)	يُكشف للضرورة لا للتشهير

الرسالة الأخيرة:

أيها الذي سكتّ عن زلات الناس... لا تُرهق نفسك بتبرير سكوتك للناس،
فأنت لم تُزكِّ أحدًا، لكنّك عقدت بينك وبين الله عهداً خفياً:
أن تكون عبدًا لله في رحمته... وهو الستّير، فأحببت أن تستر كما يستر،
وتحلم كما يحلم: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾

فمن أنت... حتى تُلاحق كل زلة؟ وتكشف كل هفوة؟
وتُطفئ بنارك باب التوبة في قلوبٍ ربما كانت على وشك أن تعود؟
نحن لسنا ملائكة، نحن قومٌ سترنا الله... فاستحينا أن نفضح من كان مثلنا.
وما أجمل أن تلقى الله... وقد سترت عبدًا، فَسَتَرَكَ هو يوم تُفضَح كل القلوب.

الفصل الثامن عشر: افتح لك بابًا للتوبة... ولا تُغلقه على غيرك

- **كيف نقود الناس إلى الله... لا نطردهم من رحمته؟**
- **"أذنب عبدي ذنبًا... فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب"!**

افتتاح يهزّ الأعماق:

كم مرة وقفت أمام الله منكسِرًا... وقلت في داخلك:
"يا رب، لا تغلق في وجهي الباب"... وكنت تعرف أنك أخطأت،
وأنك أذنبت، وأنك لا تملك شيئًا... إلا الرجاء.
ثم جاءك العفو... وجاءك الستر الذي لا يُفسَّر،
وبينما ظنّ الناس أنك هالك...
كان الله تعالى يفتح لك أبواب الغفران بصمت،
لأن رحمته لا تنتظر تصفيقًا، ولا يُعلِنها في الجموع
فهل يُعقل بعد هذا، أن تأتي أنت... وتغلق الباب على غيرك؟
أن تقول له:

- "توبتك لا تُقبل"!
- "أنت لا تنفع"!
- "فاتك القطار"!

- "لا يغفر الله لك"!

أي قسوة هذه؟ وأي جهلٍ هذا بعظمة الله سبحانه وتعالى؟
لا تغلق على عبدٍ بابًا... فتحه الله من فوق سبع سماوات،
وأمر ملائكته أن لا يُغلق، ما دامت الدموع صادقة ولو كانت في الظلام.

من كلام الله جلَّ جلاله:

في الحديث القدسي العظيم، قال الله تعالى:
"أذنب عبدي ذنبًا، فقال: ربّ اغفر لي،
فعلم عبدي أن له ربًّا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب،
فغفرت لعبدي" رواه البخاري ومسلم .. تأمّل...
ما قاله العبد؟ لم يُطِل، لم يُفصِّل، لم يُبرّر...
قال فقط: "ربّ اغفر لي"... فجاءه الرد من فوق سبع سماوات: "غفرتُ لك".
لا محكمة، لا تحقيق، لا إثبات للندم أمام الناس،
فقط... علم القلب، وصدق الرجاء، ولمحة اعتراف.
فمن أنت... حتى تطلب من العبد أن يمرّ عبر محكمتك؟
أن يُقنعك بندمه؟ أن يُقدّم لك دلائل صدق توبته قبل أن تسمح له بالعودة؟!
إن الله قَبِلَه بكلمة، وأنت ترفضه بخطبة!
فلا تكن حاجزًا بين الناس وربهم،
ولا تضع نفسك في مقام لا يليق إلا بجلال الله.
دع القلوب تطرق الباب... فربما يُفتح لها ما لم يُفتح لك،
رغم أنك ما زلت واقفًا عند الباب... تراقب الداخلين.

الفرق بين الداعية... وبوّاب الجنة!

الداعية الصادق	المتكبر باسم الدين
يدلّ الناس على الله	يظن أنه يملك التوبة
يبشّر العاصي بالرَّجعة	يُشعره أن التوبة صعبة ومُهينة
يفرح بأي خطوة رجوع	يُشكك في كل تائب
يُفتح باب الأمل	يُغلقه ويزيد من اليأس

من سيرة الحبيب ﷺ...

جاءه رجل، تائه القلب، مكسور النفس، وقال:

"يا رسول الله، أذنبتُ ذنبًا عظيمًا... أَلي توبة؟"

فلم يُوبّخه، ولم يُحقّق معه، بل قال ﷺ بكلمة تُزلزل اليأس:

"ويحك! ومَن يغفر الذنوب إلَّا الله؟"!

وجاءه آخر يقول: "وقعتُ في الزنا... ولا أظن أن لي توبة".

فقال له ﷺ، بلُغة السَّماء التي تُعيد الأرواح إلى الله:

"لو بلغت ذنوبك عنان السَّماء، ثم استغفرت... لغفر الله لك".

هل قال لهم: "أثبتوا أولًا! تغيّروا أولًا! دعونا نراقبكم شهورًا"!؟

أبدًا... بل قال لهم: "ارجع إلى الله... فقط ارجع".

لم يُغلق الباب، ولم يُشترِط تغيّرًا يُقنع الناس، بل فتح لهم طريقًا لا يعترضه أحد:

"طريق التوبة... بين العبد وربّه فقط".

فهل بعد هذه الرحمة النبوية،

يحقّ لأحدنا أن يُصبح حارسًا على باب المغفرة؟

أن يطلب إثباتات... لما رضي به ربّ العالمين من مجرّد همسة استغفار؟

" افتحوا الطريق لمن يريد العودة، ولا تكونوا بوابات صدّ في طريق الرجاء "

من الواقع... مشاهد لا تُنسى:

- شاب أعلن توبته... وهو لا يزال في أول الطريق، يبحث عن أمل، يتمسك بخيط من النور، فانهالت عليه التعليقات: "مُمثّل – أيامك معدودة – سترجع أسوأ"! فسقط من جديد، لا لأنه لم يُرد التوبة... بل لأن الناس أغلقوا عليه الباب بأعينهم، وأقفلوا عليه الرجاء بألسنتهم.
- وفتاة... تتحجّب لأول مرة، تكسر الخوف، وتحاول أن تقترب من الله، فتُقابل بالسخرية: "كاذبة – تُمثل علينا؟ نعرفك من أيام زمان"! فتنكسر وتقول في نفسها: "إن كان الله لا يقبلني في أعينهم... فهل يقبلني في السماء؟"..
- ورجل... ترك المعاصي، وتاب، وبكى، وصلّى، لكنهم لم يروا إلّا ماضيه، وما زالوا يقولون: "له ماضٍ لا يُنسى"! "فأيّ ذنبٍ اقترفه... إن كانوا لا يُجيدون الغفران؟ وأيّ خطيئة فيه... إذا كانوا لم يتعلّموا كيف يرحمون كما يرحم الله؟"...

" أحيانًا لا يسقط التائب لأنه ضعيف،
بل لأنه طُعن بكلماتكم... بعد أن نهض "

مهمتك كداعية... ليست أن تكون "شرطي غفران":

تُفرز الناس، وتمنحهم أرقام القبول، تفتح باب التوبة لمن يُعجبك، وتغلقه في وجه من لا يُناسبك!

بل مهمّتك... أن تكون "مبشّرًا، لا منفّرًا" كما أمرك رسول الله ﷺ بقوله الخالد:"يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا "رواه البخاري ومسلم...

فإذا رأيت قلبًا يلين، وخطوةً نحو النور تتعثّر لكنها صادقة،
فلا تستقبلها بملف الأحكام، ولا بشروط التزكية،
بل استقبلها بقلب نبيٍّ قال:
"لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم، وأتى بقومٍ يذنبون ثم يتوبون".
قُل لهذا العائد: "مرحبًا بك... عبدًا يريد الله، ولك أن تبدأ من هنا، مهما تأخرت، فالذي فتح لك الباب... لا يُخيّب من صَدَقَ في الرجوع".

لا تزرع في طريق التائب شوكًا... وهو يسير حافيًا نحو الله:

هو لم يأتِك مزهوًّا، بل جاء محنيّ الرأس، مكسور القلب،
يحمل في صدره ثقل الذنب، وفي عينيه ملوحة الندم،
وفي أعماقه نداءً خافتًا: "هل يقبلني الله... بعد كل هذا؟" فلماذا تزيده وجعًا؟
لماذا تُحمّله فوق ندمه عبءَ أعين الناس، وهمزاتهم، وتشكيكهم؟
لماذا تُشعره أن الله مثلنا: يغضب بسرعة، ويُحرج من الماضي، ويُشمت بالضعف، ويحاسب على الجرح... أكثر مما يفرح بالرجوع؟
أيُّ دينٍ هذا الذي يُغلق أبواب التوبة... باسم الدعوة؟
وأي قلبٍ هذا الذي يطرد العائدين... بدعوى الغَيرة على الله؟
دعوه يمشي... ولو حافيًا، ولو متعثّرًا، فربما سبقكم إلى الله،
وأنتم لا زلتم تحرسون بابًا... قد فتحه الله من زمان.

قُل دائمًا... وردّدها بقلبٍ يعرف كم ستره الله:

اللهم كما فتحتَ لي باب التوبة... فلا تجعلني حارسًا على أبواب غيري.
اجعلني بابَ رحمة، لا بوابة صدّ، ودليلًا على مغفرتك، لا شاهدًا على سخطك.

اللهم إنني كنتُ يومًا ذلك الساقط... الذي ما ظنّ أن له عودة،
فاجعلني اليوم يدًا تُمسك بمن يسقط، وقلبًا يُبشّر لا يُنفّر،
ولسانًا يقول: ارجع... فالله الذي أعادني... يفتح لك كما فُتح لي..

الرسالة الأخيرة:

أيها الغافل عن عظمة باب التوبة...
تذكّر: أنت لم تفتحه، فلا تكن ممّن يُغلقه على غيره.
قال الله تعالى:﴿ **قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا** ﴾ الزمر: ٥٣ ..
فكن عبدًا يُبلّغها برفق، ويحملها في قلبه كما أنزلها الله:
نداءً للمذنبين، لا تهمةً للخاطئين.
وإن لم تكن تائبًا الآن... فلا تكن عائقًا لمن أراد أن يتوب.
وإن لم تكن من العائدين بعد... فكن رفيقًا لمن بدأ المسير قبلك.
دع الناس يقتربون من الله، حتى لو لم يمرّوا بك،
فالله تعالى لم يوكّلك عليهم... بل أمرك أن ترحمهم.

ملخص وجداني عام لهذا المحور

"مغالطات في الحكم على الناس"

حين سرقنا مقام الله في "العلم بالقلوب"... ووزّعنا الجنة والنار على أهوائنا!

هل فكّرت يومًا أن أسوأ ما نفعله بالدين...

ليس تركه، بل استعماله ضد الناس؟

حين نرفع شعار "الحق"، لكننا نُقصي به الناس لا نُرشدهم،

ونُطلق الأحكام كما لو كنا نعلم ما لا يعلمه الله – استغفر الله –!

لقد نسي بعضهم أنهم عبيد... وتوهّموا أنهم وكلاء الله على الخلق!

بدأوا يُفرّقون بين من يُحب الله... ومن لا يستحق محبته،

يُوزّعون الجنة، يُقفلون باب التوبة،

يرفعون هذا... ويسقطون ذاك، كأنهم يعلمون ما في القلوب!

تعلمنا من هذا المحور...

– كيف استُبدِل ميزان الله في الحكم على الناس، بميزان الهوى والانطباع والمجموعة!..

– كيف صار الظَّنّ دليلاً، والمظهر برهانًا، والماضي لعنة أبدية.

– كيف صرنا نعامل الناس بلحظة ضعفهم... وننسى أعمارهم من الطاعة!.

– كيف حوّلنا الدين إلى مسطرةٍ نفسية نُقيس بها الناس لا لنُصلحهم... بل لنُقصيهم!.

هذا المحور ليس عن "الناس" فقط... بل عن "نحن!"

عن كل مرة ظننت أن فلانًا لا يستحق التوبة...

أو أن فلانة ليست من "أهل الله..."

أو أن رجلًا ضحك كثيرًا فاتهمته، أو بكى فمدحته...

وأنت لا تدري أيّهم أقرب إلى الله منك.

لعلّ من استصغرته... هو من يُسابقك إلى باب الجنّة.

ولعل من سخرت منه... يُسامحك الله لأجله يومًا ما.

ولعل من حسبته بعيدًا... أقرب إلى الله من صوتك، وعلمك، ودعوتك كلها.

لقد قالها الله صريحة:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

لا: أعلمكم، ولا: أظهرهم عبادة، ولا: أشدهم غيرة.

فكم من عاصٍ بكى ليلًا... وكم من تائبٍ عاد منكسِرًا...

وكم من متدينٍ صالح... وقع في فخّ الغرور، فساءت خاتمته.

"دَع الحكم لله وكن عبدًا يُعين الخلق على الرجوع إليه، لا بوّابًا على رحمته"

المحور السابع: كيف يرانا غير المسلمين؟

هل نحن صورة صادقة لدينٍ عظيم؟ أم تشويه حيّ له دون أن نشعر؟

نحن... لسنا أول من قرأ القرآن،

لكننا أول من جعل العالم يقرأ القرآن في وجوهنا... لا في صفحاته.

كل مسلم في هذا العالم... هو "ترجمة متحركة" للإسلام.

سواء أراد أم لم يُرِد... سواء كان واعيًا أم غافلًا.

وحين يرانا غير المسلمون، لا يرون أسماءنا... بل يرون ديننا من خلالنا.

فإذا كذبنا، قالوا: الإسلام كذب.

وإذا ظلمنا، قالوا: ربهم يرضى بالظلم – استغفر الله –.

وإذا غششنا، قالوا: مُحَمَّد ﷺ علّمهم هذا! – حاشاه –

وإذا تخاصمنا، تعصّبنا، خُنّا، هجرنا... قالوا: "هذا هو الإسلام؟"!

ما أصعب أن تُشوّه أعظم رسالة... لا بيد أعدائها، بل على يد أبنائها.

وما أقسى أن تكون حياتك كلها "ضد ما تدّعي..."

- فتقول: الله رحيم... وتكون قاسيًا!..
- وتقول: الإسلام عدل... وتكون جائرًا!..
- وتقول: مُحَمَّد قدوتي... وأنت تشوّهه كل يوم بسلوكِك!..

هذا المحور... صرخة استيقاظ!

صرخة في وجه تلك الغفلة العميقة:

أن الدعوة ليست خطبة، ولا منشورًا، ولا جدالًا في التعليقات...

بل هي "نَفَسُكَ، معاملتك، حياؤك، أمانتك، عدلك، حبّك للخير، رحمتك مع الخَلق".

لقد كان رسول الله ﷺ رحمةً تمشي على الأرض...

فما بال بعض من يدّعون الدعوة إلى الله، لا يُشبهونه في شيء من هذه الرحمة، بل صاروا فتنة تُنفر... لا هداية تُبشّر!..

في هذا المحور، نفتح ملفات خطيرة:

- لماذا ينفر كثير من الغربيين من الإسلام؟
- هل أخطأنا في عرض الحقيقة؟ أم قدّمنا صورة مقلوبة؟
- هل يعرف غير المسلمين "الإسلام الحقيقي"؟

أم يروننا نحن... ويهربون من الله ومن دينه بسببنا؟

وأخيرًا...

هذا المحور ليس عتابًا لغير المسلمين... بل صفعة حبٍّ للمسلمين:

أفيقوا... فإن العالم يرى الدين من خلالكم.

فمن لم يكن مرآة صادقة لدينه ...فليصمت على الأقل،

ولا يُشوّه وجه الإسلام، ثم يُنسب زورا وظُلما إلى الله تعالى.

الفصل الأول: المسلمون يعكسون إسلامًا مشوّهًا

حين صار الدين في عيون الناس... ما يفعله أتباعه، لا ما يقوله وحيه

لو سألت غير مسلم: "ماذا تعرف عن الإسلام؟":

لن يفتح المصحف، ولن يعود إلى كتب الحديث،

بل سيجيبك مما رآه بأم عينه... في سلوك المسلمين حوله.

بعضهم رأى "الإسلام" في:

- رجل متديّن يصرخ على زوجته في الشارع.
- أو شاب ملتحٍ يكذب في عمله ويغشّ زبائنه.
- أو فتاة منقّبة تغتاب زميلتها وتتكبّر على من دونها.
- أو داعية مشهور يسخر من مخالفيه... ثم يقول بكل ثقة:"أنا على الحق"!

والنتيجة؟

هؤلاء... شاءوا أم أبوا، أصبحوا "واجهة" للإسلام.

صار غير المسلم يرى الإسلام من خلالهم، ويحكم على القرآن بأخلاقهم،

ويختصر الدين كلّه في مشهدٍ واحد:

"كيف يتعامل معه مَن يقول: أنا مسلم".

فإما أن تكون سببًا في انبهاره بالإسلام، أو عائقًا أمام هدايته.

وما بين هذه وتلك... قلبك ولسانك وسلوكك، لا خطابك فقط.

مغالطة خطيرة... لكنها واقعية جدًا:

"هكذا يفعل المسلمون... إذًا هذا هو الإسلام"!

نحن نعلم أنها مغالطة، لكن العالم لا يقرأ النصوص... بل يقرأ الوجوه،
لا يفتح المصاحف... بل يفتح عينيه على سلوك من حوله.

- نقول للناس:"الإسلام دين الرحمة"، لكنهم يرون قسوة بعض المتديّنين في الجدل، وفي الدعوة، وفي التكلّم عن الناس وكأنهم جميعًا في النار... إلَّا هو ومن معه.
- نقول:"محمّد ﷺ كان أصدق الناس"، ثم يجدون الكذب في الأسواق، والتحايل في المعاملات، وتزوير الأمانة في كل زاوية... من أناس يُصلّون ويصومون، لكنهم فقدوا الصدق في المهنة.
- نقول:"الله تعالى يحب العدل"، ثم يرون من يظلم في بيته، ويُهين زوجته، أو يسرق في عمله، أو يغشّ في بيعه... ثم يسجد بعدها لله مزهوًّا، وكأنَّ السجود يُبرّر ما قبله!..

وهكذا... لا ينفر الناس من الإسلام ذاته،
بل من الصورة التي صوّرها له بعض أهله.
يتكوّن في أذهانهم "إسلامٌ مشوّه"، ليس لأن الإسلام كذلك،
بل لأنَّ الذين يحملونه... لم يحملوا أخلاقه، ولا فهموا أنه أمانة، لا مجرد هوية.

الواقع المُرّ:

الإسلام في جوهره نقيّ...
لكن صورته في الأرض مُغبرة، مشوّهة، مثقوبة بالسلوكيات التي لا تُشبهه.
بعض الناس لا يُعادون الله تعالى، بل يُعادون ما ظنّوه تمثيلًا لله...
من قسوة المتديّنين، ومن تناقض المتكلّمين باسمه،
ومن تصرفات من رفعوا راية الدين... وسقطوا في أخلاقه.
ولهذا يُقال، وبمرارة صادقة:

" أعظم خدمةٍ للدين في زماننا... ليست أن تتحدث باسمه،
بل أن لا تُسيء إليه بسلوكك ".
لا تكن خطيبًا يُحسن البلاغة، ثم يُسقطها في البيت.
ولا تكن داعية يرفع النصوص، ثم يذبح الناس في التفاصيل.
كن عابرًا على الأرض... يشبه دين الله تعالى، لا يُناقضه.
كن صامتًا... يوقظ ضمير الناس إلى الجمال، لا يُنفّرهم باسم الجلال.

مثال واقعي مؤلم... لكنه يتكرر كثيرًا:

شابٌ فرنسي... قرأ عن الإسلام فأُعجب بعدالته، وانبهر بتعاليمه عن الرحمة والكرامة والصدق، بدأ قلبه يميل، وعقله ينفتح، ونفسه تتساءل:
"هل يكون هذا هو الطريق الذي أبحث عنه؟"
لكن جاره المسلم... كان يغش في أعماله، يُسيء معاملة زوجته،
ويتحدث عن الناس بسوء ولا يكاد أحد يسلم من شرّهِ..
فتوقّف الشاب، وقال بحُزن: إذا كان هذا هو المسلم...
فأنا لا أريد دِينًا يُخرّج هذا النوع من الناس!..
فانطفأ النور، وأُغلِق الباب، ولم يُسلم هذا الشاب..
لا لأن الدين قاصر، ولا لأن القرآن عاجز،
بل لأن مَن مثّله... خان الأمانة.
أحيانًا لا يحتاج الناس إلى درسٍ جديد عن الإسلام،
بل إلى مسلمٍ واحد...

" يعني أن كل خطوة منه إمّا دعوة إلى الله... أو صدّ عنه "

الرسالة من هذا الفصل:

١- لا تكن يومًا سببًا في أن يبتعد الناس عن الله... بسببك.

٢- تذكّر دائمًا: أن كلّ تصرف يصدر منك، صغيرًا كان أو كبيرًا... قد يكون مرآة يُحكم من خلالها على هذا الدين العظيم.

٣- إياك أن تكون من يُقال عنده: إذا كان هذا هو الإسلام... فلست بحاجة إليه!.

٤- دع سلوكك يقول قبل لسانك: "هذا الدين جميل، لأنه رباني، لأنه عادل، لأنه رحيم"... واجعل كل خطوة فيك دعوة صامتة تقول:

" هكذا يُفترض أن يكون المسلم... فاقترب "

الفصل الثاني: نماذج صدَّت الناس عن الإسلام

حين صار البعض سببًا في هروب الناس من الله... باسم الله!

في كل زمان... كان لله دُعاةٌ يهدون إليه بنور العلم والرحمة:

لكن في زماننا، كثر أولئك الذين يصدّون عن سبيله... وهم لا يشعرون.

لم يعودوا أعداءً يُصرّحون بعداوتهم،

بل صاروا ممن يرفعون راية الإسلام... ثم يطعنونه في خاصرته،

لا بكفرٍ ولا إنكار... بل بأخلاقهم، بطريقتهم في الخطاب،

بسلوكهم في السوق، في البيت، في المنبر، في المنشور.

يتكلمون باسم الله... لكن كلامهم يُنفّر.

يدّعون حب النبي ﷺ... لكن سلوكهم يُشوّه ما دعا إليه.

"فأخطر من يحارب الإسلام... أحيانًا، من يرفعه بطريقة تسيء إليه"

من هم الذين يصدّون عن سبيل الله... وهم لا يشعرون؟

وما هي صورهم في زماننا؟

١- المتديّن المتعالي: ذاك الذي يتحدث من فوق، ينظر إليك وكأنك نجس، ويعامل نفسه كأنه نقيّ من كل شائبة... إذا أخطأت قال:"أنت ضال... من أهل النار"!.. لكنه لم يكن بابًا لله... بل حاجزًا يُغلقه في وجهك باسم الطهارة.

٢- الداعية "النجم": ذاك الذي تحوّل من عبدٍ لله... إلى "مشروع شخصي"، صار همّه: الكاميرا، وعدد المشاهدات، وحجم التفاعل، حتى صار يُساير "الترند" أكثر مما يساير الوحي، ويحابي الجمهور أكثر مما يرضي الله، فيراه الناس... فيظنون أن الدين متقلب، سطحي، يُباع ويُشترى.

٣- التاجر المتدين: الذي يُصلي في الصف الأول... لكنه يغشّ في الميزان.
يتكلم عن الزكاة... ثم يُراوغ في الضرائب.
يُكثر من الأذكار... لكن لا يعرف الأمانة.
فمن يراه يظن أن الإسلام مظاهر... لا ضمير فيها ولا حق.

٤- السياسي المتلبّس بالدين: ذاك الذي يُقحم الدين في كل وعوده، يُقسم بالله كذبًا، ويستشهد بالقرآن إذا خدمه، ثم يرميه إن عارض مصلحته، فيرى الناس نفاقه... فيحسبونه نفاق الشريعة، لا نفاقه هو!

٥- الأب المتسلّط باسم الدين: يضرب أبناءه بلا رحمة، يُخضع زوجته باسم القوامة، يتحكم في تفاصيل البيت باسم الشرع، ثم يقول لأسرته:"هذا هو دين الله"! فتنشأ أجيال لا تكره أباها... بل تكره "الله" جلَّ وعلا كما صوّره لها أبوها.

هؤلاء لا يُكفّرون، لكنهم يُساءَلون... لأنهم حوّلوا الدين من نداء رحمة، إلى تجربة مشوّهة في أعين الناس.

فإذا سألتَ:"لماذا يبتعد الناس عن دين الله؟" فابحث عن هؤلاء أولًا...
فقد سدّوا الطريق وهم لا يشعرون.

هل بعد هذا نلوم من يهرب من الإسلام؟

هل نلوم من هرب من الدين... أم نلوم من مثّل الله بصورة منفّرة؟
هل نعاتب من ترك الصلاة... لأنه ظنّ الله قاسيًا؟
أم نعاتب من جعل المسجد ساحة صراخ، لا حضن رجوع؟

- كم من شابٍ لم يهرب من الله... بل هرب ممن جعله يبدو مرعبًا!
- كم من فتاة لم ترفض الحجاب... بل رفضت من قدّمه لها كقيد، لا كرامة.
- كم من إنسان لم ينكر الدين... بل أنكره كما رأى من يدّعون تمثيله!

الله تعالى لم يكن يومًا بهذه الصورة التي شوَّهُوها... لكن بعض عباده جفاة!
الله تعالى لا يُقابلك بالغضب فور زلّتك...
لكن بعض من "ينوب عنه" يفعل.
فالسؤال الحقيقي ليس: "لماذا تركوا الدين؟"
بل":أيُّ دينٍ قدّمناه لهم؟"
دين الرحمة؟ أم دين العُنف؟
دين القرب؟ أم دين العقوبة؟

الخلاصة:

نعم... من هرب من الله مخطئ، لكن من شوّه الله في عينيه... مجرم!
فلا تفتح فمك لتُدين الهارب، حتى تنظر في يد مَن دفعه بعيدًا...

درس جوهري:

الناس يدخلون في دين الله أفواجًا...

حين يرونه في سلوك يشبه ما قرأوه في القرآن.

لكنهم يهربون منه أفواجًا... حين يرونه على وجوه شوهاء لا تُشبهه!..

ما أعمق هذا الدرس!...

فلقد كان الناس يُسلمون في عهد النبي ﷺ لا لأنه قدّم لهم "محاضرات" كثيرة، بل لأنه جسّد القرآن حيًّا.

وكانوا يقولون عنه: "ما هذا إلا خلق نبي"!

فأحبّوا الدين لأنهم أحبّوا خُلُقه... لا لأنه أقنعهم بالحجج فقط،

بل لأنهم رأوا الرحمة تمشي، والصدق يتنفس، والعدل يُطبّق.

لكن اليوم... يدخل الناس إلى الدين من بوّابة الفضول،

ثم يفرّون منه من باب "الواقع المُخزي".

لأنهم رأوا التناقض:

- بين ما يُقال عن الإسلام... وما يُمثَّل باسمه..
- بين الآيات التي تتحدّث عن العدل... والظلم في السلوك..
- بين الأحاديث عن الرَّحمة... والفظاظة في الدعوة..

فالدين ليس فقط ما يُكتَب في الكتب...

بل ما يُترجَم في القلوب والوجوه والمعاملات.

وإذا صار الدين مهنة بلا خُلق... فإنه يفقد نوره،

حتى لو صدحت به آلاف المنابر.

الدرس الجوهري حقًّا هو:

الدين لا يكفي أن يُقال... بل يجب أن يُرى!

والناس لا تُؤمن بالكلمات... بل تُؤمن بما يجعلها "تطمئن" أن هذه الكلمات حقيقية.

الرسالة من هذا الفصل:

الدعوة ليست لسانًا يصدح... بل سلوكًا يُشبه النور في هدوئه،
وفي اختراقه للقلوب دون استئذان.
قد لا تنطق بكلمة... لكنك تُصبح آيةً تمشي بين الناس،
إما أن تدلّهم على الله... أو تصدّهم عنه دون أن تدري.
فاسأل نفسك بصدق:
هل أنا وجهٌ يبتسم باسم دين الله تعالى؟
أم جدارٌ يعكس صورة مشوّهة عنه؟
هل أقود الناس إلى النور... أم أقف في طريقه، ظانًّا أنني أحرسه؟
احذر أن تكون الحجاب الذي يحول بين قلبٍ تائه...
وربٍ لطيف هيّأ له عودة لا تُشبه حساب الناس..
فبعض الناس لا يرفضون الله... بل يفرّون من عباده الذين لم يُحسنوا تمثيله.

الفصل الثالث: الإسلام الحقيقي... كما لم يروه!

هل رأى الناس محمدًا ﷺ فينا؟ أم رأوا وجوهًا لا تُشبهه... ثم قالوا هذا هو الإسلام؟.

أعظم مأساة في زماننا...

أنّ الإسلام قد طاف الآفاق حديثًا... ولم يُرَ بعدُ حيًّا!

تّردّد صوته في الإذاعات، وارتفع صداه في المنصات،
لكنّ القلوب ما عرفت نوره، لأن العيون لم تُبصره سلوكًا.
تحدّث عنه كثيرون... لكن بعضهم خنق صدق الوحي بلسانٍ متكلّف،
وبعضهم شوّه وجه الرحمة بملامح العبوس والتعالي،
فبدا الإسلام في أعين الناس مجرد كلمات مُنمّقة... بلا أثر،
ومواعظ محفوظة... بلا روح، ومواقف باهتة... بلا حياة.
قرأوا عن مُحَمَّد ﷺ في الكتب، لكنهم قلّما التقوا إنسانًا يحمل شيئًا من شمائله،
أو يُشعرك بأن النور الذي كان فيه... ما زال يُضيء القلوب.
غابت الحقيقة، لا لأن الإسلام تراجع...
بل لأن من يُفترض بهم أن يكونوا مراكب نوره،
صاروا أحيانًا حجبًا بين الناس وبين الله.
فيا ويح أمةٍ... وصلها الكتاب، وضاع منها التمثيل!
وسَمِعت عن النور... لكنها لم تره يومًا في عيون أبنائه.

ليست أزمتنا اليوم نقصَ علم... بل نقصَ تمثيل:

فالمعلومة حاضرة... تُتلى في الدروس، وتُحفظ في الهواتف، وتُردّدها الألسن.
لكن أين أثرها؟ أين ثِمارها في النفوس؟
يُسأل أحدهم عن الصلاة، فيُفصّل في أركانها وسننها،
لكن حين تنظر في سلوكه...
تجد كِبرًا في قلبه، وغيبةً في لسانه، وجفاءً في روحه.
فما نفع صلاةٍ لا تُعلّمه التواضع؟
وما جدوى ركوعٍ لا يطأطئ به قلبه لله؟
وأي نور هذا... إذا لم يُضيء طريقه، ويُنعش من حوله؟

أين الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر؟ أين الإسلام الذي يُزكّي الأرواح؟
وأين مُحَمَّد ﷺ في حياته؟
ذلك النور الذي جاء ليُعلّمنا كيف نكون بشرًا كما أراد الله... لا كما أرادت العادة.

كيف كان الإسلام حين كان حيًّا؟

- كان رجلًا يُطعم من جاعه، ويعفو عمّن عاداه، ويرحم العدوّ قبل الصديق.
- كان قلبًا لا يعرف الحقد، ولا يُفرّق بين الناس إلّا بقدر ما يحملونه من صدقٍ ونُبل.
- كان وجهًا تُشرق منه البِشرى، ولسانًا لا ينطق إلّا حقًّا، ويدًا تمسح الأذى، وتبني حيثما مرّت.

نعم... كان الإسلام رجلًا يمشي على الأرض، اسمه: مُحَمَّد ﷺ...
لم يُعلّم الناس موعظةً فقط، بل كان هو الموعظة الحيّة،
لم يُلقِ خطبًا فحسب، بل كان كلُّ سُكونه وحركته دعوةٌ صامتةٌ ناطقةٌ بالنور.
وكلّ من أحبّ الله بصدق... لم يكتفِ أن يُنادي بالإسلام،
بل اجتهد أن يكون مرآةً صافيةً لذلك الرجل العظيم.

لكن ماذا قدّمنا نحن؟

ماذا فعلنا بدينٍ نزل بالرحمة... فحوّلناه إلى ساحة نزاع؟
ماذا فعلنا بنورٍ أراد الله به الهداية... فحجبناه بسلوكٍ لا يُشبه النور؟
قدّمنا إسلامًا:

- مشحونًا بالجدال... حتى صار الخلاف أحبّ إلينا من الأُلفة،
- مُفرَّغًا من الرحمة... وممتلئًا بالتكفير، وسوء الظن، وسياط الاتهام،

- اختصرناه في شكل اللباس... وضيّعناه في خُلق التعامل،
- رفعناه شعارًا على الألسن... وأسقطناه من ضمائرنا وأفعالنا.

حتى بدا الإسلام فينا... كلوحةٍ جميلة لا يسكنها روح،
وكلمةٍ عظيمة... لم نعد نُحسن تمثيلها.

سؤال الفصل الجارح... والمفصلي:

لو جاءك اليوم غير مسلم وقال: "أرِني الإسلام فيك"! ماذا سترِيه؟..

- هل سترِيه صدقًا يشبه صدق النبي مُحَّد ﷺ؟
- تواضعًا كما كان في خطاه؟
- رحمةً تسع القريب والبعيد؟
- أمانةً تضيء وجهك قبل كلماتك؟

أم سترِيه صورةً مشوّهة...

- فيها الغضب أكثر من الحِلم،
- وفيها الجفاء أكثر من اللين،
- وفيها الحكم على الناس... أكثر من الحبّ لهم؟

هل سترِيه الإسلام الذي قرأه في السيرة؟
أم إسلامًا آخر... لا يشبه إلَّا الهويّة على الورق، والاسم في البطاقة؟..

نحن لا نحتاج أن نُحدّث الناس عن الإسلام أكثر...

بل أن نُريهم إيّاه كما لم يروه من قبل! لا عبر منشوراتٍ تُنشر ثم تُنسى،
ولا بخُطبٍ تُقال ثم تتلاشى،
ولا بشعاراتٍ ترتفع... ولا تجد لها أثرًا في الواقع.
نحتاج أن نُريهم الإسلام في:

◄ تعاملٍ يُنصف ولا يُهين،

◄ رحمةٍ تحتضن لا تُقصي،

◄ ضميرٍ حيٍّ لا يخون إذا غابت العيون.

فالإسلام الحقيقي... لا يُقنع الناس بكثرة الجدل، ولا يُرهبهم بكثرة النُذر،
بل يُدهشهم بجمال إنسانٍ واحدٍ...
يُشبه النور، ويُضيء الطريق بصمته قبل كلماته،
إنسانٍ يُشعرهم أنَّ محمدًا ﷺ... ما زال يمشي على هذه الأرض.

الرسالة التي يهمس بها هذا الفصل في أعماقك:

– لا تُحمّل الناس وزرَ نفورهم... قبل أن تُفتّش في مرآتك: هل قدّمتَ لهم وجه الإسلام كما يليق؟..

– لا تكتفِ بالقول:"هم أعرضوا عن الحق..." واسأل نفسك أولًا: هل كنتَ أمثل حقًّا هذا الحق كي يستحق أن يُقبل عليه؟..

– لا تُكثر الحديث عن مُحَمَّد ﷺ... بل اجتهد أن تكون تتخلق بأخلاقه وتتمثل بها على الأرض، ملامحُه في خُلقك، وصوته في صدقك، ورحمتُه في قلبك، فما أكثر من يروّجون الإسلام بالكلمات... وما أقلّ من يُحيونه بالحضور النقي!..

الفصل الرابع: حين رأوا الإسلام... ولم يروا المسلمين!

حين لمسوا جمال النصّ الإلهي... ثم نظروا فينا، ففقدوا الأمل في أن يكون هذا الدين حيًّا في البشر.

كم من غير مسلمٍ قرأ القرآن...

فارتجف قلبه من بلاغته، واندهش من عدله، وبكى من نوره،
وقال: لو كان هذا الكلام من كلام البشر... لكان نبيًّا.
لكنه لما التفت يبحث عن "أهل هذا الكتاب"،
صُدم من الفجوة المخيفة بين ما سمعه من رب العالمين...
وما رآه من عباد الله في واقعهم!

- ◄ رأى في القرآن دعوةً للصدق... ثم رأى الكذب يُجمَّل باسم "اللباقة".
- ◄ رأى فيه رحمةً تتسع للجميع... ثم رأى قلوبًا ضاقت حتى عن أهل البيت.
- ◄ رأى فيه أمانةً تُسْكِن القلوب... ثم رأى خيانةً تُبرَّر بأنها "مصلحة".

فقال في نفسه:

أهذا هو الدين الذي أبكاني؟ أين ذهب حين صار بين أيديهم؟"!

هل نحن صورة القرآن... أم نقيضه؟

سؤال لا يحتاج إلى جوابٍ نظري... بل إلى مرآةٍ صادقة.

- ◄ في القرآن: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾

  وفي الواقع: كلامنا كالسِّياط، وحديثنا مشحون بالحدّة والاحتقار، نتقن الجدل، ونُسيء الأدب، ثم نقول: "نحن نذبُّ عن الدين"!

- ◄ في القرآن: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾

وفي الواقع: نُجامل من هم على شاكلتنا، ونتحيّز لمن يوافق هوانا،
حتى لو جارَ وظَلَمَ، نلتمس له الأعذار... ونُدين من خالفه بالهدم!
◄ في القرآن: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾
وفي الواقع: كثير ممن يحملون شعار الدين... قسوتهم تنفّر، وغِلظتهم تكسِر، وأخلاقهم تضع الحواجز بدل الجسور.
حتى الرحمة التي جاء بها النبي ﷺ... غابت من وجوههم ومن قلوبهم!..
فهل نحن فعلاً مرآة للقرآن؟
أم أننا – دون أن نشعر – نحجبه عن العيون... بظلال لا تُشبه نوره؟

الفجوة المؤلمة:
"الكتاب من عند الله... والتطبيق من عندنا، ففسد الطريق"!
حين يقرأ غير المسلم القرآن لأول مرة... يبتهج قلبه بنداء السلام،
تأخذه الدهشة لبلاغة الرحمة،
وينبهر من جمال العدل والكرامة التي يُنادي بها هذا الدين.
لكن ما إن يرفع عينيه من المصحف... وينظر في واقع من يزعمون أنهم أهله،
يصطدم بحائطٍ من الطائفية، بجدرانٍ من التعصّب، بوجوهٍ لا تعرف إلّا التنافر،
وبضجيجٍ صاخب... لا يمتّ إلى نور الله بصِلة.
وكم من واحد منهم قال بألم:
"لو لم أقرأ هذا الكتاب بنفسي... لما صدّقت أن من أساء إليّ ينتمي إليه"!
يا الله... أي فجوة هذه بين النصّ والتجسيد؟
بين كلامك يا رب... وبين من حملوه بلا روح!..

حين دخل الناس في الإسلام...

لم يدخلوه لأننا تحدثنا كثيرًا، بل لأنَّ قلوبًا نادرة صدَّقته قبل أن تنطقه.

في فجر الدعوة، ما كان للمسلمين قنوات، ولا منصات، ولا منشورات مزخرفة... لكن كانت لهم وجوهٌ تُشبه النور، وأفعالٌ تُشبه القرآن.

رأى الناس الإسلام في:

- صدق التاجر الذي لم يغشّ ولو في الغربة،
- أمانة الجندي الذي حفظ العهد حتى مع العدو،
- رحمة الفاتح الذي دخل المدن بقلب نبيّ لا بسيف سلطان،
- نور العابد الذي قام الليل... وعاش النهار خُلقًا ورحمة.

فقالوا من تلقاء أنفسهم:

"هذا دين لا يمكن أن يكون من عند بشر"!

أما اليوم...

- فكم من الناس رأوا فينا سورةً تُتلى بأخلاقنا؟
- كم من قلبٍ اهتدى، لا بما كتبناه... بل بما كُنّا عليه؟

إن الإسلام لا يُقنع بالكلام... بل يسحر القلوب حين يُترجم إلى حياة.

الدرس المحوري لهذا الفصل:

ليس كافيًا أن ترفع لافتة تقول:"الإسلام جميل..."

فالجمال لا يثبت بالعبارات، بل بالأثر.

كن جميلًا بالإسلام... لا بالكلام عنه.

كن صورةً حيّة تُغني عن الشرح،

كن خُلقًا يمشي، ورحمةً تُلمَس، وعدلًا يُعاش.

وإن لم تكن كذلك...

فأنت لا تمثّل الإسلام، بل تمثّل الفجوة بينه وبين الواقع،
تلك الفجوة التي ينفذ منها اليأس... ويضيع فيها النور.

الخلاصة:

– لا تُرِ الناس المصحف فقط... بل كُن أنت ترجمةً حيّة له.
– لا تعتز بكتابٍ لا تعيشه... فغيرك يقرأك قبل أن يقرأه!
– الفجوة بين "النص الرباني" و"الواقع البشري"... هي أعظم حاجز أمام من يبحث عن الله.

الفصل الخامس: نُحسن الحديث عن النبي ﷺ... ونُخالفه في سلوكنا!

نمدحه بألسنتنا، ونُسيء إليه بأفعالنا... ثم نقول: نحن أتباعه!

ما أكثر من يُنشدون في حبّه ﷺ...

لكنّ وجوههم غلظة، وألسنتهم حدّة، وقلوبهم لا تعرف الرَّحمة.
ما أكثر من يملؤون المجالس بذكره ومديحه،
لكنهم يرفعون أصواتهم في البيوت،
ويغضبون لأهوائهم أكثر مما يغضبون لله،
ويظلمون من خالفهم، ويفحشون في الرد،
ولو وقف الحبيب ﷺ بينهم في لحظة صدق...
لربما قالوا – وهم لا يشعرون –:

"من هذا الغريب الذي لا يُشبهنا؟"!
فيا ويح قومٍ... يُحبّون الصورة، ويُجافون السيرة،
ويحملون اسمه... دون أن يحملوا نوره.

هل نحن فعلًا أتباعه؟

النبي ﷺ... لم يكن مجرد هاديًا بكلامه،
بل كان أنقى إنسانٍ يمشي على الأرض،
روحُه سلام، ونظرته رحمة، وسيرته كلها صدقٌ لا يُكابر.

- لم يكن يصرخ في الأسواق... ولا حتى في البيوت.
- لم يسبّ أحدًا... حتى من سبّه.
- لم يَخُن عهدًا، ولم يغش أحدًا، ولم يُقصّر في أمانة قط.
- لم ينظر لإنسانٍ بنظرة استعلاء... ولو كان عدوه.
- لم يكن عبوسًا، ولا فظًّا، ولا جافًّا في حديثه.
- وكان إذا لقيك... شعرتَ وكأنك أحبّ الناس إلى قلبه.

لكن... ماذا عنّا؟

- كم منّا يرفع صوته في الصلاة... ثم يصرخ على زوجته إذا أخطأت!.
- كم منّا يرتدي زيَّ السُّنة... لكنه يخدع، أو يتكبّر، أو يحتقر من لا يشبهه!.
- كم منّا يحفظ الأحاديث... لكنه لا يُشبه صاحبها!.

نُكثر من ترداد اسمه ﷺ ... لكن هل نُشبهه؟
هل نمشي على الأرض كما مشى؟

أم أننا نمدحه في النهار... ونخونه في سلوكنا حين يختفي الناس؟

سؤالٌ صادم... لكنه صادق:

لو جاء اليوم غير مسلم، ونظر في أخلاقنا، لا في شعاراتنا...

هل سيقول بخشوع:

"ما أعظم هذا النبي! لا عجب أن يكون أتباعه على خُطاه".

أم سيقول بألم:

"لو كان نبيكم يُشبه أخلاقكم... لما دخل أحدٌ في دينكم"!

كم من الناس انصرفوا عن النور، لا لأنهم كرهوا الحقيقة...

بل لأنهم رأوها مشوّهةً في سلوك من ادّعوا حبّها.

فكّر بصدق... ولا تخدع نفسك! أتتباهى بأنك من "أمة محمّد ﷺ"،

ثم تكون سببًا في صدّ الناس عن نبيّ الرحمة؟

أتتحدث عنه بفخر... ثم تُظهره – من خلالك – وكأنه نبيّ غلظة وتعنّت؟

أتلبس سنّته في مظهرك... ثم تذبحها بسلوكك؟!

- ويلٌ لنا إن كنا نرفع اسمه... ونُسقط خُلقه!
- ويلٌ لنا إن صار الناس ينفِرون من الدين بسبب "أخلاق متدينين!"
- ويلٌ لنا إن كان غير المسلم يُعجب بالقرآن... ثم يكره من يقرؤه!

ما أسوأ أن نُنشد في مديحه ﷺ... ثم نكون أبعد الناس عن نوره في البيوت، في الأسواق، في الخُلق، في المعاملة.

توقف عن الزهو الكاذب، لا تتاجر بحبّ النبي ﷺ...

وابدأ بالصدق في اتباعه.

" فإن لم تكن مرآةً له... فلا تكن وصمةً في وجه دعوته "

النقطة الجوهرية... التي لا نحبّ أن نُواجه أنفسنا بها:

نحن لا نُهان اليوم لأننا ضعفاء ماديًا،

ولا لأنَّ أعداءنا أقوياء أو متغطرسون...

بل لأننا – ببساطة وبكل مرارة – فقدنا ملامح من نزعم أننا نحبه.

- لسنا فقراء بالمال... بل فقراء بالقدوة.
- لسنا مهزومين في العتاد بل مهزومين في الأخلاق التي تُشبه رسول الله ﷺ.

لو كُنّا حقًّا مرآةً لمحمد ﷺ... لهابنا الناس لا لخوف، بل لاحترام.

ولدخلوا في دين الله... لا لأننا قلنا، بل لأنهم رأوا.

أما اليوم...

" فكم من الناس نفروا من النَّبي ﷺ لا لذنبٍ فيه،
بل لأن صورته – فينا – لم تكن تليق بعظمته "

أعظم دعوة إلى الإسلام اليوم...

ليست خطبةً مدوّية، ولا مؤتمرًا يُنقل على الهواء، ولا كتابًا يُوزّع بالمئات.

بل هي: إنسانٌ واحدٌ... يعيش كما عاش مُحَمَّد ﷺ.

يمشي بين الناس بصدق، ويحمل في قلبه رحمة، وفي لسانه أدب، وفي فعله أمانة، وفي نظرته نورًا يُذكّر بالله.

نعم... رجلٌ واحدٌ فقط، يشبه النبي ﷺ في هدوئه، في تواضعه، في عدله، في سكينته... أشد أثرًا في قلوب الخلق، من ألف محاضرة لا تُشبهها الحياة.

الرسالة العميقة من هذا الفصل:

- ◄ لا تمدح النبي ﷺ بلسانك... ثم تُسيء إليه بسلوكك.
- ◄ لا ترفع صوته في خطبتك... ثم تُطفئ خُلُقه في بيتك.
- ◄ لا تقل:"أنا من أمة مُحَمَّد..." إلا إذا كنت فعلًا تسير على نوره، ولو بخُطى متعثّرة.

فالنبي ﷺ لا يُمثّله من ينتسب إليه بالكلام، بل من يُشبهه:

- في الرَّحمة إذا قسى الناس،
- وفي الصدق إذا راج الكذب،
- وفي الحياء إذا طغت الوقاحة،
- وفي التواضع إذا استعلى المتدينون على الخلق!

فالمعيار ليس الانتماء... بل التمثيل.

"ولا عزّ لنا إلّا إذا عكسنا للنّاس: من هو مُحَّد ﷺ دون أن نتكلم كثيرًا عنه"

الفصل السادس: دينُ الرَّحمة... وصورة العنف!

حين شوّهنا أجمل دين في الوجود... بأقسى وجه يمكن أن يُرى!

أي مفارقةٍ هذه؟!

- دينٌ بدأ بنور: ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ فصار عند البعض رمزًا للخوف والحظر، يُقال عنه اليوم:"أغلق المحتوى... هذا مُتطرّف"!..
- دينٌ نزل فيه قول الله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ فجاء الإعلام ليُصوّره مجنونًا بالفعل، لا لخللٍ في النص... بل لخللٍ فينا نحن!..
- دينٌ شعاره: "ارحموا من في الأرض"... لكن بعض من يُنسبون إليه اليوم... شعارهم العملي: **"احذروا منا... فنحن نغضب باسم الله، ونُهاجم باسم العقيدة، ونقسو باسم الغيرة"**!..

فهل هذا هو الإسلام الذي نزل على من وُصف بأنه:

" **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ** "؟

أم هو ما تبقّى من جماله... بعد أن صرخنا باسمه ونسينا روحه؟.

كيف وصلنا إلى هنا؟

- كيف تحوّل دين الرحمة ...إلى صورة تُرعب؟
- كيف صار القرآن الذي يُحيي القلوب... سببًا لحظر الحسابات والمضايقات والاتهامات؟.

إنها ليست مؤامرة خارجية فقط،

بل هي – للأسف – أيضًا نتيجة داخلية مباشرة لما اقترفته أيدينا:

◄ حين قست قلوب بعض الدعاة... فخاطبوا الناس بغلظة لا تُشبه نبيّهم.

◄ حين سارعوا إلى التكفير والتبديع والتخوين ...وكأنَّ مفاتيح الجنة بأيديهم.

◄ حين قدّموا الغضب بدل الحُجّة، والصوت العالي بدل الفهم، والانفعال بدل الرحمة.

فلم يستغرب الناس بعد ذلك أن يخافوا، ولم يكن غريبًا أن يقول أحدهم:

"إن كان هذا هو الإسلام... فأنا لا أحتمله"!

لكنّه – لو رأى وجه مُحَّد ﷺ – لقال:

"يا ليتني كُنت من أُمَّتِه"!

ماذا يرى الناس اليوم... حين تُقال كلمة "إسلام"؟

في ذاكرة الإعلام، وفي خيال كثير من العقول...

لم تعد الكلمة تُضيء كما أُريد لها، بل تُستدعى معها مشاهد لا تُشبه النور:

◄ رجلٌ يصرخ بوجهٍ غاضب، لا يرحم ولا يُقنع.

◄ فتوى غريبة تُشعل الجدل لا لأنها حق... بل لأنها جفّت من الحكمة.

◄ مشهدٌ دموي يُعلّق عليه شعار "الدين"، وكأن الله أمر بالذبح أكثر مما أمر بالحياة.

◄ مواجهةٌ لا دعوة،

◄ تكفيرٌ لا تبشير،

◄ صوتٌ عالٍ بلا علم،

◄ وحدّةٌ ظالمة تُدثَّر باسم "الغيرة على الدين".

وهكذا... انقلبت صورة الإسلام في العقول، لا لأن الوحي تغيّر – حاشاه – بل لأنَّ من ادّعوا تمثيله ...أساؤوا تجسيده،

فصار الناس يخافون من وجهٍ ما عرف الرحمة،

وينفرون من دينٍ لم يُرَ في خُلق أهله!

لكن مهلاً...

قف لحظة واسأل:

◄ أين هو الإسلام الذي نزل من السماء نورًا... لا عُنفًا؟

◄ أين هو الدين الذي: كان نبيّه ﷺ يبعث برسائل إلى ملوك الكفر... لا سيفًا، بل دعوةً بالحكمة والرفق والرحمة؟ ويُعذَّب من قريش، فلا يدعو عليهم، بل يقول: "اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون".

ويمنع أصحابه من سبّ الأوثان... لا دفاعًا عنها، بل رحمةً بقلوب الناس حتى لا يسبّوا الله جهلًا وعدوانًا!..

◄ أين هذا النور؟!..

◄ أين هذه المدرسة النبوية التي صنعت رجالًا... يُسقطون الجيوش لا بالقوة، بل بأخلاقهم؟..

◄ وأين نحن منها اليوم؟!

أين نحن...

- من الرحمة التي بُعث بها ﷺ،
- من الحِلم الذي وسِع الأعداء،
- من الحكمة التي فتحت القلوب قبل الحصون؟

إننا لم نُحارَب لأن الإسلام قاسٍ...
بل لأننا قسونا باسمه، فشوّهنا وجهه في عيون العالم.

المغالطة الكبرى... التي يجب أن نكسرها:

ظنّ بعض الناس أن الشدّة في الدعوة هي علامة على الغيرة على الدين،
وأن رفع الصوت، وقسوة النبرة، وسرعة الإدانة... دليلُ إخلاصٍ وصدق!
لكن الحقيقة النبوية تقول غير ذلك تمامًا:
إنَّ الرحمة، لا القسوة، هي أرقى مظاهر الغيرة على هذا الدين.
فالنبي ﷺ — وهو أحرص الناس على الحق —

- ◀ ما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا،
- ◀ وما عنّف جاهلًا، بل احتضنه برحمةٍ وعلّمه،
- ◀ وما انتقم لنفسه قط، حتى في أشد لحظات الإهانة،
- ◀ وما أغلق قلبًا في وجه من أخطأ، بل فتح له أبواب الحبّ والعودة.

لقد فتح العقول... لأنه فتح القلوب أولًا.
وأحبّه الناس... لأنه أحبّهم بصدق، لا لأنه خوّفهم من أنفسهم!..
فأين نحن من هذا الفقه العظيم؟..
وأين غَيرتنا... إن لم تكن رحمة تُضيء لا نارًا تُحرق؟..

الرسالة الكبرى من هذا الفصل:

- — الدعوة إلى الله... لا تعني أن تلبس عباءة الغضب، بل أن تلبس قلبًا يشبه قلب نبي الرحمة ﷺ.
- — لا ترفع راية "الحق" وأنت تدفع الناس بعيدًا عن نوره، فمن حمل الحق بيدٍ قاسية... لم يُبلّغه، بل نفّر منه.

– من جعل صورة الإسلام في العالم صرخةً تُرعب، بدل أن تكون حضنًا يُطمئن... فقد شوّهه وهو لا يشعر، وأسهم – دون قصد – في صدّ الناس عن النور.

لأن الله – العليم بقلوب البشر – لم يقل لنبيّه:

"بشدّتك أقنعتهم، وبصوتك العالي انتصر الحق"!

بل قال له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾

فليست الرحمة ضعفًا... بل هي الطريق الأقوى إلى القلوب.

الفصل السابع: نقول: "المرأة مُكرّمة في الإسلام"... ثم نُهينها عمليًا!

ما بين خطابٍ جميل... وواقعٍ موجِع.

ندافع عنها في الندوات... ونكسرها في البيوت!

نقول في الإعلام بفصاحة: "المرأة في الإسلام جوهرة مصونة".

لكنها لا تجد في الواقع إلا:

– صوتًا يُسكت كلما حاول أن يُعبّر.

– حقوقًا تُسلب بذريعة "الستر"، لا العدالة.

– دورًا يُقزّم باسم "الحياء"، لا الحكمة.

– ظلمًا منهجيًا مُغطى بآيةٍ تُقرأ بغير علم.

– وسَحقًا لمشاعرها، بحجة "القيادة والقِوامة"، لا الرعاية والرحمة.

بل بلغ التزييف أن تُقدَّم المرأة – في بعض المجتمعات المسلمة – ككائنٍ ناقص، لا عقل له، لا يُؤتمن، ولا يُؤهّل، ولا يُستشار، بينما كان النبي مُحَمَّد ﷺ إذا دخلت عليه ابنته قام لها،

وقبّلها، وأجلسها في مجلسه.

أي فجوةٍ هذه... بين ما نقوله عنها في الخطاب، وما نفعله بها في الواقع؟

أي انحدارٍ هذا في الفهم... وأي إساءة نرتكبها بحق دينٍ لم يُعظّم المرأة أحدٌ مثله؟..

الانفصام الصارخ... الذي نمارسه دون أن ننتبه:

◀ نقول ما لا نفعل، نرفع شعار: "المرأة مكرّمة في الإسلام..."

ثم ندفن كرامتها كل يوم في تفاصيل سلوكنا، وفي نظرتنا، وفي قوانيننا، وفي مؤسساتنا، وحتى في بيوتنا!..

◀ نكتب مقالاتٍ براقة في تعظيم شأنها، لكننا لا نعترف بجهدها كأمّ، ولا نحترم صوتها كداعية، ولا نثق برأيها كعاقلةٍ راشدة.

◀ نمنعها من أبسط حقوقها باسم "الغيرة"، لكننا ننسى أن النبي ﷺ — وهو أشرف الغيورين— سمح لأزواجه وبناته وصحابيات أمته بـ:

- الخروج بشرف وحياء وطهارة،
- التعليم بنور،
- البيع والشراء بكرامة وعلى قدر الحاجة للكلام،
- المشاركة المجتمعية بعقل وعفة،
- الحديث والحوار بثقة دون تسفيه أو تجريح.

بل كانت المرأة في زمنه ﷺ تُناقش، وتُسأل، وتُفتي، وتُعلّم...

فمن ذا الذي أعطانا اليوم الحق أن نُخرسها باسم "الدين"؟..

سؤال لا بد أن يُطرَح بجرأة وصدق:

من الذي ظلم المرأة؟ هل الغرب؟ نعم... حين جرّدها من روحها،

وحوّلها إلى سلعة تُسوَّق بجسدها، ونزع عنها الحياء ليكسوها وهم "الحرية".

لكن... هل نظلّ نُشير إليهم فقط؟ وماذا عنّا؟

ماذا عن الظلم الذي وقع على المرأة في كثيرٍ من البيئات الإسلامية،

لا باسم الهوى... بل باسم "الدين" نفسه؟!

- كم مرة صمّتناها باسم "الطاعة العمياء"، لا طاعة العقل والنور؟
- كم مرة أذللناها باسم "القيادة والقِوامة"، لا باسم الرعاية؟
- كم مرة ضيّقنا عليها أنفاسها باسم "الشرف"، وكأنها متّهمة حتى تثبت براءتها؟...
- كم مرة قلّلنا من عقلها، وفتواها، وإنجازها... بحجة "الأنوثة الناقصة"؟!

وفي كل هذا، كان الإسلام بريئًا من الجريمة...

لكن المجرم كان: بعض من انتسبوا إليه دون أن يفهموه،

فأساؤوا إلى المرأة... وأساءوا إلى دينٍ عظيمٍ بجهلهم...

المغالطة الكبرى... التي نخدع بها أنفسنا قبل أن نخدع الناس:

نظنّ أننا ندافع عن الإسلام في قضية المرأة... لكن الحقيقة المؤلمة:

أننا كثيرًا ما لا ندافع عن الدين، بل نُبرّر ممارساتنا الخاطئة باسمه،

نُدافع عن سلطتنا... لا عن عدله، نُبرّر ثقافتنا الذكورية... لا شريعة ربانية.

والمُفزع حقًّا... أننا نُقنع أنفسنا بأننا نُطبّق "الشرع"،

بينما نحن - في الواقع - نُطبّق:

- ثقافة القبيلة،
- أو عُرف المجتمع،
- أو هوى النفس،

ثم نُلصقها ظلماً بـ"الإسلام"، فنشوّهه في عيون الناس...

ونحسب أننا نحسن صنعًا! أليس من الإنصاف أن نُميّز بين:

ما جاء به الوحي... وما أضافه الهوى؟.

ما شرّفه مُحَمَّد ﷺ... وما شوّهه الجهل؟.

الرسالة الصادقة من هذا الفصل:

- لا تُردّد أمام الناس: "كرّمها الإسلام..." إلا إذا كنت أنت أول من يكرّمها في بيتك، وفي قلبك، وفي فهمك، وفي طريقة نظرتك إليها كـ إنسانٍ مستقل لا تابع ولا ناقص.
- لا تُهِنها باسم حديثٍ فُهِم على غير وجهه، ولا تسلبها مكانتها بفتوى نُزِعت من سياقها كأنها سيفٌ على رقبتها.
- ولا تُنافح في المحافل عن "الحقوق الشرعية للمرأة"، وأنت لا تُعطيها في الواقع حتى حقّ الاحترام!..

الإسلام لا يُدافع عن المرأة... الإسلام يُعلّيها.

- يرفعها أمًّا... حتى يَعدّ الجنة تحت قدميها،
- ويرفعها بنتًا... فيقوم لها نبيّ الرحمة إذا دخلت عليه،
- ويرفعها زوجة... فيوصي بها خير الخلق في لحظات وداعه الأخيرة.

لكنّ المأساة...

أنَّ بعض المسلمين أسقطوا المرأة وهم يظنّون أنهم يغارون عليها!

فصاروا باسم الحماية... يحبسون،

وباسم الغَيرة... يُقصون،

وباسم الدين... يُهينون!

فيا من تقول: "المرأة مكرّمة في الإسلام"

كن أنت أول دليل على هذا التكريم... وإلّا فاصمت.

الفصل الثامن: مسلمٌ يكذب... فيُكذَّب الإسلام!

حين تصير أنت تفسيرًا حيًا للدين... فإمّا أن تُقنع، أو أن تُنفّر.

ما القصة؟

دخل غير مسلم متجرًا في بلد يُقال إنه "إسلامي"، فوجد الغِشّ عاديًا، والكذب مباحًا، والتلاعب بالأوزان مهارة لا يُحاسب عليها أحد...

ورأى "ماكينة النقاب" تُستخدم لا لصيانة الحياء، بل لإخفاء السلوك الرديء!

ذهب إلى دائرة حكومية... فوجد الرشوة تُمرّر تحت الطاولة، والواسطة تتقدّم على الحق، والظلم يُمارس علنًا، وعلى الجدار آية أو حديث تقول:

"من غشّنا فليس منا" لكن لا أحد "مِنّا" يُحاسب!

ثم جلس يشاهد داعية على الشاشة،

يتحدث عن "الإيمان"، و"الاستقامة"، و"الصدق"،

فأُعجب بكلامه... حتى اكتشف لاحقًا أن ذلك الرجل ذاته:

يكذب، ويتلوّن، ويتكسّب باسم الدين، ويبيع عواطف الناس في سوق الشهرة.

فقال غير المسلم – وهو يطوي قلبه بحسرة:

"إن كان هذا هو الإسلام... فأنا لا أحتاجه"!

ولم يعلم أن ما رآه...

" لم يكن الإسلام، بل "نسخة مشوّهة" يرتديها بعض من خانوا الأمانة "

وما ذنب الإسلام؟

ذنب الإسلام الوحيد... أنه تُرجِم إلينا.

أنه اختار أن يُقرأ من خلال وجوهنا، وأفعالنا، وأخلاقنا،

فكنا – للأسف – الصفحة الأولى...
لكنها كانت صفحةً ملوّثة، ممزّقة، لا تُشبه الجمال الذي في الأصل.

ذنب الإسلام...

أنه كُتب في كتبٍ بديعة، لكننا محوناه من سلوكنا اليومي،
نُدرّسه في المساجد، ونُنكره في المعاملات،
نرفعه شعارًا... وننساه حين تمتحننا المواقف!
فما أعظم الظلم... أن يُكذَّب دينٌ كاملٌ،

لا لأنه باطل، بل لأن من انتسبوا إليه... خانوا تمثيله!

لكن... لماذا يربط الناس بيننا وبين ديننا؟

لأنَّ الإسلام لم يكن مجرد كتاب يُتلى،
بل كان حياة تُعاش، وروحًا تُشعّ، ونورًا يمشي على الأرض.
ولأن محمدًا ﷺ لم يُبعث بمجرد وحي يُتلى، بل كان هو نفسه قرآنًا حيًّا...
كلّ ابتسامةٍ منه، كلّ موقف، كلّ سلوك... كان تفسيرًا لما نزل عليه.
لهذا... الناس لا يقرأون الدين في المصحف فقط،
بل يقرأونه – شاء المسلم أم أبى – في:

- وجه الموظف حين يستقبلهم.
- أخلاق الطبيب وهو يعالجهم.
- صدق التاجر وهو يبيعهم.
- التزام المعلمة في تعليمهم.
- سلوك الشاب في الطريق.
- أمانة الداعية في كلمته ومواقفه.

ولذلك... حين نكذب، أو نغش، أو نظلم...

لا يقول الناس:"فلان أخطأ".

بل يقولون: "المسلمون هكذا"!

وحين يرون القبح فينا... يظنّونه قبحًا في الدين!..

فيا لها من أمانة... ويا له من ثِقل،

أن تكون "واجهة الإسلام" دون أن تكون أهلاً لتمثيله.

وهنا الكارثة...

أن لا يكون وزرُك في ذنبٍ خفيّ ارتكبته،

بل في قلبٍ بعيدٍ عن الله... أنت كنت سببًا في إبعاده!

أن تتحمّل – بسلوكك الرديء، وكلمتك القاسية،

وتصرفك المشوّه – وزر صدّ الناس عن الله..

أن تُصبح عقبة في طريق النور، وحاجزًا بين القلوب وربّها...

وأنت تظنّ أنك تمثّل الدين!.. قال رسول الله ﷺ:

"إن الرجل ليتكلم بالكلمة، لا يُلقي لها بالًا، يهوي بها في جهنم سبعين خريفًا".

فكيف بمن يتصرّف تصرّفًا... لا يهوي به وحده،

بل يُسقط معه صورة الإسلام في أعين الناس؟!

كم من إنسان أغلق باب البحث عن الحق...

لأنه التقى بمسلمٍ كاذب، أو غليظ، أو خائن؟

وكم من كلمة قاسية... كانت سببًا في أن تظلّ روحٌ تائهة لسنوات؟!

فلا تكن سببًا في إظلام الطريق... وأنت تظن أنك تهدي!

كيف نمنع هذه الفجوة الخطيرة؟

كيف نردّ للناس الثقة بدينٍ لم يخنهم... لكن خانوه من ادّعوا تمثيله؟

◄ أولًا: أن نُدرك أننا – شئنا أم أبينا – سفراء لهذا الدين، كل نظرة، كل تصرّف، كل مزحة، كل موقف... يُقرأ على أنه "الإسلام" في أعين من لا يعرفونه من المصحف.

◄ ثانيًا: أن نعيش بيقظة: الكلمة التي نقولها في السوق، والقرار الذي نأخذه في الوظيفة، وردّة فعلنا في الغضب أو المزاح... كلها تُسجَّل على ديننا قبل أن تُسجَّل على شخصنا.

◄ ثالثًا: أن نتوقف عن تمثيل الإسلام إن لم نُجيده بصدق، فمن لا يستطيع أن يعكس النور... فليكفّ عن تشويهه.

◄ وأخيرًا: أن نملك شجاعة الاعتذار، فنقول لمن صُدّ عن الدين بسبب أخطائنا: "المسلم أخطأ... لكن الإسلام لم يُخطئ".

ولا نُحاول تبرير قبحنا باسم الشرع،

" لأن الإسلام لا يحتاج أن نُجمّله بالكذب... بل أن نُصدّقه بالعدل "

المغالطة الكبرى... التي شوهت أنقى حق:

نعم، الدين حق... لكننا نظلمه – بل نطعنه – حين نكون واجهته المشوّهة. ليس في الإسلام عيب، لكن العيب... أن يتحدث باسمه كاذب، ويمثّله ظالم، ويُعلّمه من لم يذق نوره يومًا.. فلا تُلم الناس إن كذّبوه، ولا تتعجّب إن أعرضوا عنه... فلعلّهم ما رأوا جماله إلّا على لسانٍ خان جماله، أو في وجهٍ قاسٍ لا يُشبه رحمته... فالمشكلة لم تكن في الحق... بل فيمن زعموا تمثيله، ففضحوا قُبحهم... وعلّقوه على صدر الدين!..

الرسالة الجوهرية من هذا الفصل:

كُن أنت البيان العملي لهذا الدين.

كُن صدقه في السوق، ورحمته في البيت، وعدله في المسؤولية،

وجماله في الصمت والكلام والحضور.

فإن لم تستطع... فلا تُمثّله!

اعتزل تمثيل الإسلام حتى لا تُسيء إليه،

ولا تُلبس قبحك ثوب الدعوة، ولا تجعل اسم الله سُلّمًا لأخطائك.

لأنَّ الذي يهدم الدين... ليس فقط سباب الخارج،

بل التمثيل الرديء من الداخل، ذلك الذي يطعن باسم الله،

ويتكلم عن الجنة... وهو لا يحمل نورها،

ويلبس ثوب الواعظين... وهو أبعد ما يكون عن المحسنين.

" فالدين لا يحتاج صوتك... بقدر ما يحتاج صدقك "

الفصل التاسع: حين نُعرّف الإسلام بحروبنا... لا بنورنا!

دينٌ نزل رحمةً... فاختُصر في مشهد سيف!

كيف رأى غير المسلم الإسلام؟

سأل – بصدق أو بفضول – "ما هو الإسلام؟"

فلم يصله الجواب من مصحفٍ يُتلى، ولا من خلقٍ نقيّ يراه في مسلم،

بل وصله من إعلامٍ مشحون، ومن كتبٍ منحازة، ومن مشاهد مشوّهة...

فقالوا له: "هو دين الجهاد، والقتال، وتقطيع الأيدي، ورجم الزناة"!

ولم يحدّثه أحد عن:

- الرفق بالحيوان الذي عطش،
- البسمة في وجه الخصم بلا احتقار،
- الرحمة التي بكى بها النبي ﷺ على من آذوه،

- الحبّ الذي دعا به ﷺ لقومه وهم يطردونه،
- قيمة النفس التي جُعلت كقتل الناس جميعًا،
- الوضوء الذي يُطهّر الظاهر والباطن،
- والنبي الذي قال: "لعلّ الله أن يُخرج من أصلابهم من يعبد الله"... حين كان البعض يدعو عليهم!..

هكذا... لم يُعرَّف الإسلام بالنور الذي جاء به،

- بل بالحدّ الذي لم يُفهم،
- وبالمشهد الذي فُصِل عن سياقه،
- وبالعنوان الذي كُتب بلون الدم لا بلون الرحمة.

من الذي قدّم هذه الصورة؟

للأسف... نحن.

- نحن من قدّم الإسلام للعالم... لا كنورٍ يُضيء، بل كحُكمٍ يُرهِب.
- نحن الذين صمتنا عن الرحمة، وتكلّمنا فقط عن السيف، سكتنا عن قوله ﷺ:"إنما بُعثت رحمةً للعالمين"، لكننا أسرعنا في سرد أحكام الحدود، وأخرجنا الدين من كونه شعاعًا يهدي القلوب، إلى كونه مجرد قانونٍ يُقيم العقوبة.
- نحن الذين جعلنا من الدين حاجزًا بين الناس والله، بدل أن يكون جسرًا إلى النور، ونسينا – في خضمّ الجدالات والصرخات – أنَّ أول ما نزل من هذا الكتاب العظيم... لم يكن:" قاتلوا..." بل كان :﴿ٱقْرَأْ﴾.

اقرأ لتفهم.

اقرأ لتُبصر النور.

اقرأ لتبني، لا لتهدم.

فالدين لا يُختصر في سيف... بل يبدأ من كلمة، ويمتدّ إلى قلب، وينتهي إلى رحمةٍ تهدي العالم.

لكن... أليست الحدود جزءًا من الإسلام؟

نعم، بلا شك... الحدود جزء من الشريعة... لكنها ليست كل الشريعة!

إنها أقل من **٢٪** من أحكام الإسلام، بينما **٩٨٪** من الإسلام تعيش في جوانب لا تُرى في نشرات الأخبار:

- في مكارم الأخلاق،
- في تزكية النفوس،
- في الرحمة التي تسكن القلوب،
- في العدل الذي لا يُفرّق،
- في الحبّ الصادق بين الناس،
- في التسامح مع المخالف،
- في إعمار الأرض لا تخريبها،
- في حفظ الأرواح والحقوق والكرامة.

لكننا – للأسف – حين أردنا أن نُعرّف العالم بديننا...

لم نقدّم لهم هذه الأعماق، بل اخترنا أن نُبرز النادر من الأحكام،

ونسينا العظيم من المقاصد.

فجعلنا الإسلام يبدو – في عيون الناس – دينًا حادًّا، صارمًا،

يطارد الناس بالحُكم، لا دينًا رحيمًا، يُضيء للناس طريق النجاة.

لا أحد يُنكر الحدود، لكن لا تجعلها عنوان الإسلام،

وإلَّا فقد عرّفت الناس بما يُرهبهم... قبل أن تُريهم ما يُحبّهم!

هل الإسلام دين سيف؟

لا... الإسلام ليس دين سيف، بل هو دين قلب.

دينٌ نزل ليُحيي لا ليقتل، ليُضيء لا ليُرعب،

ليفتح القلوب لا ليفتح الجروح.

اقرأ القرآن...

ستجد أنَّ الآيات التي تصنع الوعي وتُهذّب النفس أكثر بكثير من تلك التي تتحدث عن السيف والقتال.

قال الله تعالى:

﴿**وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ – لا بالأشد، بل بالأحسن!

﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ**﴾ – باللين لا بالقسوة.

﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ – لا رعبًا ولا تهديدًا.

ولم يُسجّل التاريخ – لا صادقًا ولا موضوعيًّا –

أنَّ النبي ﷺ بدأ قتالًا واحدًا في حياته، بل كانت كل معاركه:

- دفاعًا عن الرسالة،
- أو ردًّا على عدوان،
- أو كسرًا لحصار ظالم.

وحتى في القتال... كان يدعو إلى الهدنة، ويمنع قتل غير المقاتلين، وينهى عن التمثيل بالعدو، فهل هذا دين سيف؟.. أم دين سلام...

سُمِّيَ "الإسلام" لأنه يُسلم القلب لله، لا لأنه يُشهِر السيف في وجه الناس؟

المغالطة الكبرى:

نُعرّف الإسلام من ميادين الحرب... ولا نُظهره في ساحات الحب.

نُعلّق الأذهان في مشاهد الغزوات والسيوف، ونسينا أن القلوب لم تُفتح

بالسلاح... بل بالأمانة، وبالصدق، وبالنور الذي لا يُقاوم.

اسأل التاريخ:

- كيف دخل الإسلام إلى الصين؟
- كيف انتشر في الهند؟
- كيف عمّ نوره جنوب شرق آسيا وشرق أفريقيا؟

الجواب ليس: "الغزو".... الجواب:

١. تاجر مسلم... كان أمينًا.

٢. رجلٌ صادق... قال الحقيقة ووفى بالوعد،

فقال الناس:"إن كان هذا هو الإسلام، فقد أحببناه قبل أن نفهمه"!

نحن من غيّر زاوية العرض... جعلنا "ميادين القتال" عنوانًا،

ونسينا أنَّ النبي ﷺ مكث في مكة ١٣ سنة...

لا ليرفع سيفًا، بل ليُربّي قلبًا، ويُهذّب خُلقًا، ويصنع أمةً بالحبّ قبل الحد.

الإسلام لا يُعرض من معركة، بل من ابتسامة صادق، وموقف عادل،

وإنسانٍ يُشبه نبيَّه في التعامل قبل أن يُجيد الكلام.

الرسالة الجوهرية من هذا الفصل:

إن أردت أن تُري غير المسلم الإسلام كما هو، فلا تبدأ بـ حدّ الردة...

بل ابدأ بـ رحمة مُحَمَّد ﷺ، تلك الرحمة التي بكى بها لأجل من لم يعرفوه،

ودعا بها لقومٍ آذوه، وأحبّ بها الخَلق... قبل أن يُقيم عليهم الحُجّة.

ولا تتكلم عن الجلد... قبل أن تُظهر العدل، ذلك العدل الذي لا يظلم، ولا يميّز، ولا يُقصي، العدل الذي قال فيه ربنا:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

ولا ترفع صوتك باسم الحق... قبل أن ترقّ قلبك باسم الخُلق.

فمن لا يُشبه نبيّه في الرحمة... لا يحقّ له أن يصرخ باسمه في الخصومة.
اعرض الإسلام كما عرضه نبيّه ﷺ:
نورًا، لا نارًا... وعدًا، لا وعيدًا...
وحياةً، لا تهديدًا بالموت.

الفصل العاشر: حين تكون المساجد كثيرة... ولكن الأخلاق قليلة!

هل صارت المئذنة أعلى من الرحمة؟ والفرش أفخم من الصدق؟

حين نُكثر البُنيان... ونُهمِل الإنسان!

انظر حولك... آلاف المساجد تُفتتح كل عام،
ملايين تُنفق على الزخرفة، والقِباب، والثريات الباهظة،
سباقٌ محموم على اتساع المساحات، وعلوّ المآذن،
وصورٌ تُنشر بفخر على الشاشات:
"انظروا... كم نحن متدينون"!
لكن حين تنزل إلى الواقع... تجد صورةً أخرى، لا تُشبه هذا البريق:

- تاجر يغشّ يوميًا... ومحلّه جارٌ للمسجد.
- طبيب يظلم ويهين... ويُصلي في الصف الأول.
- مدير يصرخ، يُذلّ الموظفين... ثم يرفع الأذان في الحيّ بفخر.
- بعض أئمة المساجد... لا يُسلّم عليك إن لم تكن من جماعته!

فهل هذا هو الدين؟ هل بعث الله محمدًا ﷺ ليُزيّن الجدران؟أم ليُحيي الإنسان؟
النبي ﷺ لم يبدأ بالإعمار... بل بدأ بالإصلاح.

لم يُنشئ مسجدًا ثم يترك القلوب خاوية،

بل ملأ القلوب أولًا... ثم بنى جدرانًا تليق بها.

فما نفع مسجدٍ من ذهب... إن خرج منه قلبٌ من حجر؟

وما قيمة مئذنةٍ تعلو في السماء... إن كان خلقنا يهبط في الأرض؟

"عمارة المساجد" ليست أعظم من "عمارة النفوس!":

قال الله تعالى:﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ**﴾

لكن من الذي يرفعها حقًّا؟ من يعلو بها في السَّماء؟

أهو من يرصّ الحجارة... أم من يبني فيها الروح؟

إنَّ المسجد لا تُعظّمه الزخارف، بل يُعظّمه من يُصلّي فيه بقلبٍ ساجد،

من يذكر الله لا بلسانه فقط... بل بأخلاقه في السوق، ورحمته في البيت، وعدله في التعامل.

النبي ﷺ لم يقل: "أقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أكثرُكم بناءً للمساجد".

بل قال: "أحاسنكم أخلاقًا".

فالذي يعمُر المسجد حقًّا... هو من يُقيم فيه الصلاة بخشوع،

ويخرج منه لينشر النور في الحياة، ويكون في الناس مرآةً لما يُقال في المحراب.

فيا من تبني الجدران... لا تنسَ أن تبني الإنسان،

فما نفع مسجدٍ تعلو مئذنته... إذا كانت قلوب أهله خالية من النور؟

حين تختلط النيّة بالعُرف... تضيع العبادة في الزينة!

نعم، هناك مساجد بُنِيَت لله... لكن هناك أيضًا مساجد بُنِيَت لأجل الناس!

لا لتُرفع فيها كلمة الله... بل ليرتفع اسم فلان!

- اسم العائلة فوق المدخل،

- صوره تتصدّر المجلات واللافتات،
- وربما يغضب ويحتدّ... إن نسي الإمام أن يذكر اسمه في دعاء القنوت!

فأيّ عمارةٍ هذه؟ وأيّ روحٍ بقيت في بنيانٍ

قُدّم فيه الاسم الشخصي على اسم الله تعالى؟

هل نسي الناس أنَّ الله تعالى قال:

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾؟

فكيف نُعلّق على أبوابها أسماءنا، ونُهندس فيها مجدنا...

أكثر مما نُهندس فيها طهارة القلوب؟...

المسجد لا يُقاس بجمال رخامه،...

بل بصدق النية التي وضع حجره الأول لأجلها.

فإن اختلطت النية بالعُرف، وضاعت "وجهة الله" في زحمة "الصور"،

" فقد عُمِّر المسجد من الخارج... وهُدم من الداخل "

المغالطة الكبرى:

أن نظن أنَّ كثرة المساجد تعني كثرة الإيمان.

لكن الحقيقة التي نخجل من مواجهتها هي:

الدين ليس في عدد المساجد...

بل في عدد القلوب التي تحوّلت إلى نور، يشبه كلام الله، ويعكسه في الأرض.

الإسلام لا يسكن في الجدران، بل يسكن في الضمير...

الضمير الذي يمنعك من أن تسرق وأنت ساجد،

أن تظلم وأنت في ركوع، أن تغتاب وأنت تُمسك بالمسبحة.

الدين الحقّ... هو أن تخرج من المسجد أقرب إلى الناس، لا أشدّ عليهم،

أن تصير صلاة الجماعة تربية جماعية على الأخلاق، لا مجرد اصطفاف أجساد.

فما نفع السجود... إذا بقي القلب ساجدًا لهواه؟

المقياس الحقيقي... ليس كما يُروَّج، بل كما يُوزَن عند الله:

- ◀ ليس السؤال: "كم مسجدًا بنينا؟"، بل:"كم قلبًا رمّمنا؟ وكم يتيمًا رحمنا؟"..
- ◀ ليس: "كم ختمةً أتممنا؟"، بل:"كم نفسًا هدينا بلُطفنا، لا بلُغتنا فقط؟"..
- ◀ ليس: "كم درسًا ألقينا؟ وكم خطبةً ارتفعت؟"، بل" :كم جارًا شعر بأننا رحمةٌ تمشي في حيّه، لا عبئًا يُثقل عليه؟"..

فالدين ليس ضوءًا في المئذنة... بل نورًا في الضمير.

والقرب من الله... لا يُقاس بعدد الركعات،

بل بعدد المرات التي امتنعنا فيها عن أذى أحدهم لأنَّ الله تعالى يرانا.

فإن أردت أن تُقاس عند الله... فانظر لا إلى موضعك في المسجد،

بل إلى أثر صلاتك حين تخرج منه.

الرسالة الجوهرية من هذا الفصل:

- ◀ ما فائدة سجادة فاخرة ...إذا كان فوقها قلبٌ قاسٍ لا يعرف الرحمة؟
- ◀ ما فائدة مئذنةٍ تعلو في السماء ...إذا كانت قيم الدين تهبط في الأرض؟
- ◀ ما فائدة دعوةٍ تُقال على المنابر... ولا تمشي على قدمين في السوق، والبيت، والمستشفى، والشارع؟..

ابنِ مسجدًا... لكن لا تنسَ أن تبني نفسك.

ازرع الآيات في الجدران... لكن ازرعها أولًا في سلوكك.

اجعل المسجد من رخام إن أردت،

لكن اجعل قلبك من خشوعٍ يُشبه أولياء الله.

فالله تعالى لا ينظر إلى زخرفة البناء،

بل إلى القلوب التي تسجد له بصدق، وتحمل نوره إلى الناس دون ضجيج.

" الدين لا يُقاس بعرض السجادة... بل بعمق السجود "

الفصل الحادي عشر: لماذا يُبهرهم الإسلام... ويُخيفهم المسلمون؟

حين يكون القرآن منارةً... ولكن تصرفاتنا ظلٌّ يُخيف!

بين جمال النصّ... وقُبح التمثيل!

في أحد المعارض المخصصة للتعريف بالإسلام في أوروبا،

وقفت فتاة غير مسلمة أمام آيةٍ تتلألأ على لوحة أنيقة:

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾

تأملت... قرأت... ثم همست بكلماتها البريئة الصادمة:

"هذا أجمل دين قرأته... لكنني لا أراه في المسلمين من حولي"!

عندها بكى الداعية الواقف... لا لأنها سبَّت الإسلام، بل لأنها لم تفعل!

هي لم تذمّ الدين... بل زفّت إلينا مرثيةً مهذبةً للتمثيل الرديء.

لقد أبهرها الخطاب الإلهي...

لكنها صُدمت بصوت من يُفترض أنهم يمثّلونه.

الإسلام يُبهر... لأنه نور الله:

يُدهشهم دون أن يحتاج إلى إكراه، يأسرهم دون دعاية أو ضجيج،

لأنه ينبض في أعماقه بحكمة الوحي وروح الرحمة التي افتقدها العالم.

- تُبهرهم رحمة مُحمَّد ﷺ الذي بكى على من لم يعرفه،

- ويُبهرهم حِلم الصحابة الذين فتحوا القلوب قبل المدن،
- وتُبهرهم مساواة الإسلام بين الأبيض والأسود، والسيد والعبد،
- وتُبهرهم كرامة المرأة في هذا الدين،
- وعفافه في المال،
- ونظافته في الطعام، واللباس، والنفس.
- يُبهرهم عدل عمر الذي خاف أن تُحاسبه شاة في العراق..

نعم... الإسلام حين يُقرأ في نصّه، يُدهش العقول، ويوقظ القلوب.

لكن المشكلة تبدأ... حين يرون من يُفترض أنه مسلمًا:

- يسرق بلا خجل،
- أو يظلم بلا رحمة،
- أو يحتقر المرأة باسم الغَيرة،
- أو يصرخ في الشارع بلا خُلق،
- أو يكذب على لسان الدين ليُغطي نقصه بالسُّنّة!

هنا يرتجف السؤال في قلوبهم:

" أهذا هو الدين الذي قرأناه؟

أم أنَّ ما نراه... لا يُشبه ما سمعناه؟! "

قصص حقيقية... تُبكي القلب قبل العين:

- شاب ألماني... قرأ سورة "الرحمن "وحده، دون أن يُملي عليه أحد كيف يشعر... فبكى، ثم همس: "كأنَّ هذا الخطاب لقلبي... لا لأذني".
  لكن حين التقى بجماعةٍ تُشدّد وتُخيف وتُفرّق، قال بمرارة: "أحببت الله... لكن خفت من عباده"!..
- طالبة كورية... قرأت عن الصيام، عن الجوع الذي يُربّي الرحمة، عن الصبر

الذي يُطهّر النفس، عن السماء التي تُفتح كل فجر... فقالت بتأثر: "كم أتوق لهذا العمق الروحي"! ثم رأت في رمضان مشاهد الصراخ، والغضب، وقلّة الخُلق... فقالت بصدمة: "أهذا صيام؟ أم مجرّد امتناع عن الطعام؟"!..

- رجل أمريكي... كان يسأل بصدق لا بخبث: "لماذا لا يبتسم المسلمون في الشارع؟ لماذا تبدو وجوههم دائمًا غاضبة؟"! فأجبناه: " لأنهم نسوا أن نبيّهم قال: تبسّمك في وجه أخيك صدقة "..

هذه القصص ليست هجومية... بل نداء مؤلم.

فالعالم عطشان للإسلام... لكنه لا يثق بالماء حين يأتي في إناءٍ مُتّسخ!..

الفجوة الأخطر... حين يفصل الناس بين "الإسلام" و"المسلمين!":

القرآن الكريم:

- نورٌ يبدد ظلام الجهل...
- عدلٌ يُنصف الضعيف...
- محبةٌ تهدي القلب...
- إصلاحٌ يرفع الإنسانية.

والواقع عند بعض المسلمين؟

- تشددٌ لا يشبه الرحمة.
- تكفيرٌ يُقصي ولا يهدي.
- ازدواجيةٌ بين العبادة والسلوك.
- كِبرٌ يتستّر بثياب الدين.

فما النتيجة؟

أن يقول غير المسلم – وبصوتٍ مخنوق بالألم:

" أحببت الإسلام... لكنني خفت ممن يرفعون رايته! "

هذه الفجوة لا يسدّها شرح، بل سلوك.

ولا تُعالجها محاضرات، بل نماذج حقيقية تمشي على الأرض.

المغالطة الكبرى...

أن نظنّ أن الدعوة إلى الإسلام تبدأ من المنبر، ولا ندرك أنها تبدأ من السلوك.

ليست الكلمات وحدها هي التي تُقنع الناس،

بل النظرة الصادقة... والمعاملة النزيهة... والابتسامة الرَّحيمة..

هي التي تُنبت في قلب غير المسلم سؤالًا:

"ما هذا النور الذي فيك؟ أهو من دينك؟"

إن أعظم دعوة إلى الإسلام... ليست خطبة، ولا كتابًا،

"بل إنسانًا يعيش الإسلام بصدق... دون أن يقول حرفًا! "

نداء أخير...

كفانا أن نطلب من العالم أن يُنصف الإسلام، بينما نحن أول من ظلمه بتصرفاتنا!..

كفانا أن نغضب من الإعلام... ونحن من قدّم له المادة لتشويه هذا الدين العظيم!..

لا ترفع صوتك بالدعوة... إن كنت لا ترفع قلبك بالخلق.

ولا تُحدّث الناس عن الإسلام... قبل أن تُريهم مَن هو "المسلم!"

لأنك حين تكذب، وتظلم، وتُهين... فأنت لا تُسيء إلى نفسك فقط...

بل تضع طعنةً في ظهر هذا الدين العظيم!..

"فاحذر لعلّك تحجب عن قلبٍ صادقٍ نورَ الإسلام إلى الأبد "

الفصل الثاني عشر: هل نحن مستعدون لأسئلتهم الصادقة؟

حين يسألون بصدق... فنعجز عن الجواب!

سؤال بريء... لكنه يهزّنا من الداخل!

ليس لأنَّ فيه هجومًا... بل لأنه يُعرّي الجهل المستتر خلف الكلمات المحفوظة.

يسألك أحدهم، بهدوء وصدق:

- لماذا تصومون؟
- لماذا تتزوجون أكثر من واحدة؟
- لماذا تحرّمون الخمر؟
- لماذا تُغطي المرأة شعرها؟
- لماذا لا يرث الذكر والأنثى بالتساوي دائمًا؟
- لماذا نؤمن أن محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء؟
- وهل الجنة حكر على المسلمين وحدهم؟
- لماذا تصلّون خمس مرات؟

أسئلة بسيطة... لكنها تفتح أبوابًا عميقة.

أسئلة لا تبحث عن "فتوى" سريعة، بل عن معنى يُقنع العقل، ويُطمئن القلب، لكن الكارثة... أن كثيرًا منّا يُجيب دون علم، أو يغضب من السؤال، أو يردّ بردود جامدة كأنها أوامر عسكرية، لا دعوة ربّانية.

في تلك اللحظة... لا يُحاكم الناس الدين، بل يُحاكموننا نحن!

نحن الذين ادّعينا تمثيله... فلم نحسن شرحه، ولا جسّدنا نوره.

فيا من تحمل رسالة الإسلام...

اعلم أن السؤال الصادق... لا يجوز أن يُجاب بجفاء.

وأن من لا يعرف كيف يُجيب... لا يحق له أن يُمثّل هذا الدين أمام العالم.

" فالناس لا تهرب من الإسلام... بل تهرب من جهلنا به "

فجوة الوعي... التي وسّعناها بأنفسنا!

حين يسأل غير المسلم عن الإسلام... فهو لا يسخر.

بل يبحث، يتلمّس، يتأمل، يريد أن يفهم.

لكن ما الذي يجده أمامه؟

- مسلمًا يُحرَج وكأنه اكتُشف في لحظة ضعف.
- وآخر يتهرّب... كأنَّ الجواب سِرٌّ محظور.
- وثالثًا يردّ بوجهٍ عبوس، وصوتٍ غاضب، وكأنَّ السؤال خيانة.

وهكذا... يضيع السؤال، ويضيع الجواب، ويضيع الطريق إلى الله.

أما الخلل الحقيقي...

فليس في السؤال، بل في الجاهل الذي تصدّر للجواب.

فهل نعرف ديننا كما نحبه؟

أم فقط كما ورثناه، دون أن نفهمه، ونعيه، ونذوق حقيقته؟

حين نُسيء الترجمة... يضيع المعنى!

لسنا مجرّد دعاةٍ للإسلام... بل نحن "مترجمون" عنه،

نُقدّمه إلى العالم بلغات غير منطوقة: لغة الخُلق، والحكمة، والرُقيّ.

ولكن...

- هل نُحسن ترجمة جماله الهادئ؟
- هل نظهر عُمق الرحمة الكامن خلف أحكامه؟
- هل نقدّم نور الهداية قبل قائمة التحريم؟
- وهل نُدرك أن بعض أسئلتهم... ليست رفضًا، بل رجاءً صامتًا للطمأنينة؟

" إن أعظم ما يُشوّه الدين ليس أعداؤه، بل مُحبّوه الذين أساؤوا ترجمته! "

كيف نُجيب... دون أن نُغلق الباب؟

حين يسألنا غير المسلم عن ديننا،
فليس المطلوب أن نُجهِز عليه بفيض من الحفظ الجاف،
بل أن نفتح له نافذة على الحكمة، ونأخذ بيده نحو الرحمة.

- نُجيب بفهمٍ حيّ لا بجمود الحفظ.
- بلغةٍ تطرق قلبه... لا فقط عقول المتدينين.
- بأسلوبٍ فيه احترام الباحث... لا احتقار الجاهل.
- بتدرّجٍ يراعي الحال، ويشبه تدرّج الوحي... لا صدمةٍ جارفة للمفاهيم.
- نُجيب بوضوحٍ يُنير... لا بغموضٍ يُعقّد ويُنفر.

فالسائل لا يريد أن تُغلق عليه أبواب السَّماء...
بل أن تدلّه على مفتاحها، بهدوءٍ، ومحبةٍ، ونور.

أمثلة تطبيقية: هكذا نُجيب بعقلٍ وقلب:

◄ لماذا تعدد الزوجات؟

نقول: ليس التعدد عبثًا ولا شهوةً سائبة، بل هو منظومة تضبطها شروط صارمة: العدل، القدرة، وحاجة الواقع.

في زمنٍ قد يموت فيه آلاف الرجال في الحروب... من يحفظ الأرامل؟ من يضمن للأيتام دفءَ الأسرة؟.

التعدد ليس فريضة... بل رخصة استثنائية لحالات استثنائية، وهو ليس إهانةً للمرأة... بل حمايةٌ لها في ظرفٍ قد يتجاهله القانون، ويُراعيه الإسلام.

◄ لماذا لا تشربون الخمر؟

لأنَّ أعظم ما يملكه الإنسان ...وعيه.

والخمر يُذهب هذا الوعي، ويُطفئ نور الضمير،

فأي حريةٍ تلك التي تبدأ بكأس، وتنتهي بسقوط الكرامة؟

الدين لا يمنع ليتسلّط... بل ليصونك من نفسك، ويحفظ لك نقاءك، وعقلك، وإنسانيتك.

◄ لماذا تصومون؟

لأننا نؤمن أنَّ الإنسان ليس جسدًا فقط... بل روحٌ تحتاج إلى تهذيب.

الصيام ليس "حرمانًا"، بل تحريرٌ للنفس من عبودية الشهوة.

هو تمرينٌ على الرحمة... حين تشعر بجوع الفقير،

وتدريبٌ على الإرادة... حين تقول للمباح: لا، لله.

المغالطة الخطيرة... ليست في الحكم، بل في طريقة عرضه!

حين يُسأل أحدهم عن أمرٍ شرعي،

فيكتفي بأن يُجيب بوجهٍ متجهّم، وصوتٍ حاد:

"هذا حُكم الله... ولا يحق لأحد الاعتراض"!

فكأنه أغلق باب الرحمة، وفتح باب النفور...

وكأنَّ الله جلّ جلاله، الذي قال عن نفسه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

يُريد من عباده أن يُبلغوا دينه وكأنه قيدٌ يُغلّ، لا نورٌ يُهتدى به!

نعم... نحن نُسلّم لحكم الله، ونعلم أنه الحق الذي لا ريب فيه،

لكننا لسنا مُكلّفين بالتلقين الأجوف، بل بالترجمة الحكيمة.

وظيفتنا ليست أن نُسكت السائل، بل أن نُشبع قلبه...

أن نكشف له الحكمة من وراء التشريع،

لا أن نلوّح له بسيف "التحريم" دون بيان.

فمن لم يعرف الله بعد... لا يُقنعه الأمر قبل أن يرى وجه الرحمة فيه، وعدالة المقصد من ورائه.

وما أحوجنا اليوم إلى من يُبيّن الدين كما أنزله الله...

لا كما شوّهته الانفعالات!..

الرسالة العميقة من هذا الفصل:

الدعوة إلى الله... ليست أن تطرق أبواب الناس،

بل أن تُحسن استقبالهم حين يطرقون بابك.

أن تكون عند السؤال حاضرًا... بالعلم لا بالارتجال، وبالرحمة لا بالحدّة، وبالصدق لا بالتقليد.

فكثيرٌ من القلوب لا تصدّ الأجوبة... لكنها تُغلق أبوابها أمام أسلوبٍ جافّ، أو جهلٍ مُتلبّس بثوب الدعوة.

فإياك أن تُخيّب قلبًا سأل بصدق...

فلعلّ كلمتك تكون هي النور الذي ظلّ يبحث عنه في ظلام الحيرة،

"ولعلّ لحظة صدق منك تفتح له بابًا إلى الله، ما وُفّق لبلوغه طوال عمره!"

الفصل الثالث عشر: "أنتم تكرهوننا"... هل هذا ما فهموه منّا؟

حين أصبحت دعوتنا... تُشعر الناس بأنهم مرفوضون لا محبوبون!

نظرة... قد تهدم ألف آية!

تخيّل أن غير مسلم يدخل متجرًا، أو يزور عيادة، أو يخطو إلى مسجدٍ مفتوح، أو يصغي لموعظةٍ في مكان عام... فماذا يرى؟

– وجوهًا متجهّمة...

– عيونًا تزنُه بالريبة...

– لهجةً خشنةً كأنها تحاكم لا ترحّب...

– وكلماتٍ باردة، تُشعره بالغربة أكثر من ألف حدود!

ثم يسمع آيةً تتردد في المكان: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

فيتساءل بقلبه المرتجف:

"أين هذه الأخوة؟ أين هذا النور؟ لماذا لا أرى فيهم سوى الحذر، والجفاء، والحكم المسبق؟"!

لقد ظنّ أنه سيجد وجوهًا تبتسم كأنها بوابات إلى الرحمة...

فإذا به يصطدم بجدرانٍ من الجمود، تُغلّف الدين، وتُغلق الطريق.

فإياك أن تظن أن الدعوة تبدأ بالكلام...

إنها تبدأ بنظرة، بلهجة، بمشاعر صامتة تنطق باسم الرَّحمن...

فكم من نفسٍ نَفَرت من الدين، لا بسبب النص... بل بسبب ملامح من يقرأه!

الخلط الكارثي بين الولاء... والغلظة!

نعم، نحن نؤمن بالولاء لله، ولرسوله، وللمؤمنين...

لكننا غالبًا ننسى أن هذا الولاء لا يُترجم بالبُغض الأعمى، ولا بالكراهية الفجّة، ولا بانغلاق القلب على الناس!

فالولاء لله... لا يعني العداء للناس.

بل يعني أن نملأ قلوبنا حبًا لله... ثم نفيض عدلًا ورحمةً في التعامل مع خلقه.

فالذي يفهم الولاء على أنه قطيعة مع العالم... قد خان رسالة مَن أُرسل رحمةً للعالمين.

ليس من الدين أن تُشعِر غير المسلم أنه دخيل على الإنسانية،
ولا أن تزرع في ملامحك احتقارًا لمجرّد أنه ليس على مِلّتك،
ولا أن تحرمه من المساعدة، أو تتجاهل ألمَه، أو تردّ سؤاله بجفاء.

الولاء ليس كراهية... بل نقاء في الانتماء، وعدل في الشهادة.

وقد قال الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾

رحمةً... لا حصر فيها لجنسية، ولا تمييز فيها على أساس المعتقد،
رحمةً تسع العالم... فهل وسِعَتْها قلوبنا؟

رسائل غير منطوقة... لكنها تجرح كالسَّكاكين!

ليس كل الجراح تُقال بالكلمات... فهناك نظراتٌ تفضح ما لا ينطقه اللسان، وإشاراتٌ صامتة... تشي بنفورٍ لا يُخفى!

- حين يرى غير المسلم أننا نبتعد عنه في مقعد الحافلة، وكأنه لا يستحق القرب...
- أو نُعرض عن تحيته، وكأنَّ قلبه لا يستحق السلام...
- أو نُشعره أن وجوده بيننا "طارئ" و"مشبوه"... وأنه تحت المجهر لا تحت

الرحمة... فهل نلومه بعد ذلك إن شعر أننا نكرهه؟

هل نعجب إن ابتعد عن دينٍ لم يرَ فيه إلا الجفاء؟..

إنَّ الدعوة الحقيقية ليست نصوصًا نُلقيها... بل صدورًا نفتحها.

والنبي ﷺ ما جذب الناس إليه بحدّة، ولا بنظرات استعلاء...

بل بكلمة طيّبة، وبشاشة وجه، ورحمةٍ تمشي على الأرض.

فهل نحن على خُطاه... أم على ردٍّ لا يُقال، لكنه يُنفِّر؟

وهل نحن فعلاً نُبلّغ الإسلام... أم نُبعد الناس عنه ونحن لا نشعر؟

بين نداء العقيدة... وخلق الرحمة:

نحن أبناء عقيدةٍ لا تتلوّن... عقيدةٌ تؤمن بوحيٍ لا يتبدّل،

وتُوالي دينًا من عند الله، لا من صنع الناس.

لكن... إيماننا لا يمنع إنسانيتنا.

ووضوح ولائنا لله... لا يعني أن نظلم خلقه، ولا أن نبغض من جهلنا حالهم،

أو لم يعرفوا بعد نور الوحي.

نحن نكره الكفر... لا الكافرين،

نكره الباطل... لا كل من وقع فيه،

نبغض المعصية... لكننا نرحم العاصي الذي لا يزال باب التوبة مفتوحًا له.

أما الدليل؟ فانظر إلى من نزل عليه الوحي:

- قام لجنازة يهودي، فتعجّب الصحابة، فقال: "أليست نفسًا؟"
- زار غلامًا يهوديًا يحتضر، لا ليُقاضيه... بل ليدعوه إلى النجاة!
- جاره الذي آذاه... لم يُقابله بالإيذاء، بل بالحُسن حتى خجل الجار من نفسه.
- عبد الله بن أُبيّ، رأس المنافقين... لم يأمر بقتله، رغم نفاقه الظاهر، لأن

الحكمة كانت أن تُدرأ الفتنة.

– قريش التي كذّبته... ظلّ يدعوهم.
– ثقيف التي ضربته بالحجارة... رفع لها يديه: "اللهم اهدِ قومي، فإنهم لا يعلمون".

فمن نحن بعد هذا؟ وأين نحن من نبيٍّ خاطبه الله بقوله:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾؟

ديننا لا يُختزل في أحكام الولاء والبراء، بل يتجلّى في الرحمة المهداة...

فإذا كان قلبك قد امتلأ بحُبّ الله... فلا تجعله ضيّقًا عن عباده!

سؤال بسيط... لكنه كالسهم، يخترق جدار الغفلة، ويضعنا أمام مرآة مؤلمة:

"إذا كنتم تكرهوننا... فكيف تريدوننا أن نُحب دينكم؟"

سؤال لا يُوجَّه لعقيدتنا، بل لأخلاقنا.

لا يطعن في القرآن... بل في طريقة حملنا له.

لا يشكك في النور... بل في الظلال التي أسقطناها عليه حين مررناه من خلال قلوبٍ مُظلمة، ووجوهٍ عابسة، وكلماتٍ مشحونة بالكراهية لا بالمحبة.

إن هذا السؤال لا يحتاج فتوى... بل يحتاج قلبًا.

فالدين الذي تدعو إليه... إن لم يُزهِر رحمةً فيك،

فلن يُثمر إيمانًا في قلب غيرك.

فهل فهمنا الآن قول الله تعالى:

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾؟

وهل نجرؤ بعد الآن على أن نكون سببًا في أن يُصدّ الناس عن الله...

لا عنه، بل عن أخلاق من يُمثّله؟..

الرسالة القلبية من هذا الفصل:

الدعوة إلى الله لا تبدأ ببيان العقيدة...

بل تبدأ حين يشعر غير المسلم أنك لا تحتقره،

وأنك لا تراه خصمًا... بل إنسانًا ضلّ الطريق وتستبقيه للنور.

الدعوة لا تُفتَح بالكلمات...

بل تُغلَق بالنظرات الجافة، إن لم تُصَحَّح بنور القلب.

فليس أعظم من أن يرى فيك غير المسلم شيئًا من رحمة نبيّك ﷺ...

ولا أوجع من أن يرى فيك نقيض ما جاء به هذا النبي العظيم.

واعلم... ربّ نظرة واحدة منك، تكون مفتاحًا لقلبٍ يبحث،

أو تكون قيدًا يُبعِده عن الله لعمرٍ كامل!

فهل نحن "مفاتيح هداية"... أم "أقفال صدّ"؟

سؤال لا يحتاج إجابة... بل دمعة، واستغفار، وبدء جديد.

الفصل الرابع عشر: هل الإسلام خاصٌ بالعرب؟

حين نُسقط القومية على الدين... فينكمش الدين بدل أن يحتضن العالم!

دينٌ نزل في أرض العرب... لكنه ما نزل للعرب وحدهم!

نزل الوحي بلغة العرب، واختار الله نبيًّا من أشرف قبائلهم،

لكن الرسالة ما كانت حكرًا على قبيلة، ولا وطن، ولا عِرق.

لم يقل الله: "وما أرسلناك إلَّا رحمةً للعرب"،

بل قال بوضوحٍ يُلغي كل تعصّب:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]..

فالإسلام ليس هُوية عِرقية، ولا تميّزًا قوميًّا،
الإسلام لا يخاطب قومًا دون قوم، ولا جنسًا دون جنس،
بل يخاطب "الإنسان" بما هو إنسان...
بلا اعتبار للون بشرته، ولا لاسم بلده، ولا لسطر نسبه.
ويا ويحَ من حوَّل دينَ الرَّحمة إلى عصبية قومٍ،
أو ظنّ أنَّ القُرب من الكعبة... يُغني عن تقوى القلب.

المغالطة الكبرى: حين نحصر الإسلام في الجغرافيا والعرق!

عند كثير من غير المسلمين اليوم، بل وحتى بعض المسلمين الجدد،
تتشكل فكرة خفية... لكنها مرعبة في أثرها:
"الإسلام دينٌ شرقي، عربي، يرتبط بلغةٍ وقومٍ وتقاليد محددة...
وأنا لستُ منهم، إذن هو لا يعنيني".
وهنا الكارثة...
حين نختزل أعظم رسالة عالمية في هوية محلية،
وحين نُظهر الإسلام وكأنه ثقافة شعب، لا هُدىً للعالم!
إن أعظم ما في الإسلام أنه دينٌ لا يتطلب منك أن تصبح عربيًا، أو تُغيّر لونك، أو تنتمي لقبيلة، بل فقط... أن تُسلِم قلبك لله، وتعيش بصدق مع الحق، وتُحسن للناس كما أوصى نبيّ الرحمة ﷺ.
فالله تعالى ما أنزل الإسلام ليعزّ العرب فقط،
بل ليُخرج الناس كلهم... من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد،
ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام،
ومن ضيق الدنيا... إلى سعة الآخرة.

السبب؟ نحن... بكل أسف!

نحن الذين غلّفنا الدين بلون واحد، ولهجة واحدة،

وهوية ضيّقة لا تُشبه سعة الرسالة.

- جعلناه "ماركة عربية" بدل أن يكون نورًا عالميًا.
- قدّمناه كـ"فكر قومي" بدل أن يكون وحيًا سماويًا يخاطب الفطرة.
- حصرناه في العادات الشرقية، ونَسينا أنه جاء من ربّ العالمين... للعالمين.

نتكلم عن الإسلام بلهجة القومية، لا بلغة التوحيد.

نُخصِّص المنابر لأبناء العروبة، وكأنَّ غير العربي لا يُؤتمن على القرآن!

وحين يدخل غير العربي إلى الدين... نُشعره – بغير وعي – أنه "ضيف شرف" على مائدة الوحي، وكأنَّ الفضل في الإسلام لنا... لا لله!

فهل نسيْنا أنَّ أول من صدح بالأذان كان بلال الحبشيّ؟

وأن صاحب الخندق، والفكرة العسكرية التي أنقذت المدينة، كان سلمان الفارسيّ؟..

وأن من سبق إلى الجنة بماله وهجرته، رغم كونه روميًّا، هو صهيب الروميّ؟

وقد قال عنه ﷺ:"سَبَقَكُم صُهَيْبٌ بِالْجَنَّة".

إننا لم نُقصّر فقط في الدعوة... بل في الترجمة،

في الاحتواء، في الفهم العميق لمعنى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

" فالإسلام لمن صدق لا لمن سبق "

حين تُصبح "الهوية العربية" شرطًا غير معلن للدخول في الإسلام...

فقد حوّلنا الدين من رسالة الله إلى "نادي انتماء"،

وجعلنا من العروبة تأشيرة دخولٍ إلى رحمةٍ نزلت للعالمين!

نغفل بذلك عن الحقيقة الجليّة:

أنَّ الإسلام ما نزل ليُعلي عِرقًا، بل ليُطهّر الأرواح،
ويُوحّد القلوب على معرفة الله.
نُشوّه عالميته حين نحصره في لغتنا، وتقاليدنا، ولباسنا، وطريقتنا في التعبير.
ونَرجع به قرونًا إلى الوراء...
حين كان الناس يعبدون الآلهة بحسب القبيلة واللغة!
إن أعظم خيانة لعالمية هذا الدين،
أن نُشعر غير العربي بأنه في "الدرجة الثانية" من الإيمان،
وأن نُكلّمه بلغة التعالي لا بلغة الاحتواء،
ونسينا أن النبي العربيّ قالها في أوضح بيان:

" لا فضل لعربي على أعجمي... إلا بالتقوى "

كيف نُعيد فتح بوابة الإسلام لكل العالم؟

بأن نخلع "النظارات الضيقة" التي حوّلت الإسلام إلى هوية محلية،
ونعود إلى وسع الوحي... حيث الله ربّ العالمين، لا ربّ العرب فقط.
نُعيد فتح البوابة حين:
نُركّز على القيم الكونية الخالدة التي جاء بها الإسلام:

- العدل الذي لا يُفرّق،
- الرحمة التي لا تُقيّد بجنسية،
- الحرية التي تُنقذ الروح،
- الكرامة التي لا تميّز بين ألوان البشر،
- والتوحيد الذي يُوحّد القلوب تحت ظلّ الله الواحد.

نُظهر أن العربية لغة الرسالة... لا شرط الدخول إليها.
هي وعاءٌ شريف، لكنها ليست قيدًا على الفهم،

ومن أراد الله تعالى... بلغه اللهُ بلغته.
نحترم الثقافات ما دامت لا تصادم التوحيد،
ونحتفي بالتنوع، بدلًا من محاربته.
فما جعل الله الناس شعوبًا وقبائل إلَّا ليتعارفوا... لا ليتخاصموا!
حينئذٍ فقط... لن يعود الإسلام "دين قوم"،
" بل سيعود كما بدأ: رحمةً للعالمين "

الرسالة العظمى من هذا الفصل:

الإسلام لم يُبعث للعرب وحدهم، ولا خُتم في صحراء الشرق...
بل هو نداء السماء لكل قلب في الأرض.
دينٌ ربانيّ... لا قوميّ، عالميّ... لا إقليميّ
وحيٌ يُنقذ البشرية، لا ثقافة تُعبّر عن فئة.
فإذا حوّله المسلمون إلى هوية مغلقة،
أو حبسوه داخل جدران اللغة والعرق والعادات...
فقد خانوا شموليته، وضيّعوا أمانته، وأغلقوا أبواب نجاته أمام العالم.
وما أتعس أمةً... تملك النور، لكنها تضعه تحت الطاولة،
في وقتٍ يبحث فيه العالم عن بصيص أمل!
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾... لا تنسوها أبدًا.

الفصل الخامس عشر: حين يتفوّق علينا غير المسلم... في الصدق والرحمة والانضباط!

ويسألنا بمرارة: "أين ذهب دينكم؟"

الصدمة التي يواجهها غير المسلم... حين يعرف حقيقة الإسلام!

يعيش في بلدٍ غير مسلم... فيجد احترام الوقت فرضًا،
والابتسامة خُلقًا عامًا، والنظافة واجبًا وطنيًا، والصدق عُرفًا لا يُناقش،
وإتقان العمل شرفًا يُفتخر به... ثم يرى "مسلمًا" يكذب في حديثه،
ويغشّ في بيعه، ويُهمل ما وُكِّلَ إليه، ويصرخ في وجه من يخالفه،
ويتأخر عن مواعيده، ويُكثر الكلام عن الدين...
لكنه يقلّ في سلوكه كل ما يُثبت هذا الدين!
ثم يُقال له: هذا المسلم... "يصلي ويصوم ويحج"!
فيضرب كفًا بكف، ويسأل نفسه بصدق:
"لو كان الإسلام حقًّا... لماذا لا أراه في وجوههم؟
لماذا لا أشمّ عبيره في أفعالهم؟ "....
هنا الصدمة الكبرى...

- حين يُبهره النص، ويُنفّره الناطق به.
- حين يُعجبه القرآن... لكن ينفر من "القرّاء".
- حين يشعر أنَّ الجمال الذي قرأه في الإسلام... لم يره يمشي على الأرض بعد.

وهنا نخسر الدعوة...لا لأن الإسلام ناقص، بل لأن الترجمة كانت فاسدة!

قال أحدهم بمرارة... لكنها كانت مرآةً تكشف العيب الخفيّ:

"كنّا نظن أنكم أنتم المتأخرون... حتى قرأنا قرآنكم،

فعرفنا أن المشكلة ليست في الإسلام... بل فيكم أنتم"!

كلماتٌ كالسِّياط...

لا تطعن الإسلام، بل تطعن من فشلوا في تجسيده،

- من جعلوا الإسلام كتابًا يُزيّن الرفوف... لا سلوكًا يُبهج القلوب،
- من حفظوا النصوص... وضيّعوا النفوس،
- من علت أصواتهم بالدَّعوة... لكن سكتت أفعالهم عن الترجمة.

فالخسارة ليست أن لا يعرف الناس الإسلام،

بل أن يعرفوه من خلالنا... ثم ينفروا منه بسببنا!

والمطلوب؟ أن نكون نحن "النسخة المقروءة" من القرآن...

أن يروا فينا صدق النبي، ورحمة الشريعة، ونور الإيمان...

فإن فشلنا في ذلك، فلن تُجدي آلاف المحاضرات ولا المجلدات ولا المنصات.

وهنا مكمن الألم العميق...

نحن نظن – واهمين – أن التميّز في المظهر الخارجي، وفي الطقوس التعبدية، وفي الهوية الظاهرة...

كافٍ لتمثيل الدين، بل للدعوة إليه!

لكن غير المسلم لا يقرأ آيةً من كتاب الله قبل أن يقرأ سلوكك اليومي.

هو لا يعرف "البخاري" و"مسلم..."

لكنه يعرف...

- كيف تعاملتَ مع العامل البسيط في محلك،
- كيف نظّفتَ مكانك في الحديقة،

- كيف رددتَ على من أساء إليك،
- كيف وقفتَ عند الإشارة،
- وكيف اعتذرتَ حين أخطأت.

هو لا علاقة له بخطبة الجمعة، بل ينتظر أن يرى الرحمة في ردّك،
لا يسمع فقط كلماتك، بل يُنصت لـ أمانتك في البيع،
لا يسألك عن عقيدتك، بل يُراقب لطفك في الخصام،
ولا يبحث عن دينك في ملامحك... بل في مروءتك حين تختلف المصالح.

" فالناس اليوم... لا يؤمنون بـ"ما نعرفه" حتى يروا "من نحن في الحقيقة! "

بل إنهم – ويا للأسى – يتعلّمون من سلوكنا كيف لا يكون المسلم!

حين يرى غير المسلم:

- موظفًا مسلمًا يُساوِم على الرشوة،
- أو طبيبًا مسلمًا يُهمِل الألم ويُقدّم المال،
- أو معلّمًا مُسلمًا يُذلّ الطالب لا يُربّيه...

فإنه لا يكتفي أن يقول:"هذا إنسان سيء"، بل تنغرس في ذهنه فكرةٌ أخطر:
"دين هذا الإنسان لم يُغيّره للأفضل... فكيف أُصدّق أنه حق؟"!
وهنا الكارثة! فالعالَم لا يفصل بين المسلم ودينه،
ولا يُفرّق بين الأخلاق الفردية والمبادئ العقائدية...

" فإذا فشلنا في التمثيل، فقد فشلنا – دون أن ندري – في التبليغ! "

وهنا يبرز السؤال المفصلي... السؤال الذي لا يجوز أن نتهرّب منه:

- هل دعوتنا إلى الإسلام تقوم على إقناع العقل... أم على صدم الواقع؟
- هل نبني خطابنا على جمال الفكرة... أم ننسفه بقبح الممارسة؟

- هل نحن في عيون الناس: صورة تُبهِر وتُضيء الطريق... أم مجرّد مظهرٍ يُنفِّر، ويجعلهم يفرّون من النور قبل أن يروه؟.

إننا اليوم لا نُحاسَب فقط على ما نقوله، بل على ما نصير إليه بعد أن نقوله...

فإما أن نكون "دليلًا صادقًا على جمال الإسلام..."

أو "حاجزًا كثيفًا يُخفي نوره"!

الرسالة الأخيرة من هذا الفصل:

الإسلام لا يُقاس فقط بما نحفظه من نصوص، أو بما نردّده من شعارات... بل بما نُجسّده من رحمة، وما نُظهِره من صدق، وما نزرعه من أمل في قلوب الناس، فإن لم تستطع أن تكون قدوة تُحبّبهم بالله... فلا تكن سببًا في فتنتهم عنه! فأشدّ الناس وزرًا:

" من جعل غيره يكره النور... لأنه رآه في يدٍ لا تعرف الرَّحمة "

الفصل السادس عشر: لماذا لا نعتذر عن أخطائنا باسم الإسلام؟

حين نُخطئ... ثم نُكابر باسم الدِّين، فتضيع صورة الإسلام بين أيدينا!

متى كانت آخر مرة اعتذر فيها مسلمٌ باسم الإسلام؟

متى وقف أحدنا وقال:

"أنا آسف... لقد أسأت، وهذه الإساءة لا تُمثل ديني".

متى قدّمنا الاعتذار لا لنُبرّئ أنفسنا، بل لنُنقذ صورة ديننا من تصرفاتنا؟

- كم مرة جرحنا قلوبًا بريئة... ثم احتمينا وراء لحية أو لقب؟

- كم مرة أخطأنا في حق غير المسلم، فقلنا: "نحن نمثل الإسلام، ولا نُخطئ"!
- كم مرة كانت الدعوة قاسية والخطاب منفّرًا والأسلوب جارحًا؟ ثم لم نعتذر بل صمتنا، وكأننا فوق الخطأ!..

لكن الحقيقة؟

من يدّعي تمثيل الدين... عليه أن يكون أول من يعتذر إن أساء.

فليس العيب أن نُخطئ... بل أن نكابر باسم الله تعالى،

ونغلق باب الرحمة في وجه من تأذى.

الدين لا يُشوَّه من الخارج فقط...

" بل من الداخل، حين ننسى أن التواضع والصدق أعظم من كل المظاهر "

المشكلة الكبرى... ليست في أن نُخطئ:

فالخطأ طبيعة بشرية، والله غفورٌ رحيم.

لكن الكارثة تبدأ...

- حين نرفض الاعتذار،
- وحين نُلبس الخطأ ثوبَ الدين،
- وحين نُجمّل الغلظة باسم "الغيرة"،
- ونُبرّر القسوة باسم "الولاء"،
- ونرفض النقد وكأننا "معصومون"،

ثم نصرخ في وجه من يتألّم: "أنت لا تفهم! هذا من الدين"!

وهنا... لا يكون الجُرح فقط في القلوب، بل في صورة الإسلام أمام العالم.

توقف عن تبرير كل سلوكك باسم الله، فليس كل ما تفعل "دعوة"،

وليس كل ما تقول "حقًا"، ولا كل ما تراه "صوابًا".

الدين أعظم من أن نُقزّمه باجتهاداتنا، وأجمل من أن نُشوّهه بظننا أننا لا نُخطئ.

لكن الحقيقة الجلية التي نغفلها كثيرًا:

المسلم ليس معصومًا، ولا نبيًّا يُوحى إليه، ولا ملاكًا لا يخطئ.

بل هو إنسان... يُصيب ويُخطئ، يعلم ويجهل، ينسى ويتذكّر،

لكنّه – في كل حالاته – مطالبٌ بفضيلةٍ عظيمة تُحيي القلوب: الصدق.

والصدق... لا يعني أن نُظهر صلاتنا فقط،

بل أن نُظهر شجاعتنا في الاعتذار، وأن نقول لغير المسلم حين نُخطئ:

"أنا آسف... لقد أخطأت، وهذا الخطأ ليس من ديني، بل من تقصيري".

فأنت لا تُدافع عن الإسلام حين تُنكر خطأك،

بل تُدافع عنه حين تُبرز عدله... حتى على نفسك.

حين تُريهم أنَّ الدين لا يُبرّر الظلم، ولا يتغاضى عن الخطيئة،

" وأنَّ من صدق في تمثيله... صدّقه الناس في دعوته "

الاعتذار لا يُضعف الدِّين... بل يُعظّمه:

نعم... الاعتذار لا يُضعف الدِّين، بل يُظهر عظمته الإنسانية،

ورحمته الواقعية، وتجرده عن كِبر البشر.

فحين يرى غير المسلم داعيةً يقول بصدق:

- "لقد أخطأت في فهم هذا النص".
- "أسأت في تعبيري، وأنا أستغفر الله".
- "ما فعلته لا يُمثّل ديني... بل يُخالفه، وأستحي من الله أن أُلبسه ثوبي القاصر".

فهو لا يستهين بالإسلام، بل يُحبّه أكثر... لأنه يراه حيًّا... لا جامدًا، صادقًا... لا متعاليًا، دينًا يُهذّب النفس... لا يُغذّي الكِبر.

وما أجمل أن يرى الناس فينا دينًا يصلح الخطأ... لا يبرّره،

دينًا يُربّي العبد على الإخلاص، لا على الدفاع عن النفس ولو بالباطل.
فالصدق في الاعتراف، هو أول خطوة نحو الصدق في التمثيل.
ومن خاف أن "تسقط هيبته" حين يعتذر...
فليعلم أن الهيبة الحقيقية هي في نظر الله تعالى... لا في أعين الناس.

أما حين نكابر ونتعالى...

فنحن لا نحمي الدين، بل نُشوّهه دون أن نشعر!

- نُعطي صورة متعجرفة عن الإسلام، كأنه دين لا يُراجع نفسه، ولا يُقرّ بالخطأ..
- نُسكت صوت العدل، بحجة الدفاع عن المظهر والهيبة..
- وندفن جوهرة "الصدق"، تحت لافتة موهومة:"نحن لا نُنتقد... لأننا نمثّل الإسلام"!..

لكن الحقيقة المؤلمة:

- كلّما زاد الادّعاء... قلّ التأثير.
- وكلّما ازداد الصراخ في وجه النقد... خَفَتَ صوت الرَّحمة.

فلا أحد يُصدّق دينًا يُعلّم التواضع بينما دعاته يختنقون من كلمة "آسف".
ولا أحد يُفتَن بالإسلام، إذا كان المسلم أول من يفتري عليه بسلوكه!..

فوالله...

إنَّ جملة "أنا آسف" التي تُقال بخشوع القلب قبل نطق اللسان، أصدق عند الله، وأبلغ في الدعوة، من ألف محاضرةٍ تُملأ بالإنكار، والتبرير، والتمسّك بالصورة على حساب الحقيقة.
"أنا آسف" قد تُزيل غُصّة، وقد تُرجع ثقةً ضاعت، وقد تُعيد رسم ملامح

الإسلام في عقلٍ من كاد يهرب منه... لا لكراهته، بل لِما رآه فينا من تناقض.
فلا تحتقرها...

فربّ صدقٍ صغيرٍ يُقال في لحظةِ اعتذار،
خيرٌ عند الله، وعند الناس، من جدلٍ طويل يُقال بغير قلب.

الرسالة الكبرى من هذا الفصل:

الاعتذار... ليس ضعفًا، بل هو شهامةُ من يعرف قدر الحق،
وشجاعةُ من يرى في نفسه موطنًا للتقويم قبل أن يُقيم الدنيا على غيره.
إنّ الذي يعتذر وهو يحمل راية الإسلام، لا يُسقطها... بل يرفعها عاليًا،
لأن الدِّين الذي لا يُصلح أبناءه... لا يُقنع الغرباء عنه.
فوالله،
ما كان الإسلام في يومٍ دينَ تعالٍ... بل دينًا يُهذّب، ويُطهّر، ويُحيي القلوب بصدق، وندم، وجرأة على تصحيح الخطأ مهما كان مؤلمًا.
وهكذا... يُصبح الإسلام دعوةً نابضةً بالحياة، لا تكتفي بأن تقول "أنا على حق..." بل تُثبت ذلك بسلوكٍ...

" يعتذر إذا زلّ، ويعود إذا ضَلَّ، ويترفَّعُ عن الكِبر، لأنه يعرف رَبَّه "

الفصل السابع عشر: هل نحن أُمناء على الرسالة؟

حين نُدرك أن تمثيل الإسلام... ليس خيارًا، بل أمانة!

المعنى العميق لهذه الرسالة:

لم نختر نحن أن نكون ممثّلين للإسلام...

لكنّه قدر الله تعالى، والناس راقبونا، والهيئة الظاهرة حملتنا على أكتافها، فصارت نظراتهم إلينا... ترجمةً في أعينهم لهذا الدين.

وحين يرون سلوكنا في البيت، في السوق، في الموقف العصيب، فهم لا يقولون: "فلان فعل كذا..."

بل يقولون: "انظروا إلى الإسلام... ماذا يفعل أتباعه"!

- **فهل كنا أُمَنَاء على هذه الأمانة الثقيلة؟**
- **هل ترجمنا كلام الله برحمة؟**
- **هل جسَّدنا النور الذي أنزله الله علينا؟**

أم كنّا – دون أن نشعر – جدارًا يحجبهم... عن ربٍّ كان يمكن أن يحبّوه لو رَأوه فينا؟... فيا أيها الظاهرُ بالدين...

تذكّر: قد تكون أنت الإسلام الوحيد الذي سيراه بعضهم في حياته كلها! فلا تجعلهم يُخطئون فهم دين الله... بسببك.

الله تعالى قال لنبيّه ﷺ:

﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

يا الله... ما أعمقها... نعم،

- بالقرآن لا بالسَّيف،
- بالنور لا بالضجيج،
- بالحُسنى لا بالغِلظة،
- بالثبات لا بالصراخ.

"جهاد كبير"... لكنه لا يُريق دمًا، بل يُحيي قلوبًا.

جهادٌ بالحُجّة الواضحة، والصبر الجميل، والخلق النبويّ الذي إذا رأته العيون قالت: "هذا من عند الله"، لكن...

– هل نحن اليوم نحمل هذا القرآن بوجهٍ يُشبه نوره؟

– هل نحن نُجاهد بخلق النبي ﷺ؟

أم جعلنا الدِّين رايةً نُشهِرها في وجه الناس، دون أن نُشعرهم بنفَس الله فيها؟

كم من مسلم اليوم يتكلم باسم الحق... لكن يفتقر إلى الرَّحمة!

وكم من داعية يدعو إلى الله... لكن دون أن يشعر المدعو بأنَّ الله رحيم!

فيا من تُحب القرآن...

جاهد به كما أمر الله: لا بالصوت المرتفع، بل بالقدوة المرتفعة.

لا بالردّ القاسي، بل بالكلمة التي تُفتح بها قلوبٌ أغلقتها الصدمة.

القرآن جهاد...

لكنه لا يُحمل إلَّا على أكتافٍ طاهرة، وقلوبٍ صادقة، ونفوسٍ متواضعة.

فهل نكون أهله حقًّا؟ أم فقط نُناجيه بألسنتنا... بينما نسينا أن نكون له جنودًا في الميدان؟.

المأساة الصامتة:

ما أبشعها من مأساة... وما أوجعها من صورة!

مأساة لا تُدوَّن في الأخبار، ولا تنقلها الكاميرات،

لكنها تُنقش في قلوب الناس... بصمتٍ لا يُنسى!

- طفل صغير، لم يقرأ قرآنًا، ولا سمع حديثًا، لكنه رأى مسلمًا يكذب، ويسرق، ويُسيء... فكتب في قلبه أول تعريف للإسلام:
  "دينٌ لا يغيّر أهله".
- وسائحة جاءت بفضول... علَّها ترى في المسلمين نورًا، لكنها وُوجهت بعبوسٍ، واحتقارٍ، وخداع... فرجعت تقول: " لم أجد في شوارعهم رحمة، ولا في أسواقهم أمانة... فكيف أُصدّق أنَّ هذا دينُ رحمة؟ "!

ليتنا نُدرك... أنَّ أعظم إساءة للدِّين لا تكون من خصومه،
بل من أدعيائه الذين فشلوا في تمثيله! فالناس لا تقرأ الصحاح والمسانيد...
ولا علاقة لهم بخطب الجمعة.... لكنها تقرأك أنت أيها المسلم.
تقرأ وجهك، تصرفك، ردّ فعلك، صدقك في المواقف، أمانتك في الخفاء.
فإن خذلتهم... خذلوا الدِّين من أجلك.
وإن صدقتَ... فربما آمنوا بربّك دون أن تُلقي عليهم خطبة واحدة.
هي مأساة صامتة...
لكنها تُصدّر للعالم أسوأ دعاية عن أروع رسالة.
" فيا من تحب الله... لا تكن سببًا في صدّ الناس عنه، وأنت لا تشعر "

لكننا ننسى...
أننا لسنا فقط مسؤولين عن صلاة فاتت غيرنا بسبب غفلتهم،
بل عن قلوبٍ فاتها النور لأننا لم نكن النور!
لسنا فقط محاسَبين على ما تركناه من طاعات،
بل على ما أسأنا به إلى صورة الدين...
حين قَسَونا بدل أن نرفق، وتعالينا بدل أن نحتوي،
وأنكرنا على الناس... دون أن نبذل لهم رحمةً تُنير الطريق.
نحن لسنا مجرد أفراد نعيش لأنفسنا،
بل نوافذ تُطل منها البشرية على الإسلام.
فإن كانت هذه النوافذ مُظلمةً... فلعلّهم لا يرون النور أبدًا.
وإن كُنّا صادقي الإضاءة...
فربما يهتدون من مجرد لمعة صدقٍ، أو لمحة رحمةٍ...
فنكون قد بلّغنا الرسالة دون أن نتكلّم حرفًا واحدًا!.

فيا من تنتمي لهذا الدين...

لا تنظر لنفسك كفردٍ عابر في الزحام،

بل كراية تمشي، وصوتٍ يتحدّث باسم هذا الدين العظيم!

– اجعل كلّ خطوةٍ تمشيها ...كأنها تُوقّع باسم النبي مُحَّد ﷺ.

– واجعل كلّ نظرة، وكلّ كلمة، وكلّ موقف... وكأنَّ الناس سيتعلّمون منها دين الله.

– لا تفعل شيئًا إلَّا وهو يُعبّر عن رحمة رسالةٍ، ونور وحيٍ، وعدلِ ربٍّ كريم.

كن أنت الموقف الذي يُغيّر نظرة إنسان، والخلق الذي يهدي قلبًا كان مترددًا، والدليل العملي على أن هذا الدين... يُحيي القلوب، ويُهذّب النفوس، ويُجمّل الوجود.

وإذا رآك الناس... فليقولوا في قلوبهم:

" إن كان هذا هو الإسلام... فأنا أحتاجه قبل أن يفوتني النور "

رسالة هذا الفصل:

نحن لا نُخيَّر في تمثيل الإسلام...

بل ما إن ننتمي إليه، حتى نصبح مرآته في أعين الناس.

كل مسلمٍ هو دعوة تمشي... شاء أم أبى.

فإن أحسن السُّلوك... بُورك في دعوته ولو سكت.

وإن أساء التصرف... أسقط الدين من أعين الناس،

ولو صدح بالحق ليل نهار.

لسنا مجرد أفراد نُصلي ونصوم...

نحن صورة الإسلام في البيوت، والشوارع، والمطارات، والمدارس، وشاشات الهواتف، فإما أن نكون آيةً حيّةً على جمال هذا الدين،

وإما أن نكون فتنةً تصدّ الناس عنه... ونحن نظن أننا ننصره!
فاختر لنفسك:
" هل أنت جسرٌ يُوصل الناس إلى الله... أم حجابٌ يصدّهم عنه؟ "

الفصل الثامن عشر: هل يُسلم الناس بنا... أم يُصدّون عن الله بسببنا؟

المحصّلة المُرعبة... كم من الناس اقترب من الإسلام لأنه عرفك؟ وكم نفر منه بسببك؟

هنا... لحظة الحساب!

بعد كل حديثٍ عن "تشويه الإسلام"، و"انفصام السلوك عن النور"، و"الدين الذي يُطفأ بأيدي أهله..."

يأتي هذا السؤال المرير، الذي نخشى مواجهته، لكنه لا مفرّ منه:

- هل كنتُ أنا بابًا يدخل الناس منه إلى دين الله تعالى؟
- هل رأى غيري فيّ نورًا يدعو، قلبًا يرحم، خُلقًا يُلهم، صدقًا يُحبّبهم في الإيمان؟..

أم كنتُ جدارًا يُحجب دين الله من خلاله؟

سلوكي يُنفّر... لساني يُقسّي... نظراتي تُحقّر... حتى صار اسمي يُذكر، وديني يُنسى!..

هي لحظة صدق مع الذات،

لحظة نُنزِل فيها الدعوة من الشعار إلى السلوك، ومن الشعارات إلى المرايا!

فمن أنا فعلًا؟ ممثل صادق لدين الله تعالى؟..

أم مُتكلّمٌ باسمه... يُطفئ نوره دون أن يشعر؟..

ما أخطرها من لحظة...

أن يُنظر إليك فتُقال كلمات تهزّ السَّماء:

"لو كان هذا هو الإسلام... فلا أريده !"

"لو كان هذا الإله كما يُمثّله هذا المسلم... فأنا لا أؤمن به!"

هل تدرك فداحة هذا؟... ليست مجرد زلّة، ولا معصية عابرة...

بل جريمة معنوية عنوانها:"صدٌّ عن سبيل الله!"

أن تكون أنت الحاجز... أنت الحاجب...

أنت الجدار الذي انطبع عليه الدين، فشوّه الصورة، وأغلق الطريق!

حين يكره أحدهم "الحق" بسبب سلوكك...

فأنت لم تكن فقط مذنبًا، بل كنتَ قاطعَ طريقٍ بين إنسان وربّه.

فأيُّ خطيئةٍ أثقل من أن تكون أنت السبب في تيهِ قلبٍ كان يبحث عن الله؟

وأيُّ وزرٍ أعظم من أن تنفِرَ روحٌ منك... وهي كانت على وشك السجود؟

كم من نفسٍ كانت تفتّش عن نور...

فلما رأت سلوكك، حسبت الدِّين ظلامًا!

وكم من عابرٍ كان يوشك أن يدخل إلى دين الله تعالى...

فأغلقَ عليه باب السماء... صوتُك، كِبرك، أو جمودك!

ويومَ القيامة...

لا تُسأل فقط: كم صليت؟ كم قرأت؟ كم بلّغت؟

بل....

هل كنت بابًا إلى الله تعالى... أم حجابًا يُحجب به نوره؟

ثم تخيّل أن يقول لك أحدهم عند العرض الأكبر:

"كنتَ دليلي إلى الله... فلما رأيتُك، عُدتُّ من حيث أتيت"!

يا له من يومٍ... تُبصر فيه كم من الأرواح سقطت من حولك،

"لا لأنك لم تُرشدهم... بل لأنك كنت "تشوّه الحق وأنت تظنه جمالًا!"

ما أعجب المفارقة...

كم من مُسلم ظنَّ نفسه حارسًا للدِّين، فإذا به يصدّ عنه من حيث لا يدري!

يحمل لافتة "الدفاع عن الإسلام"،

لكن لسانه غليظ، ونظراته قاسية، وتعاليه منفّر...

فلا يُرى في سلوكه شيءٌ من الله، ولا يُشمّ في خُلقه شيءٌ من النبي مُحَمَّد ﷺ.

والله تعالى قال محذرًا:

﴿ **مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾ [الروم: ٣٢]، أي: جعلوا من الدين بابًا للمخاصمة، ووسيلةً للنفور، وأداةً لتشويه صورة الله في أعين الخلق.

وفي المقابل... كم من عاصٍ لا يُحسن الكلام، ولا يحفظ آية،

لكن دمعةً صادقةً على ذنبٍ ارتكبه، أو توبةً علنيّة دون تكبّر،

أو معاملةً رحيمةً مع غير المسلم...

كانت سببًا في أن يهتدي قلبٌ، ويُضاء طريق.

ليس المظهر هو الذي يدلّ على دين الله... بل الصدق!

وليس كل من يصرخ باسم الدين، يُوصل الناس إلى ربّ العالمين!

فاحذر أن تكون ممن فرّق الدين وهو يظن أنه يجمع،

أو ممن صدّ عن الله وهو يرفع رايته!..

يا من تلبس ثوب الإسلام...

وتتزيّن به أمام الناس، قِف لحظةً مع نفسك،

وانزع كل ما هو مظهر... واسأل بقلبٍ خاشع:

هل كان وجودي في حياة أحدهم... سببًا في أن يفتح قلبه لله؟

هل اقترب أحدٌ من ربه... لأنه رآني أرحم، أصدق، ألين؟

هل قال أحدٌ في سره:

"لو كان هذا هو الإسلام... فأنا أريده"!

هل وجد غير المسلم في تعاملي معه... لمسةً من عدل الله تعالى،

ودفئًا من رحمة النبي مُحَّد ﷺ؟

أم أنني...

- بغلظتي،
- بتكبّري في النقاش،
- باستهزائي بمن يجهل،
- بتناقضي بين قولي وفعلي...

كنتُ أنا الجدار الذي حجب عنهم النور؟! ما أشدّها من خيانة...

أن نكون سفراء دينٍ عظيم، ثم نظلّ نُطفئ نوره بسلوكنا، ونحن نظن أننا نحميه!

ليس بالضرورة أن تكون داعية...

ليس شرطًا أن تخطب على منبر، أو تملك آلاف المتابعين...

يكفي أن تعيش الإسلام بصدق.

بأمانتك، برحمتك، بصبرك...

فأنت بهذا وحدك :آيةٌ حيّةٌ تمشي على الأرض، تدلّ الناس على عظمة هذا الدين.

الرسالة الأخيرة لهذا الفصل:

في كل يوم... توجد روحٌ تائهة، تبحث عن الله سبحانه وتعالى بخطى مرتجفة، وقلقٍ رقيق شفاف... فيا ترى

- هل إذا اقتربت منك، شعرت بالطمأنينة؟
- هل رأت فيك أثر النور؟
- هل قادها صدقك إلى الباب الذي تفتّش عنه؟

أم أنها ستعود... خائفة، منكسرة، مجروحة باسم الدِّين...

لأنك كنتَ أول من صدَّها عنه، دون أن تدري؟..

فكُن يقظًا... ربّما لم تكن "داعية" في ظاهر الأمر،

لكنك كنتَ في عين أحدهم: كل ما يعرفه عن هذا الدين العظيم الذين يوصله إلى الله سبحانه وتعالى.

الفصل التاسع عشر: حين فشلنا في تقديم الإسلام كأمان لا كتهديد

هل كان من المفترض أن يشعر الناس بالطُّمأنينة حين نُعلن أننا مسلمون؟ أم بالخوف؟

هل كان يُفترض...

حين أقول "أنا مسلم"... أن ترتجف القلوب من الرَّهبة؟

أم أن تشعر الأرواح بالسَّكينة...

ألم يكن الأصل...

أن يكون المسلم إذا حضر، حضر معه الأمان؟

أن يشعر من حوله أن هذا الإنسان موصولٌ بالله تعالى الرَّحيم،

فلا يخون، ولا يغدر، ولا يظلم، ولا يؤذي؟
كان ينبغي أن تكون كلمة "مسلم" مرادفةً للرَّحمة...
لكن الواقع اليوم أن بعض الناس يتلفتون حين نقترب،
ويتوجّسون حين نُعلن إسلامنا، لا لأن في الإسلام ما يُرهب،
بل لأننا شوَّهناه بقلوبٍ غليظة، وألسنةٍ قاسية، وسلوكٍ لا يُشبهه.
نعم... فشلنا.
لا في تعريف الناس بالإسلام، بل في تجسيده أمامهم.
تحدثنا عنه كثيرًا... ولم نكن صورته.
رفعنا شعاراته... لكننا ما كنا ظلّ نبيّه ﷺ في الرحمة،
ولا صدى نوره في الأمان.

خاتمة تلخّص الألم:

كان يُفترض أن يكون الإسلام مأوىً... فحوّله بعضنا إلى متراسٍ يُخيف الناس منه! فلا تتساءل لماذا خافوا... بل اسأل نفسك: هل قدّمتَ الإسلام كما أراده الله تعالى... أم كما أرادك غضبك وجهلك؟..

في زمن النَّبي ﷺ...

دخل الإسلام القلوب قبل أن تُفتح البلاد، دخل من دون جيش...
بل دخل بصدق الكلمة، وحنان اليد، ونُبل الخُلق، وبهاء الأمانة.
رأى الناس فيه وجهًا للرَّحمة، ولمسوا في أصحابه نورًا يُضيء الظلمات.
فأسلمت القلوب... قبل أن تُكسَر الأصنام.
أما اليوم... فكم من شعوب لم ترَ منا إلّا وجوهًا غاضبة، أو أصواتًا صارخة، أو سلوكًا لا يشبه شيئًا من نور النبوة؟..
كم من أرواحٍ كانت تفتّش عن الله... فخافت منا قبل أن تسمع منه؟

ظنّوا أنَّ الإسلام ليس سلامًا... بل صِدامًا.

ليس هدىً... بل تهديدًا.

وليس دينًا يُسكّن الرُّوح... بل مشروعًا يُرعبها!

لمسة ختامية:

لم يرفضوا الإسلام... بل رفضوا النسخة التي قدّمناها نحن.

فهل نحاسبهم؟ أم نُحاسب أنفسنا أولًا؟..

قال رسول الله ﷺ:

"المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده" [رواه البخاري]

فأين نحن من هذا الميزان النبوي...

إذا كانت ألسنتنا اليوم تُشوّه أكثر مما تُصلح؟

إذا لم يسلم مِن حديثنا قريبٌ ولا بعيد، ولا حيٌّ ولا راحل؟

وإذا كانت أيدينا تمتدّ للإيذاء... لا للإيواء، للهدم... لا للبناء، للقسوة... لا للرحمة؟

لقد صار بعضنا يُحسن الصلاة... لكنه يُسيء إلى الخلق.

ويحمل اسم الإسلام... لكنه لا يُؤمّن الناس من أذاه!.

شهادات من الواقع... تصفعنا قبل أن تُحزِننا:

- سائحٌ غير مسلم قال: "كنتُ أخشى أن أُظهر ديني في بلادهم... خشية أن يُسيئوا إليّ"! فهل أصبح بلد الإسلام موضعَ خوفٍ لا مأوى أمن؟
- موظف في شركة عالمية قال: "كنتُ أتجنّب التعامل مع المدير المسلم... لأنه أكثر من ظلمني"! فكيف تحوّل من يحمل أمانة مُحَمَّد ﷺ إلى رمزٍ للجور والتعسّف؟..

◄ إعلامي غربي قال: "حين يُذكر المسلم... يُذكر الانفعال، لا الرحمة. الصدام، لا السكينة"! فأيّ صورة قدّمنا؟ وأيّ دين هذا الذي يُبشَّر به بعكس ما أُنزل؟..

إننا لا نُحاسب الناس على نظرتهم...

بل علينا أن نحاسب أنفسنا: ماذا فعلنا لنُشوّه أعظم رسالة؟ فالإسلام دينٌ أنزله الله رحمة... لكننا قدّمناه – أحيانًا – كغضبٍ يمشي على الأرض!..

لكننا نسينا...

أن الإسلام نزل ليُسكِّن القلوب، لا ليُرعبها،

وأن جوهره كان طمأنينةً للروح قبل أن يكون نظامًا للحكم أو شعارًا يُرفَع.

ونسينا أن النبي ﷺ... فتح القلوب بأمانته قبل سلطته،

وأن الناس أحبّوه لأنه "صادقٌ أمين..." لا لأنه قائد أو حاكم!..

المطلوب... ليس كثيرًا، لكنه جوهري:

١. أن تُصبح عبارة "أنا مسلم" جسر طمأنينة، لا جرس إنذار.

٢. أن يشعر من حولك أن وجودك أمان... لا تهديد.

٣. أن تكون ملامحك، كلماتك، سلوكك... ملجأً لقلوبٍ تائهة، لا سيفًا على أعناق مترددة.

٤. أن يعرف الناس أن دينك لا يبدأ بالصرخة... بل يبدأ بصدرٍ رحيم، وقلبٍ واسع، وخلقٍ يُشبه النور.

خاتمة هذا الفصل:

◄ الإسلام ...أمانٌ من الله، فلا تقدّمه أنت كتهديد.

◄ الإسلام رسالة رحمة من السماء... فلا تُلبسه غِلظة الأرض..
الإسلام ...نورٌ يهدي القلوب، فلا تحمله في وجهٍ غاضب، ولا قلبٍ جاف.

فالعَيب ما كان يومًا في الدين... بل في ذاك الذي حمل رايته وضلّ عن نوره.
في من بشّر بالحق... وهو لا يُشبه الحق!..

الفصل العشرون: الفجوة بين النص القرآني... وصورتنا في الإعلام!

هل هذه هي صورة الإسلام التي يُفترض أن تُبثّ للعالم؟ أم صورة مسروقة من النور... ومكتوبة بالحبر الأسود؟

الإعلام اليوم... لم يعد مرآةً تعكس الحقيقة:

بل عدسة مُشوّهة تُضخّم العيوب وتُخفي النور.
فالعالم لا يقرأ القرآن... بل يقرأنا نحن.
لا يسمع صوت الله تعالى... بل يسمع ما يُبثّ عنه.
وهنا تبدأ الكارثة! بين كتاب الله الذي يقول:
﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ [البقرة: ٨٣]
وبين صورة المسلم التي تُصدَّر عبر الشاشات:
غضبٌ، سلاح، صراخ، تهديد... تتّسع الفجوة بين الإسلام كما أنزله الله، وبين الإسلام كما قدّمه الإعلام... أو كما شوّهناه نحن! فتضيع الرحمة، ويتوه النور، ويبدو الإسلام – في أعين الناس – كأنه لا يشبه المصحف...
رغم أنَّ المصحف ما زال ينطق بالسلام.

لماذا يرون فينا "الخطر"... بدلًا من "النور"؟

لأنَّ العدسة التي تنقلهم إلينا لا تُصوِّر المساجد... بل السَّاحات المشتعلة.

لا تُظهر وجوه المتصدقين... بل المُتجهّمين الغاضبين.

لا تُسمِعهم آيات السَّكينة... بل صدى الشتائم في تعليقات الكراهية.

القرآن الكريم يقول: ﴿**وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ**﴾

ونحن نردّ على من خالفنا: "كافر، زنديق، زنديق، زنديق"!

وكأننا لم نقرأ من القرآن إلَّا سطر "البراءة"... ولم نعرف من الرحمة إلا اسمها!

القرآن يقول: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ**﴾

لكن الإعلام لا يُريهم الرَّحمة...

بل يُريهم دينًا مشوَّهًا، يصرخ، ويُهدِّد، ويزرع الخوف لا الأمل.

ومضة ختامية:

ما أخطر أن يُحرّف الناس صورة الإسلام...

لا بتحريف آياته، بل بتحريف وجوهنا نحن! فالله أنزله "نورًا" للعالمين...

لكننا – أحيانًا – حملناه في عتمة الغضب...

فصاروا يفرّون من النور... وهم لا يعلمون أنه نور.

من الذي صنع هذه الفجوة:

بين الإسلام كما أنزله الله... والإسلام كما يراه العالم؟

هل هو الإعلام الغربي؟ نعم... لكنّه لم يكن وحده.

لقد ساعدناه... بل سهّلنا عليه المهمة!

– يومَ قدّمنا الدين بالصراخ... لا بالسكينة.

– ويوم اختزلنا الدعوة في الردود العنيفة... لا في الأخلاق الرَّحيمة.

– ويوم صارت شاشاتنا منابر جدل... لا منارات هدى.

- ويوم أصبح الحديث عن "النار" أكثر من الحديث عن "النور!".
- ويوم قلّ من يُبشّر... وكثر من يُنفّر!...

عندها... لم نحتج إلى من يُشوّه الإسلام.
فقد تكفّلنا بذلك بأنفسنا... دون أن نشعر.

لقد آن أوان الإصلاح... لا من الخارج، بل من الداخل:

الإعلام الإسلامي... لا ينبغي أن يكون ردّة فعلٍ غاضبة على تشويه الآخرين، بل يجب أن يعود إلى أصله: رسالة هدى، ونبضُ رحمة، وصوتُ وحي.
لا يكفينا أن نُردّد في البرامج أنَّ "القرآن عظيم..."
بل يجب أن يراه الناس عظمةً في كل مشهد، نقاءً في كل حوار، رحمةً في كل تفصيلة، وسكينةً تنسكب على الروح دون ضجيج.
نريد محتوىً...

- يُشبه سورة مريم في رقّتها،
- ويُضيء كسورة الرحمن في نورها،
- ويحكم كـ الأنفال في حكمتها،
- ويرتّل كما كان النبي ﷺ يرتّل... لا كما يُصرخ على الشاشات!

لمسة ملهمة:

لن تُصلح صورة الإسلام في العالم... قبل أن تُصلح صورته في قلوب المسلمين أولًا.

خاتمة هذا الفصل:

لو سُئل العالم يومًا: "هل تعرف الإسلام من خلال إعلام المسلمين؟"
فليكن الجواب:

"نعم... وقد أحببته، لأنه كان صادقًا مثل نَصّه، جميلًا مثل قرآنه"

الفصل الحادي والعشرون: "إسلامُ الشاشة... وإسلامُ الواقع"

ما بين دينٍ يُعرض... ودينٍ يُعاش.

أيّ إسلامٍ هذا الذي تبثّه الشاشات؟

وجوهٌ لامعة... عمائم مُتأنّقة... خطبٌ رنّانة... مفردات مختارة بعناية،
تلامس الذوق لا الروح.
لكن تمهّل... هل هذا هو الإسلام؟
هل صار الدين عرضًا مسرحيًا يُقاس بزوايا التصوير وعدد المشاهدات؟
هل الإسلام هو ما يُقال على المنبر... أم ما يُعاش عند انطفاء الأضواء؟
هل هو ذاك الحماس الذي يُسحر به القلوب؟
أم هو ذاك السكون القاتل عندما يُظلم مظلوم، أو يُهدر حقّ، أو يُنتهك شرع؟
هل هو الصوت الشجيّ في التراويح؟
أم هو السلوك الرحيم في زحمة البيت، والعدل الثابت في فوضى الوظيفة،
والصدق الصامت حين لا يراك أحد؟
الإسلام ليس ما يُقال...
بل ما يبقى منكَ حين لا تكون الكاميرا قيد التشغيل.

الفرق بين "دين الفلاشات"... و"دين الخلوات":

بين "دين الفلاشات"... حيث الإضاءة تعلو على الهداية،
وبين "دين الخلوات"... حيث لا يراك إلا الله.

دين الشاشة:

خُطبٌ محسوبة، مؤثرات صوتية، مشاهد تمثيلية تُثير الإعجاب،

لكن هل تُنبت إيمانًا؟ هل تُغيّر قلبًا؟ أم أنها لحظة تصفيق... ثم فراغٌ طويل؟

أما دين الواقع...

فهو قيام ليلٍ لا تصوره عدسة،

وسترةٌ تُخفي ألمَ غيرك لا يُذكر في نشرة،

وصبرٌ على زوجةٍ أنهكها التعب،

وتسامحٌ مع جارٍ أساء... دون منشور،

وطُهرٌ في السوق... لا يراه إلّا الله.

قال ﷺ: "أقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا".

فانظر إلى من يتصدّر المشهد...

هل تراها الأخلاق في ألفاظهم حين يختلفون؟

هل تلحظها في تعاملهم مع الضعفاء؟

هل تُبصرها في التزامهم بالحق بعيدًا عن عدسات الجماهير؟

الدين الحقيقي... لا يُقاس بمدى اتقان الأداء، بل بمدى اتقان الخُلق حين لا يراك إلّا الله.

الخطر حين تظن الأمة أن الدين هو فقط ما يُبَث...

على الشاشات، لا ما يُغرس في القلوب.

فتنبهر بالخُطبة... وتغفل عن الخُطوة.

تُعجبها الكاميرا... وتنسى المسيرة.

تُصفّق للمشهد الواعظ... لكن لا تسأل: هل عاشه صاحبه؟ هل أثمر في سلوكه؟

وهكذا يُختزل الإسلام إلى "موسم رمضاني"،

تتراكم فيه البرامج، وتتنافس المسابقات، وتتزين الحلقات...

لكن بعد الأذان الأخير... يخرج الإنسان من المسجد،

فإذا لسانه بالكذب، وقلبه بالغل، وتعامله بالظلم.

والقرآن... ما زال يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾

فأين هذا الأثر؟ أين تلك الصلاة التي تُغيّر القلوب لا الأوقات فقط؟

أين ذاك القرآن الذي يُطهّر السلوك لا الحنجرة فقط؟

حين يتحوّل الدين إلى "عرض"، تفقد الأمة أعظم ما فيه: التحوّل.

احذر... أن تبني إيمانك على ما يُعرَض في "مشهد":

وتغفل عمّا يُعاش في "مِحَن"... فالدينُ ليس استعراضًا يُبهر العيون،

بل صدقٌ يُربّي القلوب، ولو في الخفاء.

- لا تقِسْ عظمة الدين بعدد المشاهدات... بل بعمق السجود في الخلوات.
- التزكية ليست في ألقاب تُمنَح... بل في نفوسٍ تزكّت حتى زكّاها الله.
- والتأثير... لا يُقاس بما يُقال في الدروس، بل بما يفعله صاحب الكلمة حين يُغلق الباب، ويخلُو بربه، ويختار الله في موقفٍ لا شهود فيه.

" الإسلام لا يُقاس بوهج الصورة والمونتاج المبهر... بل بوهج السَّريرة "

فلنزرع "إسلامًا واقعيًا...":

إسلامًا لا يحتاج إلى كاميرا ليُبهر، بل إلى قلبٍ صادق ليُثمر.

- حين يُعاملك الموظف المسلم بأمانة، دون أن ينتظر شكرًا.
- حين يرى غير المسلم في الزوج المسلم رحمةً تُشبه ما قرأه عن نبي الرحمة ﷺ.
- حين تشعر العاملة المنزلية أنها ليست غريبة... لأن في البيت قرآنًا يُترجم في

المعاملة.

هنا... لا حاجة لمؤثرات صوتية، ولا لمونتاج... فهنا فقط، يتجلى الإسلام الحقيقي... في أبسط التفاصيل، وأصدق المواقف، وأطهر الخلوات.

ليس الإسلام ما نُقدّمه أمام الناس... بل ما يبقى منا حين لا يرانا أحد سوى الله سبحانه وتعالى.

خاتمة هذا الفصل:

إسلامُ الشاشة... قد يُبكيك لحظة، ويأخذك بعاطفة،
لكن إسلام الواقع... هو الذي يُهذّبك عُمُرًا، ويأخذك إلى الله تعالى.
إسلامُ الشاشة يُعرض على الناس...
تُحرّكه الإضاءة، وتُزيّنه المؤثرات، أما إسلام الواقع... فيُعرض على الله،
في سكون الليل، وصدق النية، وثبات الأخلاق.
فاختر لنفسك دينًا لا يُزهر أمام الكاميرا فقط... بل يُزهر في قلبك، ويُزكّيك بين يدي الله سبحانه وتعالى.

الفصل الثاني والعشرون: "حين نطلب من غير المسلم أن يُسلِم... ولا نُظهر له لماذا يُسلِم؟"!

هل نحن نقول له: "أسلِم"... دون أن نُبيّن له "لِمَ يُسلِم"؟

هل دعوتَه إلى الإسلام... أم دفعتَه إليه؟

كثيرًا ما نخاطب غير المسلمين بلغةٍ تُخيف ولا تُفهِم:

- "أنت على باطل... تعال إلى الحق"!
- "إن لم تُسلِم... ستخسر الآخرة"!
- "أسلِم... قبل أن تموت"!

لكننا نغفل السؤال الأخطر:

هل جعلناه يُحبّ الله سبحانه وتعالى... قبل أن يخافه؟

هل تحدّثنا عن جمال التوحيد، وروعة أن يكون للإنسان ربٌّ واحد، يسمعه، يعرفه، يُجيبه، ويحنو عليه؟..

أم أننا اختزلنا الإسلام في حُكمٍ ووعيد، دون دفء ولا دليل؟

هل عرف مِن حديثنا من هو الله... أم فقط من هو الكافر؟

هل رأى فينا نور الرحمة، وصدق المعاملة، ونبل الرسالة؟

أم رأى وجوهًا مشدودة، تُطالبه بالإسلام... دون أن تُقدّمه له؟

الدعوة لا تبدأ بقولك "أسلِم"... بل بأن تكون أنت، في عينيه، سببًا يجعله يقول: "أريد أن أعرف هذا الربّ العظيم الذي جعلك هكذا"!

"أسلِمْ تسلَمْ: دعوة للسلام، لا تهديد للإكراه":

جملة نبوية عظيمة نطق بها الصادق المصدوق ﷺ،

لكنها كثيرًا ما أُسيء فهمها، وأُخرِجت عن سياقها الصحيح،

حتى باتت تُخيف بعض غير المسلمين، بدل أن تهديهم إلى نور الله وهداه.

عندما يسمعها اليوم البعض، قد يتوهم أنها تهديد مبطن:

"إما أن تُسلِم... أو تُؤذى!" وكأنها خيار بين الدين والهلاك، بين الإسلام والاستسلام القسري.

وهذا، بحق، تحريف معنوي لما قصده النبي ﷺ،

وطمسٌ لروح الرسالة التي جاء بها، رسالة الرحمة والهدى.

- "**أسلِمْ تسلَمْ**" ليست تهديدًا، بل هي دعوةٌ للسَّلام الداخلي،
دعوةٌ لطريق النجاة، طريق الطمأنينة، مفادُها: إن أسلمتَ وجهك لله،
وسلَّمتَ له قلبك، سَلِمتَ من الضياع الذي يعيشه الإنسان في حياته،
ونجَت روحك من قيود الفتن، ومن شقاء البحث المستمر عن الأمان في غير موضعه.

إنك حين تسلِّم حياتك لله، ستحظى بسلامٍ أكبر من أي شيء في الدنيا.
هذه الجملة النبوية الكريمة ليست دعوة للإكراه أو القسر، بل هي نداءٌ رحيم من نبي الرحمة ﷺ الذي جاء ليُرشد، لا ليُسلب حرية الاختيار.
لقد قالها رسول الله ﷺ في وجه أقوى الملوك وأعظم الأمم، لكن كلامه لم يكن تهديدًا، بل كان دعوة حانية، كان يقول لهم، كما يُحيي قلب المسلم:
"**أسلِمْ تسلَمْ**" أي، إذا أسلمتَ لله، تُصبح في مأمنٍ من الضَّياع، وتجد السلام الروحي الذي يعجز عن تحقيقه أي شيء مادي في هذه الحياة.

- "**أسلِمْ تسلَمْ**" هي دعوة إلى السلام الروحي الحقيقي.
إنها ليست سيفًا يُرفع فوق رقاب الناس، بل هي يدٌ تُمدّ،
يدٌ تفتح لك بابًا من النور، نور يزيل عن قلبك هموم الحياة ويغسله من الشكوك والآلام.

هي دعوة للسلام مع الله تعالى أولًا، ومع النفس ثانيًا، ومع الناس أخيرًا.
إذا أسلمتَ قلبك لله تعالى، سترتاح الروح، ويستقر القلب،
وتكتشف أن الحياة ليست صراعًا مستمرًا، بل هي رحلة من السُّكون والسَّكينة... تُصبح هذه الدعوة، التي نطق بها النبي ﷺ، أكثر من مجرد كلمات، تصبح دعوة قلبية حية، ترددها الأنفاس بينك وبين الله تعالى،
تقول: "جِئتُك ليس لأُخيفك، بل لأفتح لك بابًا إلى نورٍ لا يغلق".
نور يشع في قلبك ويقودك إلى سلامٍ لا يمكن أن تحققه أي أداة أو وسيلة

في الدنيا.

- "**أسلِمْ تسلَمْ**" ليست إكراهًا، بل هي نداءٌ ينبعث من قلب نبيٍّ رحيم، يريد لك أن تجد في دين الله الراحة والطمأنينة، والهدى والسلام.
هي دعوة للحب، لا للنفور، دعوة للاحتواء، لا للتشدد.
في كل حرف من حروفها، هناك رقة ورحمة، يدعو بها النبي ﷺ الناس إلى السلام مع الله، ويُقدم لهم فرصة للسلام مع أنفسهم، ومع من حولهم.
فلا تزرع الرَّهبة في قلب من دُعي إلى الله، بل ازرع فيه الرغبة، الرغبة في أن يلقاه، في أن يجد في الإسلام جوابًا لأسئلته، ويعيش في سلامٍ داخلي يعين قلبه على مواجهة تحديات الحياة... فالرسالة هي رسالة سلام، ورسالة تهدئة للقلب، ورسالة أمل.

- "**أسلِمْ تسلَمْ**"، هي دعوة مملوءة بالرَّحمة، لا يلقاها إلا من يُدرك أن الإسلام هو الأمان الذي طالما بحث عنه الإنسان،
هو السلام الذي يأتي مع التسليم لله تعالى،
التسليم الذي يحرر القلب من عبودية كل شيء سوى الله تعالى.

كيف شُوِّهت هذه الجملة:

أعداء الإسلام، سواء كانوا من الخارج أو من الداخل، قد أساءوا فهم أو تَشَوَّهَت لديهم معاني بعض الكلمات والجمل النبوية، ومنها جملة "أسلِمْ تسلَمْ"، حيث تعمدوا تحريف مضمونها أو إساءة تفسيرها بشكل يتناسب مع أجنداتهم الإعلامية أو الفكرية، وفيما يلي بعض الطرق التي تم من خلالها تشويه هذه الجملة:

١- تحريف المعنى إلى تهديد قسري:

- أحد أوجه التشويه التي روج لها أعداء الإسلام هي تقديم جملة "**أسلِمْ**

تسلَمْ" كتهديد قسري للمجتمع غير المسلم، وكأنها تقول: "إما أن تُسلِم أو تُؤذى"!..

- هذا التشويه يعكس محاولة لتحوير الجملة لتبدو وكأنها دعوة للإكراه على الدخول في الإسلام تحت تهديد العواقب السلبية أو العقوبات.. وفي الواقع، هذه الفكرة تتناقض تمامًا مع تعاليم النَّبي ﷺ التي كانت تدعو إلى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢- تقديمها كخيار واحد بين الحياة والموت:

- جملة "**أسلِمْ تسلَمْ**" تم تصويرها من قبل بعض الأعداء على أنها الخيار الوحيد أمام غير المسلمين: "إما أن تسلم أو تموت".
- هذه الحيلة تعتمد على إيهام الناس بأنَّ الإسلام يُجبر الآخرين على اختياره تحت التهديد، وهو ما يُخالف تمامًا جوهر رسالة الإسلام التي تبني العلاقات على أساس من الاحترام والاختيار الحر، وتؤكد على أن لا إكراه في الدين، كما جاء في قوله تعالى: "**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**" [البقرة: ٢٥٦].

٣- إخراجها من سياقها الرَّحماني:

- تشويه آخر يتمثل في إخراج الجملة من سياقها الرَّحماني والتربوي في الإسلام، حيث أنها في الحقيقة دعوة سلمية تعني: إذا أسلمت وجهك لله وارتضيت لله طاعتك، فإنك ستسلم من الضياع، وتجد في الإسلام سكينة وطمأنينة.
- بدلاً من ذلك، جرى تحويل هذه الجملة إلى أداة للتخويف والتقسيم بين المؤمنين والكافرين، وهو ما يشوه الصورة الحقيقية للإسلام كدين سلام ورحمة، ويعكس صورة مغلوطة عنه.

٤- إعطاؤها معنى ضيقًا ودنيويًا:

- بعض أعداء الإسلام قاموا بتقديم "**أسلِمْ تسلَمْ**" كدعوة لتسليم الجسد

فقط، أي أن الإسلام يُفترض أن يُفرض بالقوة على الآخرين في مواجهة ما يسمونه "التهديدات الدينية".

- لكن في الحقيقة، الإسلام هو دعوة للاختيار الطَّوعي والواعي، حيث يسلّم الإنسان قلبه وعقله وروحه لله تعالى، وليس مجرد الاستسلام القسري لتهديدات أو سلطة ما.

٥- استخدامها في سياقات حرب وصراع:

- أعداء الإسلام استخدموا أيضًا جملة "**أسلِمْ تسلَمْ**" في سياقات الحرب والتصادمات، مما يخلط بين تعاليم الإسلام الداعية للسلام والمصالحة وبين مفهوم "الاستسلام" العسكري أو السياسي.
- وهذه طريقة غير منصفة لا تتناسب مع معاني هذه الجملة التي هي دعوة للسَّلام الداخلي، والخلاص الروحي، وليس للهيمنة أو القسر.

الرد على التشويهات:

١- من المهم أن نعلم أن جملة "**أسلِمْ تسلَمْ**" هي في جوهرها دعوة عظيمة للسلام الداخلي والخلاص من التشتت والضياع في الحياة.

٢- هي دعوة لكي يسلم الإنسان نفسه لله، لكي يحقق الطمأنينة الحقيقية في قلبه وحياته.

٣- الرسالة الحقيقية من هذه الجملة هي:"إذا أسلمت لله وأخذت بالإسلام كمنهج حياة، فإنك ستجد سلامًا داخليًا، ولن تجد في الدين ضررًا أو عناءً".

٤- الإسلام ليس دينًا يُفرض بالقوة، بل هو دعوة إلى السلام الحقيقي، يدعو الناس للتفكير واختيار الطريق الصحيح عن قناعة، وفي إطار من التسامح والرغبة في الخير لكل البشر، بغض النظر عن دينهم أو عرقهم.

غير المسلم... ليس "غبيًّا دينيًا" كما يظن بعض:

بل هو إنسان... يبحث عن معنى،
يُفتّش عن طمأنينة لم يجدها بعد،
ويرجو ربًّا يُنقذه من ضجيج الحياة وازدحام الأسئلة.
هو لا يحتاج إلى تهديدٍ بالهلاك... بل إلى نورٍ يضيء له الطريق.
لا يحتاج إلى قائمة محرمات تُقصيه،
بل إلى حُبِّ خالقٍ يشعره أن قلبه مفهوم، مقبول، مرحَّب به.
لا ينتظر منك أن تُحاضر عليه في "مقارنات الأديان"،
بل أن تُريه أنت: ما الفرق؟
أن تكون أنت الجواب الذي لا يحتاج لترجمة،
أن يرى أثر الإيمان في وجهك... قبل أن يقرأه في كتابك.
كيف تُقنع قلبًا لا يعرف الإسلام... أن يُسلِم؟
إن لم تُريه دينك من خلال حديثك، ورحمتك، وأخلاقك، وسلوكك؟
كيف يصدق دعوتك... إن كان يرى قسوة في عينك، أو كبرياء في صوتك؟
الدعوة لا تبدأ بالكلام عن الجنة والنار... بل بأن يشعر من أمامك أن الله سبحانه وتعالى عادلٌ، رحيم، و"يستحق أن يُحبّ".

دعوتُك...

- يجب أن تكون بابًا إلى الإسلام، لا جدارًا يُغلِق الطريق نحوه.
- أن تكون أنت السبب الذي يجعل قلبًا غريبًا يقول:

"ما هذا النور الذي يعيش فيه هذا الإنسان؟ أريد أن أعرف مصدره".

– حين يراك صادقًا في البيع والحديث... يُفكر بالإسلام.
– حين يرى في ابنتك حياءً يملأه الوقار... يُفكر بالإسلام.

- حين يسمع دعاءك في لحظة صدق، كأنه بلسمُ لروحه... يُفكر بالإسلام.
- حين تغضّ بصرك احترامًا، لا تكبّرًا... يشعر أن فيك خُلقًا لا تصنعه القوانين، بل الإيمان.

لكن حين نصرخ عليه، ونُحدّثه بفوقية، ونُشعره أنَّ الله في ديننا "غاضبٌ فقط"، لا "رحيمٌ أيضًا"، فهل يتقرّب... أم ينفِر؟

هل يجد فينا يدًا حانية... أم بوابة مُقفلة؟

الدعوة الحقّة لا تُقنعه فقط أن الإسلام "دين حق"...

" بل تجعله يشعر أنَّ الإسلام "هو ما كان يبحث عنه منذ سنين "

النبي ﷺ... لم يكن صاحبَ صوتٍ غليظ ولا نبرة تخويف:

بل كان حاملَ نور، يدعو القلوب لا يُداهمها، يفتح الأبواب لا يُغلقها، يقول: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا".

ما أعظمها من دعوة...

- لم يبدأ بـ "أنتم على باطل"، بل بدأ بـ "أنتم بشر... تستحقون النجاة".
- لم يُنادِهم بألقابٍ تُقصي، ولا بنظرة استعلاء، بل خاطبهم بأقرب وصف للإنسانية:"يا أيها الناس".
- لم يهدّدهم بسياط الجحيم، بل وعدهم ببُشرى الفلاح، بربٍّ يُحبّهم إن صدقوا، وفتحٍ قريبٍ للروح إن أقبلت.

دعوة النبي ﷺ لم تكن سيفًا فوق الرقاب، بل نورًا على الأبواب... يطرق القلوب قبل أن يُخاطب العقول.

حين نُسيء عرض الدِّين...

◄ فكأننا نضع بين الناس وبين الله حجابًا من سلوكنا،ثم نلومهم لأنهم لم يروا النور!..

◄ نُطالبهم بالإسلام... لكن لا نُعرّفهم بالرَّحمن، بل نُغرقهم في تفصيلات لا تُلامس قلوبهم.

◄ نُكرّر نفس الكلمات، بنفس الطريقة، بنفس الوجوه، ونسأل: لماذا لا يُسلمون؟!..

إنهم لا يحتاجون إلى نسخة أخرى من الجدال العقيم، ولا إلى قوائم المحرّمات تُلقى عليهم كأنهم مذنبون مسبقًا، بل يحتاجون إلى لغة جديدة...

لغة لم يسمعوها من قبل في عالمٍ مزدحمٍ بالصوت، خالٍ من المعنى.

لغة تقول لهم:

– إنَّ الله يعلم وجعك قبل أن يُطالبك بشيء...

– إنَّ في التوحيد راحة لا يشبه شيئًا في هذه الحياة.

– إن الإسلام لا يسلبك نفسك... بل يُعيد إليك حقيقتها.

نحن لا نُقنعهم بالحجج فقط... بل نُوقظ فيهم الشوق إلى الله سبحانه وتعالى، حين نُخاطبهم بلغة الحبّ الإلهي، والنور، والرجاء، والإجابة عن ألمهم الوجودي.

كيف نُصلح هذا الخلل العميق؟

كيف نعيد الدعوة إلى أصلها: الرحمة؟ والبلاغ إلى جوهره: الحكمة؟

▯ لا تقل له فقط:"أسلِم..."

▯ بل قل له:"تعال نبحث سويًا عن الحقيقة... دون أن يُرهبك أحد أو يُملي عليك جوابًا".

▯ لا تشرح له الدين كنظامٍ صارم من الأوامر والنواهي...

 بل قدّمه له كـ ملجأ قلبٍ تائه... وجد فيه الإنسان نفسه، وضميره، وسلامه الداخلي.

 لا تصوّر له الله تعالى فقط كـ ديّان يُحاسب...

 بل عرّفه على الودود... الذي يسمع أنينه قبل كلماته، الهادي... الذي ينتظر شوق قلبه لا كمال عمله، الجبار... الذي يُعيد بناء الأرواح المنكسرة.

 لا تُكلّمه بلغة المتديّنين الذين حفظوا القوالب، ونسوا الإنسان..

 بل خاطبه بلغة الإنسان... لغة من يُفتّش عن معنى،

عن إجابة لدمعة نزلت دون تفسير،

عن يدٍ تُربّت على وحدته،

عن نداء داخلي يُذكرك: هناك ربٌّ خلقك، يحبك، ولم ينسك لحظة..

الإسلام لا يُفرض... بل يُكتشف حين يرى القلب فيه بيتًا يُشبه فطرته، ويُشبع حاجة روحه التي كانت تبحث عن الله دون أن تدري.

خاتمة هذا الفصل:

لا تطلب من أحد أن يُسلِم...

قبل أن تُريه الإسلام حيًّا في سلوكك، لا مطبوعًا في كُتيّب.

قبل أن يشعر أنّ هذا الدين ليس فكرةً تُروَّج... بل حياةٌ تُعاش، ونورٌ يُرى.

ولا تطلب منه أن يُؤمن بالله... إن لم تُعرّفه على الله بقلوبٍ عرفت رحمته، وذاقت قُربه، وابتسمت وسط الألم لأنها معه.

لا بأصواتٍ تصرخ، ولا بألسنةٍ تهاجم.

فالدعوة الحقّة لا تقول: "أسلِم الآن"!

بل تجعل القلب يقول: "إن كان هذا هو الإسلام... فكيف لا أُسلِم؟"

الفصل الثالث والعشرون: حين يُصبح الإعلام سلاحًا لتشويه الإسلام

- **كيف أثَّر أعداء الدين على صورة الإسلام في عيون الناس؟**
- **هل أصبح الإعلام اليوم أحد أبشع أدوات الحرب على الإسلام؟**
- **هل نعيش في عصر أصبح فيه التمويه الإعلامي سلاحًا يستخدمه الأعداء لتشويه الصورة الحقيقية للإسلام؟**

كيف بدأ التشويه؟

ما عادت الحملات ضد الإسلام تُشَنّ بالسُّيوف،

بل صارت تُبثّ عبر الأقمار الاصطناعية،

تُكتب في العناوين، وتُروى في الأخبار، وتُزرع في اللاوعي.

كثيرًا ما نسمع في وسائل الإعلام العالمية عن "الإسلام" مقرونًا بكلمات مثل:

"الإرهاب" – "التهديد" – "القتل" – "الخطر..."

حتى صارت الصورة الذهنية للمسلم – لدى كثير من الناس–

هي صورة رجلٍ غاضب، بملامح عبوسة، يصيح ويُهدد باسم الله تعالى!

الإعلام لم ينقل الحقيقة... بل رسم رواية.

◄ قدّم الإسلام ككابوس، لا كرحمة،

◄ صوّر المسلمين كمصدر خطر، لا كصنّاع سلام.

◄ بثّ أحداثًا مفبركة، وأخرجها بإخراج سينمائي بارع،

فأصبحت الرواية الإعلامية أقوى من الرواية الواقعية.

لكن السؤال الجوهري هو: من المسؤول عن هذا التشويه؟

- هل هو الإعلام المعادي فقط؟ أم نحن – أيضًا – حين عجزنا عن تقديم

الدين كما هو، نقيًا، رحيمًا، حيًّا في السلوك؟...

- هل كان بإمكانهم طمس صورة الإسلام... لو رأوا فينا نوره، وعدله، وأخلاق نبيّه ﷺ؟..

نعم... الإعلام العالمي استخدم التمويه كسلاح، لكننا تركنا الساحة فارغة... فملأها من لا يعرف الإسلام، أو من يُعاديه عمدًا.

الإعلام... ليس مجرّد ناقلٍ للخبر:

بل هو اليوم آلة عملاقة لصناعة الوعي... أو تزويره.

إنه سلاحٌ ناعمٌ وخطير، يُشكّل العقول، يُوجّه الانفعالات، ويُعيد صياغة المفاهيم... حتى يُقنعك بأنَّ "الحقّ عنف"، وأن "الرحمة تطرّف"، وأن "الإسلام خطرٌ داهمٌ يجب الحذر منه"!

- حين يُعرض الإسلام — مرارًا — على أنه دين الدماء،
- وحين تُربط صورة المسلم بالغضب والتفجير والانفعال،
- وحين تُصبح أخبار الإرهاب لا تُروى إلّا إن كان الفاعل مسلمًا...

فأنت لا تشاهد "إعلامًا محايدًا"، بل تشهد حربًا ناعمة تُدار بالكاميرا والمايكروفون بدل السيف والدبابة.

المشكلة ليست فقط في نشر الأكاذيب، بل في تحريف الحقائق بذكاء، وفي بناء صورة ذهنية مُظلمة عن أرحم دين عرفته البشرية،

دينٍ جاء بالسلام، وبُعث نبيّه بالرحمة، وقرآنه بدأ بـ: ﴿ٱقْرَأْ﴾... لا ﴿ٱقْتُلْ﴾!

الإعلام المعادي لم يأتِ بشيء من فراغ،

بل استغلّ ثغراتنا، وفراغ تمثيلنا، وضعف خطابنا،

وصنع منها وحشًا باسم "الإسلام"،

ثم صدّره إلى العالم... بينما نحن نكتفي بالصراخ.

كيف شوهوا الإسلام؟

لم تكن المعركة ضد الإسلام يومًا بالحجج، بل كانت دائمًا بالصورة،
لأنَّ الصورة أسرع من الحُجة، وأعمق أثرًا من النصوص!
لم يكتفِ أعداء الدين بنشر الكراهية المباشرة،
بل سخّروا الإعلام ليُقدّم الإسلام في قالبٍ يبدو وكأنه:

- ضدّ القيم الإنسانية،
- ضدّ الحقوق الأساسية،
- ضدّ الحريات والاختلاف والكرامة البشرية.

كيف فعلوا ذلك؟
ببساطة... تجاهلوا حديث الإسلام عن الرحمة،
وحجبوا آيات العدل والمساواة، ولم يُسلّطوا الضوء على السلوك النبوي الذي احتضن المخالفين، ثم ضخّموا – بكل دهاء – أحداثًا جزئية، أو ممارسات خاطئة في بعض البلدان، وجعلوها الممثّل "الرسمي" للإسلام.
أبرزوا كل خطأ فردي... وكأنه عقيدة عامة،
وصمتوا عن كل موقف أخلاقي عظيم... لأنه لا يخدم الرواية التي يُريدونها.
لم يتحدثوا عن النبي الذي وقف لجنازة يهودي احترامًا لإنسانيته،
ولا عن قوله:"من آذى ذميًّا فقد آذاني".
ولا عن التعايش الذي عاشه المسلمون مع غيرهم قرونًا دون دماء.
بل اختصروا الإسلام في مشهد متوتر، وصورة قاتمة،
ومعلّق يقول:"الإسلام لا يتقبّل الآخر".
والنتيجة؟ صورةٌ مُفبركة، لكنها مُقنعة لمن لا يعرف الحق،
ورعبٌ نُسج في قلوب غير المسلمين،
وفتنةٌ خفيّة شوهت النور قبل أن يصل إليهم.

هل نحن ضحايا لهذا التشويه؟

نعم... لقد أثر هذا التشويه فينا جميعًا.

لم يعد الأمر يقتصر على نظرة الآخرين،

بل تسلّلت الشكوك إلى قلوب بعض المسلمين أنفسهم.

رأينا من يخجل من هويته، ومن يخاف أن يُعرّف عن دينه في بعض البلاد،

ومن بات ينظر إلى الإسلام لا كمنهج حياة... بل كحِملٍ ثقيل في وجه العالم.

أصبح بعض الشباب يسألون:

- "هل نحن حقًّا دين سلام؟"
- "لماذا لا يُذكر الإسلام إلا مع الحروب؟"
- "أين ذهبت صورة الرحمة التي سمعنا عنها؟"

الإعلام – الذي كان يُفترض أن يكون أداةً للتعليم والتنوير –

تحوّل إلى معول هدمٍ للثقة بالدين،

حتى صرنا نحتاج أن نُقنع أبناءنا أولًا بأن دينهم جميل،

قبل أن نفكّر في دعوة غيرهم إليه!

لكن لحظة صدق...

- هل ما يُعرض هو الحقيقة؟
- هل الإسلام فعلاً دين حربٍ وإقصاء؟ أم أن ما شُوّه في الأذهان... هو الصورة الإعلامية، لا الحقيقة النبوية؟.
- هل نسي الناس أن أول كلمة في هذا الدين كانت:"اقرأ ..."لا "قاتل"؟ وأن أول وصف لنبيّه ﷺ كان" :رحمة للعالمين ..."لا "قائدًا للمعارك"؟

لقد شُوّهت المرايا... لا الوجه.

وغُيّرت الروايات... لا الدين.

غير المسلم... ليس عدوًا بل ضحية:

علينا أن نتوقّف عن النظر إلى غير المسلمين على أنهم "خصوم"،
فكثير منهم ليسوا أعداءً للإسلام... بل ضحايا للإعلام.
لم يسمعوا عن الإسلام من فم نبيّه ﷺ، ولا رأوه في خُلق أصحابه،
بل عرفوه من نشرات الأخبار، ومن مشاهد العنف، ومن العناوين المخيفة...
فبماذا سيحكمون عليه؟... كثير منهم لُقِّنوا مفاهيم مشوّهة:

- أن الإسلام لا يُحبّ غير المسلمين،
- أن المرأة فيه مهدورة الكرامة،
- أن المسلم مشروع انفجار متنقل،
- وأن القرآن كتاب دماء لا كتاب حياة!

فهل نلومهم... إن خافوا؟ أم نلوم أنفسنا... لأننا تأخرنا عن بيان الحقيقة؟
المسؤولية الآن علينا نحن....

- أن نُظهر لهم الإسلام كما هو، لا كما قيل لهم،
- أن نكون أدلةً حيّة على النور،
- أن نُعيد بناء الجسر الذي هدّمه الإعلام بين الناس وبين الوحي.

فالإسلام ليس ما يُقال عنه... بل ما يُرى من خلال سلوكنا.
لا يكفي أن نقول:"الإسلام دين الرحمة"،
بل يجب أن نكون..

- نحن الرحمة تمشي بينهم،
- نحن العدل في تعاملاتنا،
- نحن الحياء في كلامنا،
- نحن الصدق في أعمالنا...
- نحن الترجمة الصامتة التي تُغني عن ألف خطاب.

كيف نُصلح هذا التشويه؟

لا يكفي أن نُندّد بالإعلام المشوِّه، ولا أن نبقى في دائرة الشكوى والتذمّر... بل يجب أن نكون نحن بأنفسنا جزءًا من الجواب.

- ◄ أولًا: اعرض الإسلام في سلوكك: كن ترجمة حيّة للإسلام في البيت، في السوق، في المواقف الصغيرة التي لا تُرى، فالناس لا يقرأون المصحف دائمًا، لكنهم يقرؤون أخلاقك كل يوم، فإما أن تقول لهم: "هكذا هو الإسلام"، وإما أن تُغلق الباب دون أن تنطق بكلمة.
- ◄ ثانيًا: تفاعل مع الآخرين برحمة وشفافية: لا تتحدث عن الإسلام كنظرية جامدة، بل كحياة حقيقية تُمارَس برحمة، وصدق، وتواضع، دع حديثك عن الإسلام يكون كالماء العذب... لا يفرض نفسه، لكنه يُطفئ العطش.
- ◄ ثالثًا: قدم الإسلام كدين قيَم... لا فقط كأحكام: لا تحصر الدين في الحجاب والمظهر والحدود، بل أظهره كما جاء: دينًا يُنقذ النفس من التيه، ويُعيد للإنسان كرامته، ويقود روحه إلى السلام، تحدّث عن عدله، عن صدقه، عن احتفاله بالحياة النظيفة، عن الله تعالى الذي يُحب، ويغفر، ويهدي.
- ◄ رابعًا: استخدم الإعلام بدل أن تشتكي منه: لا تنتظر من الإعلام أن يُنصف الإسلام... بل اصنع منبرك، وابنِ محتواك، سواءً في فيديو قصير، أو مقال هادئ، أو محادثة بسيطة تُضيء طريق أحدهم، ابحث عن الفرص: في مدرسة، في إذاعة، في برنامج رقمي... واجعل صوت الإسلام يصل عبر قلبك لا عبر معاركك.

" فالتغيير لا يبدأ من شاشات التلفاز...
بل من المسلم العادي الذي قرر أن يكون صادقًا في تمثيل دينه "

خاتمة الفصل:

الإعلام... لا يملك أن يكون الحَكَم النهائي على الإسلام.

هو مجرد مرآة، تعكس ما يُقدَّم له،

فإن قدّمنا له قبحًا، عكسه مضاعفًا،

وإن عرضنا عليه النور... نشره في كل اتجاه.

حين نترك الأعداء يشوّهون صورة ديننا،

ثم نصمت أو نرتبك... نكون قد منحناهم فرصة أن يتكلموا باسمنا وهم لا يعرفوننا، لكن حين نُقدّم الإسلام كما هو – رحمةً، وعدلًا، وطمأنينةً، ونورًا – حينها فقط... يتغير الموقف تمامًا.

لذلك... في عصرٍ أصبح فيه الإعلام سلاحًا،

فلنكن نحن جنود الوحي الصادقين،

لا بالكلام العالي... بل بالسلوك النقي،

لا بالشعارات... بل بالصدق في تمثيل هذا الدين.

ليكن كل واحد منا بلاغًا صامتًا عن الله تعالى...

" ورسالةً ناطقة بالنور، في زمنٍ كثُرت فيه الظلال "

الملخص الوجداني للمحور السَّابع: كيف يرانا غير المسلمين؟

حين صرنا مرآة مشوَّهة لدينٍ عظيم... ولم نعد نشبه الوحي.

كان يُفترض... أن تكون رؤيتهم لنا كافية ليعرفوا طريق الله.

أن يرونا فنكون آيةً تمشي، يسمعوا كلماتنا...

فيتنزّل عليهم دفء الرَّحمة الإلهية.

يعيشوا بيننا... فيتساءلوا بدهشة صامتة:
"ما هذا الدين الذي يُهذّب النفس، ويُضيء الروح، ويُربّي الإنسان حتى في صمته؟" لكن الواقع كان موجعًا... غير المسلمين لم يسلموا منّا،
بل خافوا من وجوهنا العابسة، وخطابنا المتعالي، وسلوكنا المتناقض.
لم يبتعدوا عن الإسلام لأنه باطل —— حاشاه ——
بل لأننا قدّمناه لهم بيدٍ قاسية، وقلبٍ خالٍ من الرحمة.
لم يرفضوا الدين لأنه لا يُقنع...
بل لأنهم رأوه يُحمَل على أكتاف من لا يصدُق، ولا يرحم، ولا يتواضع.
كان يُفترض أن نكون جسرًا إلى الله تعالى... فإذا بنا جدارًا يحجبه عنهم.

رأونا... فلم يرَوا النور، بل التناقض.
رأونا نُكثِر من بناء المساجد،
لكننا نُقلّل من بناء الأخلاق التي تُصلّي معنا ولا تغادر عند السلام.
رأوا رجالًا يحفظون النصوص... لكنهم لا يَعدِلون في السوق،
يُفصّلون الشريعة على مقاس مكاسبهم، ويَزِنُون الآيات بموازين الهوى.
رأوا نساءً يُدافعن عن الحجاب... لكنهنّ يَقسُون على الخادمات،
وينسين أن الحجاب ليس فقط غطاء رأس...
بل ستر قلب، وخُلق عدل، ولين جانب.
رأوا دعاةً يتكلّمون عن الله... لكنهم يكذبون باسمه، ويُخيفون الناس منه،
ويستخدمونه لا للدلالة عليه، بل لإثبات تفوّقهم،
كأنَّ الدين صار سلّمًا لمكانة... لا جسرًا إلى الرحمة.
فلم يكن الخلل في الإسلام... بل في الذين مَثَّلوه أمام الناس دون أن يعيشوه حقًّا في نفوسهم.

فأين هو إسلام القلب؟

ذاك الذي لا يُشرح بكتيّب، ولا يُمثَّل بخطبة، بل يُعاش... فتخشع له الأرواح من بعيد... أين هو الإسلام الذي يجعل غير المسلم يقول:

- "لم أفهم دينكم... حتى رأيتكم تصلّون، فخشعت، ورأيتُ والدك يُعامل أمك بكرامةٍ، فقلت: هذا دينٌ يُربّي الإنسان قبل أن يُلزمه".
- "كنتُ أظنّ أنكم أنتم المتخلّفون... حتى قرأتُ قرآنكم، فقلت: أنتم تركتم النور بأيديكم، وبحثتم عن الضوء في عيون الغرباء".
- "كنتُ خائفًا من الإسلام... حتى ابتسم لي عاملٌ مسلم، وأعانني دون مصلحة، ثم ودّعني بدعاءٍ صادق... فأحسست أنني قابلت شيئًا من روح دينكم العظيم في وجهه".

الإسلام لا يفتح العقول فقط... بل يُحيي القلوب حين يُرى بصدق، ويُعاش بتواضع، ويُهدى بحبّ.

غير المسلم... لا ينتظر منّا أن نصرخ في وجهه:

"أسلِم... وإلَّا فأنت كافر"! فهو لم يُخلق ليُرغَم،

بل يبحث عن نورٍ يُقنعه... ويُلامس شيئًا ضائعًا في داخله.

هو لا ينتظر الجدال، بل ينتظر أن يرى الجواب الحيّ فينا:

- لماذا نحبّ الله... وكأننا عرفناه حقًّا؟
- لماذا نترك الحرام... وكأننا نملك كنزًا أغلى؟
- لماذا نغضّ أبصارنا... لا خوفًا من أحد، بل حياءً من ربٍّ نُحبّه؟
- لماذا نصبر على الأذى... وكأنَّ في قلوبنا رجاءً لا ينكسر؟
- ولماذا... حين نسجد، نبكي؟ كأننا عدنا إلى وطنٍ كنا نبحث عنه عمرًا كاملًا.

هو لا يريد منا أن نُجبره على الإسلام... بل أن نُريه لماذا نختاره نحن كل يوم، بحب، ويقين، وسلام.

هو لا يُعجب بعدد الفتاوى التي نحفظها:

ولا بعدد الأحكام التي نُتقنها...

بل يُعجب بشيء آخر تمامًا:

- كم مرة غفرنا لمن أخطأ في حقّنا؟
- كم مرة أنصفنا من خالفنا... لا لأنه من جماعتنا، بل لأنه يستحق؟
- كم مرة تركنا الدنيا ونحن قادرون عليها، فقط لأنَّ رضا الله أحبّ إلينا منها؟

غير المسلم لا يقيس الإسلام بعلمك... بل بإنسانيتك حين يمتحنك الله وأنت مسلم.

قد ضيّعنا للأسف كثيرًا من الفرص الذهبية:

فرصًا كان يمكن أن تكون جسورًا إلى قلوب البشر...

لكننا حوّلناها إلى حواجز منفرّة حين:

- اخترنا أن نُكفّر بدل أن نُحاور، فظنّونا أعداءً لا رسلاً للرَّحمة.
- أهَنّا المرأة في واقعنا... ثم قلنا إن الإسلام كرّمها، فنظروا إلى أفعالنا... لا إلى أقوالنا، وصدّقوها.
- أسأنا في البيع، وغششنا في المعاملة... ثم رفعنا شعار "نحن أُمَناء"، فقالوا: أين الإسلام في ميزانكم؟..
- أكثرنا من الحديث عن الشريعة والحدود، لكننا قلّما فهمنا معنى الرَّحمة التي قامت عليها الشريعة أصلاً.

ما خذل الناس في إسلامنا... إلا انفصامنا عن أخلاقه، ونسياننا أن أول ما

دخل به الناس في دين الله... لم يكن الجدل، بل الصدق، والعدل، والرَّحمة.

إنها فجوة مخيفة...

بين القرآن الذي يتنزّل رحمة، وفيه قول الله العظيم:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ وبين صورة المسلم في الإعلام...

كأنّه قنبلةٌ موقوتة، وجهٌ عابس، وصوتٌ صارخ، وخطابٌ يُرعِب لا يُلهِم.

- كيف وصلنا إلى هذا التناقض؟
- كيف غابت تلك الرَّحمة التي جاء بها النبي ﷺ حتى أصبحنا في عيون الآخرين خطرًا بدل أن نكون أمانًا؟..
- كيف صار الدين الذي بُني على الرَّحمة... يُقدَّم بوجهٍ غليظ وقلبٍ متوتر؟

ليس الخطر في الإسلام... بل فينا نحن، حين نسيناه في سلوكنا، فصنع الإعلام منّا صورةً لا تُشبهه أبدًا.

خاتمة هذا المحور:

- لن يُسلم أحدٌ بنا... إن لم نُسلِم نحن لله بصدقٍ في السرّ والعلن.
- لن يُحبّ أحدٌ ديننا ...إذا كنا نحن أبشع ممن لا دين لهم خُلقًا وسلوكًا.
- ولن يُفتح قلبٌ لربّنا... إذا كانت وجوهنا هي أول الأبواب المغلقة في وجه من يبحث عن الله سبحانه وتعالى.

الإسلام ليس مجرّد خطاب نُتقنه، بل أثرٌ يشعّ من أرواحٍ عرفت الله، فخشعت، وتواضعت، ورحمت، وأحبّت الخَلق لأجل الخالق.

فيا من تُمثّل هذا الدين في عيون الناس... اخشَ أن تكون أنت الحاجز بينهم وبين الله، واحرص أن تكون أنت الدليل الحيّ على أن الإسلام... نور، لا نقمة.

المحور الختامي: عودة إلى النَّبع

حين نصحو من الزَّيف... ونعود إلى أصل الدين كما أنزله الله تعالى

كل ما قرأته في هذا الكتاب...

لم يكن لجلد الأمة، ولا لتسويد الواقع، بل كان رحلة يقظة...

نحو تلك الحقيقة العميقة التي نكاد نُهملها وسط الزحام:

أننا — شيئًا فشيئًا — لم نعد نعبد الله كما أراد هو،

بل عبدناه كما أردنا نحن!

- ◄ لقد تراكمت الأقنعة، وتشعّبت الطُّرق، وتشوّهت المعايير حتى غاب وجه النور، وصار الدين في حياة كثيرٍ من الناس مجرد عادة مجتمعية، لا عهدًا ربانيًا يربط القلب بالله تعالى.
- ◄ خلطنا بين العادة والدين، بين الحماسة والحق، بين مواقف الجماعات.... وميزان الله الواحد القهّار.
- ◄ وهنا كان لا بدّ من التذكير... لا بالتأنيب، بل بالرجوع.

لا لنبكي على ما فات... بل لنعود إلى ما كان ينبغي أن يكون منذ البداية:

دينٌ لله... لا للمجتمع، ولا للمزاج، ولا للصوت الأعلى.

لكن... لا بد من وقفة:

وقفة شجاعة مع النفس، لا مع الناس.

وقفة نخلع فيها الأقنعة، ونضع الألقاب جانبًا، ونُطفئ كل ضجيج الخارج.

لا بد من خلوة، نُغلق فيها كل الأصوات،

كل العبارات المحفوظة، والتقليعات الدينية، والتصفيق المزيّف...

ونرجع إلى الصوت الوحيد الذي لا يضل، ولا يُزيّف، ولا يُجامل: **القرآن**.

لا بد أن نسأل بصدق:

- من قال إن الله يُحبّ ما نفعله؟ هل قلنا "هذا لله"... أم فعلناه لنبدو متدينين؟..
- من أفتى لنا أن نحكم باسم الله... دون أن نرجع إلى وحيه، ونفهم مراده، ونتواضع أمام علمه؟.
- من أعطانا الحق أن نتكلم باسم الإسلام... إن كنا في تعاملنا لا نُمثّل الرحمة، وفي سلوكنا لا نُشبه الصدق،وفي فُهومنا لا نقترب من جوهر الوحي؟

العودة الحقيقية إلى الدين... تبدأ من لحظة صدق،

"تسأل فيها: هل أنا حقًا مع الله؟ أم مع صورةٍ من الدين تناسب مزاجي؟"

العودة إلى النَّبع الصافي...

ليست لحظة عاطفية عابرة، بل قرار وجودي يُعيد ترتيب القلب من الداخل.

أن تعود... يعني أن تُزيل كل ما عَلِقَ في روحك من شوائب الزَّيف،

من العادات التي لبست ثوب الدين، ومن الأفكار التي لم يُنزّل الله بها سلطانًا،

لكنها استقرت فيك مع الزمن.

العودة الحقّة...

- أن تُراجع كل ما اعتدت عليه..
- وأن لا تُسلِّم بشيءٍ فقط لأنه موروث، أو مألوف، أو مقبول اجتماعيًا.
- أن تُعيد بناء موازينك... لا على ما يقوله الناس، ولا على ما "وجدنا عليه آباءنا"، بل على نور الكتاب، وصدق السُّنّة، وجمال الوحي.

النبع لا يكذب... لكن الطرق إليه قد تمتلئ بالطين،

"فطهّر قلبك، وارجع إلى الله كما أرادك أن تكون لا كما شكَّلك المجتمع"

العودة إلى النبع...ليست لحظة ضعفٍ أو انهيار:

بل لحظة صدقٍ نادرة، تتجرّد فيها من كل ما تراكم على روحك من تصنّع، وزيف، وضجيج... هي لحظة ولادة جديدة...

تغتسل فيها من التقاليد المغشوشة،

ومن الدين الذي صاغه الناس حسب أهوائهم،

وتبدأ فيها علاقة نظيفة مع الله...

لا تشوبها العادة، ولا يُحرّكها الجمع، ولا يلوّثها الرياء.

لحظة تقول فيها من أعماقك: " يا رب... لقد خدعتني العادة، وغرّني الجمع، واستدرجني الهوى... ولكني الآن أعود إليك، كما أنزلتَ دينك... لا كما رسمه الناس ".

العودة إلى الله... ليست أن تجد طريقًا جديدًا، بل أن تُنقّي قلبك لترى الطريق كما هو منذ البداية.

هذا المحور... ليس فصلًا جديدًا في الكتاب،

بل نقطة تحوّل فيك أنت.

إن كنت قد بُهِتَّ مما قرأت في الفصول السابقة،

وارتجف شيء في قلبك، وتساقطت أقنعة كنت تظنها من الدين...

فهنا يبدأ المسار الصحيح.

هنا لا مزيد من التنظير، ولا دوران في الدوائر،

بل الدليل العملي إلى الصواب...

إلى الله كما أراد، لا كما رسمه الناس حسب أهوائهم،

ولا كما أرادت النفوس الهاربة أن تُخفّف من وهج الحق.

هنا ...العودة الصادقة: بلا مزاج، ولا قشور، ولا أوهام دينية نُغطي بها فراغ

الروحِ... هنا تبدأ الرحلة... لا إلى الدين الذي نرتاح له، بل إلى الدين الذي يُرضي الله حقًّا.

الفصل الأول: كيف نُصحّح المسار؟

بين صحوة القلب... واستقامة الطريق

البداية الحقيقية...

ليست مزيدًا من الكلام، ولا دفعة حماسة عابرة،
بل أن تعترف بصدق... أن الطريق قد انحرف.
ليس العيب أن نخطئ، فالخطأ سُنّة البشر،
لكن العيب كل العيب... أن نستمر في الخطأ،
ثم نُبرّره بدين الله، ونسميه "التزامًا"، ونجعل له غطاءً شرعيًا زورًا وبهتانًا!
كثيرٌ من الناس اليوم لا يعيش ضياعًا فكريًا فقط،
بل يعيش انحرافًا شرعيًا... وهو يظنه عبادة!
يمشي بثقة في طريقٍ يُبعِده عن الله، ظانًّا أنه يقترب!
هنا تبدأ المأساة الكبرى: أن تظن نفسك على الطريق،
بينما أنت تبتعد عن النبع الصافي، وتُقدّم لله ما لم يطلبه،
وتُقصي من الناس من لم يُقصِهم الله، وتتكلم باسمه... دون إذنه ولا علم،
وتظن أنك تُدافع عن الدين،
وأنت – من حيث لا تدري – تُشوّهه في عيون الخَلق، وتُبعدهم عن الخالق.
الرجوع إلى الله لا يبدأ بزيادة الطقوس... بل بتصحيح الاتجاه.
فأخطر طريق... هو الطريق الخطأ الذي تمشيه وأنت تظن أنه الصواب.

وقفة صادقة مع النفس...

لا مع الجماعة، ولا مع الجمهور، ولا حتى مع العادة.

واسأل بجرأة القلب لا بلغة التبرير:

- من قال لك أن ما تفعله هو الإسلام الحقيقي؟
- من الذي حوّل الدين العظيم إلى شعارات حزبية ومواقف انفعالية؟
- من زرع فيك أن المظهر هو كل شيء، وأن الله تعالى لا ينظر إلا لثوبك دون قلبك؟..
- من أقنعك أن قسوتك على الناس هي غَيرة محمودة، وليست كبرياء مقنّعة؟
- من جعل الولاء لأشخاص، لا لله ورسوله وكتابه؟..
- من قال لك إن "نحن" دائمًا على الحق... و"هم" دائمًا على باطل، دون بيّنة، ولا ورع؟..

تصحيح المسار لا يبدأ من فتوى، ولا من منصة... بل من نقطة صدق نادرة.

أن تركع بقلبك، لا بجسدك فقط،

وأن تقول لله لا للناس: "يا رب... دلّني عليك، لا على هواي.. أرِني الحقّ حقًا... لا ما يُقال عنه حقًا ".

"فما أسهل أن نُرضي أنفسنا بالدِّين... وما أصعب أن نُرضي الله به حقًا"

كيف نُعيد بناء الدين في نفوسنا من جديد؟

ليس بإضافة مزيد من المعلومات، ولا بتكديس الكتب والمنشورات،

بل بالعودة إلى الأصل... إلى الله تعالى كما أراد، لا كما صوّرناه.

- الرجوع إلى القرآن: لا بقراءة سطحية أو تفسير لغوي فقط، بل بالوقوف عند كل آية، وسؤال النفس: "هل أنا أعيش هذا الدين كما تقوله هذه الآية؟ أم كما تقوله الجماعة؟ أو الموروث؟ أو الشاشات؟"... لا يكفي أن

نفهم... بل لا بد أن نقيس أنفسنا على نورها.

◄ النظر في سيرة النبي ﷺ:

- هل دعوتك للناس تُشبه دعوته؟
- هل لُطفك يُشبه لينه؟
- هل دمعتك على ضلالهم تُشبه بكاءه؟
- هل غضبك لله... أم لحزنك على مكانتك؟

فما أكثر من يدّعون الغيرة على الدين... وهم يغارون لأنفسهم لا لربهم.

◄ إعادة ترتيب الأولويات:

- قبل أن تُجيد الردود... أَجِدْ الأخلاق.
- قبل أن تحفظ المصطلحات... عِش القرآن.
- قبل أن تدعو الناس... أصلح نفسك حتى لا تدعوهم إلى ما لم تذقه.

الدِّين لا يُبنى بكثرة الجدال... بل بكثرة الصدق.

ولا يُبعث من جديد في أمتنا... حتى يُبعث أولًا في نفوسنا..

ملامح التصحيح الجوهري:

الانحراف الزائف	التصحيح الحقيقي
الدين هو المظهر	الدين هو الصدق مع الله
نحن الطائفة الناجية فقط	الناجي من صدق واتّبع الوحي
الغلظة هي القوة	الرفق هو القوة النبوية
نقد الآخرين أولى	إصلاح النفس أولى
كثرة الشعائر هي الدين	حسن المعاملة هو الدين أيضًا
القوالب والشكليات	الروح والنيّات

كلمات ختامية:

تصحيح المسار...

- لا يبدأ من فوق المنبر، بل من عمق المحراب.
- لا يبدأ بتغيير خطابك أمام الناس... بل بتغيير قلبك أمام الله.
- لا يبدأ بأن تُقنع الناس... بل بأن تُرضي الله، بصمتٍ، وصدق، وخشية.

في اللحظة التي تتوقّف فيها عن سؤال الجمهور:"هل أعجبكم حديثي؟"
وتبدأ تسأل الله: "يا رب... هل ما أفعله يُرضيك فعلًا؟"
حينها فقط... تكون قد بدأت العودة إلى النبع،
إلى الدين كما نزل، لا كما صاغته الأهواء.
إلى الله... كما أراد أن نعرفه، لا كما أرادت الصورة النمطية أن نُقدّمه.

الدعوة تبدأ من الداخل... ومن لا يُطهّر قلبه، لن يُنقّي خطاب الأمة.
فالطريق إلى الله... لا يُمشى بالأقدام، بل يُسلك أولًا بالقلب.

الفصل الثاني: الإسلام في نقائه الأول

حين لم يكن الدين مشروع سلطة ولا هوية حزبية... ولا واجهة اجتماعية!

قبل أن تُنشأ المذاهب...

وتُرسم الجماعات، وتُرفع الشعارات بألوانٍ ومصطلحات...
كان هناك رجلٌ واحد، في غارٍ مظلم...
يبكي، يتعبّد، ويبحث عن النور،
يسأل الله من أعماق روحه:"أين الحق؟ وأين الطريق إليك؟"
ثم جاءه النداء السماوي: " **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** "...

وهنا... بدأ النبع النقي، النبع الذي لم تُكدّره بعدُ التفسيرات المتعصّبة،
ولا النزاعات الفقهية، ولا المصالح الحزبية.
هنا بدأ الإسلام... كما أنزله الله، لا كما قسمه الناس.
دينٌ يُخاطب القلب، ويُزكّي النفس،
ويأخذ بيد الإنسان من الغار... إلى وجه الله سبحانه وتعالى.
إن أردتَ العودة إلى الإسلام الحق... فارجع إلى تلك اللحظة، إلى ذلك الغار،
- إلى ذلك النبع.
- إلى اللحظة التي لم يكن فيها شيء...

إلّا قلبٌ يُفتّش عن الله، والربُّ أجاب:"اقرأ...".

ما هو الإسلام... كما أنزله الله؟

ليس هو ما صنعته السياسة لتُبرّر به أطماعها،
ولا ما زادته العادات حتى غيّرت وجهه،
ولا ما شوّهته الشاشات عبر الوعظ المنفعل، والغضب المُقنّع، والمزايدة على الخَلق باسم الدين... بل هو ذاك الدين الذي:
- يُربّي النفس قبل أن يُحاكم السلوك،
- ويهدي القلوب قبل أن يُدين الأفعال،
- ويبني الإنسان من الداخل... قبل أن يُطالبه بتطبيق الأحكام من الخارج.

الإسلام في نقائه الأول...

ليس فيه استعلاء على الخَلق، ولا ازدراء للمختلفين،
ولا تنصيبٌ للنفس حَكمًا على مصائر الناس في الجنة والنار.
بل هو دينٌ يُنبت الرحمة قبل الفتوى، والصدق قبل العبارات الرنانة،
والتواضع قبل أي سلطةٍ دينية أو رمزية.

الإسلام كما أنزله الله... لا يطلب منك أن تتكلّم باسمه،

بل أن تعيشه بصدق، حتى لو لم تقل كلمة واحدة.

ملامح ذلك النقاء... حين كان الإسلام كما أنزله الله:

١- البساطة في العبادة: لم يكن الدين طقوسًا معقّدة، ولا اصطلاحات تلتف على الروح... كان الصحابة يسألون عن الحكم لا ليُجادلوا، بل ليعملوا... بصدق، ويُبادروا بلا تلكؤ.

كان شعارهم:"سمعنا وأطعنا"، لا: "لكن قال فلان، ويفهمها آخر بشكل مختلف"! لا تعقيد، لا فلسفة... بل خشوعٌ يُترجم إلى طاعة.

٢- التراحم في الدعوة: رجلٌ يبول في المسجد... فتثور الغيرة في قلوب الصحابة، فيقومون عليه، لكن النبي ﷺ، الذي أُنزل عليه الرحمة، قال: "دعوه، لا تُزرِموا عليه"، تركه يُكمِل، ثم علّمه، لا إهانة، لا عنف، لا تشهير.

هل هذا المشهد يُشبه ما نفعله اليوم بمن يخطئ؟ أم أن أول ما نُخرجه هو السيف... لا القلب؟.

٣- النية قبل الهيئة: لم تكن اللّحى، ولا العمائم، ولا الألقاب هي معيار النجاة، بل القلب، والصدق، والتقوى التي لا تُرى.

كانوا يعرفون أن الله لا ينظر إلى الصور، بل إلى القلوب...

وأنَّ الخشية لا تُقاس بالثياب، بل بدمعة لا يراها إلا الله في خلوة.

٤- الرحمة قبل الحد: جاءت امرأة من بني مخزوم وقد سرقت... ولها مكانة في قومها... فقالوا:"من يشفع لها؟" فغضب النبي ﷺ، لا ليُعنّفها، بل ليردّ بأسلوبٍ عادل واضح: "لو أن فاطمة بنت مُحَمَّد سرقت، لقطعتُ يدها"... لكن في كل ذلك... لم يكن هناك تشفٍّ، ولا استعلاء، ولا توظيف سياسي، بل عدلٌ يُحفظ فيه ميزان السماء.

٥– هذا هو الإسلام كما نزل: دينٌ يُربّي، لا يُقصي... يُطهّر، لا يُشوّه.
دينٌ تُبنى به الأرواح... لا تُكسر به.

الإسلام اليوم... كم ابتعد عن نقائه الأول؟

تحوّل في بعض المجتمعات إلى أداة فرز طبقي،
فبدل أن يكون ميزانه:" **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** "،
صار:"هذا ملتزم... وهذا لا يستحق القرب".
صار البعض يعرّف الإسلام لا بما قاله الله،
بل بما تقوله المجموعة، أو الجماعة، أو القائد...
فإذا خالفك في المذهب أو اللباس أو اللهجة...
فقد خالف "الإسلام" في نظرهم، وكأنهم أوصياء عليه!
أصبح التدين في بعض الأوساط شكلاً محفوظًا:
لحية، ثوب، لسان يحفظ المصطلحات، لكن القلب... لا يعرف الله إلا نادرًا.
حتى الحجاب، والصلاة، وحفظ القرآن... تحوّلَت من جسورٍ للقرب من الله،
إلى مظاهرٍ يُتباهى بها، تُعرض في مجالس الفخر،
ويُحاسَب بها الناس دون أن تُمسّ بها القلوب.
لم يكن هذا هو الإسلام الذي نزل في الغار.
لم يكن هذا هو الدين الذي جاء ليكسر الأصنام... لا ليصنع أصنامًا من الشعارات والهيئات.

الدين ليس بطاقة هوية نُبرزها للناس... بل عهدٌ خفيّ بين القلب وربه،
لا يعرفه إلَّا من ذاق خشية السجود، وصدق الرجوع، وحياء المحبة.

كيف نعود إلى ذلك النقاء؟

ليس بإعادة تشكيل الصورة الخارجية... بل بإعادة تعريف الجوهر من جديد.

١- أعد تعريف الدين في قلبك: لا كـ"بطاقة هوية" تُلصقها على نفسك، ولا كـ"انتماء حزبي" أو "انتصار فكري"، بل كعلاقة حبّ خالصة مع الله... تبكي فيها بين يديه، وتخجل أن تراه حيث نهاك، وتفرح أن يراك حيث أمرك.

٢- اقرأ القرآن... كما لو أنه أُنزل عليك: لا كما لو أنه أُنزل "عليهم" لتُحاسبهم به... دعه يخترقك، يُعاتبك، يُطبطب على كسرك، ويُطهّرك من الداخل... اسأل نفسك عند كل آية:

"هل أنا عبدٌ كما يُريده الله؟ أم كما يُريده الناس؟"

٣- راقب أثر العبادة على قلبك... لا على مظهرك:

- هل صلاتك تُطهّرك من الكبر؟
- هل صيامك يُربّيك على الصبر؟
- هل حجك يُطفئ نار الدنيا في صدرك؟

فالعبادة التي لا تُزكّي القلب... ليست عبادة، بل عادة.

٤- كن رحيمًا في دعوتك... لأن الله أرحم منك بالناس: لا تحمل الدين كعصًا تضرب بها، بل كـ نورٍ تُهدي به... تذكّر دائمًا أن الذي خلقهم... يحبهم، ويريد منهم لحظة صدق، لا خطاب عنيف.

العودة إلى نقاء الإسلام... تبدأ من لحظة تقول فيها:

"يا رب، أريدك أنت... لا صورتك في أعين الناس".

ومضة ختامية:

الإسلام النقيّ... ليس ما يُقال فقط، بل ما يُرى... في القلوب، وفي الأفعال،

وفي الرحمة التي لا تُمثَّل.

هو ذاك الدين الذي قال عنه غير المسلمين حين رأوه صادقًا في أهله:

"لو كان محمدٌ نبيًّا كاذبًا، لما صنع قلوبًا كهذه"!

قلوبًا تمشي على الأرض بنور السماء، تحمل الحق دون عنف، وتُبلّغ الرحمة دون كِبر، وتُحبّ الخلق لأجل الخالق.

فلنعد إلى الإسلام... لا كما ورثناه مشوّهًا بالموروث، والمجتمع، والتعصّب،

بل كما نزل:

نورًا في الظلمة، هدىً في المتاهة، ورحمةً حقيقيةً للعالمين... كلّ العالمين.

الفصل الثالث: دعوة للمراجعة... لا للإدانة

لا أكتب لأُدينك بل لأُمدّ يدًا تقول: ارجع إلى الله، فالطريق لم يُغلق بعد.

لسنا قضاةً...

ولا نحمل مفاتيح الجنة، ولا صكوك النار،

نحن بشرٌ... زلّت أقدامنا، وغفلت قلوبنا،

ثم لطف الله بنا، ففتح لنا باب التوبة،

وسترنا حين كنا لا نستحقّ السِتْر،

وغفر لنا حين لم يكن فينا ما يُغفر لأجله... سوى رحمته.

فكيف — بعد أن ذقنا هذا الكرم الإلهي —

لا نتمنّى لغيرنا أن يذوقه؟ كيف نمنع عنهم ما لم يُمنع عنّا؟

كيف نُغلّق أبواب الرحمة... باسم الدين،

والله تعالى فتحها لنا ونحن بعيدون؟

إذا كنت قد ذُقت عفو الله... فلا تكن حاجزًا أمام من يبحث عنه،
بل كُن دليلًا عليه... لا حارسًا لبابه.

الإسلام... ليس دين تصيُّد أخطاء:

ولا منظومة تُفرز الناس إلى "صالحٍ وفاسد" بمنظار بشري ضيّق،
بل هو دين مراجعة... ومحاسبة قلبية صادقة،
يُخاطب الإنسان في لحظة الغفلة لا ليُدين،
بل ليوقظ، ويُرمّم، ويأخذ بيده إلى النور من جديد.
القرآن كله نداء للمراجعة لا للإدانة:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾

لم ينزل القرآن ليُسجّل عليك زلّتك... بل ليُضيء لك طريق الرجوع.
ولم تُبعث النبوة لتُشهّر بالمذنبين... بل لتمسك بأيديهم نحو الله تعالى، نحو مغفرةٍ وسعةٍ وكرامةٍ لا تزول.

فمن جعل الدين أداة لإسقاط الناس... نسي أنَّ الله تعالى أنزله ليُقيمهم.
ومن عظُم في قلبه الرَّبّ... رقَّ قلبه للمربوبين.

وإليك أمثلة بسيطة جدًا لمن جعل الدين أداةً لإسقاط الناس:

١- استخدام الدين لإرغام الناس على فعل شيء ضد رغبتهم:

المثال: شخص يضغط على آخر قائلاً: "إذا لم تفعل هذا العمل، فأنت لا تؤمن بالله"، مع أن العمل لا علاقة له بالدين. هنا يتم استخدام الدين كأداة لإجبار الناس على تلبية رغباته الشخصية.

٢- استخدام الدين للسيطرة على الآخرين:

المثال:"إذا لم تأتِ إلى المسجد في هذا الوقت، ستكون عرضة لغضب الله"، رغم أن الشخص قد يكون مشغولًا أو مريضًا. في هذه الحالة، يتم استخدام الدين لفرض السيطرة على وقت الشخص وحياته.

٣- تحريف الحديث الديني لأغراض شخصية:

المثال: شخص يستخدم قولًا دينيًا مثل "من لا يشكر الناس لا يشكر الله" ليُجبر الآخرين على تقديم له هدايا أو تقدير، متخيلًا أن هذا من حقه بسبب تفسيره الخاص للحديث.

٤- التلاعب بمشاعر الناس باسم الدين:

المثال: شخص يستغل حديثًا دينيًا عن الجنة والنار ليُحسس الناس بالذنب ويجعلهم يشعرون بالضغط العاطفي حتى يتبرعوا له بالمال أو يعطوه شيئًا آخر لمجرد خوفهم من العقاب الإلهي.

٥- استخدام الدين لفرض الآراء الشخصية:

المثال: شخص يقول: "إذا لم تتبع رأيي في تفسير هذا الموضوع، فأنت ضد الدين"، مُستغلاً الدين لفرض أفكاره الشخصية ورفض الحوار المفتوح.

٦- استغلال الدين لتبرير عدم التعاون مع الآخرين:

المثال: شخص يرفض مساعدة الآخرين في العمل أو الحياة الاجتماعية، قائلاً: "الدين يقول أنه يجب عليك فقط الاهتمام بنفسك ولا داعي للاهتمام بالآخرين". هنا يتم تحريف مفهوم التعاون في الدين لصالح إغلاق القلب على الآخرين.

٧- التشهير بالآخرين تحت شعار "الدين":

المثال: شخص ينشر شائعات عن غيره أو يتحدث عنهم بسوء، ثم يقول: "أنا فقط أقول هذا من باب النصيحة"، وهو يستغل الدين لإيذاء الناس والتشهير بهم.

هذه أمثلة بسيطة توضح كيف يمكن لبعض الأشخاص استخدام الدين لأغراضهم الشخصية، بدلًا من استخدامه كوسيلة للرَّحمة والمساعدة.

ومعنى: ومن عظُم في قلبه الرَّبّ... رقَّ قلبه للمربوبين.

إذا كان قلب الإنسان مليئًا بحب الله وعظمته، فإنَّ هذا سيؤثر في مشاعره وسلوكه تجاه الآخرين.

"**عظُم في قلبه الرَّبّ**": يعني أنَّ الله عز وجل أصبح في قلب الشخص في مقام عظيم، بحيث يشعر بعظمة الله، ويدرك جلاله ورحمته ومحبته، ويعطيه الأولوية في حياته.

"**رقَّ قلبه للمربوبين**": يعني أن هذا الشخص، بسبب عظمته لله في قلبه، أصبح رحيمًا وطيبًا مع الخلق، عندما يشعر بعظمة الله، فإنه يشعر بمسؤولية تجاه الآخرين، ويُظهر لهم الرحمة واللطف، ويكون رؤوفًا بهم.

خلاصة:

من يعظم الله في قلبه ويشعر بجلاله، ستنعكس هذه العظمة في رحمته وتعامله مع الناس، فكلما زاد تعظيمه لله، زادت رحمتُه بالمخلوقات.

ما الفرق بين "من يُدينك"... و"من يُراجعك"؟

- المُدين: هو من يرى الخطأ فيك، فيقف منه موقف الخصم، يجلدك، يُعيّرك، ويتعامل مع ذنبك وكأنه فرصة لإثبات تفوّقه، أو إراحة نفسه بتأنيبك.
  يستعجل الحكم، ويقسو في النُطق، ويُريد أن يُظهر أنك سقطت... لا أن تنهض.
- المُراجِع: هو الذي يرى الخطأ فيك، فيتألّم لأجلك، لا يراك خصمًا، بل أخًا يحتاج إلى من يذكّره بالله بلطف، لا يسقطك، بل يُمسك يدك لتقوم، يُريد لك الهداية، لا الفضيحة، يكلّمك لا لتُدين نفسك، بل لتعود إلى

الله... بنفسك.

الفرق الجوهري بينهما:

الموقف	المُدين	المُراجِع
عند رؤية الذنب	يشمت بك، ويُضخّم خطأك	يحزن لأجلك، ويرى ما وراء الذنب من ألم
في النُصح	يُعنّف ويُعيّر، بنبرة استعلاء	يُلين القول، ويرجو لك المغفرة
في التعامل مع الناس	يُشهّر بك، ويُظهر سقوطك	يسترك، ويدعو لك في الخفاء
في النية	يريد أن يُدينك أمام الناس	يريد أن يُعيدك إلى الله تعالى
في قلبه	خصمٌ يُحاسبك	أخٌ يحبّك ويريد لك النجاة

المُدين... يراك مُجرمًا.

والمُراجع... يراك عبدًا تاه لحظة، لكنه يستحق أن يعود.

المُدين... يُغلِق باب التوبة في وجهك،

والمُراجع... يُشير لك إليه ويقول: لا زال مفتوحًا، ارجع.

لماذا هذا التفريق مهم؟

لأنَّ كثيرًا من الناس ابتعدوا عن الدين، لا لأنهم رفضوه،

بل لأن أول من قابلهم حين أخطأوا... كان مُدينًا، لا مُراجعًا.

والنبي ﷺ... كان مراجعًا لا مُدينًا.

كل من جاءه مذنبًا... رجع أقرب إلى الله، لا أشدّ نفورًا منه.

فكُن من عباد الله المُراجِعين... لا من القضاة المُدِينين.
فالله تعالى لم يُوكّلك على الناس، بل دعاك أن ترحمهم كما رحمك.

نماذج من السيرة النبوية... تُجسّد نقاء الرحمة، لا قسوة الإدانة:

◄ المرأة الزانية: جاءت إلى النبي ﷺ تقرّ بذنبها، تطلب أن يُطهّرها بإقامة الحد، لكن رسول الله ﷺ لم يُسارع بالعقوبة، بل قال لها:"اذهبي"...
ثم تكررت محاولتها، ومع ذلك كان يُؤجّل... لعلّ باب التوبة يُفتح، لعلّ القلب يرجع دون أن تُفضح، لعلّ الرحمة تسبق العقوبة... كما أراد الله.

◄ ماعز بن مالك: رجل تائب، أرهقه الذنب، فجاء مقرًّا على نفسه، لكن النبي ﷺ أعرض عنه مرارًا، كأنه يُعطيه فرصة للستر،لم يُستدرج لمنطق "الصرامة العادلة"، بل ظلّ يُراهن على عودة الستر، لا إعلان العقوبة.
ما أعظم نبيّنا... ما أقلّ الذين يفهمونه اليوم!..

◄ ثمامة بن أثال: زعيم كافر، أسير في المسجد! مكان عبادة، وأمام المسلمين، لكنه ﷺ لم يُهِن، لم يُعنّف، لم يُشهّر، بل أطلقه دون شرط... وبعد لحظات، أسلم من تلقاء نفسه! وقال كلمته الخالدة:
"ما كان وجه أبغض إليّ من وجهك... والآن أحب الوجوه إليّ وجهك".

هكذا تفعل الرحمة إذا تجلّت...
تفتح القلوب التي أُغلقت سنينًا، بكلمة حُب، لا سيف وعيد.
هذا هو الإسلام كما عاشه النبي ﷺ: دين يفتح الأبواب... لا يغلقها، يستر على الناس... لا يفضحهم،
ويبحث عن التوبة في قلب الخاطئ... لا عن لذّة القصاص.

فليكن خطابنا كذلك... كما كان خطاب نبيّنا ﷺ:

لا نُخاطب الناس وكأنهم أعداء لله،

بل كأنهم عباد الله الضالون الذين يدعوهم ربهم إلى العودة برحمة،

ويمنحهم الفرصة للتوبة، ويفرح بعودتهم أكثر مما نفرح نحن بنجاة أنفسنا.

فلا نُغلق في وجوههم أبواب التوبة، بل نُشير إليها، ونقول لهم:

" **إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ".

لا نُعاملهم وكأنهم في محكمة اتهام، نُصدر فيها الأحكام، ونلوّح بالعذاب،

بل نُعاملهم وكأنهم في حضرة ربٍّ اسمه: الرَّحمن، ربٍّ فتح لهم أبواب الرحمة،

وقال:﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ**﴾

فلنكن نحن أيضًا رحماء... نُعيد الناس إلى الله، لا نُنفّرهم منه.

نفتح لهم طريق الحبّ، لا نُرهقهم بممرات الخوف وحده.

نُذكّرهم بأنَّ الله يدعوهم برحمةٍ... لا يُطاردهم.

رسالة هذا الفصل:

يا من قرأت هذا الكتاب... لا أُريدك أن تُدين غيرك بما فيه،

ولا أن تُحاكم الناس باسمه، بل أن تُراجِع نفسك أنت أولًا،

أن تُنزِل هذا النور على قلبك، قبل أن تُشهره في وجه غيرك.

ثم... إن صدق رجوعك، أعطِ يدك لغيرك لا من باب التفوّق،

بل من باب الرحمة، وقل له من قلبٍ ذاق حلاوة التوبة:

"هيا بنا نعود إلى الله... سويًا".

لا أحد فوق التوبة ... مهما بدا صالحًا.

ولا أحد تحت الرَّحمة ... مهما بدا مذنبًا.

فالرُّجوع إلى الله تعالى لا يُقاس بالسِّجلّ... بل بالصِّدق.

والقرب منه لا يُقاس بكثرة الكلام... بل بدمعةٍ صامتة تقول:
"اللهم تُب علينا جميعًا".

الفصل الرابع: الدين ليس وجهًا اجتماعيًا... بل عهدٌ مع الله

- **هل نعبد الله كما نُحب؟ أم كما يُحب؟**
- **هل صار الدين زيًّا نلبسه للناس...**

كل ما في الدِّين... هو "علاقة":

علاقة صادقة بين العبد والرب، لا تُقاس بثناء الناس،
ولا تُبنى على مقاييس الجماعة، ولا تُزيَّن لتناسب نظرة الخارج.
هي علاقة تُولد في الخلوة، حين لا يراك أحد... ولا يسمعك أحد...
ولا يُصفّق لك أحد... لكنك تسجد، وتبكي،
وتقول:"يا رب، لا أحد يعلم بي إلّا أنت".
لكننا اليوم... صرنا نُصلّي لأنَّ الناس ينظرون،
نرتدي "الدين" حين نخرج... كأننا نلبس زيًّا اجتماعيًا،
ثم نخلعه في الخفاء، لأنَّ القلب لم يتعلّق بالله... بل بصورةٍ عنه.
صرنا نرضى أن يُقال عنّا:"ملتزمون"...
حتى لو كنا من الداخل منهزمين، متعبين، متناقضين،
حتى لو امتلأ القلب فراغًا مخيفًا لا تُسكِتِه العبادات الشكلية.
الدين الحق... ليس ما ترتديه لتُرضي أعين الناس،
بل ما تعيشه لتُرضي الله، وإن لم يرك أحد.

فمن لا يُقيم العلاقة مع الله في قلبه... سيعيش طول عمره يُجَمّل واجهته،

ويغفل عن خراب بيته الدَّاخلي.

سؤال جوهري يهزّ القلب:

هل نعبد الله كما نُحب نحن ...أم كما أراد هو؟

- نُصلّي... لكن بلا روح، نُؤدّي الحركات، نُحسن الوقوف والانحناء، لكن القلوب غائبة، تائهة، لا تخشع ولا تتصل.
- نغطي الرأس... لكن قلوبنا ما تزال عاريةً من الطهارة، نتزيّن بلباس الحشمة، لكن نُخفي فيه كِبرًا أو قسوة أو رياء.
- نحفظ القرآن... لكننا لا نرتجف عند آيات الوعيد، ولا نطير فرحًا بآيات الرحمة، وكأنَّ القرآن صار مادةً ذهنية، لا حياةً تسري فينا.
- نأمر غيرنا بالمعروف... لكننا ننسى أنفسنا، نُذكّرهم بالصلاة... ونتأخر نحن عنها، نُنكر عليهم الغفلة... ونُحادث أنفسنا بما هو أجهل.
- نُحاسب غيرنا بشدّة، ونُغفر لقلوبنا كل تقصير، كأننا وكلاء عن الله... لا عبيدٌ مثقلون بالذنوب.

لكن الدين... لم يكن يومًا شكلًا خارجيًا فقط.

بل هو عهد، كما قال الله: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ**﴾

ميثاق... بينك وبين الله، لا يراه الناس، ولا يُزوَّر بكثرة العبادات، ولا يُستخرج منه "شهادة التزام" تُعلّق على صدرك.

فإن لم تكن عبادتك صادقةً في الخفاء... فكلّ ظاهرٍ منها سراب.

وإن لم يكن بينك وبين الله عهدٌ حقيقي...
فكلّ ما تفعله خارجه وهمٌ مغلّف بالدِّين.

التديّن الخارجي... خطره الأكبر:

أنه يُخدّر القلب دون أن يُطهّره... يُقنعك أنك قريب من الله...

بينما أنت في الحقيقة تعبد صورة التدين... لا الله تعالى نفسه.

هل يُمكن أن تُصلّي ثلاثين سنة...

بخشوع الظاهر، وانتظام الوقت، ومظهر الهيبة،

ثم تُفاجأ يوم القيامة أن صلاتك لم تكن لك؟

نعم! إن لم تكن لله، فهي عليك لا لك.

هل يُمكن أن تحجّ، وتبكي، وتُذكَر في المجالس على أنك من الصالحين...

ثم يُقال يوم القيامة:

"اذهبوا به، فقد صلّى لغيري... وذكرني ليُقال عنه صالح"!

نعم، وهذا ليس خيالًا...

بل من أصدق من الصادق المصدوق ﷺ حين قال:

"إن أول الناس يُقضى عليه يوم القيامة... رجلٌ:

- **تعلّم وعلّم،**
- **وقاتل في سبيل الله،**
- **وتصدّق حتى أبهَر الناس.**

لكن النهاية كانت نارًا، لأنهم فعلوا ليُقال... لا لله.

هذا هو الخطر الحقيقي للتديّن الشكلي:

أن تعيش عُمرًا كاملًا وأنت تظن أنك قريب...

ثم تكتشف أنك كنت فقط بارعًا في الأداء، لا في الإخلاص.

فأصلح نيتك قبل عبادتك، وابكِ بين يدي الله في الخفاء...

فإنه لا يَقبل من العمل إلَّا ما كان خالصًا له، لا للناس.

دعنا نُعيد السؤال... ولكن هذه المرّة بصدقٍ لا مجاملة فيه:

- هل أنا أعبد الله... لأنه يستحقّ العبادة؟ لأنه ربّي، وخالقي، ورازقي، أم لأنني أبحث عن انتماء اجتماعي، أو احترام في العيون، أو صورة دينية لائقة؟.
- هل صلاتي... هي حديث قلبي مع الله تعالى؟ أم مجرّد طقس يومي، أؤدّيه كما يفعل الجميع، ثم أعود كما كنت؟..
- هل حجابي، خُشوعي، دعوتي، مشاركتي في مجالس الخير... كلها نابعة من معاملة قلبيّة صادقة مع الله تعالى؟ أم أنها مجرد مظاهر مألوفة... تعلّمتها، ورضي بها مجتمعي، فمشيتُ بها؟.
- هل إذا اختفى الناس من حياتي... سأظلُّ كما أنا في تديّني؟ أم أن تديّني سينهار... لأنه ما كان لله تعالى، بل للناس؟.

الفرق الجوهري بين التديّن الحقيقي والتديّن المزيّف...

أن الأول يربطك بالله في السرّ والعلن...

والثاني يربطك بالناس، فإذا غابوا... غبتَ أنت عن كل شيء.

فاسأل نفسك الآن، بكل شجاعة:

هل تديّني يُرضي الله... أم يُرضي صورتي عند الناس؟

رسالة هذا الفصل:

إن كنت اليوم تُحافظ على ظاهر الدين... فهذه نعمة.

أن تُصلّي، أن تتحجّبي، أن تحفظ، أن تدعو... كلها نعم عظيمة.

لكن ...لا تركن إليها... ولا تظن أنها وحدها تكفي.

بل قف مع نفسك واسأل بصدق:

- هل قلبي حي؟

– هل في خلواتي شيء يُرضي الله... ولو لم يره أحد؟
– هل أنا أتغيّر فعلاً من الداخل؟ أم فقط أُتقن التصرّف من الخارج؟

الدين الحقيقي... لا يُقاس في العلن، بل في الخلوة.
حين لا يراك أحد، ولا يُصفّق لك أحد، ولا يُحاسبك أحد...
إلّا الله سبحانه وتعالى.

الدين الحقيقي... ليس ما يُقال عنك،
بل ما يُقال لك حين تقف وحدك أمام الله تعالى،
ويُقال: " عبدٌ صدق... فرُحم ".

الفصل الخامس: نقّوا الطريق... ليظهر جمال الإسلام

- **الإسلام جميل... لكن بعض الطرق إليه مُلطخة!**
- **فكيف ننزع الشوائب التي حجبت نوره عن القلوب؟**

لم يكن الإسلام في يومٍ من الأيام عبئًا على أحد...
بل كان ـــ منذ أن تنزّل ـــ نورًا يبدّد ظلام القلب،
وبلسمًا يداوي الجراح التي لا تُرى،
وراحةً داخليةً تهتف بها الأرواح المتعبة قبل الألسنة.
كان إذا دخل على أُمَّةٍ جائعة للعدل... أشبعها.
وإذا دخل على قلبٍ جاف... روّاه.
وإذا خالط حياةً ممزّقة... رتّبها، وأحياها من جديد.
لكن... ما بال كثيرٍ من الناس اليوم ـــ مسلمين وغير مسلمين ـــ

إذا رأوا الدين نفروا؟ وإذا سمعوا اسم "الإسلام "تحفّزوا أو خافوا؟
وإذا تحدّثنا عن الحجاب، أو القرآن، أو الحدود...
تحوّلت الملامح، وتوتّرت القلوب، وبدأ الدفاع أو الهروب!
فهل المشكلة في الإسلام نفسه؟ في دينٍ قال عنه ربّ العالمين:
﴿مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾؟
أم أن العيب في الطُرق التي سلكناها إليه؟
- حين قدّمناه بوجهٍ غاضب لا وجهٍ رحيم.
- حين حملناه على أكتاف متعصّبة، لا قلوب متواضعة.
- حين استعملناه أداةً للفرز والتصنيف... لا بابًا للهداية والضمّ.
الإسلام لا يُنفّر... لكن من قدّموه بلا نور، ولا خلق، ولا فهم...
هم من جعله يبدو كذلك... فليكن هذا نداء صدق جديد:
" لنعد إلى الإسلام... كما أنزله الله، لا كما شوهناه ".

الإسلام... في جوهره الحقيقي:
نقيٌ كالماء الصافي، جميلٌ كالفطرة السَّليمة..
لكن في طريقه إلينا... مرَّ عبر سلوكيات مُنفّرة،
وتشابك مع خطابات غليظة لا تُشبه روح القرآن،
وتلوّن بأيدي من خلطوا بين الحق وأهوائهم،
فقدّموه مشوّهًا، مشدودًا إلى ماضي الجماعات لا مستقبل القلوب.
وهكذا... أصبح الطريق إلى الإسلام —لا الإسلام نفسه—
وعرًا، مليئًا بالحفر النفسية، والحواجز النفسية،
طريقًا يُخيف الباحث، بدل أن يُضيء له،
طريقًا يُقال فيه:"إن دخلتَ... فإما أن تصير مثلنا، أو تُرفض".

لقد تلطّخ الطريق... لا الدين!.. الدين بقي نقيًّا كما أنزله الله تعالى،
لكننا وضعنا بينه وبين الناس غبار العُرف، ودخان الغلظة،
وضجيج الصراعات التي لا تمتّ بصلةٍ إلى النور الأول.

فإن أردت أن تدعو إلى الإسلام...
فابدأ بتنظيف الطريق إليه، لا بتزييف جوهره.
وإن أردت أن تُحبّب الناس في الدِّين...
فكن أنت أول شاهدٍ على نقائه.

من يصدّ عن الله؟

ليس فقط من يُهاجم الإسلام صراحةً،
ولا فقط من يُحارب المساجد، ويمنع الأذان، ويحظر الدعوة...
بل أحيانًا يكون من يحسب نفسه على الدين،
هو أول من يصدّ الناس عن الله ... دون أن يشعر!

- حين يُشوّه الإسلام بسلوكه الجاف،
- حين يُطفئ نور الرحمة بغلظته واستعلائه،
- حين يُخيف القلوب من التوبة ... بتشدّده وتعصّبه،
- حين يجعل من الدين حلبة صراع... لا حضن عودة.

قال الله تعالى:﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ**﴾
وما الظلم أشدّ... ممن يصدّ الناس عن الله، لا بسلطان، بل بسوء التمثيل،
لا بمنعٍ صريح... بل بتصرفاتٍ تُنفر، وتُقسّي، وتغلق الباب في وجه الباحثين عن النور.

ومن أظلم ممّن...

- قدّم صورة الله على أنها غضب دائم، لا رحمة تنتظر؟

– جعل من الالتزام سجنًا نفسيًا، لا طريقًا إلى السلام؟
– احتكر الحقيقة، ووزّع تهم الضَّلال على كل من خالفه؟

الصدُّ عن الله لا يكون بالكلام فقط...
بل بالانطباع الذي تتركه في قلب من يراك.
فإن لم تكن جسرًا إلى الله... فإياك أن تكون حاجزًا عنه!

كيف ننقّي الطريق إلى الله؟

كيف نُعيد للدين وجهه النقي... ونمسح عنه غبار التشويه وسوء التمثيل؟
لا يكون ذلك بالصُّراخ ولا بإدانة الآخرين،
بل بخطوات عملية صادقة تبدأ من أنفسنا:

١- أن نُصلح أنفسنا أولًا... فـ المُصلِح لا يكون منفّرًا، من لم يتطهّر من داخله، لن يُضيء لغيره الطريق، دعوتك لا تُقبل إن لم تكن صادقة فيك قبل أن تخرج منك.

٢- أن نُعيد الخطاب إلى ميزان الرحمة... لا إلى نبرة الغضب، الإسلام نزل رحمة... لا وعيدًا بلا سياق، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾، فاللين هو من آثار الرحمة، لا ضعف في الدين.

٣- أن نُعامل الناس كأنهم باحثون عن الله... لا خصوم له: القلوب التائهة لا تحتاج إلى محاكمة، بل إلى من يفهم ألمها، ويرشدها برفق.
كل من تُخاطبه... قد يكون في داخله بذرة هداية تنتظر كلمة طيبة.

٤- أن لا نخلط بين الله تعالى... وأخطائنا البشرية: فإذا أخطأ شيخ أو داعية أو جماعة، فلا نُحمّل الله ما لم يقله، ولا نربط صورة الإله بسلوكنا المتقلّب، الله تعالى أكبر وأرحم بنا.

٥- أن نُقدّم الإسلام كما أنزله الله... نقيًّا، رحيمًا، عادلًا، واضحًا،

لا كما شوّهته الجماعات المتعصبة، ولا كما قسّمته المذاهب،
ولا كما لوّنته الشاشات لخدمة أجنداتها.

تنقية الطريق... ليست مهمة خطابية، بل مسؤولية روحية،
فمن أحب الله بحق... هيّأ الطريق إليه، لا أغلقه بجهله أو كبريائه.

تخيّل...

لو أن كل واحدٍ منّا أزال غبار نفسه عن مرآة الإسلام،
لو نظّفها من كِبره، وتعصّبه، وغلظته، وريائه،
لو تركها صافية كما أنزلها الله... لا كما لطّختها الأنانية والمظاهر والموروثات.
كم من الناس سيسيرون نحوه برفق؟ لا لأنهم أُجبروا،
بل لأنهم اشتهوا هذا النور حين رأوه ينعكس بصدق.
كم من القلوب ستُبصر نور الله تعالى من جديد؟
بعد أن غاب عنها وجهه الجميل خلف ضباب التشويه وسوء التمثيل.
وكم من شابٍ وشابةٍ، ضائعين في زحام الحياة، تائهين في بحثهم عن معنى،
سيقولون بدموع ودهشة:
"والله... لو كان هذا هو الإسلام... فلا أجمل منه"!

الإسلام لا يحتاج من يُجمّله بالكلام...
بل من يُزيل الغبار عن وجهه، ليظهر نوره كما هو.
فكن أنت هذا العاكس الأمين... واسمح لنور الإسلام أن يُرى من خلالك.

هذا الفصل... ليس مجرّد كلمات تُقرَأ، بل نداء يُوقظ:

إنه دعوة للتجديد... لا للتجميل.
لسنا بحاجة إلى طلاءٍ جديد على وجه قديم مشوَّه،

بل إلى عودة صادقة إلى أصل النور... كما أنزله الله، لا كما صاغته أهواؤنا.
إنه دعوة للصدق... لا للتزيين.
أن نكفّ عن تلميع الصورة من الخارج، ونبدأ بتقويم الروح من الداخل،
أن نعترف أنَّ المشكلة ليست في الإسلام... بل في تمثيلنا له.
إنه دعوة لأن نغسل طريق الله من أوحال الناس...
من غلظة الخطاب، وتشويه الجماعات، وتديّن المظاهر،
لنُعيد لهذا الطريق نوره وبهاءه وصفاءه.... فالدين لا يحتاج من يُجمّله،
بل من يصدُق معه... فيُزيل ما تراكم عليه من غبارنا،
ليعود كما نزل: رحمةً، وهدايةً، وسلامًا.....

الفصل السادس: **العودة إلى القرآن... لا إلى الأقوال المتداولة**

- **هل نُؤمن بالنص؟ أم بتفسيراتٍ مشوّهة له؟**
- **اقرأوا القرآن... وكأنكم تقرأونه لأوّل مرة.**

لقد بات كثير من الناس اليوم يعيشون في ظلال "قال فلان"، و"نُقل عن فلان"، و"يروى عن فلان...":
وكأنَّ الدين أصبح سلسلة من الروايات البشرية،
لا وحيًا إلهيًا محفوظًا في صدور وقلوب المؤمنين.
ونسينا — في خضمّ ذلك — أن الأصل ليس الأقوال،
بل القول الفصل: كتاب الله، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،
هو الميزان، وهو النور، وهو الدليل حين تختلط الأصوات.

ليس كل ما تداوله الناس هو الحق، ولا كل ما ورثناه هو الدين،
فكم من فكرة توارثتها الأجيال...
وهي في ميزان الله ظلمٌ، أو بدعة، أو جفاء عن الرحمة.
الدين الذي ارتضاه الله لعباده... محفوظ في القرآن،
واضحٌ، نقيّ، لا يفتقر إلى زخرفة ولا تزييف.

لا تبحث عنه في

- خُطب المنصات المملوءة بالتحزّب،
- ولا في تدوينات الغضب والانفعال،
- ولا في فتوى كل من حمل لسانًا فصيحًا دون علمٍ راسخ.

إن أردت الدين كما أراده الله... فارجع إلى القرآن،
ثم انظر في سيرة النبي ﷺ كيف فهِمَه، وعاشه، وبلّغه للناس نورًا لا نقمة.

فليكن مرجعك هو الوحي، لا وهم الجماهير.

القرآن...

هو النداء الذي لم ينقطع، والوحي الذي لم يُبدّل،
والكلمة التي تنبع من السماء إلى القلب... مباشرة.
لكن حين يتراكم الغبار على هذا النور،

- غبار التفسيرات المشوّهة،
- وغبار الاجتهادات الضعيفة،
- وغبار الانفعالات البشرية المغلّفة بلبوس الدين...

فإنك لا تعود تسمع كلام الله، بل تسمع صوتًا آخر،
صوتًا يزعم أنه من الله... لكنه في حقيقته مشوَّه بهوى الناس،
ومرآة لجراحهم، لا لرحمة الله.

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾
أي: ميّزوا، تدبّروا، افهموا بأرواحكم...
ففي القرآن درجات من الهداية، وخطاب متنوع،
والمطلوب من القلب أن يختار أحسن ما فيه،
لا أن يُسلّم سمعه لكل ما يُردَّد.
ولم يقل الله:
"اتبعوا ما سمعتموه يُقال على المنصات، أو ما ورثتموه بلا وعي،"
بل قال: "ٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ" أي ما يُحيي القلب، ويُطهّر السلوك، ويقودك إليه،
لا ما يُغذّي كِبرك، أو يُغلقك عن الناس، أو يجعلك خصمًا لا عبدًا.
إذا أردت أن تسمع الله حقًّا... فامسح الغبار عن المصحف،

واقرأ القرآن لا بعين الانتماء، بل بقلبٍ يشتاق لله.
اقرأه كأنك أول من سمعه... وكأنك وُلدت لتفهمه.

"اقرأوا القرآن... وكأنكم تقرأونه لأوّل مرة":

هل جرّبت ذلك يومًا؟ أن تفتح المصحف لا لأنك حافظه،
ولا لأنك تُراجع وِردك، ولا لأنَّ عليك واجبًا تُؤدّيه...
بل لأنك تشتاق أن تسمع الله... بعذوبة البدايات.
أن تقرأه بلا خلفيات مسبقة، بلا ضوضاء الآراء،
بلا صراخ الجماعات، بلا عدسة المذهب،
ولا ضغط الجماعة، ولا تصفيق المتابعين...
فقط أنت... وكلام الله.
كأنك في لحظة الغار... تسمعه يُخاطبك:"اقرأ".
أن تفتحه لا لتُثبِت فكرة، ولا لتبحث عن ردّ،

بل لتفهمه كما أنزله الله، لا كما لوّنه الناس.

القرآن لا يحتاج وسطاء... بل يحتاج قلوبًا منكسرة، ضائعة، صادقة،

تبحث عن الله... لا عن إثبات الذات.

فهل تجرؤ أن تقرأه هكذا؟

أن تُعيد علاقتك معه إلى فطرتها الأولى...

قبل أن تُشوّهها كثرة الأصوات؟

إن فعلت... فلن تسمع صوتًا في الدنيا أصدق من هذا:

"إنني أنا الله... فاعبدني".

أمثلة مؤلمة...

لكنها واقعية، تُظهر كم ابتعدنا عن مقاصد الوحي، حين قرأناه بأهوائنا لا بقلوبنا.

- من الناس من يقرأ قوله تعالى: ﴿**ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ**﴾ فلا يرى فيها مسؤولية ورحمة وعدلًا، بل يُفسّرها كتشريعٍ لـ التسلّط والهيمنة والتحكُّم، وكأنَّ القوامة سيف... لا أمانة، وسلطة... لا تكليف من الله بحماية المرأة ورعايتها وصون كرامتها.
- ومنهم من يقرأ: ﴿**وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ**﴾ فلا يرى فيها جهاد النفس، والصبر على الطاعة، ومجاهة الهوى، بل لا يراها إلا نداء حرب، وكأنَّ الإسلام لا يعرف إلا السلاح، وينسى أن أول الجهاد كان في مكة... بلا سيف، بل بثبات وإيمان ورحمة.
- ومنهم من يطيل الوقوف عند آيات العذاب، وينسى أن الله قال بعد كل ذلك، بل في قمة العتاب: ﴿**نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ**﴾ وكأنَّ الخوف يجب أن يُلغي الرجاء، وكأن الله لا يُحَبّ... بل يُخشى فقط!

هل هذه هي القراءة التي أرادها الله؟ هل أنزل القرآن ليُفهم بالانفعال؟

أم بالتدبر؟.... بالهوى؟ أم بالهُدى؟

القراءة التي أرادها الله... هي التي تُحيي القلب، لا تُقسّيه.

تُهذّب النفس، لا تُبرّر غرورها.

تفتح باب الرحمة... حتى في لحظة الوعيد.

تُقرّب العبد من ربّه... لا تجعله يهرب من كتابه.

فإن قرأت القرآن وخرجت أكثر كِبرًا أو قسوة أو استعلاء...

فاعلم أنك لم تقرأه كما يُحب الله، بل كما أحبّت نفسك.

كيف نعود إلى القرآن... عودة حقيقية؟

لا بزيادة القراءة فقط، بل بتبديل النية، وتصحيح الوجهة، وتنقية القلب مما تراكم عليه من غبار الهوى والموروث والسطحية.

١- أن نقرأه لنُصلح أنفسنا... لا لندين الآخرين: فالقرآن لم يُنزَل ليكون أداة فرز، ولا ليُستخدم كحجّة لإسقاط الناس، بل ليكون مرآة نُراجع بها أنفسنا، قبل أن نحاكم غيرنا.

٢- أن نطلب الهداية منه... لا الوقوف على عتبات المعلومة: فالقرآن ليس كتابًا للمعلومات الجافة، بل هو وحيٌ يحيي القلب، ويدلّك على الله، ويأخذ بيدك من التيه... إلى الطمأنينة.

٣- أن نرجع إلى تفسيره الصحيح... لا إلى المنصات الجاهلة: أن نطلب العلم من أهله، من المفسّرين الذين عايشوا لغة الوحي وفهموه بمنهجية ورحمة، لا ممن يتكلّمون باسم الدين وهم جهلة أو متاجرون بالشعارات.

٤- أن نقرأه بحُب... لا بخوفٍ مشوَّه: فالقرآن لم يُنزَل ليُرهبك فقط، بل ليأخذك في رحلة حبّ مع الله سبحانه وتعالى، تفهم فيها جمال أسمائه،

وعدله، ولطفه، وكرمه.

٥- وأن نسأل أنفسنا دائمًا... هل هذا الفهم الذي وصلت إليه... يُشبه رحمة الله؟ أم أنه نتاج خوفي، أو غضبي، أو فكري الموروث؟... فإن كان لا يُشبهها... فلا تنسبها إليه.

٦- العودة الحقيقية إلى القرآن... هي أن تقرأه بقلب يسأل الله لا يزعم عنه، ويبحث عن الله لا عن إثبات رأيه، ويُحبّ الله... لا فقط يخشاه.

فمن قرأ القرآن وخرج منه أقرب إلى الله... فقد قرأه حقًا.

هذا الفصل... ليس مجرد تأمّل، بل دعوة لثورة معرفية قلبية:

- ثورة لا ترفض العلم الصحيح، ولا تنكر الفقه المنضبط، ولا تعادي التراث، بل تُعيد ترتيب المقدّسات...

على النحو الذي يرضي الله، لا الناس.

- القرآن أولًا... هو الأصل، وهو النور، وهو المعيار، هو صوت الله سبحانه وتعالى، الذي لا يُردّ ولا يُبدّل، ثم بعده: كل علم، وكل قول، وكل تفسير، لكن بشرط واحد: أن يكون موافقًا للقرآن في روحه وعدله ونوره، لا مفسدًا له بالتعصّب، ولا ملوّثًا له بهوى الجماعة، ولا مشوّهًا له بلسان من جعل من نفسه خصيمًا باسم الدين.
- ليست ثورة على العلماء... بل على من وضعوا أنفسهم أوصياء على كلام الله دون علم.
- ليست رفضًا للفقه... بل رفضًا لمن جعلوا الفقه سجنًا يُطوّق القلوب بدل أن يهديها.
- هي ثورة ترتيب... تعيد للقرآن مكانه الحقيقي:

- في قلبك قبل كتابك،
- وفي فهمك قبل حفظك،
- وفي سلوكك قبل خطابك.

فمن قدّم كلام البشر على كلام الله...
فقد ضَلَّ، ولو حفظ ألف كتاب.
ومن أعاد القرآن إلى مقامه الأول...
فقد عاد إلى الله من أقرب طريق.

الفصل السابع: النَّبيُّ ﷺ هو القدوة... لا الداعية المتصدّر

لماذا نقتدي بمن يُخطئ... وننسى من لا ينطق عن الهوى؟

من قدوتك؟

في زمنٍ تكاثرت فيه الوجوه على الشاشات، وتزاحم المتصدرون على المنصات.
صارت القلوب تائهة، تتساءل همسًا في زحام الصَّخب:
"من أُشبه؟ من أتابع؟ من أقتدي به؟"
فتأتي الإجابة من الضوء لا من النور...
من الصورة المتقنة، لا من السيرة المؤتمنة.
من صوتٍ مرتفع، لا من خلقٍ متواضع.
فصرنا نُعجب بمن يُتقن العبارة... لا بمن يُجسّد الرسالة.
ونميل إلى من يُشبه مزاجنا... لا من يُشبه نبيَّنا ﷺ.
سقط المعيار، وانحرفت البوصلة:
صار القدوة من يُرضي أذني ...لا من يوقظ قلبي.

فاحذر أن تُشبه من يعجبك... وانظر دائمًا: هل يُشبه مُحمدًا ﷺ؟

مشكلة هذا الجيل...

أننا صرنا نقيس قداسة الدين بسقوط بعض البشر،

ونبني صورة الإسلام من تصرفات من يُمثله... لا ممن أنزله.

فإذا زلّ الداعية، قلنا: هذا هو الإسلام!

وإذا خان العالم، قلنا: هذا هو الدين!

ونسينا أن الإسلام ليس ابنَ أحد... بل هو وحيٌ محفوظ، نبيّه قدوة، وسيرته ميزان.... القدوة لم تتغير، لم تسقط، لم تتلوّن،

بل ما زالت شامخةً تنادي من بين صفحات القرآن والسيرة:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

لا في "يوتيوبر بليغ"، ولا في "خطيب محبوب"،

بل في من نزل عليه الوحي وهو ساجد.

فلا تحاكم الدِّين بأخطائنا...

بل قِسه على نور من بعثه الله ليكون رحمةً للعالمين.

رسولٌ لا ينطق عن الهوى...

ما كان وحيُ السماء ليُترك لأهواء الأرض.

كان الله قادرًا أن يقول: اتّبعوا العلماء، اقتدوا بالفقهاء،

لكنه قال بجلاءٍ لا لبس فيه:

﴿فَآمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَاتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

الاتباع الحق... ليس لحيةً مرسومة، ولا زيًّا منسوجًا على مقاس العادة،

ولا لهجةً متكلَّفة تشبه صوت الوعّاظ،
بل اتباع قلبٍ خاشع... وأدبٍ في القول والفعل،
ورحمةٍ تسبق الأحكام... وصدقٍ لا يعرف التكلّف.
اتباع النَّبي ﷺ... ليس أن تُقلّده في الظاهر، بل أن تُشبهه في النور.

سؤالٌ يهزُّ القلب من أعماقه...

"لو عاد النبي ﷺ اليوم... هل سنشبهه؟"

هل سيعرفنا من بين هذا الزحام؟
أم سيقف مُتحيرًا: أين أُمتي التي أحببت؟ أين من ادّعوا اتباعي؟..

- هل سيرى فينا صدق التبليغ ... أم رياء التصدر؟..
- هل سيرى فينا رحمة الدعوة ... أم قسوة التنفير؟..
- هل سيرى فينا حياء الطهر ... أم جُرأة العرض والاستعراض؟..
- هل سيرى فينا حبًّا يورث البكاء شوقًا ... أم كلمات جوفاء تثير الإعجاب لا الإيمان؟..

"اتّباعك الحقيقي للنَّبي ﷺ يُقاس بمدى شبهك به لو رأيتَه وجهًا لوجه"

وقفات مؤلمة... تُدمي القلب وتوقظه:

- كم من داعيةٍ يرفع صوته... أكثر مما يرفع إيمانه، ينطق بالحق في الظاهر، لكن لا يُسمِع قلبه في الداخل! يُفحم الناس بالحجّة، لكن لا يُنير قلوبهم بالهُدى.
- وكم من متصدرٍ يزعم تمثيل السُّنّة... لكنه نسي أنَّ النَّبي ﷺ كان إذا رأى ضعيفًا... رقّت له السماء قبل الأرض، فأين تواضع من قال:"اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"؟..

- وكم من "ناشط إسلامي" يشتم باسم الغيرة، يسبّ باسم الحق، يجرح باسم الدفاع عن الدين... ولا يملك شيئًا من حلم مُحَمَّد ﷺ الذي بُعث رحمةً للعالمين.

ليست الغيرة أن تصرخ بل أن تُشبه رسولك في رحمته، وتُبلّغ عنه بأدبه.

هذا الفصل... دعوة يقظة:

أن نُعيد القدوة الكبرى إلى مكانها الحقيقي،

وأن نفهم بعمق:

من تقتدي به... قد يزرع في قلبك فهمًا لله، إمّا يقرّبك منه... أو يبعدك عنه.

فإن كان غليظًا، رأيت الدين غلظة.

وإن كان جافًا، رأيت الله قاسيًا — وحاشاه.

وإن كان مُرائيًا، رأيت الإيمان استعراضًا.

فلا تجعل قلبك يشبه الدُّعاة...

بل اجعله يشبه من نزل عليه الوحي، فصار قرآنًا يمشي على الأرض.

القدوة الحقة لا تُحدّدها الشُّهرة، بل يُثبتها النور الذي يُقربك من الله.

الفصل الثامن: الإسلام طريق حياة... لا طقوس مؤقتة

- **كيف نحيا مع الله بعد رمضان؟ بعد الصلاة؟ بعد التوبة؟**
- **"استقامة الروح" أهم من موسمية التدين.**

لحظة صدق... تهزّ القلب قبل اللسان:

- رمضان انتهى... لكن هل انتهت علاقتك بالله؟

- الصلاة انقضت... فهل انقضى الوصل بينك وبينه؟
- بكيتَ في التوبة... فهل عدت بعدها كأنك لم تبكِ قط، وكأنَّ الدمع كان مشهدًا لا عهدًا؟..
  - إن كنتَ ترى الإسلام محطة مؤقتة... فاعلم أن الطريق إلى الله لا يُقاس بالأوقات، بل بالثبات.
  - وإن كنتَ تراه لحظةً عابرة... فاعلم أن الله لا يُعبد لحظة، بل يُعاش حبًّا وعمرًا وأبدًا.

الدين ليس موسمًا... بل هو قرارُ قلبٍ لا يتبدّل مهما تغيّرت الفصول.

مأزق التدين الموسمي...

تلك الأزمة الصامتة التي لا تُحكى... لكننا نعيشها.

- كم من قلوبٍ اشتعلت في رمضان... ثم انطفأت كأنها لم تعرف النور يومًا؟
- وكم من أعينٍ دمعت في سجدةٍ صادقة... ثم جفّت في زحام العادة؟
- وكم من فتياتٍ تلثّمن بحياء الإيمان أيامًا... ثم نزعنه كأنَّ الحياء كان زيًّا لا عهدًا؟
- وكم من شبابٍ تخلّوا عن الذنوب في لحظة صدق... ثم سحبهم تيار الهوى، لأنهم لم يتشبثوا بالحبل المتين؟

كل ذلك... لأنهم ظنّوا أن الله يُعبد في المواسم، لا في كل الأنفاس.

وأن القرب منه حالة شعورية مؤقتة ...لا عهدٌ أبدي لا يُكسر.

من عرف الله حقًّا... لا يُطفئ شعلة الإيمان بعد رمضان،

بل يُشعل بها عمره كلّه.

الله تعالى... لا يغيب بانقضاء الموسم:

فهو ربُّ العام كلّه ...لا ربُّ شهرٍ واحد.

ليس إله رمضان فقط... بل إله كل الأيام، وكل اللحظات، وكل الساعات التي تنبض فيها القلوب.

ليس إله المساجد فقط... بل إله السوق حين تَصدُق،

والبيت حين تُحسن، والطريق حين تُؤمِّن الخلق من أذاك.

الصلاة ليست تمارين حركية... بل لقاء حبٍّ ومناجاة عهد.

ورمضان ليس "تجربة روحية مؤقتة..."

بل دعوة جادة إلى نمط حياة لا ينتهي بانتهاء التمر والمحراب.

والتوبة... ليست نوبة شعورية عابرة،

بل ميثاق قلبٍ لا يُنقَض، وسَير إلى الله لا رجعة فيه.

من عرف الله حقًا... لا يبدّله موسم، ولا تُطفئه نهاية شهر، بل يبقى قلبه ساجدًا وإن غابت المآذن.

مقياس الصدق...

لا يُقاس بالدَّمعة، بل بما بعدها.

لا يُقاس بحرارة اللحظة... بل بحرارة الاستمرار.

- ليس في بكائك أثناء تلاوة القرآن... بل فيما فعلت بعد أن أغلقت المصحف: هل طبّقت ما قرأت؟ أم تركته على الرفّ كما كان؟.
- ليس في طول قيامك بين يدي الله... بل في مدى استقامتك حين عدتَ إلى معاملات الناس.
- ليس في لحظة الخشوع... بل في ثبات الخطى بعد أن انقشع النور، واستوحشت الطريق.

الصدق مع الله... أن تُريه بعد العبادة أن ما كنت تعيشه لم يكن حالة مؤقتة... بل إيمانًا حقيقيًا يسكن قلبك...

كيف نكسر موسمية التَّديُّن؟

بأن نعيد لله تعالى مكانته في القلب... لا في التقويم.

- اجعل الله حبيبك ... لا فقط ربك الذي تأتمر بأمره في المواسم وتنساه بينها، من أحبّ الله... لم يحتج موسمًا ليقترب، بل كان كل يومٍ موعد وصال.
- اربط أعمالك بالله ...لا بزمانٍ محدد، صلّ لأنك تشتاق، لا لأن رمضان أتى، اترك الذنب لأنك تخجل منه، لا لأن الجمعة اقتربت.
- لا تنتظر شعورًا خارقًا كي تبدأ... امشِ بثبات، ولو بقدمٍ مثقلة... فإنَّ الله يُحب المداومين، لا المتحمسين المؤقتين.
- واذكر دومًا: نعمة الاستمرار... من أعظم دلائل الهداية، فلا تحتقر خطواتك الصغيرة، ما دامت نحو الله.

كسر الموسمية يبدأ حين لا تُخصّص لله وقتًا، بل تعيش له في كل وقت.

قال بعض الصَّالحين، كلمة تُضيء القلوب:

"ليس الشأن أن تُحسن في رمضان... بل أن لا تعود بعده كما كنت".

فالبدايات كثيرون يُجيدونها، لكنّ القليل فقط...

من يُثبت لله أنه لم يكن عابرَ موسمٍ، بل سائرًا إليه إلى الأبد.

العبرة ليست بـ"شرارة البداية" التي تُشعلك لحظة،

بل بـ"وهج الاستمرار" الذي يُنير لك الطريق حتى تلقاه.

رمضان يُختَبر صدقه بعد انتهائه... فإمّا أن يكون ولادةً جديدة، أو ذكرى موسمية عابرة.

وأخيرًا...

الإسلام ليس نوبة تدين مؤقتة، ولا "موسم شعور" ينطفئ بانطفاء الزينة،
بل هو طريق حياة دائم ... يبدأ من الله، ويسير إلى الله، ويُعان فيه بالله.
فاسأل قلبك بصدق: هل كنتَ تريد الله لرمضان؟
أم كنتَ تريد رمضان لتصل إلى الله؟
الفرق بينهما... كالفرق بين من يتزيّن للضيوف،
ومن يعيش النقاء لأنه يُحب الطهارة في الغيب والحضور.

**فالذين أرادوا الله سبحانه وتعالى... ما تركهم بعد الموسم، ولا تركوه،
بل ظلوا يسيرون نحوه ولو خفَّت الزينة، لأن النور في قلوبهم لم ينطفئ.**

الفصل التاسع: النيّة... قلبُ الدين الذي فقدناه

- **لا قيمة للعبادات إن لم تكن خالصة.**
- **كيف نُعيد الإخلاص إلى مركز كل فعل؟**

حين مات القلب... وظل الجسد يصلي:

تبقّى الشكل، وغاب المعنى.
تكرّرت الحركات... وسكتت النية.

- كم من مصلٍّ... لم يُصلِّ لله، بل صلى للعادة أو للعين؟
- وكم من قارئٍ للقرآن... قرأه ليُقال عنه: "قارئ!"، لا ليُقال له:"اقرأ وارتقِ".
- وكم من متصدّقٍ... وضع المال في يد الفقير، وترك الله خارج الحساب؟

إنها "النية..."
الكنز الدَّفين الذي ضاع في زحمة الطقوس، والسباق نحو المظاهر.

قال رسول الله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى".
وما نُقل هذا الحديث أولًا في كتب السُّنة...
إلَّا لأنه المفتاح الأول لكل طريق، والمصفاة التي تُفرز القلوب.
صلاح القلب يبدأ من النية... فمن خسرها، صلى بجسده وسقط بروحه.

حين يُمحى الإخلاص...

يبهت النور، ويضيع الطريق، ويتحوّل التعبد إلى تمثيل، والعبادة إلى أداء اجتماعي.

- حين نعبد الله لأجل الناس ...فقد عبدنا الناس، لا الله تعالى.
- وحين نطلب رضاهم ونحن نزعم أننا نسير إلى الله... فقد ضللنا الطريق قبل أن نبدأ.

لذلك ترى:

- من يصلي في المسجد بنشاط... ثم يغتاب بلسان حادٍّ لا يذكُر الله.
- ومن يعلّم الناس الخير... لكنه يغضب إن لم يُصفَّق له.
- ومن يحفظ القرآن... لكنه ينهار إن لم يُمدَح أو يُرفع فوق الناس.

لأن القلب لم يُرد الله، بل أراد الثناء... الظهور... الأضواء.
العبادة بلا إخلاص كقلبٍ ينبض في جسد ميت: يُرى... لكن لا يَحيى.

خطر العبادة بلا إخلاص:

حين تغيب النية... يفقد كل شيء روحه.

- تتحوّل الصلاة إلى روتين جسدي لا يوقظ القلب.
- ويصبح القرآن مجرد إنجاز صوتي، لا نورًا يُهتدى به.
- وتُصبح الصدقة صفقة اجتماعية، لا سِرًّا بين العبد وربه.

- ويُصبح الدِّين ... زيًّا يُلبَس لا روحًا تُعاش.

والنتيجة؟ تديُّن أجوف...

لا يُزهر في القلب، ولا يُثمر في السلوك،

يبهر الناس مظهره... ويُخيفهم جوهره.

العبادة بلا إخلاص... كزهرة بلا عِطر، وكقمرٍ بلا نور:
تَبهُت بسرعة... وتخدع النظر.

كيف نُعيد الإخلاص إلى مركز كل فعل؟

بأن نُطهّر القلب... قبل أن نُحسّن الشكل.

وبأن نُصوّب النيّة... قبل أن نُعدّ العمل.

- تذكّر دائمًا: الله ينظر إلى القلوب... لا إلى عدد الركعات، بل إلى لمن صلّيت، لا إلى صوت التلاوة، بل إلى صدق القرب.
- اصنع أعمالًا لا يعلم بها أحد، صدقة خفية، دعوة في الليل، سجدة لا تُخبر بها حتى نفسك... واجعلها بينك وبين الله فقط... بلا إعلان ولا منشور ولا انتظار للثناء.
- اسأل نفسك قبل كل فعل: "هل كنت سأفعل هذا لو لم يرني أحد؟" فإن تردّدت... فأعد النية حتى تصفو.
- وادعُ الله دومًا بهذا الدعاء النبوي الخالص: "اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا".

الإخلاص لا يُؤخذ من الناس... بل يُمنح من الله، لمن صدق في طلبه.

قال أحد الصالحين، كلمة تختصر طريق القرب:

" رُبَّ عملٍ صغيرٍ تُعظّمه النيّة، وربَّ عملٍ كبيرٍ تُصغّره النيّة ".

لأنَّ الله لا ينبهر بحجم العمل، ولا تُدهشه كثرة السجود ولا طول التلاوة،
بل ينظر إلى ذاك القلب الخفيّ... هل كان صادقًا؟
فقد تُطعم مسكينًا... وتسبق بها من بنى مسجدًا.
وقد تبكي في سجدةٍ واحدة... وتُرفَع بها فوق من صام الدهر.

الميزان عند الله... ليس "كم فعلت؟" بل "لمن فعلت؟"

وخاتمة الخاتمة... كلمة تزن عمرك كله:

النية ... هي ميزان يوم القيامة.
والإخلاص ... هو الخط الفاصل بين "دينٍ لله" و"دينٍ للناس".
فقد تحمل جبالًا من الأعمال... لكنها تتهاوى في الميزان، إن لم يكن فيها الله.
وقد تأتي بعملٍ صغير... فيُثبّتك الله به إلى الأبد،
إن وُلد من قلبٍ لا يريد إلَّا وجهه.
فاسأل نفسك الآن، بصدق لا مجاملة فيه:
كل ما فعلته ... لمن فعلته؟ لوجه الله؟ أم لنظرة الناس؟
أم لراحة ضميرك؟ أم لتُقال... فتُخذل؟

فالنية... لا تُرى بالعين، لكنها تُحدّد مصيرك عند الله تعالى.

الفصل العاشر: مفتاح العودة: التوحيد الخالص

- **كل الانحرافات تبدأ حين يُعبد غير الله: مال، شهرة، نفس، عادات...**
- **العودة إلى النَّبع هي العودة إلى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**

كل ما فسد... فسد من هنا!

من موضعٍ خفيٍّ لا تراه العيون...

لكنه يُسقط كل شيء دون صوت: القلب.

ليست المشكلة في الصلاة ولا في الحجاب،

ولا في حضور الدروس، ولا في إلقاء المحاضرات،

بل في ذلك القلب الذي لم يعد لله وحده...

بل صار يلتفت للناس أكثر مما يلتفت للسماء.

- هل عبدنا الله؟ أم عبدنا صورتنا أمام الناس؟
- هل صُمنا لنقترب من الله؟ أم لنُشعر أنفسنا أننا "أفضل" من غيرنا؟

الفساد الحقيقي لا يبدأ من السلوك، بل من العبادة المُزيفة...

التي لا تُشبه النور، بل تُشبه الظل.

إذا فسدت العبادة... فسد كل شيء، لأنَّ الجسد يسجد،

لكن الروحِ تبقى قائمة في ساحة الرِّياء.

ما هو التوحيد الخالص؟

هو أن يكون الله سبحانه وتعالى وحده في قلبك...

لا يُزاحمه مال، ولا هوى، ولا مديح، ولا خوف من أحد.

ليس التوحيد فقط أن تقول: لا إله إلا الله،

بل أن تعيشها... أن تُسقط كل الآلهة الخفية التي تختبئ خلف حبٍّ أو طمع أو عادة.

- من أطاع المال في معصية الله... فقد عبده.
- من سجد لشهواته كلما نادته... فقد جعلها إلهًا فوق أمر الله..
- من غيّر دينه أو استقامته لأجل مدح الناس... فما عبد الله، بل عبد ثناءهم ورضاهم.

وصدق الله حين قال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]

التوحيد الخالص... أن لا يكون في قلبك مع الله أحد،
لا في الطاعة، ولا في المحبة، ولا في الغاية.

العودة الكبرى... تبدأ من هنا...

لا من خطبةٍ مُبهرة، ولا من مشهدٍ مؤثر، بل من لحظة صدق خالصة،
تُغمض فيها عينيك على الدنيا... وتقول بقلبك كله:

"يا رب... لا أريد شيئًا في الدنيا إلَّا أنت".

"اللهم طهّر قلبي من كل صنمٍ خفيّ... لا أراه، لكنه يُبعدني عنك".

هناك فقط... يبدأ التوحيد الحقيقي:

حين تُسقط من قلبك كل ما سوى الله، كل ما كنتَ تتكئ عليه،
أو تخاف فقدانه، أو ترجوه أكثر من الله.

وتقولها لا بلسانك فقط...

بل بأولوياتك، وقراراتك، وسلوكك، وسرّك وعلنك:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

العودة إلى الله... ليست خطوة إلى الوراء،
بل قفزة إلى الحياة الحقيقية التي خُلقت من أجلها.

مفاتيح صادقة للعودة... لمن أضاع الطريق واشتاق للنور:

- راقب من تطيع؟ هل طاعتك نابعة من أمر الله... أم من ضغط الناس، أم من نداء الهوى، أم من خوف الخسارة؟ فمن أطاع غير الله على حساب أمر الله... فقد اتخذ ربًّا من دونه دون أن يشعر.
- اسأل نفسك بصدق: ما الذي يشغل قلبك أكثر؟ الله؟ أم الناس؟ أم المال؟

أم المستقبل؟ فما ملأ قلبك، مَلَكَكَ... وما مَلَكَكَ فهو سيّدك.

◄ جاهِد لتُخلّي قلبك من التعلقات... فأخطر الشرك ليس في السجود لصنمٍ ظاهر، بل في سجدةٍ خفيةٍ لرغبة، لعلاقة، لمكانة... وأنت لا تدري.

◄ واقرأ التوحيد من جديد، لا كدرسٍ حفظته منذ الصغر، بل كأعظم رسالة حياة، تُطهّر قلبك، وتعيد ترتيب وجودك كله على كلمة: "لا إله إلا الله" لا حبًا، ولا خوفًا، ولا رغبةً، إلا لله وحده.

العودة الصادقة... لا تبدأ من كثرة الأفعال،

بل من تصفية النية، وتنقية القلب من كل ما سوى الله.

كلمة تُضيء الطريق كله:

لن نعود إلى الدين الصحيح... حتى نعود إلى ربِّ الدين،

لا إلى صورته المشوّهة في أذهان الناس.

ولن نعود إلى الله حقًا... حتى نُسقط من قلوبنا كل من زاحمه في الطاعة،

أو نافسه في المحبة، أو شاركه في الرجاء والخوف.

ف"العودة إلى النبع..."

ليست مجرد رجوع إلى الطقوس، ولا تزيين المظاهر، ولا استعادة جدول العبادات، بل هي رجوع إلى الله وحده... لا شريك له في العبادة،

ولا شريك له في الحب، ولا شريك له في الخوف، ولا شريك له في الرجاء.

حين يعود القلب إلى الله وحده... تعود الحياة كلها إلى صوابها.

الفصل الحادي عشر: الدين ليس تركة نرثها... بل حياة نعيشها

- **لا تُولد مؤمنًا... بل تختار أن تكون.**
- **هل اخترت علاقتك بالله؟ أم جرفك التيار؟**

هل وُلدتَ مسلمًا؟ أم اخترتَ الإسلام فعلًا؟

سؤال لا يُجيب عنه اللسان... بل يصرخ به القلب في لحظة صدق.

نعم، جئنا إلى الدنيا فوجدنا أنفسنا نصلّي،

نصوم، نحفظ أسماء الله، ونقول:"نحن مسلمون".

لكن... هل جلس أحدنا مع نفسه يومًا وسأل:

"هل أنا مؤمنٌ حقًّا؟"... "هل أعبد الله لأنني اقتنعت... أم فقط لأنني وُلدت في بيتٍ يقول: لا إله إلا الله؟"

كثيرون يرثون الدِّين كما يُورّث البيت والاسم والعادات،

لكن القليل فقط... من يعيش الإسلام كاختيارٍ واعٍ،

كحبٍّ حقيقي، كطريقٍ قرّره عن قناعة لا عن عادة.

القليل فقط... من نظر في قلبه وقال:

"لو خُيّرت بين كل الطرق... لاخترت طريق الله،

لا لأنني وُلدت عليه، بل لأن روحي وجدت فيه الحياة".

أن تولد مسلمًا... نعمة.

لكن أن تختار الإسلام عن وعي... فهذا هو الإيمان الحقيقي.

إياك أن تنجرف... ثم تقول: "أنا مؤمن"!:

فالإيمان ليس مجرّد وراثة، ولا لسانًا يردّد،

ولا بطاقةً تعريفية تقول: "مسلم"، هناك فرق شاسع...

بين من عرف الله لأنه سمع عنه في البيت أو المدرسة،

وبين من ذاق معرفته بقلبه، واختار أن يعبده بإرادته، لا بتقليد أعمى.

الأول يعيش في ظلال الدين...

والثاني يعيش في نور الله.

لن تدخل الجنة لأنك كنت من "عائلة ملتزمة"،

ولا لأنك لبست اللباس الشرعي، أو عرفت المصطلحات الشرعية...

بل لأنك كنت عبدًا لله بقلبك، واختياره كان اختيارك، وطريقه كان طريقك،

ورضاه كان غايتك.

الإيمان الحقيقي... ليس ما وُلدت عليه،

بل ما اخترته حين كان بوسعك ألَّا تختاره.

الإيمان الحقيقي... يُولد بعد الولادة:

فالولادة الأولى جسدية... لكن الإيمان ولادة روحية،

لا يمنحها النسب، بل يختارها القلب، قال تعالى:

﴿**قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا**﴾ الحجرات: ١٤.

في الآية فرقٌ عظيم بين الإسلام الظاهري... وبين الإيمان الحقيقي.

فالإسلام قد يكون اتباعًا للبيئة، أو عادة مألوفة،

أما الإيمان... فهو تحوّل داخلي حرّ،

واختيار صادق، وانقلاب في القلب يُغيّر كل شيء.

الإيمان لا يُؤخذ بالوراثة... بل يُولد يوم تقول لله:

"يا رب، أنا لا أؤمن بك لأنهم قالوا لي... بل لأن قلبي عرفك، واشتاق إليك".

الإسلام بداية الطريق... لكن الإيمان الحقّ هو أن تسير فيه باختيارك، حتى تُصبح عبدًا لله عن قناعة لا عن تقليد.

تأمّل هذه الأسئلة بعمق... فربما كانت مفاتيح يقظة:

- هل لو وُلدت في غير بيئة مسلمة... كنتَ ستبحث عن الله؟ أم كنت ستسير مع القطيع، كما تسير اليوم باسم الدِّين، لا بروح الإيمان؟
- هل صلاتك اليوم... تعبّر عن قلبٍ يعرف الله تعالى؟ أم هي مجرد طقوس محفوظة يؤديها جسد اعتاد الركوع دون خشوع؟
- هل أنت قريب من الله لأنك تريده؟ أم لأنك فقط نشأت هكذا، فوجدت نفسك تمارس الدين كما يمارسه من حولك؟
- متى كانت آخر مرة... تحدثت مع الله تعالى حديث الصادقين؟ حديثًا بلا كلمات محفوظة، بلا تصنع، بلا تكرار... حديثًا خرج من قلب منكسر، لا من لسان موروث.

الدين ليس ما نُولد عليه... بل ما نختاره حين نفتح أعين قلوبنا لأول مرة. وحين تختار الله لأنه الله ...تبدأ رحلة الإيمان الحقيقي.

الإيمان لا يُورّث... لكنه يُختار...

نعم، من نعمة الله علينا أن وُلدنا في بيوتٍ مسلمة،

لكن ذلك ليس ضمانًا للنجاة، ولا شهادة دخول للجنة.

بل هو عرضٌ إلهي، وامتحان ناعم،

يُمهّد لك الطريق لتقف يومًا وتقول من أعماقك:

"اللهم... لم أعبدك فقط لأنهم قالوا لي،

بل لأنني عرفتك، واشتقت إليك،

واخترتُك ربًا لي... طائعًا، محبًا، عارفًا، لا مقلدًا".

الإسلام وُرِّث لك... لكن الإيمان لن يكون لك حتى تُوقّع عليه بقلبك، وتختاره بإرادتك، وتعيشه بصدقك.

وختامًا...

الدِّين ليس عادةً تُمارس، ولا ثقافةً تُتوارث، ولا بطاقةً تُعلّق على الهوية.

الدِّين... رحلة وعيٍ، وبحثٍ، واختيار.

رحلة تبدأ حين تسأل نفسك بصدق: "هل أنا مسلم... لأنني قررت أن أكون؟ أم لأنني فقط وُلدت هكذا، ومضيت مع التيار؟..

الإسلام لا يُورَّث كما يُورَّث الاسم...

بل يُختار كما يُختار الحبيب، ويُعاش كما تُعاش الحياة بكل صدقها.

وقد آن الأوان... أن نختار الله بإرادتنا،

لا أن نكتفي بذكر اسمه في أوراقنا، ونتوه عنه في أعماقنا.

الفصل الثاني عشر: اصنعْ صُلحًا مع الله تعالى لا مع العادة

- **كيف ترجع إليه رجوعًا واعيًا، نقيًا، لا موروثًا؟**
- **الصلح الصادق يبدأ من كسر الأصنام الخفية.**

اصنعْ صُلحًا مع الله... لا مع العادة:

فالعادات تُطمئنك... لكنها لا تُطهّرك،

والإيمان الحقيقي لا يُبنى على ما اعتدت، بل على ما اخترت.

- كيف ترجع إليه رجوعًا واعيًا، نقيًا، لا موروثًا؟ بأن تخلع عن قلبك رداء التقليد، وتقول لله تعالى:" هذه صلاتي لك، لا لبيئتي، وهذا صومي لك، لا

لعادات أهلي، وهذه توبتي، لأني أحبك، لا لأني خائف من عارٍ أو عقوبة.

- الصلح الصادق يبدأ من كسر الأصنام الخفية: حبُّ القبول، تعلقُ الثناء، عبادةُ الهوى، وهمُ الصورة أمام الناس... كل ما نافس الله في قلبك، لا بد أن يسقط، لتُسلّم له حقًا.

نعم، كلنا نُصلّي...

لكن من مِنّا صالحَ الله؟ كم مرّة رفعنا أيدينا بالدعاء...

لكننا لم نرفع قلوبنا بالتسليم؟

كم صُمنا وصلّينا... فقط لأن "هكذا تربّينا، وهكذا يفعل الناس"؟

كم لبسنا لباس الدين... لكن لم نلبس النور من الداخل؟

عشنا مع الله عادةً... لا صُلحًا.

مارسنا الدين... دون أن نرجع إلى صاحب الدين.

فإن أردتَ صُلحًا صادقًا... فلا تكتفِ بأن تُقلّد الطاعة، بل اجعلها نبض قلبٍ عاد إلى الله بإرادته، وعاش معه لا عليه.

الصلح مع الله تعالى... ليس مجرد اعتراف بالذنب..

ولا لحظة بكاء عابرة، ولا كلمة "تُبت" تُقال على عجَل.

الصلح الحقيقي ثورة قلب،

وكسرٌ لأصنام خفيّة تجثمت بينك وبين الله سنينًا طويلة.

الصلح مع الله تعالى...

هو أن تهدم الجدار الذي بنيتَه بيدك، ثم رجوت الله أن يقترب منك!

هو أن تكسر:

- صَنَمَ النفس المتعالية التي تقول: "أنا بخير، لا أحتاج إلى تغيير".

- صَنَمَ العادة الجوفاء التي تفعل الطاعة لأنك اعتدتَها، لا لأنك أحببتَ الله.
- صَنَمَ الطقوس الخالية من الحب حيث يسجد الجسد، ويغيب القلب.
- صَنَمَ الرياء في العبادة ...حين تنظر لمن حولك أكثر مما تنظر إلى السماء.
- صَنَمَ التدين المُزَيَّف ...الذي نُرضي به الناس، ونتناسى نظر الله تعالى.

فما أكثر الهالكين وهم يظنون أنفسهم على خير،

وما أقلّ الناجين... لأنهم عرفوا أن النجاة لا تكون إلَّا بقلب صادق خالٍ من الشرك الخفيّ.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

" **ليس العجب ممن هلك كيف هلك، إنما العجب ممن نجا كيف نجا** "!

فالصلح مع الله تعالى... لا يبدأ بقول: "اغفر لي"،

بل بفعل: " لن أعبد سواك، لا ظاهرًا ولا باطنًا ".

الصُّلح الصَّادق... مؤلمٌ أحيانًا:

لأنه ليس تزويقًا للماضي... بل هدمًا وإعادة بناء.

حين تصطلح مع الله تعالى بصدق، لن ترجع كما كنت،

بل ستفقد أشياء كنت تظنها "أنت"... وهي ليست منك في شيء.

- ستفقد عادات قديمة كنت تُخبّئ فيها ضعفك.
- ستترك علاقات تسرقك من الله، وتُطفئ نورك دون أن تشعر.
- ستتخلى عن صيغٍ دينية بلا روح ... اعتدت قولها، ولم تعِشها.
- وستكتشف أنَّ "أنت" الذي كنت تُعجب به... ذلك الذي يُصلي دون حضور، ويتدين دون حب ...كان وهمًا لا روح فيه.

لكن حين تخلع كل ما ليس لله تعالى، وتُجرّد نفسك من الأثقال التي علِقت بها... تُولد من جديد، لا كنسخة محسّنة من القديم، بل كقلبٍ جديد عرف

الله، فاختاره عن كل شيء.

الصلح الحقيقي... لا يُجمّلك، بل يُطهّرك،
ليخرج منك "أنت الحقيقي" الذي خُلق ليكون عبدًا لله وحده.

كيف ترجع إليه رجوع القلب الواعي لا مجرد الحنين الغافل؟

- اعترف أولًا... أنك كنت بعيدًا، ولو ظننت نفسك قريبًا، فما أكثر من يُصلّون... لكنهم غائبون عنه في سجودهم.
- اجلس مع قلبك جلسة صدقٍ بلا أقنعة، واسأله: ما الذي بيني وبين الله... لا في ظاهري، بل في قرارة روحي؟.. هل أحببته حقًا؟ أم أحببت الراحة التي أظنها في القرب منه؟..
- ابكِ... لكن لا تبكِ فقط لأنك عصيت، بل لأنك غِبت عنه طويلًا دون أن تشتاق!..
- لا تبدأ من عند مشكلتك... بل من عند "إياك نعبد وإياك نستعين". هذه الآية ليست فقط بابًا للعبادة... بل بوابة العودة.
- لا تنتظر رمضانًا جديدًا، ولا أزمةً تُكسرك، ارجع إليه الآن... كأنَّك فقدت أعزّ من في الوجود، ولا نجاة لك إلَّا به.

في الختام:

ليس الرجوع إلى الله دمعةً عابرة... بل يقظةٌ تُوقظك من الغياب،
وتُعيدك إلى رحمةٍ لم تغب عنك، لكنك كنت أنت الغائب عنها.

حين تصطلح مع الله تعالى لا يعود شيء كما كان:

ليست المسألة أنك بدأت تصلي بخشوع،
بل أنك بدأت ترى نفسك كما يريد الله تعالى،

وتبصر الدنيا بنور القرب، لا بضباب العادة.

تتغيّر نظرتك للحياة، وللناس، وللألم،

لأنك عرفت الله... لا كاسمٍ تحفظه، بل كقربٍ تعيشه.

حينها... تتوقّف عن تمثيل الإيمان أمام الناس، وتبدأ عيشك الصادق مع الله.

في العلن والسر، في الفرح والانكسار، في الضياع والرجوع.

لأن الصلح مع الله... لا يُرمم حياتك فقط، بل يُعيدك إنسانًا آخر.

وختامًا...

ليس المطلوب أن تُقنع الناس أنك "تائب"، ولا أن تملأ الدنيا خُطبًا وعبارات.

الله تعالى لا يريد منك استعراض التزامٍ خارجي،

بل صدقَ عودةٍ داخلية ... في قلبٍ تعب، واشتاق، وأخيرًا وعى.

فالصلح لا يبدأ من المِنبر، ولا يُكتب في منشور،

بل يبدأ حين تجلس وحدك في ظلام الليل،

وتضع قلبك بين يديه... وتقول:

" يا رب، أنا راجع... لا لأنهم ضغطوا علي، ولا لأنني خائف من كلامهم،

بل لأنني أخيرًا... فهمت من أنت ".

فأجمل التوبة... ليست التي تُقال،

بل التي تُولد في القلب بصمتٍ، ويشهدها الله وحده.

الفصل الثالث عشر: هل أنت مستعد لتكون مختلفًا لأنك مؤمن؟

- **العودة إلى النبع ستجعلك "غريبًا"... لكنك على الصراط.**
- **"طوبى للغرباء" ليست مجرد عبارة... بل طريق.**

هل أنت مستعدٌّ لتكون مختلفًا ...لأنك مؤمن حقًّا؟

- العودة إلى "النبع الأصيل" لن تمنحك التصفيق... بل الغُربة.
  غُربة في الفهم... في الذوق... في الطريق.
  لكنّها غُربة تُضيء، لا تُطفئ.
- "طوبى للغرباء" ليست شعارًا نعلقه... بل أثرُ روحٍ اختارت الله، حين اختار الناس أنفسهم.

حين تعود إلى الله كما أراد هو...
لا كما رسمته العادات، ولا كما روّجته المنصات،
ستبدو غريبًا في زمن:
– يُقاس فيه النجاح بالضجيج،
– ويُحسب فيه الإيمان بعدد الصور،
– ويُعرَف فيه الصدق بثناء البشر... لا بنور البصيرة.
لكن لا تخف... فمن سار إلى الله وحيدًا، وصل إليه مكرَّمًا، مطمئنًّا...
ولو كان وحده في الطريق.

أن تكون غريبًا عند الناس... خيرٌ من أن تكون غريبًا عن الله تعالى.

العودة إلى النبع ليست رحلة إلى التصفيق، بل إلى الصدق...

لن تُساير التيار، ولن تضحك مجاملة على نكتة تُهين شعيرة،
لن تُصفّق للسطحيّ... فقط لأنه مشهور،
ولن تسكت حين يُهان شرع الله... تحت شعار "الحرية".
وكل هذا؟ سيجعلك مُربكًا للبعض، مزعجًا لمن اعتادوا الميوعة،
مرفوضًا من دوائر المجاملة.
لكن في المقابل... ستُصبح محبوبًا عند الله، مرضيًا في السماء...

ولو صرت ثقيلًا على أهل الأرض.

العودة الصادقة إلى الله تعالى... لا تضمن لك القبول في قلوب الناس، لكنها تفتح لك بابًا واسعًا في السماء.

الغُربة الحقيقية... ليست غُربة وطن، بل غُربة منهج...

قال رسول الله ﷺ:

"بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبى للغرباء" رواه مسلم.

- الغريب... ليس من لا جوازَ له، بل من لا يشبه قومه في انحرافهم.
- الغريب... ليس شاذًا في ذاته، بل مستقيم في شارعٍ أعوج،
  ثابت في زمن الميوعة، صادق في عصر التزييف.

هو من اختار النور، رغم أن الظلام هو القالب العام.

من تمسّك بالعفاف، حين صار التبرج حرية، والفجور فنا.

فلا تحزن إن وُصفت بالغريب... فقد وُعدت بـ"طوبى"،

وما طوبى؟... جنةٌ، ورضا، وقُرب من الحبيب ﷺ.

ليس الغريب من ضاع بين البلاد... بل من ثبت على الصراط، وهو يرى الأرض تنزلق من تحته.

هل أنت مستعد؟

- أن تُرمى بالكلمات... لأنك رفضت باطلًا يُجمّله الناس؟
- أن يُشار إليك بالسُّخرية... لأنك غضضت بصرك في زمن العيون الجائعة؟
- أن تُقصى من المجالس... لأنك قلت بصدق: "هذا لا يُرضي الله"؟
- أن تُترك وحدك... لأنك ما زلت تحفظ الأمانة في سوقٍ يبيع الضمير؟
- أن تُوصَم بالتشدد... لأنك لم تُساوم على الوحي، ولم تخلط الدين بالمزاج؟

إن كنت مستعدًا لكل هذا،

لا رغبة في التحدي... بل حبًا في الله، وصدقًا مع الحق...

فطوبى لك.

طوبى لثباتك حين زلّت الأقدام،

لطُهرك في زمنٍ امتلأت فيه القلوب بالغبار،

لإيمانك الذي اختار الطريق الصعب... لأنه يُفضي إلى الله.

من اختار رضا الله فليودّع الراحة الزائفة،

وليستعد للغربة الجميلة، التي نهايتها الجنة.

لا تخف من وحدتك في الطريق...

فالحق لم يكن يومًا طريقَ الجموع، بل دربَ الذين صدقوا، وإن قلّوا.

- أنت لست وحدك... معك مَن قال له قومه: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾
  ومَن قيل له: ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾
  ومَن نُعِتَ بالسِّحر والكذب... وهو الصادق الأمين ﷺ.
- لست أول من سار عكس التيار... ولن تكون آخر من يُرمى بالسِّهام لأنه لم يبع دينه، لكنك إن صدقت، وثبتّ، وصبرت... فقد تكون من أولئك القلّة الذين أنقذوا قلوبهم من الغرق، وكتبوا أسماءهم في سجلّ الصادقين.

الوحدة في درب الله... خير من الرفقة في دروب الهلاك.

خلاصة وجدانية:

- أن تكون مؤمنًا بحق... يعني أن تتحمّل نعمة الغُربة.
- أن تتكلم بصدق... حين يصمت الجميع مجاملة،
- أن تُنكر الخطأ... حين يصفق له الناس باسم "الحرية"،

- أن ترفض التزييف... ولو لبست الأكاذيب ثوب الدين.
- أن تكون مؤمنًا بحق... يعني أن تمشي عكس التيار،
- أن تخسر التصفيق... وتربح وجه الله تعالى...
- أن تبدو غريبًا على الأرض... لكنك معروف في السماء.

هو طريقٌ لا يمشي فيه كثيرون...لكن رأسه الجنة، ورفيقه الله.

الفصل الرابع عشر: اللحظة الفاصلة: أن تقول لله "عدتُ" بصدق

- **لا يلزمك جمهور... فقط قلب منكسر.**
- **اللهم خذ بيدي إليك... فقد أضعت الطريق طويلًا.**

اللحظة الفاصلة...

ليست في رمضان، ولا عند موت قريب، ولا بعد موعظة بليغة...

بل حين تقول لله:"عدتُ..."

لا من طرف اللسان، بل من عمق القلب.

لا تحتاج جمهورًا يشهد توبتك، ولا منشورًا يُخبر الناس أنك تغيرت...

كل ما تحتاجه: قلبٌ منكسر، ودمعةٌ صادقة، ونداء داخلي يقول:

"اللهم خذ بيدي إليك... فقد أضعت الطريق طويلًا".

هناك لحظة... تفصل بين الغفلة والبصيرة،

بين الضياع والهداية، بين الموت والحياة.

لحظة لا تُقاس بعدد الأخطاء، ولا تُلغى بثقل الماضي...

لأنها لحظة يلتفت فيها القلب إلى الله، ويهمس:

"يا رب... أنا تائه، مُنهك، ضائع... وعدت".

وفي تلك اللحظة... يبدأ كل شيء من جديد.

أنت لا تحتاج إلى كاميرا توثّق دمعتك..

ولا إلى منصة تُذيع توبتك، ولا إلى جمهورٍ يصفّق لانكسارك.

ما تحتاجه حقًّا... هو قلبٌ منكسر بين يدي الله،

ونيةٌ صادقة تنبع من العمق،

وخلوةٌ لا يراك فيها أحد... إلا من خلقت لأجله.

اجلس مع نفسك، بصمتٍ تام،

ودع قلبك ينطق بما عجز لسانك عن قوله طويلًا.

قل له كما قال الصادقون قبلك:

"اللهم خذ بيدي إليك... فقد أضعت الطريق طويلًا".

"يا رب، ما عاد لي غيرك... ولا أرغب في سواك".

فأعظم التحوّلات... لا تبدأ أمام الناس،

بل تبدأ في خلوةٍ صادقة، يُولد فيها قلبٌ جديد.

التوبة... ليست مجرد قرارٍ تُعلنه، بل ميلادٌ جديد تعيشه:

في لحظة الصدق تلك، لا تُمحى الذنوب فحسب...

بل يُعاد تشكيلك من الداخل:

- قلبك يتطهّر من أثقاله،
- بصيرتك تُجلى بعد طول عُمى،
- وخطواتك – لأول مرة – تسير بثبات نحو النور.

هي لحظة لا تعني فقط أنك "رجعت..."

بل أنك اخترت أن تحيا حقًّا، لا أن تستمر في البقاء ميّتًا وأنت تمشي.

قلها من أعماقك: "عدتُ يا رب... لا لأُجرّبك، ولا لأطلب شيئًا من دنياي، بل لأحيا بك، ومعك، وإليك".

فالتوبة الحقيقية... ليست رجوعًا إلى الله تعالى فقط،
بل رجوعًا إلى نفسك التي خُلقت لتحبَّ الله وحده.

الله تعالى لا يرد من عاد إليه...

بل يفتح له الباب، ولو جاء مُثقَلًا بالخطيئة، مُنهكًا من الغياب.

هل تظن أن الله تعالى سينظر إلى سجلّك القديم؟

كأنما يُفاجَأ بذنبٍ لم يكن يعلم به؟! هو العليم حتى قبل أن تُخطئ، الرَّحيم قبل أن تتوب، الغفور إن رجعت، مهما تأخرت.

هل تعتقد أن ذنوبك قد بلغت من الكبر ما يجعلها أعظم من أن يغفرها الله؟

هو الذي وسعت رحمته كل شيء، ونادى من فوق سبع سماوات:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾

وفي الحديث القدسي:

"أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب... فغفرتُ له".

فلا أحد أعظم من الله تعالى... ولا رحمة أعظم من أن يفرح بعبدٍ عاد،
لا ليُحاسبه... بل ليرحمه.

هذه اللحظة... قد تكون هي الآن...

اللحظة التي ينتظرها قلبك منذ زمن،

اللحظة التي لا تحتاج فيها إلى محفّز خارجي،

ولا إلى موعظة مبكية، ولا إلى رمضان جديد،

ولا إلى صحبة صالحة تُمسك يدك...

لا تنتظر أن "تكتمل الظروف"، فقد لا تكتمل أبدًا.
ولا تنتظر بوستًا يهزّك، ولا حدثًا يوقظك، ولا شخصًا يأخذ بيدك...
لأنَّ النداء قد جاءك الآن... من الداخل،
من قلبك الذي تعب، واشتاق، وأراد أن يعود.

فإن سمعت النداء... فلا تؤجّل... اقترب الآن.

خلاصة ختامية:

المشكلة ليست أنك أخطأت كثيرًا... بل أنك أخّرت الانكسار كثيرًا.
تبحث عن اللحظة المناسبة، وتنتظر الشعور الصحيح،
وتفتّش عن عبارة مؤثرة... بينما الله تعالى لا يريد منك كل ذلك.
لا تُقارن توبتك بتوبة غيرك،
ولا تنتظر أن تكون في أفضل حال حتى تعود،
فالله تعالى لا يريد نسخة مُعدّلة منك...
يريدك أنت، بقلبك المتعب، ودمعتك الخجولة، وخطوتك المرتبكة.

فقط ارجع إليه كما أنت...

وسيأخذك هو، برحمته، إلى ما كان يجب أن تكون عليه منذ البداية.

الفصل الخامس عشر: لن يُصلح هذا الدِّين إلَّا من تربّى عليه كما نزل.

- العودة إلى النبع ليست مجرد توبة... بل مشروع عمر.
- نحتاج إلى جيلٍ لا يُريد تغيير الدِّين... بل أن يُغيّره الدين هو.

لن يُصلح هذا الدِّين... إلَّا من تربّى عليه كما نزل:

العودة إلى النبع ليست نوبة حنين، ولا لحظة توبة عابرة،
بل مشروع عمر... يتعلّم فيه القلب كيف يخضع لله لا للناس،
وكيف يُنصت للوحي لا للهوى.
نحتاج إلى جيلٍ لا يقول: "كيف نُعدّل الدين؟"
بل يسأل بصدق:
"كيف يُعدّلني هذا الدين؟ كيف يُصلحني؟ كيف يُربّيني من جديد؟"
من هنا يبدأ الإصلاح الحقيقي... حين لا نُخضع النص لواقعنا،
بل نخضع واقعنا للنص، حين لا نجعل الدين تابعًا بل متبوعًا، قائدًا، مُوجّهًا.
ما أكثر من يتحدثون عن "إصلاح الدين!"
لكنهم في الحقيقة يُرقّعونه ليُناسب أذواقهم، ويُجمّلونه ليليق بأمزجتهم،
ويُقصّرونه ليُرضي جمهورهم... حتى بات "الإصلاح" عندهم تشويهًا مؤدّبًا،
وتطويعًا مزيّفًا للنصوص... باسم "التجديد"...
لكن الحقيقة التي لا مجاملة فيها:
" لن يُصلح هذا الدين... إلَّا من خضع له كما نزل،
فصدّق آياته، وخشي ربّه، وتربّى على منهجه،
دون أن يُغيّره أو يُطعّمه بشيء من الهوى ".

فالإصلاح الحق... ليس أن تُجمّل الدين ليرضى الناس،
بل أن تُجمّل نفسك ليَرضى الله.

العودة إلى الأصل... ليست لحظة بكاء، بل طريق بناء:

التوبة لحظة عظيمة، نعم... لكنها لا تكفي إن بقيت عاطفةً عابرة،
أو دمعةً مؤقتة على خدّ الذنب، دون تغييرٍ حقيقي.
العودة إلى النبع... ليست فقط أن تقول: "ندمت"
بل أن تبني نفسك من جديد على ما أراده الله، لا على ما أَلِفته نفسك.
إنها مشروع عمر... يتطلب:

- قلبًا نقيًّا لا يخدع نفسه بالشعارات،
- وعقلًا متجرّدًا لا يُلبس الهوى لباس الفهم،
- وخطواتٍ عملية ... لا تعرف المجاملة، ولا ترضى بأنصاف الحلول، ولا تُساوم على الحق ليُقال عنك متوازنًا.

فمن أراد الرجوع إلى الله حقًّا... فعليه ألَّا يعود فقط ببكاءٍ لحظي،
بل ببناءٍ مستمر... يُشبه النبع الذي لا ينضب.

نحتاج إلى جيلٍ جديد... لكنه قديم!

قديم؟ نعم...

◄ قديم في مرجعيته: لا يأخذ من الهوى، بل من الوحي.
◄ قديم في إخلاصه: لا يطلب التصفيق، بل وجه الله.
◄ قديم في تمسّكه بالدين كما نزل: دون تعديلٍ ولا ترقيع.

لكنه في الوقت ذاته...

- جديد في أدواته،

– متقن في لغته،
– ناضج في طرحه...

يعرف كيف يوصل القديم الخالد، بلغة هذا الزمان، دون أن يفرّط في ثوابته.
جيلٌ لا يبحث عن "دين مريح" يُشبه رغباته...
بل يسعى ليُصبح هو جديرًا بهذا الدين،
ويقول بصدق: "لن أُغيّر شيئًا من الوحي... بل سأغيّر نفسي لأرتقي إليه".

فالمعادلة ليست أن نُخفف الدين ليحتملنا الناس،
بل أن نُربّي الناس ليحتملوا عظمة هذا الدِّين.

لماذا لا يُصلح الدينَ مَن لم يتربَّ عليه؟

لأنَّ هذا الدين... ليس فكرةً تؤمن بها فقط،
بل منهجٌ يُربّيك من الجذر.
فإن لم تتربَّ عليه كما نزل، ولم تُسلِم له قلبك قبل عقلك،
ولم تتمرّغ في آياته حتى تُطهِّر دواخلك،
ولم تعش مع السيرة لا كـ"حكايةٍ تاريخية"،
بل كـ"مرآةٍ تربوية" ترى فيها نفسك...
فما الذي سيبقى؟ رؤية سطحية... كلمات منمّقة...
ورغبة في "تلوين" الدِّين بدلًا من الانقياد له.
المصلح الحق ليس من يُجمّل الدِّين ليُناسب الناس،
بل من يُهذّب الناس ليُحسنوا حمل هذا الدين.

لذا... من لم يتربّ على الوحي، لن يُصلح الدِّين...
بل يُلوّنه بألوان مزاجه، ويُشبهه بهواه، لا بما أنزله الله تعالى.

نحن لا نحتاج من "يُجمّل الدِّين" ليُرضي الناس...

بل نحتاج من يُقدّمه كما هو، ثم يُري الناس أنه هو الجمال بعينه،

وأن النور لا يحتاج تزيينًا، بل كشفًا.

نحتاج من يُزيل الغبار عن المصحف...

لا من يُعيد تشكيله على مقاس العصر،

أو يُعدّل زواياه ليتناسب مع رغبات الجمهور.

نحتاج من يقول للناس:

"هذا هو دين الله... في صفائه، وجلاله، ورحمته، وهيبته،

فمن أراده، فليطهّر قلبه ليستقبله، لا أن يُغيّر معالمه ليستقبله"!

فالدين لا يحتاج مكياجًا عصريًا... بل قلوبًا صادقة تُبصر نوره كما أنزل.

يا صاحبي...

اصدُق الله تعالى ولو مرةً واحدة بكل ما فيك،

وارجع إلى القرآن كما نزل ... لا كما أُريد له أن يبدو.

ولا تقل: "اللهم يسّر لي فهم الدِّين كما أُحب"،

بل قل:"اللهم غيّرني لأُشبه دينك كما تحب".

لا تطلب من الله أن يُعدّل لك أحكامه،

بل اطلب أن يُعدّل قلبك ليُطيق نوره،

أن يُطهّر فكرك ليخضع للوحي،

أن يجعلك من الذين غيّرهم الدِّين... لا الذين حاولوا تغييره.

لأنَّ الذين غيّرهم الدِّين... لم يُزيّنوه، بل خضعوا له،

ولم يدلّوا عليه ببلاغتهم، بل دلّوا الناس عليه بصدقهم وهُم الذين غيّروا العالم.

خلاصة المحور الختامي: العودة إلى النَّبع

العودة إلى النبع... ليست هروبًا إلى الوراء، بل اندفاعًا إلى النور
في زمنٍ كثر فيه الضجيج الديني، وتعددت الرايات، وتحوّل الدين إلى ملصقات، ومناسبات، ومظاهر متقلبة...
جاء هذا المحور صرخةً صادقة، لا ليردّ الناس إلى الصور، بل إلى جوهر الدين كما نزل من السماء.

ليس الدين ما ورثناه فقط... بل ما اخترناه بقلبٍ واعٍ
أنت لا تولد مؤمنًا... بل تختار الإيمان يومًا ما بإرادتك.
تعود إلى الله لا كمجرد مسلمٍ بالهوية، بل كمؤمنٍ عرف الطريق، فاختاره عن وعي وحبّ.

مفترق الطرق... يبدأ من داخلك

كل هذا المحور كان دعوة إلى أن تطرح على نفسك سؤالًا واحدًا:

- ◄ هل أنا على دين الله... أم على دين الناس؟
- ◄ هل أسير نحو الله كما يريد... أم كما أريد أنا؟
- ◄ هل أعيش الدين... أم أمثّله؟
- ◄ هل أنا صورة من القرآن... أم من العادات؟
- ◄ هل التوحيد في قلبي حيّ؟ أم أصنامه متخفية لا أشعر بها؟

إصلاح الدين... يبدأ بإصلاح علاقتنا به

لسنا بحاجة إلى إعادة كتابة الدين... بل إلى إعادة قراءته بصدق...

لسنا بحاجة إلى اختراع دين "جذاب"، بل إلى أن نزيح الركام عن جماله الأصلي.

لقد أبكينا الناس بأخطائنا... فهل نُبكي أنفسنا بالتوبة؟

كثير من الناس صُدّوا عن الله بسبب صورة مزيفة عن الدين...

فمتى نكون نحن ممن يُرجعون القلوب إليه لا يُبعدونها؟

مفتاح العودة... هو التوحيد الخالص

ليس في إطالة الصلاة فقط... ولا في تعدد المواعظ،

بل في أن يعود القلب إلى كلمة واحدة:

"إياك نعبد... وإياك نستعين".

وأخيرًا...

العودة إلى النبع تعني: أن تقول لله بصدق "عدت"

لا يلزمك جمهورولا ثوب جديد ولا لغة مثقفة

فقط قلب صادق، ولحظة وجع، وسجدة تقلب بها الموازين

(اللهم خذ بيدي إليك... فقد أضعت الطريق طويلًا)

ملحقات مقترحة:

أمثلة واقعية (قصص حقيقية من الواقع)

ملحق خاص: أمثلة واقعية... من واقع مؤلم باسم الدين!

(قصص حقيقية تهزّ القلب... تكشف ما وصل إليه التدين المزيف)

هدف هذا الملحق ليس التشهير... بل التحذير.

ليس لنقل اليأس... بل لإيقاظ الأمل، بأننا نستطيع إصلاح المسار قبل فوات الأوان.

قصة ١: حافظ للقرآن... يُعذّب زوجته ليلًا

شابٌ يحفظ كتاب الله، يُصدِّر فيديوهاته وهو يبكي من خشية الله، لكنه في بيته يضرب زوجته، ويهينها أمام أولاده، ثم يخرج في الصباح ليُدرّس "سورة الرحمن".

الدين الذي لم يُغيّر قلبك... هل هو دين؟.

قصة ٢: أبٌ يُجبر ابنته على خِطبة من لا تُحب... باسم "رضا الله"

تقول: "قال لي: الزواج عبادة... ورفضُكِ ليعني أنكِ تعصين الله"!

لم يعلم أن الطاعة لله لا تعني سحق المشاعر، وأن الشرع لا يرضى بالغصب.

قصة ٣: فتاة تُحب الحجاب... وأمها تمنعها باسم "الشكل الاجتماعي!"

أرادت الحجاب، بكت، توسّلت، فقالت لها أمها: "تريدين أن تظهري وكأننا متزمتون؟"! وهكذا... قُتل الدين في قلبها بأقرب الناس إليها.

قصة ٤: رجل يزوّر عقدًا شرعيًا ليتزوّج ثانية في بلد أجنبي

يقول: "المهم أن النكاح وقع"... لكنّه استخدم الكذب، والتلاعب، والتوثيق الوهمي، فهل هذا ما أراده الله من الزواج؟!..

قصة ٥: فتاة صالحة تُمنع من الزواج... لأن العريس "ليس من عشيرتنا!"

رُفض الخاطب لأنه لا يحمل "اللقب العائلي المناسب"، رغم دينه وخلقه، ففُسخ النكاح، وضاعت فرصة الطاعة، وانتصر "الاسم" على "الإيمان".

قصة ٦: مسؤول يسرق المال العام... ثم يتصدق بجزء منه على مسجد!

يقول: "أنفقنا في سبيل الله!"، وهو لا يدري أنه يُدخل في الدين ما ليس منه. "الله طيب لا يقبل إلا طيبًا".

قصة ٧: داعية مشهور... ينهار أخلاقيًا في الخفاء

كان يصرخ في العلن على "الحجاب والاختلاط"، ثم تبيّن لاحقًا أنه يعيش علاقات فاسدة سرًّا، فتن الناس، وسقطت المصداقية.

"الدين لا يُقاس بما تقوله... بل بما تفعله حين لا يراك أحد"

شهادات غير مسلمين صدَّهم تصرف المسلمين

ليس القرآن من صدّهم، ولا سيرة النبي ﷺ من نفّرتهم،
بل تصرفاتنا نحن... حين خالفنا ما نُنادي به،
وحين صار الدين على ألسنتنا لا في سلوكنا.
من الشرق إلى الغرب، كم من قلبٍ رأى في الإسلام نورًا... ثم رأى في المسلمين تناقضًا؟
كم من إنسانٍ قرأ القرآن فبكى، ثم تعامل مع "داعية" فصُدم؟
الهدف من هذا الملحق ليس جلد الذات، بل صفعة يقظة...
توقظنا من غفلة التمثيل المشوَّه لهذا الدين.
كم من قلبٍ كان على بُعد خطوة من الإسلام،
لكنّ "متدينًا" طرده بجهله، أو قسوته، أو عنجهيته، أو كذبه،
فانطفأ النور، وتراجع الخطى، وانغلقت الروح من جديد...
فلنعلم أن أعظم أسباب الصدّ عن الإسلام... ليست الشبهات،
بل "النفوس المشوّهة التي تتكلم باسمه، ولا تُجسّده".

ولعل أعظم دعوة اليوم... أن نُري العالم "نسخة حقيقية" من الإسلام فينا.

شهادة ١ : فتاة أمريكية – من رسالة منشورة على الإنترنت

كنتُ أدرس مقارنة الأديان، وقرأت القرآن...
وتأثرت بعمقه ورحمته، وبدأت أُفكّر بالدخول في الإسلام.
لكن عندما ذهبتُ إلى المسجد، نظروا إليّ بازدراء،
ورفضوا أن أُصلّي معهم... فقط لأنني لم أكن محجّبة بعد!
لم يسألني أحد حتى عن اسمي...

كل ما قالوه: 'لا يجوز لك الاقتراب'! رجعت باكية... وأنا أتساءل:

هل هذا ما أوصى به مُحَمَّد ﷺ... نبيّ الرحمة؟..

التعليق:

ما أبعد الفرق بين رحمة القرآن وقسوة بعض المتدينين!

كانت على وشك الدخول إلى الإسلام...

لكنها طُردت من بابه قبل أن تُمنح فرصة طرقه.

كم من روحٍ تاقت للنور، فأطفأتها نظرة ازدراء؟

وكم من قلبٍ كان قريبًا.. فأبعده تصرّف لا يُمثّل هذا الدين؟

شهادة ٢: شاب ألماني – بعد زيارته لإحدى الدول العربية

كنت مهتمًا بالإسلام، وأردت أن أراه عن قرب... من الداخل،

لكن ما رأيته كان صادمًا وغريبًا:

موظف يأخذ رشوة، ويبتسم قائلاً: 'إن الله غفور رحيم'،

وسائق سيارة يشتم الناس، ثم يرفع صوت القرآن وكأنه يُكفّر عن صراخه!

تسألت بصدق: أيّ دين هذا الذي يجعل أتباعه يُمارسون التناقض بهذا الشكل؟

هل هذا هو الإسلام الذي قرأت عنه؟ أم أن المشكلة في من يُمثّله؟..

التعليق:

حين لا يُجسِّد المسلمون دينهم بأفعالهم،

تتحوّل كلماتهم إلى حجابٍ عن الإسلام لا جسرٍ إليه.

ليس الإسلام من خذله...

بل من ادّعوا الانتساب إليه، ونسوا أنَّ أفعالهم تُترجم القرآن أمام الناس.

شهادة ٣: فتاة أوروبية – وقعت في حُب مسلم ثم هربت من الفكرة

أحببتُ شابًا مسلمًا... كان لطيفًا ومهتمًا،

وكان يتحدث كثيرًا عن 'الحلال' و'الجنة' و'الإسلام الحقيقي'.

لكنني اكتشفت لاحقًا أنه يعيش معي علاقة محرّمة،

ويكذب على أهله، ويقول: 'الله سيغفر، أنا رجل، والأمر بسيط'.

صُدمت... أين الدين في كل هذا؟

هل الإيمان عند بعضهم مجرد كلمات؟

هل الدين مجرد غطاء يُبرّر به الرجال أخطاءهم،

بينما يُمنَع على النساء أن يخطئن باسم الحياء والعار؟

تراجعت عن فكرة الإسلام...

ليس لأنه سيئ، بل لأنني رأيت من يُشوّهه عن قرب.

التعليق:

الإسلام دينُ عدلٍ ونزاهة... لكن حين يُستعمل كقناع لإخفاء الشهوة والخداع، يفقد الناس ثقتهم، لا بالدين، بل بمن يُسيء إليه.

بعض السلوكيات الفردية...

كافية لهدم جسرٍ كامل كان سيقود قلبًا إلى الإيمان.

فرفقًا بصورة الإسلام... إنها أمانة.

شهادة ٤: مراسل صحفي غربي – بعد عامٍ في الشرق الأوسط

لم أجد في القرآن ما يُنفّرني... بل قرأت فيه آيات جميلة عن الرحمة، والتسامح، والسلام، عن الإنسان، والعدل، والنية، والخلق.

لكن الواقع صدمَني... خاصة في الإعلام الإسلامي،

فقد وجدت لغةً قاسية، مليئة بالتحقير، والتكفير، والتصنيف:

كل شخص يتهم الآخر:
'كافر'، 'ضال'، 'فاسق...' حتى داخل الدين الواحد!
فمن الصادق إذًا؟ ومن الذي يُمثّل هذا الكتاب الجميل الذي قرأته؟
أين اختبأت الرحمة التي تحدّث عنها نبيهم؟..

التعليق:

ما أكثر ما يُنادي المسلمون بـ"الإسلام"،
لكنهم ينسون أن الإسلام الحقيقي ليس ما يُقال... بل ما يُعاش.
وإذا صار الدين صراعَ تسميات ومزادات تخوين...
ضاع وجهه المشرق أمام أعين الباحثين عن النور.

الإسلام لم يُشوَّه من الخارج...

بل من داخله، حين حمله من لم يفهمه، أو فهمه ولم يرحم به.

شهادة ٥: فتاة آسيوية – بعد زيارتها لأحد البلدان الإسلامية

دخلتُ محلًا لشراء شيء بسيط، فنظروا إليّ بازدراء لأنني غير محجّبة،
تعاملوا معي بجفاء وكأنني نجَس... لكنهم لم يتردّدوا في رفع السعر عليّ،
وباعوني سلعة مغشوشة دون خجل! وقفت مذهولة...
أهكذا يكون التدين؟ هل الحجاب أهم من الصدق؟
هل المظهر أهم من الرحمة؟
هل هذه هي الأخلاق التي يُفترض أن يُمثّلها من يعبدون الله؟..

التعليق:

ما أسهل أن نحكم على الناس من مظهرهم،
وما أصعب أن نُعاملهم بما أمر الله من عدلٍ ورحمة.
التديّن الحقيقي ليس ثوبًا خارجيًا، بل خُلقٌ يُترجم الإيمان،

وسلوكُ يصدق مع الناس كما يصدق مع الله.

الإسلام لا يُقاس بطول الحجاب...

بل بعمق الرحمة، وصدق الأمانة، وعدل التعامل.

فويلٌ لمن زيّن ظاهره بالدِّين... وترك قلبه يتعفّن بالظُّلم.

جملة ختامية لهذا الملحق:

لسنا مسؤولين فقط عن نشر الإسلام ...بل عن عدم تشويهه.

لأنَّ أسوأ دعاية ضد الدِّين، لم تُصنع في الأفلام أو الإعلام...

بل وُلدت في أخلاق من حملوا الإسلام على ألسنتهم... وخرّبوه بسلوكهم.

فكل مسلم هو ترجمة حيّة للدِّين...

فإما أن يُقرّب الناس إلى الله تعالى، أو يُنفرهم منه دون أن يشعر.

أدعية لإصلاح القلب والسلوك

١- اللهم نقِّ قلبي من النفاق، كما يُنقّى الثوب الأبيض من الدَّنس... واجعل سري خيرًا من علانيتي، ونيّتي أصدق من كلماتي، وعملي شاهدًا لي لا عليّ.

٢- اللهم اجعلني ممن يُعظّمك في الخفاء، كما يذكرك في العلن... ولا تجعل ديني وسيلة، بل حياة... ولا طاعتي عادة، بل حبًا وشوقًا.

٣- اللهم اجعل خشيتي لك وحدك، لا خوفًا من الناس، ولا طلبًا لثناء أحد... وزيِّن باطني، واجعل حلاوة الدين في قلبي، لا على لساني فقط.

٤- يا رب، إني أعوذ بك من تَديّنٍ يُرضي الخلق ويُغضبك... ومن عبادةٍ تُرائي بها جوارحي وقلبي غائب عنك... اجعلني عبدًا لك، لا لصورةٍ في العيون، ولا لصوتٍ في المجالس.

٥- اللهم اجعلني ممن يعبدك حبًا وشوقًا، لا خوفًا فقط ولا عادةً مألوفة... ومن الذين إذا خلوا بك عرفوك، وإذا ذُكروا بك خشعوا.

٦- اللهم لا تجعلني ممّن يصدّ الناس عنك بجهلي، أو بقسوتي، أو بغروري... بل اجعلني جسرًا إلى رحمتك، ومفتاحًا للهداية، لا قفلًا للقلوب.

٧- يا مقلب القلوب، ثبّت قلبي على دينك... وثبّت ديني على قلبٍ يُحبك، لا يتظاهر فقط أمام عبادك.

دعاء جامع:

اللهم إنّ ديني ليس لي وحدي... إنه رسالتك في الأرض.

فلا تجعلني عارًا عليه، بل اجعلني وجهًا يُحَبّ بك، وسلوكًا يُؤمن بك، ولسانًا يُنطق عنك صدقًا، اللهم طهّرني من التناقض، واغسل قلبي من الرياء، وردّني إليك ردًا جميلًا... حتى إذا لقيتُك، كنتُ عبدًا لا مجرد عنوانٌ ديني.

خطوات عملية للتحرر من التَّديُّن المزيف

إليك خطوات عملية وعميقة للتحرر من التدين المزيّف، والتحوّل إلى دين حقيقي أصيل، صادق مع الله ومع النفس:

خطوات عملية للتحرر من التدين المزيّف

١- صارح نفسك... واخلُ بها جلسة صدق... اسألها بجرأة: لماذا أتدين؟

هل لأني أحب الله؟ أم لأن الناس تتوقع مني ذلك؟

اكتب على ورقة: "أخشى أن أكون متدينًا مزيفًا في..." ثم أكمل الجملة بصدق.

التحرر يبدأ بالاعتراف... لا بالمكابرة.

٢- راقب خلواتك... فهي ميزانك الحقيقي...في العلن أنت "متدين..."

فمن أنت حين تختفي الأنظار؟ هل تبكي؟ تتلو؟ تتواضع؟ أم تسقط في ما تحذر الناس منه؟

ما تفعله حين لا يراك أحد... هو حقيقة دينك.

٣- احذر "الإدمان على المظاهر"... لا تحوّل الدين إلى روتين تصويري أو لغة ترويجية... اسأل نفسك: هل صلاتي اليوم كانت لله؟ أم "لأُشعر نفسي أنني ما زلت بخير"؟..

المظهر يُكمل الجوهر، لا يُخفيه.

٤- اجعل لك خبيئة لا يعلمها إلَّا الله... عمل صالح واحد... لا يعرفه أحد. صلاة، أو صدقة، أو دمعة خفية... لا تتحدث عنها أبدًا.

من لا يملك علاقة سرية مع الله، لا يملك علاقة صادقة معه.

٥- حاسب نيتك يوميًا... قبل النوم... راجع: لماذا غضبت اليوم؟ لماذا نصحت؟ لماذا نشرت منشورًا دينيًا؟ قل: "اللهم إن كنتُ فعلت ذلك رياءً... فاغفر، واهدني لأخلص".

النية تتلوّن بسرعة... فلا تتركها دون مراجعة.

٦- اقرأ القرآن لا لتكسب ختمة... بل لتسمع الله تعالى... اجعل ختمتك القادمة "تدبرًا لا عددًا"، وقل عند كل آية: "هل أعيش هذه؟" اقرأ قوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾... وتوقف طويلًا.

القرآن مرآة تُعرّيك من الزيف... وتُعيدك إلى الطريق.

٧- صادق عبادًا لا يُغريك تدينهم... بل يُنيرك صدقهم... ابتعد عن المتدينين المتكبرين، المهووسين بالتصنيف والجدل... اقترب من أهل الصدق، أهل البكاء في الزوايا، لا الصياح في المنابر.

الدين يورَث بالصُّحبة... فاخترها بعناية.

٨- تعلّم عن "أمراض القلوب" كما تتعلم عن الفقه... الغرور، الرياء، العجب، طلب المنزلة... كلها فتاكة، ولا تُرى بالعين، اجعل لك وردًا من كتب "تهذيب النفس"، مثل "مدارج السالكين"، أو "كي ترتقي في منازل القرب الإلهي".

ليس كل ما يخدعك في الدُّنيا خارج قلبك بل أحيانًا من قلبك نفسه

٩- صُم عن الحديث عن نفسك... أو عن تعبّدك.. لا تتحدث عن صيامك، صلاتك، ختماتك، مشاريعك الدعوية... إلا لحاجة، قل: "اللهم استر عبادتي كما سترت معصيتي".

الدين الصَّادق صامت... يتحدث بأثره لا بصوته.

١٠- تذكّر يوم العرض الأكبر... حين يكشف الله كل النوايا.. كل سجدة، وكل كلمة، وكل دعوة... ستُعرض، فهل تحمّلت عناء التدين... لتُفاجأ أنه كان "لغير الله"؟.

النَّجاة في يوم القيامة... تبدأ بنيّةٍ خالصةٍ في الدنيا.

الخاتمة العامة الكبرى: "إنني راجع إليك يا رب... ولكن بحقك أنت هذه المرّة"

يا رب... ما أكثر ما تلفّظنا باسمك... وما أقلّ ما التقينا بك!

ما أكثر ما دافعنا عن الدين... وما أقلّ ما عشنا له حقًّا!

كتبنا، وخطبنا، ووعظنا، وبكينا، وقلنا للناس: الله...

لكننا نسينا أن نسألك: هل رضيت يا ربّ؟

يا رب... عشنا في زمنٍ غريب...

صار الدِّين فيه شعارات، والمظاهر مقاييس، والمجتمع ميزانًا،

حتى نسينا أنك أنت الميزان، وأنت النور، وأنت الحقّ الذي لا يُزيّف.

يا رب... كم من عبدٍ أُقصي لأنه أذنب،

وكم من تائب طُرد لأننا حسبنا أن رحمتك محدودة!

كم من غير مسلمٍ لم يعرفك... لأننا نحن شوّهنا صورتك عنده!

كم من شابٍ هرب من المساجد... لأننا لم نفتح له قلوبنا قبل أبوابنا...

كم من فتاةٍ بكت وحدها... لأننا نظرنا لحجابها... لا لقلبها.

يا رب... نحن الذين قصّرنا... لا دينك.

نحن الذين تشوَّهنا... لا قرآنك.

نحن الذين فرّقنا... لا وحيك.

وها نحن نعود... لا لكي ننتصر لذواتنا...

بل لنعود إليك بعهدٍ جديد.

يا رب... أكتب هذا الكتاب... لا لكي أُدين أحدًا

ولا لكي أُزايد على أحد... بل لكي أقول:

نحن الذين ضيّعنا، ونحن الذين نتحمّل مسؤولية الرجوع.

يا رب... اجعل هذا الكتاب:

- بابًا يُفتح لقلوبٍ أُغلقت.
- ونورًا في وجه من تاه عنك وظنّ أنك غضبت عليه للأبد.
- ورسالةً تقول لكل من سقط: قُم... وعُد إلى ربك.

يا رب... اجعل هذه الكلمات نهرًا من الهداية، لا فخًا للغرور.

واجعلها في ميزان عبدٍ يرجو وجهك، لا نفسه.

يا رب... اغفر لي كل ما قلته وكتبته لنفسي...

ولا تجعله حجة عليّ يوم ألقاك.

وأخيرًا...

من يقرأ هذا الكتاب... فليجعله بداية رحلته.

ومن أنهى صفحاته... فلينظر في قلبه الآن:

◄ هل عاد إلى الله؟

◄ هل رأى الدِّين كما أنزل؟

◄ هل فهم أن الجمال كلّه في الوحي... لا في أذواق الناس؟

إن كان الجواب: نعم... فهذا الكتاب نجح.

وإن لم يكن... فاللهم لا تجعلنا حجابًا عنك لمن أرادك.

****

✍كتبه بدمع العين وقلبٍ خاشع:

دريد إبراهيم الموصلي

بكل حبّ، وبأبلغ بيان...

تنويهٌ لا بدّ منه...

أيها القارئ الكريم...

اعلم – رعاك الله – أن هذا الكتاب لم يُكتَب ليُعرّي الواقع الإسلامي ويكشف عوراته تشهيرًا وفضحًا...

معاذ الله، واستغفره من نوايا لا تليق بأمانة الكلمة، ولا تليق بمن يعرف قدر هذا الدين.

ما كتبتُ سطرًا فيه شماتة... ولا لفظًا فيه تعالٍ...

ولا حرفًا واحدًا بنيّة الانتقاص من الأمة أو جلد ذاتها.

بل كُتب هذا الكتاب كجرس إنذارٍ صارخ... في زمنٍ غارق في الغفلة، وكصرخةِ مِئذنةٍ حزينة، توقظ القلوب من سُباتها العميق، وتعيد البوصلة إلى وجهتها الصحيحة.

إنَّ ما ترونه اليوم من انحرافاتٍ باسم الإسلام...

لا يعبّر عن الإسلام، بل يعبّر عن ضعف البشر الذين انحرفوا عن تعاليمه.

فالإسلامُ في نقائه... شيء، وما يُمارَس اليوم باسم الإسلام... شيء آخر تمامًا.

يا غير المسلم...

إن رأيتَ في شوارعنا قسوة، وفي أسواقنا غشًّا، وفي شاشاتنا عُنفًا...

فاعلم أنها أخطاء أناسٍ، لا عيوبُ دين.

ولا تُحمّل الإسلام وزر من أساءوا إليه بأفعالهم، أو شهواتهم، أو تطرفهم، أو جهلهم.

بل إن أردتَ أن تعرف حقيقة الإسلام، فارجع إلى نبعه الأصيل:

القرآن الكريم... وسُنَّة النَّبي الكريم مُحَّد ﷺ.

فثمّ الحقيقة... وثمّ الجمال... وثمّ النور.. وثَمَّ النَّجاة.

وإلى أمتي الإسلامية العظيمة...

كتبتُ هذا الكتاب لأُحبكم لا لأدينكم،

لأوقظ فيكم الحنين إلى الحق، لا لأجلدكم،

لأقول لكم:

عودوا إلى الله كما هو... لا كما تصوّره البعض..

عودوا إلى نبيِّكم... لا إلى من نصّبوا أنفسهم وكلاء عن رسالته.

هذا الكتاب...

ليس فضيحةً... بل دعوة.

ليس تعريًّا... بل تبصير.

ليس جَلدًا... بل رجاء.

فمن أحبّ الأُمَّة... صَدَقَها.

ومن أراد نُصرتها... أراها ما بها.

وأسأل الله أن يجعل كل من قرأ هذا الكتاب، شاهدًا للحق... لا على الهوى.

وأن يهدي به القلوب... إلى دينه، لا إلى من يُسيئون إليه باسمه.

من قلبٍ أحبّكم... وخاف عليكم.

✍دريد إبراهيم الموصلي

السيرة الذاتية للمؤلف (دريد ابراهيم الموصلي)

اسمه ونسبه وولادته:

دريد بن متي بطرس ابراهيم الحنو نيسان، من مواليد الكرخ بغداد ولد سنة ١٩٧١ على دين النصرانية، ينتمي الى عائلة نصرانية وكان والده شماسا في الكنيسة.

انتقل للعيش الى ناحية برطلة التابعة لمحافظة نينوى وأكمل فيها دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ثم أكمل تعليمه الجامعي في جامعة الموصل كلية التربية قسم علوم الحياة.

وقد قال ربنا الله عز وجل (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لله حَنِيفًا).. دلالة على أن المرء وحده وهو على الحق يمكن أن يساوي أمة كاملة، وقد كان... فقد ترك هذا الشاب كل قبيلته وعشيرته ومجتمعه وحياته وخرج وحيدا حاملا دين الاسلام في عقله وقلبه، واعتنق الاسلام سنة ١٩٩٢ وهو في المرحلة الثالثة من الدراسة الجامعية مخلفا وراء ظهره كل ماضيه.

وقصة اسلامه موجودة في كتاب (ربحت مُحَمَّدًا ولم أخسر المسيح) عليهما الصلاة والسلام، وأيضاً موجودة القصة على شكل فيديو بنفس العنوان على منصة اليوتيوب.

مسيرته العلمية وإجازاته وشيوخه:

بدأ طريق العلم مع الشيخ سالم المولى أبو عبد الرحمن: تعلم على يديه العقيدة - ومصطلح الحديث - والآجرومية - وأحكام التجويد وتلاوة القرآن - ثم أكمل الدراسة على يد أخيه الشيخ ضياء المولى.

وقد تعهد الشيخ دريد ابراهيم الموصلي تعلمه الذاتي بشغف وجد، فتعلم دروس الفقه وأصوله وفقه الدعوة والتزكية، وقد اعتنى في دراسته على أمور التزكية والتربية الإيمانية والأخلاقية عناية شديدة.

ثم بدأ بحفظ القران الكريم.. وأتمَّ حفظه في سنة وثمانية أشهر، و أشرف بدوره على تحفيظ الطلاب القران الكريم في الفترة من ٢٠١٠ حتى نهاية ٢٠١٤ في مسجد " صابر صوفي علي " في قضاء خبات التابع لمحافظة أربيل، ثم اشتغل بجد واجتهاد في ضبط وتدبر وتوجيه المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم وألف في ذلك مصنفات عدة للتسهيل على طلبة هذا العلم حفظ كتاب الله مع فهمه وتدبر آياته، وقرأ القراءات على عدد من مشايخ من الموصل ومنهم الشيخ صديق البوطي وأجازه برواية حفص، ثم سافر إلى مصر وأكمل القراءات وأُجيز بقراءة عاصم براوييه وقراءة بن كثير براوييه وقراءة نافع براوييه وقراءة أبي عمرو براوييه من الشيخ هشام رمضان حيدرة (أحد مشايخ الأزهر الشريف)، وكل هذه الاجازات تم تصديقها من قبل لجنة متخصصة من العلماء الأفاضل في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية اقليم كردستان المكونة من كل من: (الأستاذ عمر رشيد مصطفى والشيخ سالم مُحَّد علي والدكتور زياد عبد الله عبد الصمد والشيخ حمزة عبد الرحمن صوفي) بعد أن اجتاز الاختبار بامتياز وحصل أيضا على اجازات في الأربعون القرآنية ومتن الجزرية ومتن تحفة الأطفال وفي كتب الشيخ الحصري رحمه الله تعالى من الشيخ هشام رمضان حيدرة.

وقد تميز الشيخ دريد ابراهيم الموصلي بطريقة مميزة للغاية في حفظ القران الكريم أسماها (احفظ القرآن كما تحفظ الفاتحة) وقد ضمَّنها في كتاب وطُبع منه أكثر من ١٦ طبعة في بلدان عدة منها (القدس – الجزائر – مصر–

إندونيسيا وغيرها)، وتُرجم الكتاب إلى العديد من اللغات منها اللغة الكردية (سوراني وباديني) والإندونيسية والانكليزية والملاوية.

كما تميز بتأليف المنظومة الإبراهيمية في ترتيب السور القرانية وهي منظومة تتألف من ١٥ بيت رتب فيها الشيخ أسماء سور القرآن العظيم بطريقة جميلة وسلسة من الفاتحة إلى الناس وقد حفظها الألاف من المسلمين في كافة أنحاء العالم (الصغير والكبير والأمي والمتعلم والرجال والنساء) وتم إجازة ما يُقارب ١٠٠.٠٠٠ شخص حول العالم بها حتى تاريخ إعداد هذا التقرير.

واغتنم الشيخ دريد ابراهيم الموصلي حفظه الله تطور التواصل الالكتروني فسخره لتعلم وتعليم القران الكريم وعلومه .. وتوصيله الى جميع بلدان العالم فهو نشط على منصات التواصل الاجتماعي (اليوتيوب – الفيس بوك – التك توك – التيليجرام)، حيث يبلغ مجموع متابعيه اليوم حوالي النصف مليون متابع.

أهم برامجه على منصات التواصل الاجتماعي:

- برنامج "النطق الصحيح للقرآن الكريم": ويعد هذا البرنامج الأول من نوعه على منصة اليوتيوب، وهو برنامج يعلم تلاوة القرآن الكريم حرفاً حرفاً وكلمة كلمة وكيفية تخليص الحركات وتخليص المفخم من المرقق وبيان الأخطاء الشائعة أثناء التلاوة وكيفية تصحيحها، وايضا التركيز على طريقة الأداء القرآني بما يتناغم مع معاني الآيات.. (وقد عنى البرنامج بتعليم جميع المسلمين النطق الصحيح من الناطقين باللغة العربية و غير الناطقين بها، والأميّ الذي لا يعرف الكتابة والقراءة، والضرير فاقد البصر اعتمادا على التعلم سماعياً) إيمانا من الشيخ دريد بحقوق

هذه الفئة في التعلم.

- يتبع نشر الصفحة " تصحيح تلاوة للصفحة نفسها " من القران الكريم، مع اشتراط دراسة الطالب ومتابعة النطق الصحيح للصفحة المحددة ليحق للطالب عرض التلاوة على الشيخ دريد في بث مباشر من على منصة اليوتيوب.
- " برنامج تصحيح التلاوة " اللقاء المفتوح لتصحيح التلاوة وايضا هو بث مباشر، وفي هذا البث للطالب حرية تحديد الصفحة التي يريد أن يعرضها على الشيخ دريد.
- حلقات لتدبر القرآن العظيم وضبط المتشابهات اللفظية في القرآن وتوجيهها واللمسات البيانية فيها، وأيضا دروس في التزكية والأخلاق، ومواعظ ونصائح في مختلف نواحي الاسلام العظيم.

هذا وقد أوقف الشيخ دريد ابراهيم الموصلي جميع ما في القنوات الخاصة به على جميع وسائل التواصل الاجتماعي وجميع كتبه عن نفسه وعن زوجته وعن جميع المسلمين، واعتبرها صدقة جارية عنه وعنهم، وأيضاً هو قد سمح بنشر جميع فيديوهاته من دون أية حقوق، لأنه يؤمن أن كل مسلم على وجه الأرض له حق في هذا.

وكل المنصات بنفس العنوان (دريد ابراهيم الموصلي) لمن أراد التعلم والاستفادة منها.

مؤلفاته:

- احفظ القرآن كما تحفظ الفاتحة، وهذا الكتاب طبع ١٧ مرة وتُرجم إلى العديد من اللغات.

- ضبط خواتيم الآيات لسور البقرة وآل عمران والنساء.
- ضبط خواتيم الآيات لسور المائدة والأنعام والأعراف والأنفال.
- ضبط بدايات ونهايات أحزاب وأرباع القرآن الكريم بالجملة الإنشائية.
- الأربعون القرآنية من كلام خير البرية.
- ربحت مُحَمَّداً ولم أخسر المسيح عليهما الصلاة والسلام. وقد ترجم الى اللغتين الانجليزية الكردية.
- القواعد الأربعينية في ضبط المتشابهات القرآنية.
- ٩٠٠ سؤال وجواب في تدبر آيات الكتاب.
- لألئ مكنونه في عمَّ يتساءلونَ.
- أسئلة وأجوبة بضبط الألفاظ المتشابهة (١٣ مجلد).
- أنتم تسألون وأنا أجيب (مجلدين).
- المنظومة الابراهيمية في ترتيب السور القرآنية.
- بلوغ الإتقان في تجويد حروف القرآن.
- الفتح الرَّباني في إتقان الحرف القرآني.
- كي ترتقي في منازل القُرب الإلهي.
- ومضات أمل: إشراقات تبني الذات وتُلهم الحياة.
- سرُّ البُنيان: التناسب والترابط بين آيات القرآن.
- رحلة النور في ظلال السيرة: تأملات، تدبر، ودروس مستنيرة.
- نداء ولقاء: من الأذان إلى السلام: مفردات روحية تغيّر قلبك وتعيدك إلى الله.
- نور الطهارة وروح الصلاة: دليلك العملي إلى العبادة الصحيحة.
- كيف نجعل القرآن الكريم منهجاً في حياتنا.
- بعض الكتب تسافر بك إلى الله... وهذا واحدٌ منها.
- حديث أويس القرني التزكية النبوية، والولاية الخفيّة، والقدوة الممكنة.
- لأنّ تاجك غالٍ يا بُنيّتي.
- حين تكلم القلب يوم عرفة.

- كنت أبحث عن نفسي... فوجدتها في المصحف.
- أنت لست من أهل القرآن... أنت مجرد مُدَّعٍ.

اشترك الشيخ دريد مع كتبه في كثير من المعارض الدولية للكتاب (مصر – الأردن – الجزائر – الشارقة – بغداد – أربيل – السليمانية – قطر...وغيرها)

وأخيرا عُرضت مؤلفات الشيخ دريد ابراهيم الموصلي للمرة الاولى في جناح معرض الشارقة الدولي للكتاب ٢٠٢٢ الدورة ٤١ وقد كانت كلا من مؤلفات الشيخ الاتية هي الأكثر مبيعا كما هو موثق رسميا في احصائية المعرض والتي تم نشرها:

- احفظ القرآن كما تحفظ الفاتحة.
- الأربعون القرآنية من كلام خير البرية.
- ضبط بدايات ونهايات أحزاب وأرباع القرآن الكريم بالجملة الإنشائية.
- القواعد الأربعينية في ضبط المتشابهات القرآنية.
- لألئ مكنونه في عمَّ يتساءلونَ.
- ٩٠٠ سؤال وجواب في تدبر آيات الكتاب.
- ضبط خواتيم الآيات لسور البقرة وآل عمران والنساء.
- ضبط خواتيم الآيات لسور المائدة والأنعام والأعراف والأنفال.

ملاحظة:

لم يتقاضى الشيخ دريد ابراهيم الموصلي منها دينارا ولا درهما، فهو لا يتقاضى أي مقابل مادي عن أي من كتبه ومؤلفاته التي تتم طباعتها بنسخ ورقية حتى يتسنى له نشرها على منصات التواصل الخاصة به مجانا بصيغة pdf رغبة منه لوصول هذا العلم إلى جميع فئات المجتمع من المتعلمين.

المحتويات

التمهيد........ ٧
المقدمة ٩
لمن هو موجّه هذا الكتاب؟........ ١١
لماذا اخترت هذا العنوان تحديدًا؟........ ١٢
الفكرة المركزية للكتاب:........ ١٤
رسالة إلى القارئ ١٧
من نحن؟ ولماذا يجب أن نحاسب أنفسنا قبل أن يحاسبنا الناس؟ ٢٠
المحور الأول: مغالطات في فهم الله تعالى والدِّين ٢٤
الفصل الأول: " الله تعالى في قلوبنا فقط "... وهمُ الإيمان بلا طاعة ٢٨
الفصل الثاني: دين الرَّحمة أم دين التشدد؟ ٣٢
الفصل الثالث: بين الخوف من النار.. وتغييب حُبِّ الله تعالى ٣٦
الفصل الرابع: الدين تراث الأهل... لا اختيار القلب ٤٠
الفصل الخامس: كيف صوّرنا الدين بأنَّه اختناق؟........ ٤٤
الفصل السادس: حين صار الحلال مُعقّدًا... والحرام مُبررًا........ ٤٨
الفصل السابع: الله تعالى كما قال عن نفسه... لا كما قلنا نحن عنه ٥٢
الفصل الثامن: عبادة الهوى باسم الشرع... حين يتسلّل الهوى إلى الدين بصوت واعظ........ ٥٦
الفصل التاسع: حين صار الدين وظيفة لا رسالة... وأصبح بعض الدعاة "مشروع شهرة" لا "سفراء نور"؟ ٦٠
الفصل العاشر: حين أصبح "المنهج" سلاحًا... لا وسيلة........ ٦٤
الفصل الحادي عشر: حين صارت الغيرة على الدين غلافًا لِغلظة القلب... والصَّدّ عن سبيل الله باسم الحزم؟ ٦٨
الخلاصة الجامعة للمحور الأول: "مغالطات في فهم الله والدين" ٧١
المحور الثاني:"مغالطات السُّلوك الفردي باسم الدين" ٧٤
الفصل الأول: "التدين الظاهري... والتوحّش السلوكي"!........ ٧٦
الفصل الثاني: حين صارت المجالس مجالس غيبة... باسم "النصح"! ٧٨
الفصل الثالث: الرياء في العبادات... واستعراض الدين! ٨١
الفصل الرابع: دعاءٌ كثير... وقلوبٌ مِلؤها الحقد ٨٥
الفصل الخامس: حين صار الغش "حلالًا" في التجارة... بحجة الذكاء! ٩٠
الفصل السادس: حين صار الكِبر تحت عباءة الوَرع........ ٩٥
الفصل السابع: حين صرنا نحكم على الناس من لباسهم... لا من أخلاقهم........ ١٠٠
الفصل الثامن: تدين المساجد فقط... وإهمال البيت والعمل ١٠٦

الفصل التاسع: التدين الانتقائي... نُقيم الليل ونأكل أموال الناس ١١١
الفصل العاشر: حين أصبح الدين "واجهة للشهرة"... لا "سرًّا بينك وبين الله" ١١٨
الفصل الحادي عشر: حين صار الدين انشغالًا بالشكل... لا صراعًا ضد النفس!................ ١٢٤
الفصل الثاني عشر: حين صار الدين "انغلاقًا"... بدل أن يكون انفتاحًا راشدًا... .... ١٣٠
الفصل الثالث عشر: حين صارت الغيرة على الدين غلافًا لغلظة القلب... والصدّ عن سبيل الله باسم الحزم؟ ١٣٣
ختام المحور الثاني ١٣٨
المحور الثالث: مغالطات الواقع الاجتماعي باسم الدين ١٤٠
الفصل الأول: الدين ضد المرأة؟ أم المجتمع هو الجاني؟.. ١٤٢
الفصل الثاني: تبرير العقوق تحت ستار "الاختلاف" ١٤٥
الفصل الثالث: "برّ الأهل" الظاهري... مع الجفاف الحقيقي.. ١٤٩
الفصل الرابع: تكفير الناس وخذلانهم بحجّة "الفرقة الناجية".. ١٥٢
الفصل الخامس: العادات أقوى من الشريعة!... ١٥٦
الفصل السادس: حين صارت سمعة العائلة أهم من عدل الله!... ١٦٠
الفصل السابع: "عَيب" أقوى من "حرام!"... ١٦٣
الفصل الثامن: التستّر على الظَّالم... باسم الدين والهيبة!... ١٦٧
الفصل التاسع: حين صار الطلاق جريمة... والزواج الثاني خيانة! ١٧٣
الفصل العاشر: مفهوم "العيب" في التربية... أكبر حاجز بين الأبناء والدين.......................... ١٨٠
الفصل الحادي عشر: الزواج عبءٌ مادي؟ أم عبادة ميسّرة؟ ١٨٦
الفصل الثاني عشر: أولياء الأمور... أم سلاسل العادات؟ ١٩٣
الفصل الثالث عشر: حين صار الدين مقاسًا طبقيًا!.. ٢٠٠
الفصل الرابع عشر: الفهم المقلوب لقِوامة الرجل... واستعباد المرأة باسم الشَّرع! ٢٠٦
الفصل الخامس عشر: الستر الحقيقي... لا إخفاء الجرائم ٢١٣
المحور الرابع: مغالطات المال والوظيفة... ٢١٨
الفصل الأول: الرشوة بين التحايل والشَّرع... حين يُشترى الحق باسم "الإكرامية" ٢٢١
الفصل الثاني: أكل الرِّبا بحجة "ضرورة العصر" ٢٢٧
الفصل الثالث: التحايل على الزكاة وادعاء الورع في التفاهات ٢٣١
الفصل الرابع: حين صار الغش "شطارة"... لا خيانة! ٢٣٦
الفصل الخامس: الوظيفة للراتب فقط؟! ٢٤١
الفصل السادس: تضييع الأمانات... وسرقة الوقت باسم الروتين.. ٢٤٨
الفصل السابع: الدين لا يمنع الثراء... لكنه يُحرّم الجشع ٢٥٣
الفصل الثامن: حين صار الدين تبريرًا للكسل... ٢٥٨
الفصل التاسع: تحليل الحرام بالفتاوى الانتقائية ٢٦٣

الفصل العاشر: دين "العقود الصورية"... والتحايل باسم الورق ٢٦٨
الفصل الحادي عشر: أين الله تعالى من تعاملاتك؟ ٢٧٤
الفصل الثاني عشر: هل نُحب المال أكثر من الله؟ ٢٨١
الفصل الثالث عشر: السطو على المال العام باسم "الانتفاع" ٢٨٨
الفصل الرابع عشر: حين صار الدين ستارًا للمحسوبيات والوساطات؟ ٢٩٦
الفصل الخامس عشر: حين صار الدين مطيّة للتكاسل عن ردّ الحقوق... والتهرّب من الواجبات؟.. ٣٠٣
خاتمة المحور الرابع: حين صار المال معيارًا... لا ميزانًا! ٣١٢
المحور الخامس: مغالطات الإعلام والدعوة باسم الدين ٣١٤
الفصل الأول: الشهرة قبل الإخلاص ٣١٥
الفصل الثاني: برامج إسلامية... لكنها تخدش الإسلام ٣١٩
الفصل الثالث: القارئة التي تُرتّل... وحجابها يفضح الدين ٣٢٢
الفصل الرابع:"الدين في قبضة الترند"... حين يتحوّل الهاشتاغ إلى منبر! ٣٢٨
الفصل الخامس: منبر بلا خشوع... وكاميرا بلا صدق! ٣٣٤
الفصل السادس: حين يتحوّل الخلاف العلمي إلى "دراما" إعلامية ٣٣٨
الفصل السابع: "إضحك تصير داعية!"... حين صار الدين مادةً ساخرة! ٣٤٣
الفصل الثامن: من الذي أعطاك الحق لتتكلم باسم الله تعالى؟ ٣٤٧
الفصل التاسع: فيديوهات المواعظ... بدون التزام عملي! ٣٥٣
الفصل العاشر: "لايكات" على حساب المواقف الشرعية! ٣٥٦
الفصل الحادي عشر: دعوة "الصراخ" أم دعوة "الرحمة"؟ ٣٦٠
الفصل الثاني عشر: حين نُدين الناس على الشاشة... ونجهلهم في الواقع! ٣٦٥
الفصل الثالث عشر: حين يكون الدين تجارة إعلامية! ٣٦٩
الفصل الرابع عشر: الفتاوى السَّريعة... فخّ الإعلام الديني! ٣٧٤
الفصل الخامس عشر: منصات الدعوة بين الغيرة على الدين... ومجاراة خوارزميات الشهرة ٣٧٨
الفصل السادس عشر: دعوة تُرَبّي... لا دعوة تُثير! ٣٨٢
الفصل السابع عشر: حين يُصبح الداعية "بطلاً"... لا "عبدًا لله". ٣٨٦
الفصل الثامن عشر: حين صار الواعظ نجمًا... والنجوم وُعّاظًا! ٣٩٠
الفصل التاسع عشر: حين صار الحجاب... ماركة! ٣٩٤
الفصل العشرون: حين صار "المحتوى الديني" صناعة جذب.. لا وسيلة تزكية! ٣٩٨
الفصل الواحد والعشرون: المآسي مادة دعوية... أم أمانة دعوية؟ ٤٠٢
الفصل الثاني والعشرون: حين صار الداعية يملك حق التقديس... أو الإلغاء"! ٤٠٦
الفصل الثالث والعشرون: حين صار المحتوى الديني بلا مراجعة علمية... ولا رقابة قلبية! ٤٠٩
الفصل السادس والعشرون: الإعلام الإسلامي... إلى أين؟ ٤١٤
ملخص وجداني للمحور الخامس: ٤٢٠

المحور السادس: مغالطات في الحكم على الناس ٤٢٢
الفصل الأول: تحكيم الظُّنون بدل الوحي ٤٢٣
الفصل الثاني: التسرّع في تصنيف الناس ٤٣٤
الفصل الثالث: جعل النفس مرجعًا دينيًا فوق الجميع ٤٤٤
الفصل الرابع: هل صرتَ تعلم ما في القلوب؟ ٤٥٢
الفصل الخامس: حين نحكم على الناس من هيئة لباسهم فقط ٤٦١
الفصل السادس: الجاهل بالدِّين... ليس عدوًّا لله! ٤٧٠
الفصل السابع: تاريخ التوبة... لا يُشطب بالمعصية القديمة! ٤٨٠
الفصل الثامن: الحكم على غير الملتزم لا يعني استصغاره عند الله! ٤٨٩
الفصل التاسع: لا نُكفّر من لم يُكفّره الله ٤٩٧
الفصل العاشر: المظهر الديني لا يكشف درجة الإيمان ٥٠٦
الفصل الحادي عشر: حين نحكم على الناس بماضيهم وننسى رحمة الله ٥١٣
الفصل الثاني عشر: نُحاسب الناس على مواقف لحظة... ونتجاهل عمرًا من الطاعات ٥١٦
الفصل الثالث عشر: لا تحكم على دمعةٍ... ولا على ضحكةٍ! ٥٢٢
الفصل الرابع عشر: حين نحكم على العامة بما نعرفه كعلماء ٥٢٧
الفصل الخامس عشر: لا تتكلم عن الناس من زاويتك فقط ٥٣٢
الفصل السادس عشر: حين نحكم على الآخرين بهوى مجموعتنا أو مذهبنا أو بلدنا ٥٣٧
الفصل السابع عشر: الستر على الناس... لا يعني تزكيتهم، ولكنه خُلق الله في عباده ٥٤٥
الفصل الثامن عشر: افتح لك بابًا للتوبة... ولا تُغلقه على غيرك ٥٥١
ملخص وجداني عام لهذا المحور ٥٥٧
المحور السابع: كيف يرانا غير المسلمين؟ ٥٥٩
الفصل الأول: المسلمون يعكسون إسلامًا مشوّهًا ٥٦١
الفصل الثاني: نماذج صدَّت الناس عن الإسلام ٥٦٤
الفصل الثالث: الإسلام الحقيقي... كما لم يروه! ٥٦٨
الفصل الرابع: حين رأوا الإسلام... ولم يروا المسلمين! ٥٧٣
الفصل الخامس: نُحسن الحديث عن النبي ﷺ... ونُخالفه في سلوكنا! ٥٧٦
الفصل السادس: دينُ الرَّحمة... وصورة العنف! ٥٨٠
الفصل السابع: نقول: "المرأة مُكرّمة في الإسلام"... ثم نُهينها عمليًا! ٥٨٤
الفصل الثامن: مسلمٌ يكذب... فيُكذَّب الإسلام! ٥٨٨
الفصل التاسع: حين نُعرّف الإسلام بحروبنا... لا بنورنا! ٥٩٢
الفصل العاشر: حين تكون المساجد كثيرة... ولكن الأخلاق قليلة! ٥٩٧
الفصل الحادي عشر: لماذا يُبهرهم الإسلام... ويُخيفهم المسلمون؟ ٦٠١
الفصل الثاني عشر: هل نحن مستعدون لأسئلتهم الصادقة؟ ٦٠٥

الفصل الثالث عشر: "أنتم تكرهوننا"... هل هذا ما فهموه منّا؟ ٦١٠
الفصل الرابع عشر: هل الإسلام خاصٌ بالعرب؟ ٦١٤
الفصل الخامس عشر: حين يتفوّق علينا غير المسلم... في الصدق والرحمة والانضباط! ٦١٩
الفصل السادس عشر: لماذا لا نعتذر عن أخطائنا باسم الإسلام؟ ٦٢٢
الفصل السابع عشر: هل نحن أُمناء على الرسالة؟ ٦٢٦
الفصل الثامن عشر: هل يُسلم الناس بنا... أم يُصدّون عن الله بسببنا؟ ٦٣١
الفصل التاسع عشر: حين فشلنا في تقديم الإسلام كأمان لا كتهديد ٦٣٥
الفصل العشرون: الفجوة بين النص القرآني... وصورتنا في الإعلام! ٦٣٩
الفصل الحادي والعشرون: "إسلامُ الشاشة... وإسلامُ الواقع" ٦٤٢
الفصل الثاني والعشرون: "حين نطلب من غير المسلم أن يُسلِم... ولا نُظهر له لماذا يُسلِم؟"! ٦٤٥
الفصل الثالث والعشرون: حين يُصبح الإعلام سلاحًا لتشويه الإسلام ٦٥٥
الملخص الوجداني للمحور السَّابع: كيف يرانا غير المسلمين؟ ٦٦١
المحور الختامي: عودة إلى النَّبع ٦٦٦
الفصل الأول: كيف نُصحّح المسار؟ ٦٦٩
الفصل الثاني: الإسلام في نقائه الأول ٦٧٢
الفصل الثالث: دعوة للمراجعة... لا للإدانة ٦٧٧
الفصل الرابع: الدين ليس وجهًا اجتماعيًا... بل عهدٌ مع الله ٦٨٤
الفصل الخامس: نقّوا الطريق... ليظهر جمال الإسلام ٦٨٨
الفصل السادس: العودة إلى القرآن... لا إلى الأقوال المتداولة ٦٩٣
الفصل السابع: النَّبيُّ ﷺ هو القدوة... لا الداعية المتصدّر ٦٩٩
الفصل الثامن: الإسلام طريق حياة... لا طقوس مؤقتة ٧٠٢
الفصل التاسع: النيّة... قلبُ الدين الذي فقدناه ٧٠٦
الفصل العاشر: مفتاح العودة: التوحيد الخالص ٧٠٩
الفصل الحادي عشر: الدين ليس تركة نرثها... بل حياة نعيشها ٧١٣
الفصل الثاني عشر: اصنعْ صُلحًا مع الله تعالى لا مع العادة ٧١٦
الفصل الثالث عشر: هل أنت مستعد لتكون مختلفًا لأنك مؤمن؟ ٧٢٠
الفصل الرابع عشر: اللحظة الفاصلة: أن تقول لله "عدتُ" بصدق ٧٢٤
الفصل الخامس عشر: لن يُصلح هذا الدِّين إلَّا من تربّى عليه كما نزل. ٧٢٨
خلاصة المحور الختامي: العودة إلى النَّبع ٧٣٢
ملحقات مقترحة: ٧٣٤
أمثلة واقعية (قصص حقيقية من الواقع) ٧٣٤
شهادات غير مسلمين صدَّهم تصرف المسلمين ٧٣٦
أدعية لإصلاح القلب والسلوك ٧٤٠

خطوات عملية للتحرر من التَّديُّن المزيف ٧٤٢
الخاتمة العامة الكبرى: "إنني راجع إليك يا رب... ولكن بحقك أنت هذه المرّة" ٧٤٥
تنويةٌ لا بدّ منه.. ٧٤٧
السيرة الذاتية للمؤلف (دريد ابراهيم الموصلي) ٧٥٠
المحتويات ٧٥٧